

Work can only be obtained from contact between systems in contact with each other. When work is done, such systems tend to even out; and that loss of heat occurs in the form of entropy.

مدحت محفوظ

The entropy of an isolated system not at equilibrium will tend to increase over time, approaching a maximum value.

سهم كيوييد

(رواية ليست رومانسية بالضرورة !)

Every Roman was surrounded by slaves. The slave and his psychology flooded ancient Italy, and every Roman became a slave. Because living with slaves, he became infected in the atmosphere of slaves, he became infected through the unconscious in their psychology. No one could shield himself from such influence.

Carl Gustav Jung

On Analytical Psychology (1916)



٢- الثالث العاصف

تحذير قانوني
شخصيات هذه الرواية قد تفصح عن
آراء ربما يعتبرها البعض صادمة اجتماعيا
أو دينيا أو عرقيا أو جنسيا .
القارئ ، والذي يشترط فيه أن يكون
قد بلغ السن الرائدة قانونا ، يتحمل وحده
دون المؤلف أو الناشر - كامل مسؤولية
قرار قراءتها ، ولا يحق له بحال العودة
على أى منهما بأية تبعات .

To the first person from whom I've learned the meaning of the word 'Arabs' ...
MY MOTHER

- **First draft: Saturday, September 02, 2006.**

First PDF publishing of the complete draft (limited): Tuesday, January 30, 2007.

- **First PDF publishing of the final document: Saturday, March 10, 2007.**

This version's date: Tuesday, January 24, 2023 (some minor formal, linguistic and/or typing corrections have been made).

Before you read or print, it's highly recommended to download the latest version from this location:

http://www.everyscreen.com/views/pdf/SahmCupid_03.pdf

- © 2006 - 2023 Medhat Mahfouz. All Rights Reserved.

- Reproduction, full or partial, in any form, printed or electronic, recent or future, is strictly forbidden without a thorough written permission from the author.

- Production of electronic edition: Author's Office (*MSoft*)

For Best Printing Results:

I) **Print on both sides:**

Step 1: Select even range of pages, e.g. 1 to 50, or the whole document (which we adjusted to end with even page number).

Step 2: Print 'Odd pages only.'

Step 3: Flip paper stack and print (for the same range, of course) 'Even pages only' with 'Reverse pages' option ticked.

II) Some PDF advanced printing options for older versions of Adobe Acrobat Reader:

'Print as image' may help avoiding some rare Arabic printing glitches, such as deflected display of the cashidas.

٦
الخريف



بعد أن حط اكتتاب البنك الأهلى أوزاره ، عادت القاعة لطبيعتها . بالأحرى ليس بالضبط . بعض من تلك المحافل التى جاءت للاستثمار فى البورصة لأول مرة بسبب الاكتتاب ، وذاقوا بعضا من الربح السريع بفضلها ، قرروا الاستمرار كمتداولين يوميين . النتيجة أن تضاعف تقريبا عدد المتتردين ، الثابتين وغير الثابتين سواء بسواء . واضطر إدوارد لشراء ستة ونصف من كراسى إضافية جديدة ، أصبحت -إضافة للقديمة- تملأ القاعة عن آخرها . لا حيلة لأحد بعد ذلك ، ولو حدث وزاد عدد الرواد أحيانا ، فسوف تلحظ بعض الوقوف فى الطرقة الجانبية ، الواقعة ما بين صفوف الكراسى المتراصة وما بين الحائط الآخر للقاعة ، مستندين لهذا الحائط .

أصبح الشغل على كاهل سامر وميرفت ومينا وحتى نصر الله غير مسبوق . إدوارد -الذى بدأت غرفته تفقد هدوءها التقليدى- أصبح بدوره لا يجد من الوقت الكثير للدردشات اليومية المطولة مع سماء أو غيرها . حتى مجلس الأمن زادت الأعباء عليه بشدة . أصبح كم الاستشارات والأسئلة أكبر . وطبعا مع زيادة الأعباء زادت الخلافات والمشادات فيما بين الأعضاء الخمسة .

بعد أيام يعاتب الحاج روميو : يعنى موش كفاية علينا فستان سوسن القصير وبضاعتها المكشوفة ، ها تجيب لنا واحدة من إياهم تقعد معنا . وما فيش غير الكرسي إلى جنبى علشان الأشكال بتاعتك دى ؟ طفشت الشيخ حجاب ، وبترحب بواحدة لا مؤاخدة ؟

تكون لدى روميو غضب مختزن بسبب طول المضايقات التى طالما استشعرها فى النظرات لفساتين سوسن القصيرة وعانتها العارية ، والتى تحمل ضمنا إهانة لها أنها مجرد جسد أو خلية . والآن ها هو ينفجر بسبب ما قيل له عن العاهرة . يقول موجها الكلام لميرفت ، أيضا دون أن يعرف السامع بالضبط إن كان جادا أم يمزح : يلعن أبوكم كلكم ! قومي صفى لى حسابى وإدبنى فلوسى . ها أفتح محل فى سیتی ستارز . ها استورد الملابس من اليونان . معاى عناوين مصممين ومصانع هناك . ها أكسب أحسن ألف مرة من القعدة عندكم هنا . كل البنات ها تجيى علشان اسم المحل وعلشان الهدوم الهشك بهشك طبعا . عارف ها أسميه إيه ؟ ها أسميه Slut أو Slut House !

كالعادة ينسى الحاج كل الخلاف الأصلية ويتحول للموضوع الجديد : يخرب بيت أبوك ! مين ها يسمح لك باسم زى ده ؟

- الاسم ده ما عدش شتيمة يا عمنا ، البنات بيستخدموه عادى على سبيل المداعبة . تاريخ البشرية ده كله تاريخ ممنوعات بقت مسموحات ، من أول الشاى والقهوة والدخان . من أقل من ٨٠ سنة كانت الخمر ممنوعة فى أميركا . الثورة الجنسية عيني عينك فى الشوارع ، فى مصر ، وفى إيران ، وفى السعودية . مين كان يقول كده قبل ٥ سنين ؟ سدوم وعمورة ! ثورة يا بابا ! ولا حد ها يوقفها ، لا فى الأرض ولا فى السما !

- بس سدوم وعمورة اتحرقوا بالنار !

- ليه هو أنت ما سمعتش ؟ ربنا غير رأييه ودلوقت بيدى الثواب للى يوفى رأسين فى الحرام !

- استغفر الله العظيم ! استغفر الله العظيم ! ربنا ياخذك يا شيخ ويريح العالم من كفر .

- ما لها جهنم يا حاج ؟ أنا شخصيا ها أسأل ماريلين مونرو وبريجيت باردو وناهد شريف ومديحة كامل راحوا فىن وها أروح معاهم . موش أحسن من الحور العين إلى كلهم شكل بعض ؟ فيه سؤال طول عمره محيرنى يا حاج : ليه عدد الحور العين ٧٢ ؟

- (آخذنا السؤال على محمل الجد :) عدد غريب فعلا !

- جاييز علشان ده عدد إلى آمنوا بمحمد فى مكة ! ها ! ها ! ها ! أو علشان ده عدد الأوس والخزرج بتوع بيعة العقبة جزء ٢ ! ها ! ها !

- عارف أنا بكرة ها أعمل إيه ؟ المكوجى بتاعنا لسه عنده مكوة الرجل بتاع زمان . بكرة ها أجيبها معاى ، وأفرد لك الكسرات الفظيعة إلى فى نافوخك المكشكش ده !

- مكشكش ؟ آه يا خلبوص يا بتاع المكشكش أنت ! أنا متأكد أنك كنت شقى فى شبابك . ونس إالى أنت شايه ده ، ما تاخدش على شكله المدهول ، برضه كان خلبوص كبير فى شبابه . موش العراق وتركيا وبس . كل حته . علشان خاطركم أنتم الاثنين ها أجيب فى المحل ميني سكيرتس مكشكشة . هات لى مكوة رجل لو عاوز . نافوخى ورقبتى وكللى لك يا حاج ! يا راجل يا عسل أنت !

- (سرعان ما يهدأ :) على أية حال لحسن الحظ السيقى ستارز ما عدش فيه خرم أبرة للى زيك !

ويصحح ونس : ' ما هذا الخيال الجنسى المريض : تتصورون الراجل عاوز ينام مع أصحابه فى الجنة ؟ ؛ ثم أن عدد ٧٢ موش غريب خالص . ليه ما تقولوش أنه تنبأ أن رفاقه المكيين أو معاهديه الثرييين أولئك أو هؤلاء سيتشيع كل منهما ٧٢ فرقة ، كلهم فى النار ، وأن فرقة غيرهم خالص هى الفرقة الناجية ؛ هو وحده ! ' .

ويسخر روميو : ' إيه العقد دى ؟ جايز ببساطة ٧٢ لأنه ست دستات من بتوع زمان ؛ يعنى نص قاروصة مقفول ! ها ! ها ! ها ! ها ! ' . ويهمس وحيد لنفسه : ' ٧٢ ؟ أنا لو رحت نيو يورك موش مكة وقلت أنا نبي ، ها يؤمن بى أكثر من ٧٢ ! ' . ثم يشاركهم الضحك : ' أنت نسيت يا روميو أنك بتمثل فرنسا فى مجلس الأمن ، والمفروض تقول ' ميني چوپ ' موش ' ميني سكيرت ' ' .

- إيه يا عم وحيد ؟ أنت إالى ناسى باين عليك . أنت موش عايش فى الدنيا ولا إيه ؟ فرنسا نفسها بتتكلم إنجلش النهارده ! واحد صاحبي بيعرف فرنساوى كويس ، جه الأسبوع ده من هناك بيقول كان بيتعب لغاية ما يعتر على حد بيتكلم فرنساوى . ها ! ها ! الخلاصة الكرسي ده تبعى ، وإالى موش عاجبه الباب يفوت جمل . سمعت يا حاج : جمل ! من بتوع العرب !



ها ينصف أسواق الخليج ،

ولا ها يوسخ كيوييد نفسها ؟

يتخذ إدوارد لقدم موسم المدارس استعدادات خاصة . يزداد الطلب على السحب النقدي ، فيضطر لإرسال سامر للبنك على نحو شبه يومي لعمل ما يسمى بتزويد الخزينة . هو لا يريد أن يكلف أحدا من العملاء عناء الذهاب للبنك أو انتظار الدور فيه . هذا العام سارت الأمور على ما يرام ، بالذات حين راح يؤكد على العملاء أن يخبرونه سلفا باحتياجاتهم بيوم واحد على الأقل ، عدا ذلك فهو سيضطر لتقديم سحباتهم لهم على هيئة تشيكات . لم يقع سوى استثناء واحد ، إذ جاءت ذات يوم طلبات أكثر من المتوقع ، فاضطر أن يميل على أسد قائلا ' ما فيش داعى تأخذ الفلوس دى كلها . أنا خايف عليك تنحرف ! ' ، أنحرف إيه يا أستاذ إدوارد ، دى فلوس مدرسة البنات ؟ ! ' ، بصراحة كده ، ما فيش فلوس فى الخزنة ، وأنت الأسد بتاعنا ، ولو موش ها تصبر لبكرة ، خد تشيك ' ، فوافق . وفى اليوم التالى صرف التشيك ودفع مصروفات مدرسة سوزان .

حين عاد أسد وجد كل العملاء ملتفين حول المائدة المستديرة . ملح وحيد يخرج من جيب الجاكيت محفظة بنية لامعة بأبعاد ٦ × ٤ بوصة ، كتب عليها بحروف داكنة كلمة سونى . يفرد يمينا ويسارا رأسيا السطح اللامع فإذا به شاشة مشدودة كالشراع بأبعاد ٦ × ٨ بوصة ، أو بمصطلحات الحاسوب شاشة ١٠ بوصة ، أى قطرها ١٠ بوصات . بين هذين الجزئين يوجد جزآن آخران ، يفردان على أرضية المكتب يمينا ويسارا ، فإذا بهما لوحة مفاتيح بأبعاد ١٢ × ٤ بوصة . يقول هذا حاسوب يشغل بالويندوز فيستا كامل الأوصاف لكن لأول مرة تضعه فى جيبيك . أيضا هذه كاميرا رقمية بجودة فيلم ال ٣٥ مم بتوع زمان ، ويمكن إضافة عدسات لها هنا ، وهذا مكان لشريحة هاتف خلوى ، وإن كنت لا أزال لا أملك واحدة منذ تخليت عنها من سنوات .

يبدو إدوارد أكثر الجميع اهتماما ، على الأقل لأنه يفهم فى الحواسيب وأسس مكتبه بها ، وتمثل جزءا مهما من مصروفاته . يتفحصه طويلا ، ويقول البروسييسور ، نقول بططوه وحطوه تحت نص لوحة المفاتيح وهو إالى متقلها ومخلى الجهاز ثابت على المكتب . والهارد ديسك ونقول عملوه فلاش ميمورى وبرضه موجود فى حته تحت النص التانى .

- إالى أنا موش فاهمة هو فين البطارية ؟ طول عمر مشكلة اللايتوب البطارية !

ابتسم وحيد وتطلع للجميع : حد يعرف ؟ هى الوحى الثانى للشاشة . الضهر البنى اللامع ده عبارة عن خلايا ضوئية . يعنى حتى وأنت مطبقه وراكنه ها يشحن .

يلح إدوارد : برضه فى البطارية ؟

ويتولى عارف الرد ، إذ سبق له القراءة بإحدى المجالات الأجنبية المتخصصة عن هذا الجيل الجديد : ما فيش بطارية ! هى الشاشة برضه . تحت كل خلية ضوئية مكثف صغير بيتشحن . الأدهى أنه بيتشحن حتى وأنت حاطه فى جيبك .

- فى الضلمة ؟

- أيوه ! منتشر برضه خلايا حرارية بتشحن المكثفات ! ده حتى قرئت أنهم بيفكروا يعملوا الوحى الثانى ، الشاشة نفسها بطارية . زى ما خلايا البلازما متوصلة بإشارات الصورة ، بين كل واحدة وواحدة تتحط خلية ضوئية .

وتمسك وحيد بالشاشة الرقيقة بين إصبعيه ، ويقول بانبهار : ' باختصار ، حته البلاستيك الطرية دى هى الاختراع الكبير ! ' .

ويعود عارف : ' السؤال إالى ما حدش سأل ، هو فى القرص المكتنز ، لا مكان لـ CD أو DVD . كل حاجة ها تبقى قريب رفاقات فلاش ! ' .

ويلق وحيد : ' نعم ، من الآن فصاعدا عنصر السيليكون هو المكون الشامل الجامع الذى يغطى كل احتياجات صناعة الحوسبة من الألف إلى الياء . منذ قليل دالت دولة الحديد ، واليوم ها هى الثورة التالية : لقد دالت دولة الألومنيوم ! ' .

ويلق إدوارد ضاحكا لغرابة التعبير : ' زى ما دالت دولة التنجستن ، وكل الإنارة بقت بغاز الفلور ، فلوروسينيت ! ' .

يوصل وحيد أن الخطوة التالية هى التخلي عن كل وحدات الإدخال ، لوحة المفاتيح الفأرة أو حتى بالكلام عبر المايكروفون ، وأن كل شىء سيصبح اتصالا مباشرا بين المخ والجهاز ، إما بوضع أحد الأصابع فوق حساس أعصابى معين ، أو حتى لا سلكيا تماما . تتحمس ميرفت القلقة على مفاسل رسيغها وأصابعها للفكرة ، أما أسدا فيواصل تفحص الجهاز ، ويسأل عن سعره ، ويقول بلغة ملؤها الأمل : قريبا إن شاء الله ها أجيب واحد زيه لسوزان !

القاعة التى انكبت فى هدوء وتركيز حول حاسوب وحيد الجديد ، تلتفت فجأة وبكل قوة نحو الجلبة القادمة من الخلف . رزق الذى نادرا ما يأتى للشركة منذ عاد للوردية الصباحية مجددا ، يدخل مندفعاً وصائحا وهو بعد عند الباب الخارجى : ألف مبروك يا أستاذ وحيد . كيوييد أعلنت أنها ها تفتح فروع فى كل دول الخليج . لسه شايف الخبر على الإنترنت ، وجيت أقول لكم بسرعة ، إالى عاوز يلحق يشتري كيوييد فورا . لو سمحتى اعمللى لى إيداع صورى يا ميرفت ، دخلى لى أوردرد بألفين سهم بسعر السوق بسرعة . ما تخافيش ، ها أبيع أسهم تانى قصادهم وأسوى الحساب قبل آخر النهار . أكيد السهم ها ينضرب فى ٢ خلال أسبوع . كمان كل السوق ها يولع ! (الإيداع الصورى هو أقصى تجاوز يمكن أن يقبل به إدوارد الذى يرفض أن تأتية المشاكل من أية ناحية . بل ويسمح به على مضض ، خوفا من تفتيش مفاجئ لا يأتى أبدا . والسبب فى هذا حسب روميو أن الشركة قد النملة ويستخسرون البنزين فى مشوارها . وحتى لو أتى يمكن التذرع بأن الإيداع ليس وهما وأنه فى طريقه الآن للبنك بواسطة المحاسب) .

يهلل أسد : ' الله أكبر ! موش قلت لك يا أستاذ وحيد ، إحساسى ما يخبيش أبدا . أنا قلت إيه الأسبوع إالى فات ؟ وإلهى أنا فى حاجة لله ' .

يمسح ضهرى يده فى كتف أسد ثم يمسح صدره هو بها ، ويقول ساخرا جملته المألوفة : ' آه منك يا مولانا ، اللهم اعطينا من بركاتك ، واكفينا شر حركاتك ! ' .

يعطى روميو وسوسن وعارف وأسد وكثير من الحاضرين والحاضرات أوامر على نفس طريقة رزق ، وميرفت ترتبك ، وتطلب أوامر مكتوبة حتى لا يقع خطأ . أما ونس -التمسك بعد بالرهان على شركة بنها- فراح يسرد للحاضرين من ذاكرته أرقام ' المقاومة ' المحتملة لسهم كيوييد . أى الأسعار التى فشل من قبل فى كسرها صعودا ، أو ' قاوم ' كثيرا عندها . وعارف يحاول أن يفهمه أن لا ضرورة لأن يجهد نفسه هكذا . ما قيمة التحليل التقانى فى لحظة كهذه ؟ خبر ضخم كهذا ، سيكسر كل نقاط المقاومة فى دقائق ، وسيحقق للسهم الحدود القصوى المسموح بها يوميا .

يتبارى الجميع على توصيف الحالة . على العكس من حالة الهبوط التى يتفق فيها الجميع على مصطلح ونس الشهير ' العك التنازلى ' ، فإن الخلافات تدب بشدة فى الأوقات التى يتدافع فيها الناس على الشراء بلا روية . هنا يتراوح الجدل على توصيف الموقف ما بين ' اتجاه صعودى ' و ' اتجاه صعودى ' و ' اتجاه صعيدي ' ، وهكذا . الوحيد الذى لم يبد مهتلا على وجه الإطلاق هو وحيد . حين سأله زهيرى لماذا ، أجاب : أنا أعرف دكتور فرغلى ومعظم مديرى كيوبيد . ولولا أنى ما أحبش استخدم كلمة ملايكة ، كنت قلت أنهم ملايكة زى اسم الشركة . شغالين بالأصول والمبادئ والقيم العريقة ، كأرقى بنك استثمارى فى العالم ، مورجان ستانلى ، ميريل لينش ، جولدمان ساكس ، أى اسم من دول ، ويمكن أحسن . السؤال النهارد : هل دخولهم أسواق الخليج إلى كلها ورق فى ورق ، نصب وشركات خسرانة ، ها ينضف أسواق الخليج ، ولا ها يوسخ كيوبيد نفسها ؟ لغاية ما أعرف الإجابة ، أقدر أقول إنى غير مطمئن بالمره !

ويغنى ونس على الفور : ' شكلك ما يطمنش ! ... فيه حاجة قالكاني ! ' .



ثقافة الذعر

من يريد المشاركة فى صيد السمك يأتى السابعة صباحا ، ومن لا يريد يأتى الحادية عشرة . هكذا كانت دعوة الحاج للجميع للقدم للقنطرة قبيل انتهاء جلسة الخميس .

أيضا سأل : ' حد يحب لحم الخنزير ؟ ' . وانخرط يشرح أن الرقابة صارمة جدا على ذبح الخنازير . أضمن لحمه فى البلد . أطباء السلخانات يكرهون الخنازير والمسيحيين معا . وبغض النظر عن أى حاجة من دى ، ما تخافوش هى صحية جدا . القول بكون الخنازير سميكة بطبعها أسطورة . هى ليست أسمن مثلا من الأبقار . السمكة بسبب القمامة و ' الرمرة ' وبقايا الخبز ، لكن لو ربيتها على الأكل الأخضر كما يفعلون فى أوروبا وأميركا ، لكانت أنقى وأسرع وأعظم وألذ مصنع للبروتين الحيوانى النقى الصحى الشهى إطلاقا . أنا بأروح أجيبه من الأسكندرية . واحد صاحبي صاحب مزرعة بيربيه على البرسيم والتبن ، ما فيش زبالة خالص ولا علف اصطناعى ولا حتى عيش . مزرعتهم لسه بتربيهها كما كانت تقدم للأجانب أيام زمان . ويسخر ونس : ' وا ترى بيدبحوه لك مخصوص حسب الشريعة ؟ ' ، ويرد : ' ومين قال لك أنى أحب الذبح الحلال ، ده أكبر ذبح حرام على وجه الأرض ، لم تخترع يوما طريقة أخرى أكثر منه بشاعة لقتل حيوان ثديي ' . ويجد ونس فرصة ذهبية : ' يعنى أنت معترف دلوقت أن الشريعة الإسلامية شريعة متوحشة ؟ ! ' . ويجد الحاج الرد : ' طريقة الذبح دى شرق أوسطية صحيح ، إنما أصلها وثنى ؛ لازم الحيوان يتعذب أطول فترة ممكنة ، ولازم تنزل أكبر كمية دم ممكنة ، علشان الآلهة تلحق تاخذ بالها أو علشان تستمتع بما قدم لها . الدنيا اتطورت ، فيه الذبح تحت مخدر أو على الأقل برصاصة فى المخ للقتل الفورى الرحيم ' . ويستطرد ونس : ' سامحنى يا حاج أنت موش فاهم الفكرة : القتل متعة فى حد ذاته ، التعذيب والتنكيل بالأحياء شفاء للصدر ، موش للحيوانات بس ، إنما للناس كمان . ربنا قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ... ويشفى صدور قوم مؤمنين ' ، ' ارحمنا من فتاويك شوية يا عجل أنت ' ، ثم يكرر السؤال ضجرا من عدم تلقيه إجابة بعد : ' حد له شوق للحم الخنزير ؟ ها أطلع من هنا على الأسكندرية لو عاوزين ' . ولا يرد أحد سوى وحيد : ' أنت كده فى حد ذاتك يا حاج إلى بيسموها تعددية ثقافية ! ' ، ويزداد سخط زهيرى : يعنى آه ولا لأ ؟ يأسف وحيد لسخريته ، ويتمتم بينه وبين نفسه : ' عليك الآن يا هالة إضافة هذه لقاموسنا الخاص عن لسان العرب : يقتلون الحيوانات بأبشع طريقة ممكنة ويسموونها الذبح الحلال ! ' . ويجسم روميو الأمر باعتباره الوحيد المنوط بقدرة الحسم لكل المواقف المائعة : ' كلامك مغرى جدا ، بس موش عاوزين نتعبك وتروح الأسكندرية . مرة ثانية يا حاج ! ' .

أتى أغلب من نعرفهم منهم ، بالذات من يأتون بانتظام لرئيس وأصبحوا أصدقاء لسنوات طويلة . كلهم ، باستثناء إدوارد ومينا وروميو وسوسن ، أتوا مبكرا . كانوا يمتنون أنفسهم بشواء الضأن ' البلدى ' المدمر للصحة ، وبالسمك الطازج الصحى ، وبالمناجو الباهظة ، لكن الأهم منها جميعا ، لقاء يسرى مديرة البنك أو مجدى الوزير ، حتى يتسقطوا منهما أخبار الشركات .

باستثناء تعليمات زهيرى المتواصلة حول اختيار أماكن الصيد وكيفية وضع الطعم ، وإلقاء السنارة ، وتحسسها ، ثم كيفية شدّها ، لم تقع أحداث تذكر خلال ساعات الصيد . فقط دار حديث طويل نسبيا بين وحيد وزهيرى ، عن الجو ، وكيف أن القاهرة تفتقد السماء الزرقاء الصافية كالتى هنا . وكالعادة فاجأ وحيد الجميع برأى آخر من آرائه الغريبة قائلا إن الأمر ينطوى بالتأكيد على تغيرات مناخية أشد جذرية مما كان يقال عن حرق قش الأرز مثلا . أشد جذرية مما يقال حتى عن ثقب الأوزون وغازات البيت الزجاجى .

- شفتم العيال الإسرائيليين أثبتوا لهم إزاي أن جرينلاند عليها آثار أقدام على الأرض تحت كل طبقات الثلج ، وأن العصور الوسطى كانت أشد حرارة من الآن ، ولم يكن هناك ثاني أوكسيد كربون في أى من هذه العصور . هم يقولون إن الأمر مرتبط بدورات ما للشمس . دورات كبرى مرة كل ٩٠ ألف سنة تأتي بعصور ثلجية كاملة ، ودورات أصغر كل ١٥٠٠ سنة ، تؤدي لانخفاض ثم ارتفاع نسبي للحرارة ، وهو ما يحدث الآن . عندنا كل قش الأرز أصبح يحول لكحول الميثانول والإيثانول ومع ذلك لم تختف السحابة السوداء . يا حاج الموضوع كله ' أفلام ' بيعملها علينا آل جور و دراويش ومهاويس البيئة إالى زيه إالى طول عمر ما واحد منهم استخدم كلمة ' اقتصاد ' في حياته ، علشان يبتزوا ضرائب لنفسهم ومعونات لحلفائهم في العالم الثالث ، لا أكثر ولا أقل .

- طيلة حياتي في الزراعة لم أر حيوانا واحدا شغل نفسه بمسألة ثاني أوكسيد الكربون أو الحفاظ على البيئة ، إلا هؤلاء . إنه صراع حر ، كل يفعل ما يشاء ، والوحيد الذى عليه أن يشغل بمسألة البيئة هو البيئة نفسها ، وهى لديها من الأنياب والأظافر ما يجعلها تدافع عن نفسها تماما ، تقرر أن التحيؤ للأليق وتقرر تخلق توازنا بيئيا جديدا أكثر تطورا ، وتخرج هى الفائزة في كل مرة . أنا أنشأت مزرعة دواجن ، زاد غاز الميثان في الجو ، ييسموه تلوث ، بعد شوية بيحصل توازن ، لكن لو أنا زودتها عن اللازم أنا إالى بأضيع . أقول لك حاجة م الآخر : الناس دى عبيطة ، بما أنها جعلت الإنسان هو الإله ، فبتفتكر أنه يقدر يغير مناخ الأرض . الإنسان أتفه من أن يمس شعرة من أمنا الطبيعة ، وإلا كانت قد دهسته كما صرصار في ثانية .

- اليسار موش عبيط ، اليسار مجرم ومتآمر . والدليل أنهم كلهم كانوا قائمين الدنيا وما يقعدوهاش لما كانت أميركا هى أكبر منتج لغازات المنزل الأخضر ، ومن ساعة ما الصين بقت رقم ١ كلهم سكتوا لا حس ولا خبر ، وكأن كله بقى تمام التمام ، الدنيا ربيع والجو بديع وقفل لى على كل المواضيع ، ولم لا السماء أصبحت صافية فجأة والحرارة معتدلة والهواء نقيا والأوزون وفيرا وما فيش أى مشاكل أو مواضيع من أى نوع . اليسار خائن ومنافق ؛ إنها ذات القصة تتكرر دوغما خجل : قديما أقاموا الدنيا ولم يقعدوها حين حاولت أميركا مساعدة الشعوب التى تريد الحرية في جنوب شرق آسيا ، خرجوا بمظاهرات هائلة قائلين نحن ضد الحرب وسفك الدماء ، ثم لم ينبسوا ببنت شفة حين ذبح هؤلاء الشيوعيون ثلاثة ملايين من السكان بمجرد انسحاب القوات الأميركية . نفس الشيء حين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها حين عصب جندى أميركى عيني جهادى عراقى سلفى دموى ، خرجت المظاهرة تجعر بشعار الإنسانية ، بينما لم يكونوا قد نطقوا بكلمة واحدة حين قتل صدام حسين ملايين شعبه ، أو حين يخرج كل جهادى من السجن ويقتل عشرة جنود أميركيين أو مائة عراقى بسيط . القصة كلها إذن كان لعبة سياسية موش أكثر ، مؤامرة من أمثال آل جور على شركات البيزنس وعلى الاقتصاد الأميركي .

ولا يفوت ونس الفرصة لصياغة نظرية مؤامرة خاصة به : ' تلقاه بس كان مشارك في مصنع سيرتو أو حاجة كده ؟ ' .

- بل الكتب والأفلام وحدها -والتي جعلت ملايين الأطفال لا ينامون الليل بعد مشاهدتها في المدارس- تجعله ينجي الملايين . إنها ذات تقنيات ثقافة الدعر أو ما يسمى نشر أو إشاعة الخوف fear mongering التى طالما احترفها اليسار ، وخلق من خلالها الكراهية والرعب بين طبقات المجتمع ، ونادرا ما تصدى له أحد (بينما إذا ما حدث وحذر أحد من أخطار حقيقية كالقاعدة أو العراق أو إيران أو روسيا أو الصين ، خرجت مسوخ الإعلام تنهش جسده حتى نخاع العظم) .



- العرض والطلب في دى كمان ؟ البشرية كلها ها تموت لو المناخ باظ ؟

- وإيه المشكلة ؟ الاقتصاد أهم من البيئة ، وكلاهما أهم من الإنسان !

ويعود ضهرى : ' طب والحل ؟ ' .

- موش اليساريين ولا الصينيين إالى ها يحلوا أى حاجة . دول شوية سفلة انتهازيين وبلطجية ، ما بيبصوش لأبعد من تحت رجلهم ، وعاوزين فتافيت م الكعكة موش أكثر . العرض والطلب هو إالى كالعادة يحل كل حاجة .

- العرض والطلب في دى كمان ؟ البشرية كلها ها تموت لو المناخ باظ ؟

- وإيه المشكلة ؟ الاقتصاد أهم من البيئة ، وكلاهما أهم من الإنسان !

- إزاي ليل نهار تكلمنا عن أمانا الطبيعة بينما نتحدث بكل هذا الاستهتار عن البيئة ؟ !

- من قال إني أستهتر بالبيئة ؟ كل ما قلته إنه لا يوجد لدى أمانا الطبيعة قانون يقول إن درجة حرارة ٢٥ م أفضل من درجة ٥٥ م ؟ إنها فقط أفضل من منظور الإنسان ، وهو ليس الكون ولا حتى الأرض . اليسار صنع من الإنسان ما فعله الإسلام بالأنبياء ، قام بتفصيلهم على مقاسه أولا ، ثم اعترف بهم . كما قتل الإسلام الأنبياء في صورهم وقصصهم الأصلية ، اليسار قتل في الإنسان مفهوم الصراع ، الشيء الأكثر قاعدية في الكون . جعل كلمة إنسانية مرادفا للمودة والتآخي والحياة الاشتراكية ، ثم بعد ذلك قال إن هذا الانسان التخيلي المختلق هو النبي أو الإله . المشكلة أن الكون ليس مفصلا أصلا على مقاس الإنسان ولا أية عشيرة بيولوجية بعينها ، ولن يكون . لقد اتفقنا قديما -أنت وأنا- على أن كل التقنيات التي نسميها بالحديثة قد عرفت الحياة البيولوجية للأرض من قبل الإنسان ، وكل ما فعله الإنسان هو التخلف ومحاوله إدارة العجلة للوراء . العقل شيء رجعى بطبعه ، لأن مع العقل ولد الغرور ، والغرور يخيل لصاحبه أنه فوق قوانين صاحبة هذا الكون . الشيء الوحيد الخير بطبعه هو المادة ، أليس هذا ما نقوله منذ ٢٥٠٠ سنة ؟

- (ساخرا :) يعنى باختصار -يا ماستر أرسطو- الروبوتات ترث الأرض ؟ !

- أنت بدأت تعجب بمينسكى كمان ، يا بتاع الهندسة الجينية ؟ !

- طبعا ! بس إللى موش فاهمة مينسكى ، أن الروبوتات لها جينيات هي كمان ، والكل داخل في معركة واحدة هي حرب التحيؤ للأليق .



لا غرابة أن الحروب هي قاطرة التاريخ ، لأنها أصح تجسد لمبدأ المنافسة والانتخاب الطبيعي ؛

بل في الحقيقة الحروب هي صلوات أمانا الطبيعة ، مثلما المذابح محرما !

- (مندهشا :) أحلى كلام ! فعلا ! التقنية في حد ذاتها لها جينيات ، وهذا هو السر في أن الحروب تؤدي عادة للتقدم التقني ، لأن ببساطة الجين الذي يخرج أقوى بين كل المنتصرين ، هو جين التقنية ! أليس مثيرا للفضول أن كل ما حولنا من حواسيب وليزر وساتلايت وخليوى وإنترنت ، كله كان في الأصل برامج حربية للمؤسسة العسكرية الأميركية ؟ جين التقنية هو الأسرع تطورا إطلاقا ، إن لم يكن هو الوحيد الذي يتطور . لا غرابة أن الحروب هي قاطرة التاريخ ، لأنها أصح تجسد لمبدأ المنافسة والانتخاب الطبيعي ؛ بل في الحقيقة الحروب هي صلوات أمانا الطبيعة ، مثلما المذابح محرما ! (ويستدرك ، متذكرا كلام الحاج مرة أخرى :) أنت ناوى تقلب تبقى مكنة ولا إيه يا حاج ؟ ! (لا يجد ردا فيواصل :) بص : أنا ها أمشى معاك في فرضية أن إحنا السبب في تغير المناخ . المناخ باظ ليه ؟ علشان الكربون وثاني أكسيد الكربون . غابات الأمازون بتتقطع . غابات أفريقيا الاستوائية بتتقطع . ليه ؟ شركات جشعة جاية من أميركا ومن أوروبا ؟ موش ده السبب . هل جم بجيوش واحتلوا البرازيل ولا الكونغو ؟ السبب الفقر . أية أخشاب بيعونها ؟ إنها أخشاب البيت نفسه . أضناهم التخلف والجوع والفقر ، بحيث لم يجدوا سوى البيت نفسه يبيعونه قطعة قطعة ؟ ومن أجل ماذا ؟ من أجل وجبة طعام لن تدوم حتى للغد . لو الشعوب دى غنية ما كانتش سمحت لحد يقطع غاباتها . إذن من يدمر الكوكب هم فقراؤه وفقهم . الإنجاب غير المحسوب . نسيب كل حاجة للعرض والطلب . ها تحصل تطورات درامية في المناخ . جايز تيار الأطلنطى ينعكس ، جايز تتجمد أوروبا . جايز حتى تتقلب أوروبا حر ، وإحنا برد . القطبين حر نار وخط الاستواء يتغطى بالثلج .

- جايز حتى تعريف المرتفع والمنخفض الجوى ينعكس ، فالهواء الذى يدور في اتجاه الساعة فجأة سنجده يدور في الاتجاه العكسى ، والعكس بالعكس .

- لآ ، ده بالذات موضوع مرتبط باتجاه دوران الأرض حول نفسها وموش ها يتغير .

- لآ ثواني ، سيني أحسبها ، آه طبعا مرتبط باتجاه دوران الأرض لكن مرتبط أيضا باختلاف الحرارة بين الاستواء والقطب ، فلو انعكس هذا الأخير فإن اتجاه دوران الأرض الحالى نفسه سيعكس اتجاه الرياح التي يسببها المرتفع الجوى أو المنخفض الجوى .

- (ضاحكا :) يعنى الخلاصة جايز كمان كيهك يفضل برد للأبد حتى لو جه في أغسطس ، وبالتالي زراعة أتممحات وأمنحتب موش ها

تبوظ ولا حاجة !

- أيا ما كان ، من سينجو ساعتها هم الأغنياء والمتقدمون ، لديهم الطاقة والأبنية المكيفة والتقنيات القادرة على مواصلة الحياة .
- أصلا التقنية هى سبب المصيبة .

- يا سيدى لأ ، قلنا الشمس هى السبب الأهم ، وثانى أكسيد الكربون لو له أثر فعلا ، فهو ثانوى وبسيط . لكن حتى لو التقنية هى السبب فى التغيرات المناخية ، هذه ليست أول ولا آخر مرة التقنية تخلق مشكلة . أصلا لا تقنية بدون مشاكل . المشاكل التى تخلقها التقنية لا تحل إلا بمزيد من التقنية . طاقة نظيفة ، محطات نووية ... إلخ . هذا ما كنت أقوله وأكتبه دوما . التقنية هى الحل ، فإن فشلت التقنية ، فالحل هو المزيد من التقنية . أنا لست ضد الطاقة النظيفة ، إنما ما تحطيلش شرط مسبق أن العرب والمسلمين والأفارقة يخلفوا زى ما هم عاوزين ، ثم تقول لى ده إنسان ومن حقه الحياة ، وأن الحياة شىء مقدس . إشمعنى غيرنا ما بيخلفوش ؟

- إشمعنى ؟

- علشان العرض والطلب ! علشان السوق الحرة . علشان المنافسة المفتوحة . الإنسان موش على رأسه ريشة . هو سلعة زى أى سلعة ، خاضع لقوانين العرض والطلب . لو عندك فائض فى سلعة ما فى السوق ، ماذا تفعل ؟ إما أن تعدمها أو تبيعها بسعر أقل . أليس كذلك ؟



لا يمكن للتقنية وللبرشر أن يتكاثرا معا جنباً إلى جنب إلى ما لا نهاية . لا بد لأحدهما أن يزيج الآخر .

جيينات التقنية أفضل وستنتصر ... التقنية خير والبشرية شر !

قبل الإنسان لم يكن هناك عقل ولا فكر ولا معنويات ، فقط كل الأشياء مادية كما أرادتها أمنا الطبيعة .

باستثناء حفنة معدودة من البشر أشباه الآلات ، الإنسان هو انتكاسة للخلف شديدة الرجعية .

عشيرة بيولوجية تعتقد أنها يمكن أن تضع نفسها فوق قوانين الطبيعة ، هى شىء خطر جدا وشرير للغاية !

- (ضاحكا :) بل هناك سلع لا يصلح معها تخفيض السعر ، الحبوب مثلا . هل تعتبر الإنسان شيئا قابل للتلف ، إن لم يكن عليه طلب فورى يتحتم إعدامه ؟ !

- ما الشىء المضحك فى هذا ؟ لا يمكن للتقنية وللبرشر أن يتكاثرا معا جنباً إلى جنب إلى ما لا نهاية . لا بد لأحدهما أن يزيج الآخر . جيينات التقنية أفضل وستنتصر ... التقنية خير والبشرية شر ! قبل الإنسان لم يكن هناك عقل ولا فكر ولا معنويات ، فقط كل الأشياء مادية كما أرادتها أمنا الطبيعة . باستثناء حفنة معدودة من البشر أشباه الآلات ، الإنسان هو انتكاسة للخلف شديدة الرجعية . عشيرة بيولوجية تعتقد أنها يمكن أن تضع نفسها فوق قوانين الطبيعة ، هى شىء خطر جدا وشرير للغاية ! هذا أيضا مما كنت أقوله وأكتبه دوما . التقنية فقط هى التى نمت على امتداد التاريخ الطبيعى . العشائر البيولوجية هى التى تفسح لها الطريق طوال الوقت ، حتى لو كانت مخترعتها . لو كل البشرية ها تنقذ أنا ما عنديش مانع . أنا موش عاوز حد يباد . إنما حد يوقف الصراع والتطور باسم قدسية الإنسان أو بأى اسم ، ده المرفوض .

- أنت ها تقلد كلام واتسون ؟

- إيه ؟ واتسون إالى اكتشف الدى إن إيه ، موش قد المقام ' لا سمح الله ' ؟ ثم أنا موش بأقلد حد ! طول عمرى ما قلدت حد . أنا قرأت الدنيا والآخرة ، لكن أى فكرة بتطلع منى هى بتاعتى !

- إحنا جاينين نبسط النهارده . وخللى مناقشاتك دى بعدين . خلينا فى السنارة بتاعتك إالى موش عاوزة تغمز أبدا !

وبينما يهمس سامر بكلمات فى أذن ميرفت ، فهم من خلال اللكمة الخفيفة التى تلقاها بسببها فى كتفه أنها كانت كلمات غزل بمناسبة الكلام عن السنانير والغمز ، يسحب وحيد السنارة ويتفحصها براءة ، فيضحك ونس ، ويجلجل صوته الأجش الذى تبدد هذه المرة على صفحة النيل دون أن يجد جدران قاعة المستثمرين فى رمسيس كى تزيد ضخامة ، يقول : موش قصده السنارة دى !

- شوف الطعم وقع ولا إيه ؟ (يسحبها زهرى منه ويعلمه مرة أخرى كيف يثبت إحدى الديدان بها) .



هى دى دايما مشكلتنا مع الآباء والأمهات :

بنتعب فيهم لغاية ما نربهم !

مع التمام كامل الشمل فى منتصف النهار ، كانت البداية كئيبة جدا . انهار مينا بكاء لرؤية خالته ، الصورة طبق الأصل من أمه . إدوارد يهدئه ' عيب كده ، أنت ها تبوظ اليوم على الناس دى ! ' ، والعجوز الطروب ماريلين تطيب خاطر مينا وفى نفس الوقت تحاول رفع الحرج والوجوم عن الجميع ' فاكرين أن لما أختى تموت ها أموت أنا فى نفس اللحظة ؟ موش معنى أختا اتولدت قبلى بخمس دقائق أنى أموت بعدها بخمس دقائق . صحيح ده بيحصل مع التوائم المتطابقين ، الثانية تبطل أكل أو تعمل أى حاجة وتموت بسرعة . إحنا موش كده . إحنا اتفقنا على غير كده . وأكد لسه قاعدة على قلبكم شوية ! ' . وكذا لم تنس التأنيب الذى كانت قد أعدته قبل أيام : ' إيه يا إدوارد ؟ من ساعة ما رحنا لكم يوم ماديلين ، سنتين ما نشوفش حد منكم ؟ ' .

على الفور تصبح ماريلين محور كل شىء . تشدهم طريقة كلامها ، شبه المفتقدة الآن ، والأبعد ما يكون عن فطرية زهرى أو اندفاع منى ، اللذان يعرفانها . ينبهرون بألفاظها الدقيقة شديدة الوضوح ، التى تتم عن أرستقراطية وأناقة ، لكن دونما تكلف أو استعلاء . يتحولون للكلام عن التوائم المتطابقين ، تعطيههم معلومات كثيرة ، وتروى ذكريات أكثر عنها وعن أختها . وأخيرا يسألها زهرى سؤالاً مبالغاً عن سر استحمامها مع أختها : اتفقتم فىن على أنك موش ها تموتى بعدها ؟ فى الحمام ؟ كانتا تستحمان سويا حتى آخر العمر . كانتا تفعلان هذا كلما زارت إحداها الأخرى . كانتا تقولان ما حك ظهرك مثل أختك . كانت تذهب الظنون بالزوجين مذهبا ، وهما يحاولان فهم معنى هذه العبارة . لكن أحدا لم يجرو أن يسأل أو يعلق ، كذا لم يحدث ما يعكر الصفو . حتى اليوم لم يكن لدى ماريلين سوى ذات الإجابة ، قهرت بها مراوغات روميو الذى أثارت فضوله الفكرة جدا ، فراح يخوض فيها معها المرة تلو المرة .

وحيد الذى على ذكر الاستحمام تذكر رمانة فى هذه اللحظة ، راح يخرع موضوعا مختلفا للحديث : ' ليه بطلتم كمسيحيين تسموا أسامى زى إدوارد وهنرى وجورج وفيكتوريا وتسموا أسامى زى مينا وبيشوى ودميانة ومارينا ؟ ' . توقع أن تقول مثلا إن تلك أسماء قديمة عزف عن تسميتها حتى الإنجليز أنفسهم ، لكن ما حدث هو أن ردت ردا مختلفا . قالت فى شىء من الغيظ إن هذا هو الفارق بين عصر وعصر وعصر ثالث . عيمعصور قال التمسير ، وطبقوا ده حتى على الأسماء . لفترة أصبحت الأسماء عربية ، عادل وسعيد وسعاد ، بتوع كتاب شرشر وفلفل . هنا تستدرك عرضا أن شرشر هذا كتاب مختلف ، وأنها ربما أصيبت بالألزهايمر . ثم تعود لتواصل الشرح : ' حين جاء ما يسمونه الصحة الإسلامية انكفأ الأقباط على تاريخهم السحيق ، وأخرجوا من الكتب تلك الأسماء المندثرة للقديسين والقديسات . فى رأى أنها أسماء ما فيش أسخف منها ! ما لها بوسى ولوسى وسوزى ؟ ! ' . وطبعاً يتدخل أسد موضعا أن اسم ابنته هو سوزان وبنقول لها يا سوزى ، فتحبيه عليه ، وتطلب منه أن يصفها ويتكلم عنها و ' لازم تحببها معاك المرة الجاية ! ' .

يوصل وحيد تجاذب أطراف الحديث مع ماريلين التى ذوى جسدها لكن لم يذو بريق عينيها الأخضر . كان معجبا بها لأنها على نحو أو آخر تذكره بأمه . حين تذكر ما حكا له زهرى من واقعة الذهاب لجارتها أم منصور بدون تنورة ، لم تكن لديه ضحكة ليكتمها . بالعكس ، شعر أن زهرى لم يحسن تصوير أمه له كما يجب . سألها عن أسماء كزهرى ويسرى ، أليست غريبة بعض الشىء ؟ إنها أبعد ما تكون عن بوسى ولوسى وسوزى ؟ فتروى أنها هى التى اختارتها على غرار السجع فى ماديلين وماريلين . وكانت كلها خناقات مشهودة مع أبيهم ، من قبيل العند منى لا أكثر ، ولم يكن يرفض لى طلبا .

هنا يتذكر زهرى تفاصيل الجدل الذى دار بين أمه وأبيه حول اسم يسرى ، وكان عمره سبع سنوات آنذاك ، وكان شاهدا عليه ، بل وطرفا فيه . يقول إن أباه اعترض قائلاً إنه لا توجد بنت اسمها يسرى ، فيه يسرية ، فيه يسر ، فيه يسرا ، لكن يسرى ؟ ! ومن حين لآخر يصرخ مستنكرا ' يسرى ؟ ! فيه بنت اسمها يسرى ؟ ! ' . فتد أمى : ' يعنى هو فيه ولد اسمه زهرى ؟ ! ' . وتضيف ' جهزت مائة اسم بنفس السجع ، لكنك اخترت أغربها ، وكأنك تغيظنى ' . وأبى يقول ' أنا كنت عاوز أسميه زهرى ، وانى لازم كان تحطى بصمتك وتقولى ما بأحبش العربى الفصيح ، وده زى ما يكون اسم واحد شيخ ، على كل حال زهرى أو زهرى اسم جميل ومعبر ' . فتقول هى ' ماله يسرى ؟ وإيه يعنى ، أنا مميزة وأولادى ها يطلعوا مميزين ' . فيثور أبى ' أنتى موش مميزة ، أنت مجنونة ، وبنت مجانين ! ' . المهم ، هنا تدخلت أنا وقلت لهم أعطوني

فرصة وسأختار أنا ، والعجيب أنهما وافقا . كانا كل ساعة يسألاني ' وصلت لإيه ؟ ' ، ومع حلول المساء سئما مني ، وفوجئت بأبي يقلب الاسم على لسانه ' يسرى ؟ يسرى ؟ ماشي يا ست ، يسرى ، يسرى ! ستصبح ابنتنا يسرى ! ' .

وتذكر ماريلين ' أنا فاكرة قال لي إيه ساعتها . قال لي آه منك يا بنت الإنجليزي . كان المفروض كنت خنقتك من زمان ، لولا أنك امرأة زى العسل . ثم مال على وباسني وقال لي حمدا لله على سلامتك ! ' .

ويضحك وحيد قائلا لزهري : لعبة الصبر موش بين القنابد بس !

وتأوه ماريلين : هيبه ! كانت أيام ! أيام حلوة وسعيدة ، ولا يمكن ترجع ثاني !

ويعلق زهري إنه سارع للقول لهما إنه كان سيختار ذات الاسم ، وفرحا بي . لكن وحيد يكايده : يعني من صغرك لمض وفي نفس الوقت ما لكش رأى ؟ !

- وليه ما تقولش ديلوماسي بالفطرة ، رسول سلام ؟

- واضح ! رسول سلام فاشل !

- بالعكس ! أنت موش واحد بالك . أنا كنت عارف أنهم بيتدلخوا على بعض كالعادة ، وأديتهم فرصة علشان يوصلوا لقرار بنفسمهم ، بدل ما أفرض عليهم قرارى أنا !

وتدخل منى ضاحكة : هي دى دائما مشكلتنا مع الآباء والأمهات : بنتعب فيهم لغاية ما نربيههم !

وتؤمن ماريلين على كلامهم : فعلا ! بصراحة لو كان استنى ٥ دقائق كنت أنا إالى اتنازلت ! وفعلنا قلت له اعمل إالى أنت عاوزه ، إنما قال خلاص ! يسرى يعني يسرى !

وتواصل ذكرياتها : فاكرة كمان أنى قلت لعبد الحميد (طبعا كنت بأدلعه وأقول له يا حمادة !) أن اسم يسرى كويس . علشان كمان تبقى اسم على مسمى . ها تطلع شولة زيك وزى زهري . لكن ما حدث أن لم تشب يسرى عسراء . هي ومن قبلها أخوها مجدى اكتسبا -وعلى العكس من زهري- معظم صفاتهما عن أمهما وأسرتهما . وتدخل ماريلين لأن في البداية تضايق الأطفال في المدرسة من معايرة الأولاد والبنات لأسمائهم الغريبة الصعبة ، لكن مع النضج ومع تفوقهم أصبحوا محل غيرة الجميع . وتذكر أن زهري بالذات كان وسيما للغاية شديد التأنيق ، وكان نجم النجوم وسط الفتيات . ' فين إجلال ؟ اندهوا لها علشان تسمع الكلام ده ! ' .

هنا يلقي وحيد بمفاجأة ، بسر ربما لم يقله أبدا : تعرفي يا تانت أن اسمي كان ممكن يبقى زى أسماء أولادك ، على نفس الوزن ، وأنه جه نتيجة خناقة برضه ؟ !

- إزاي ؟

- ماما كانت مصممة تسميني نوري ، نسبة لنورى السعيد بتاع حاجة كان اسمها حلف بغداد . كان رأيها أنه رمز الحداثة في منطقة كلها تخلف في تخلف ، وأن علشان كده عيمعصور كان عدوه . لكن بابا قال لها أن أنا وأنتي ببساطة ها نروح ورا الشمس . قالت له يعني إيه ' ورا الشمس ' ؟ قال لها يعني نتبخر . لما بقت دى كلمة مشهورة ، كانت بتضحك وتقول أول مرة حد استخدمها كان جوزي . المهم ، فضلوا يتخانقوا أيام ، وفي الآخر اختاروا اسمي ده . وفضلت هي موش راضية عليه ، بتقول اتسرعنا فيه ، ' ما كنتش عارفة أفكر . تسرعت . كان قصدى أنك ' فريد ' موش وحيد ' . وفضلت حاسة بالذنب طول عمرها ، وتقول بالذات لو جاءت سيرة الزواج ' كل واحد له حته من اسمه ، إن ما كانتش اختيار الأبوين للاسم يترتب عليه تصور معين مسبق لأسلوب التربية ، فعلى الأقل عقله الباطن بيتأثر بالاسم وبيتصرف بناء عليه ، وخايفة يا بني أكون جنيت عليك ، وكتبت عليك الوحدة ! ' .

ويجد زهري الفرصة لرد المكايدة : يعني عامل لي فيها كاتب ، وأنت نفسك غلطة مطبعية ؟ !

وتواصل ماريلين : ' مامتك دى ما فيش زيبا ! تعرف أن أختي وأنا سلمنا عليها ؟ كان افتتاح فيلم في سينما ديانا ! تعرف أنها من سننا تقريبا ؟ ! ' . ثم تبدأ حديثا مطولا عن أحلى شخصياتها السينمائية ، وأنها هي نفسها كانت تتمنى أن تصبح ممثلة ، وأنها وأختها تعرفتا لأول مرة بزوجيهما في إحدى سينمات روض الفرج ، وهنا تباغت وحيدا بسؤال مفاجئ : ' هل تستطيع أن ترفع جانبي لسانك بحيث يلتف حول نفسه

كما الأنبوب ؟ هكذا ! . ' لم أفكر في أمر كهذا قط . سأحاول . تقصدين هكذا ؟ ' . ' ها ! لقد كنت أعرف هذا ! يوم قابلت الست والدتك شعرنا -أختي وأنا- شعورا غريبا أنها قريبة جدا منا . إيه رأيك يا واد يا ضهرى ؟ ' . ' جاييز ! الجيين ده نادر جدا . احتمال أجدادنا بتوع بريطانیا قرايب ! ' . ' ده إلی طول عمری كنت خايف منه ! ' . ' أنت بتخرف تقول إيه يا جدع أنت ؟ ' . ' أنت صحيح حسيت أنك وضهرى قرايب يا وحيد ؟ ' . ' أنا بأهزر يا تانت ! ' . ' من الناحية دى اطمئنى خالص ، هو ما بيعحسش أصلا ! ' .

تستطرد في سرد بعض ذكرياتها عن أختها . على العكس منها التي أصبحت سيدة مزرعة ريفية ، بقيت ماديلين في شبرا ، وصممت على الاشتغال كسكرتيرة في بنك والدها . كانت كفاءة مشهودة . السكرتيرة لها تعريف مختلف في ذلك الوقت . من secret فعلا . توضيب الأوراق . تعرف مكان كل ورقة . تكتب بسرعة ٧٠ كلمة في الدقيقة . دلوقت بقت السكرتارية تخصصات ، زمان كانوا بيعملوا كل حاجة .

عند هذه النقطة ينسل ضهرى في صمت ، وإذا به يعود بآلة كاتبة عتيقة للغاية . يروى أن أجمل شيء في طفولته كان رحلة شبرا من أجل الكتابة على آلة خالتي في المكتب . فجأة وجدتها اشتريت واحدة في البيت . لم أفهم لماذا . لم تكن تشتغل عليها . فهمت أنها من أجلى ، كى أداوم على الزيارة ، وفي نفس الوقت كى لا أسبب لها حرجا في المكتب . ذات يوم فككتها قطعة قطعة . لم يكونوا يضربونا . عقابى أن حرمت من زيارة شبرا أسبوعين . فوجئت بها بعد يومين تحضرها لى إلى هنا ، وتهديها لى . غالبا تخيلت قدر حزنى ولم تستطع الصبر حتى انتهاء العقوبة . ومن ساعتها كانت تحضر عندنا بانتظام . يضيف أنه حاول لسنوات تعلم الكتابة باللمس مثلها ، لكنه فشل . ذهب لمكتب ليعلمه إياها ، كان المعلم يمسك فيه رأسه بالقوة ويرفعه لأعلى للورقة ، لكن فشل . وحتى اليوم لا أزال أكتب بإصبع واحد . هذا بينما منى منذ الرابعة وبمجرد تعلم القراءة الكتابة ، تستخدم لوحة المفاتيح الحاسوبية بالأصابع العشرة وبدون النظر إليها . ' إزاي ده ؟ ' لم أكن أتخيل ! الكتابة باللمس بدون أى تعليم إطلاقا ، وكأنهم يولدون بها . إن العوم وسواقة الدراجة نفسيهما اللذان يبدوان أقل تعقيدا ، يحتاجان لتعليم . بصراحة ، كانت أكثر لحظة حقدت عليها فيها ! شعرت أنه لم يعد لى قيمة في الحياة ! ' . ثم يستدرك : ' صحيح أنا أول مرة شغلت فيها ملف موسيقى على الجهاز سألت لماذا لم تظهر صورة الفرقة الموسيقية ، بعيد عنكم التليفزيون مسيطر على ، إنما أنا اتعلمت الكمبيوتر بسرعة أكثر من البت دى ومن ألف غيرها ! ' .

بينما تبدى ميرفت اهتماما شديدا بتلك الآلة العتيقة ، لا يتمالك وحيد نفسه من الضحك ، ويروى أن جده لأمه أصبح مديرا في ستوديو مصر لأنه في طفولته فك آلة السينما التي كانت في منزل أبيه . وردا على كلامه تصر ماريلين على أن يأتي ضهرى بالمذياع القديم الضخم ، وتروى قصة عن أبيها -حارس غوطة- الذى أصيب ذات مرة بالحمى المخية الشوكية ، وأنها -لحسن الحظ- لم تفقده إحدى أو بضع حواسه كما المعتاد ، فقط أفقده ذاكرته لتسعة شهور ونيف . كنت أجلس بجانبه حين تذكر أول شيء ؛ لم يتذكرنى أنا أو أى من أفراد العائلة ، فقط أشار لهذا الراديو وقال : ' محطة لندن ٤٢٠ مترا ! ' . تتوالى التعليقات المازحة عن الدماء الإنجليزية العريقة في هذه الأسرة ، لكن وحيدا أبدى هذه المرة تفهما عميقا لقصتها ، وراح يحكى عن تعلقه هو نفسه بالإذاعات الغربية في طفولته .



ربما تصوروا ' الست الحاجة ' شيئا مختلفا

تأتى إجلال في إثر ضهرى ، تحيى الكل فردا فردا ، وباهتمام شديد للتعرف عن شيء عنه ، وظيفته ، أسرته ، وما إلى ذلك . ثم تدعوهم لجولة للتعرف على المزرعة . ينبهون بها هى الأخرى ، يلاحظون أنها أيضا -كما حماها- تنتمى هيئة وسلوكا لعهد الأرستقراطية القديم . لبقة الكلام مجاملة ومضيافة ، لكن تختلف عن حماها في شيئين على الأقل ، كلامها أكثر طبيعية وألفة وقربا لكلام عموم الناس ، والشباب المتجدد . لحد كبير ربما تصوروا ' الست الحاجة ' شيئا مختلفا ، فإذا بها البهاء نفسه ! من غير المستبعد مثلا أن توقعها بعضهم محجبة ، فإذا بها هانم بيضاء طويلة ملفوفة القوام وكأنها إحدى نجومات أفلام القصور الثرية في سينما الأربعينيات المصرية . ذات خصر دقيق وبقية جسد تغطيه طبقة من الدهن الناعم تضمن له انسيابية واستدارة تقوساته الصارخة ، وينم عن غنى جسدها البض بالأنوثة والهورمونات . كل هذه المكونات الطرية تحت جلد مشدود نقى يفيض بلون الصحة الوردى . أنيقة الملبس ظهرت ببنطلون ضيق منحسر حتى منتصف الساق ، وبلوزة مشدودة من ذات لونه الوردى تكشف عن ذراعين متناسقتين قويتي الملامح ، تماما كما أسفل ساقها . بدت كلها كمشهد متناسق لونيا فيما بين بعضه البعض ، وفيما بينه وبين تلك اللبدة الحمراء الضخمة التي تغطي الكتفين . لأول مرة فهموا كلمة الحاج التي يرددها دوما كلما جاءت سيرة النساء ' الست ما تعتبرش

ست إلا لو كانت لابسة كعب على وشعرها يغطي أكتافها ! ' . وأضاف عليها اليوم ' أنا أحب الشعر الهائش . أبى ولع بأمى بسببه ، وأنا ورثت عنه هذا الميل ! ' .

بدأت التعليقات بأن حياة الطبيعة ككل هي سر وجهه المتورد . ثم بدأ بعض الكلام الديني المأثور مسيحيا ومسلما عن الزوجة الصالحة . وتدرجيا اتجه الحديث للتلميحات الجنسية ، من ونس وروميو كالعادة . تكلم ونس عن أن سر شباب عم زهرى الدائم وهدهد طبعه أنها أشياء لا يتمتع بها إلا من استمتع في نومه الليلة السابقة . روميو يقول أنا لو منك ما أسبش القناطر دقيقة واحدة . فيرد زهرى ' أنت فاهم غلط ، القناطر هي إلى موش فاضية لى . إجلال رئيسة جمعية واحدة معظم وقتها ، وبترجع البيت زى ما أنا بأرجع بالظبط ' . ثم يبدأ في الشرح أن الزواج السعيد أن لا تتزوج كل القبيلة في فراشك ، أن يكون الرجل والمرأة ملكا لبعضهما البعض . يؤمن إدوارد على كلامه أن السيطرة وتفرد القرار وحب النكد هي آفة أى زواج . وطبعاً كان لمن رأىها ' طلباتكم دى مستحيلة ' . وراحت للمرة الألف تسرد إحصاءاتها المملة عن أن ثلاثة أرباع السكان في أميركا يسكنون فرادى ، لا زواج ولا حتى خلانية ، مستقيمة أو مثلية ، ولا حتى حضانة طفل ، فقط فرادى على وجه الإطلاق .

على سبيل المجاملة للمضيعة الكريمة إجلال يزل لسان أسد مادحا الأصول التركية لأسرة مُجَّد على ، وهنا تنفتح عليه أبواب جهنم من الجميع ، لا سيما من صديقيه المقربين ومن المسيحيين من بقية الحضور : ' مُجَّد على ألبانى يا جاهل ! ' ، ' تركيا هي العدو رقم ١ لمحمد على وكل أبنائه العظام ، ولم يكرهوا شيئاً قدر كراهيتهم لها ولتخلفها ونهبها لثروة مصر لأنفسهم في تركيا ! ' ، ' دول إالى استقلوا بمصر عن تركيا يا حمار ' ، ' الحق موش عليك ! أصل علموك في المدارس أن مصطفى كامل بطل الاستقلال ، بينما لم يكن يريد سوى إعادة تبعيتنا لتركيا ' ، ' في رأى إالى اتولد في مصر وأحبها وأحب العيش فيها وتعميرها لا يقل مصرية عنى شخصيا أو عن أى مصرى ' ، ' ده حتى ما يعتبروش مسلمين لأن مُجَّد على لا تفصله سوى أجيال معدودة جدا عن أجداده المسيحيين ' ، ' صحيح ! إزاي يعملوا كل إالى عملوه من بناء وتعمير وهم مسلمين ؟ ' ، ' صح ! المأمون -الوحيد إالى بيتباهوا به من الخلفاء أنه متحضر- كان كافر وكل رجالته يهود ومسيحيين ! ' ، ' إنه الدين والچين يا غبى ! ' ، ' خد عندك مثال الملكة نازلى . جدها هو الكولونيل سيف -سليمان الفرنساوى مؤسس جيش مُجَّد على أول جيش مصرى من أيام رمسيس- وجدتها مرآته اليونانية ، ولذا ارتدت للمسيحية وهي ملكة مصر وأم ملك مصر ! ' . وينهى وحيد النقاش بتدخله فيه : ' المعيار المهم يا أسد في الحكم على أى ممن حكموا مصر هو الحداثة : هل كان بينى داخل مصر ولأجلها ، أم كان هدفه مجرد النزح على الجاهز لمرجعته الأصلية خارجها ! ' .



يقولون عن الزواج المسيحى إن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان .

من قال إننا نريد إنسانا ليفرقه ؟ نحن نريد أن نفرقه بنفس الطريقة التى جمعته بالضبط !

هذا اليوم الذى اجتمعت فيه سبع ستات ، إجلال وأم زهرى ومنى كصاحبات البيت ، وسماء وسوسن وميرفت وألطاف كضيفات ، أصبح مناسبة نسائية لاستكشاف النساء . من هنا استغرقن طويلا في تحليل مشكلة زوجة إدوارد ، والمدعش أن لم تكن هناك اختلافات كبيرة بينهما رغم تفاوت السن والثقافة والطبقة والخلفية الدينية ، وحتى بمراعاة أن لسن جميعهن يتحدث عن امرأة قابلها ، فقط سمع عنها أو عرف شخصية شبيهة ! لماذا هي نكدية ؟ بل هو مرض الولع بحياة القلق والتوتر الدائمين ، هكذا اتفقن . لا تمر عليها خمس دقائق متواصلة ، دون أن تثير موضوعا يسبب الخلاف . الهدوء والسكينة والعيش في سلام يوحيان لها بأن ثمة شيئا خاطئا حولها . هل هو ضعف شخصية يؤدي للمراهقة والعناد ؟ هي تعارض كل شيء ، وبجدة ، وأيا ما كان ، والسبب أن ليس لها رأى ، فقط تريد أن تتأكد أن إدوارد أو غيره واثق من ذلك الشيء . وهي طريقة تمثل استنزافا عصبيا كبيرا له ولكل من يعرفها . أيضا تحدثن عن السيطرة . قلن إنها شيء طبيعى كترغبة إنسانية ، لكن الزواج يجب أن يكون شراكة متساوية . لو فكر أى من الاثنين في السيطرة ، لانهار ، أو لم ينهر لأصبح اسمه شيئا آخر غير الزواج . وتسخر ماريلين : ' يقولون عن الزواج المسيحى إن ما جمعه الرب لا يفرقه إنسان . من قال إننا نريد إنسانا ليفرقه ؟ نحن نريد أن نفرقه بنفس الطريقة التى جمعته بالضبط ! ' . وكالعادة لا تتورع الصغيرة منى عن إدعاء الحكمة فوقهن جميعا : ' العلاقة بين أى اثنين من البشر أصبحت مستحيلة . ليس الزواج فقط ، إنما أية علاقة بين اثنين ' . هنا دب الخلاف بينهما ، وطبعاً ثرن عليها مجتمعات : ' وماذا إذن تسمين اجتماعنا هذا ؟ ' .

ينضم إليهن الباقون ممن اختاروا المزيد من استطلاع المكان ، مداعبين بقيادة ونس ، آملا بألا تكون ثمة مؤامرة نسائية ما قد حيكت ضدهم ، وبعد طول إلحاح انتهى الأمر بونس يغنى إلى شبيكنا يخلصنا . عموما ، في سياق الرد على تساؤلاتهم يعرفون من إجلال أنها رئيسة 'جمعية القناطر الخيرية' . وهى اسم على مسمى ، جمعية خيرية تنشط في مجالات متعددة تتراوح ما بين المحافظة على جمال الإقليم حتى مكافحة ختان الإناث . هنا يذهلون لمعرفة أن إجلال ابنة إحدى أميرات أسرة محمد على . ولا يفوت وحيد الفرصة لمناغصة ضهرى : ' أنت رحت وقعدت قدام واحدة أميرة ، وقلت لأبوها أنا عاوز أخطب بنتك ؟ ! ' . تتدخل الحماة على الفور ' هو ضهرى قليل ؟ بعدين أبوها موش أمير ولا حاجة ، أمها بس ، وكانت أميرة سابقة ! ' . تنظر لها إجلال مبتسمة بعتاب ، فتستدرك : ' بصوا ! بصراحة كلهم ناس أطيب من بعض . إجلال دى بنتى . بعد يسرى إلى اختفت وما حدش بيشوفها حتى في الأعياد ، إجلال دى بنتى ! ' . وتردف متسائلة ' هى يسرى موش جاية النهارده يا ضهرى ؟ ' . وتحول لتدارى إحباطها من عدم أجابته : ' إنما أميرتنا كلنا هى منى ، ما فيش كلام ! ' .



الجيينات المصرية قابلة فقط للتحسن لا للتدهور ،

والتحسن فقط بالانتخاب الطبيعي لا بالتهجين -لاحظ ،

لأنه يفترض أنها الأفضل لأنها منبت الحضارة وجذر كل القومية الحضارية عبر العالم .

هكذا تصميمها ، وهو أحد أسرار عظمة وخلود مصر وشعب مصر !

لم يكتشف أحد أن ضهرى قد سافر للأسكندرية وأحضر خنزيرا يافعا متوسط الحجم ، إلا حين وجدوه منصوبا بالفعل فوق مشواة ، وضهرى يدعوهم لمتابعته والمشاركة كلما لزم الأمر في لف محورها أو رعاية الفحم المتقد تحته . يهر جميعهم بالنظر وبالرائحة وبملاحظات ضهرى المتكررة حول خلوه من الدهون ، لدرجة أن صمموا أن يصرف النظر عن شئ السمك الذى اصطادوه . أيضا بما أنهم باتوا خبراء بنوعية النقاشات التى لا تنتهى بين وحيد وضهرى ، فقد افتعلوا واحدة ، يعرفون سلفا ما سيقول كل طرف فيها . رزق الذى لا يتدخل أبدا في النقاشات ، لكنه يفتقدها حين لا يجدها ، كان هو من أشعل الفتيل هذه المرة : ' أنت بتقول فيه رقابة جامدة على دبح الخنازير يا حاج ؟ ! ' . ويلتقط ضهرى الطعم بتلقائية وحسن نية : ' طبعا ، أنا كنت بأشرف على الحاجة مطبوظ في مزعتى ! ' ، ' أنا قصدى رقابة الحكومة ' ، ' طبعا ، في كل حنة لازم من الرقابة علشان الحاجة تطلع نضيفة ' . ولا يجد وحيد مفرا من تكرار إثبات شئ طالما حرص على إثباته : ' أنت شخصيا بتأكل دلوقت اعتمادا على رقابة الحكومة ، ولا اعتمادا على سمعة صاحبك بتاع الأسكندرية ؟ ' . وتتوالى التعليقات التى تتملق الطرفين : ' إحنا لا نعرف الحكومة ولا نعرف الراجل بتاع الأسكندرية ! ' ، ' إحنا ها نأكل على ضمانه عم ضهرى وبس ! ' .

يخرج وحيد زجاجات النبيذ . يذكر من أين اشتراها ، وبالتالي يذكر نبيل . إدوارد ومينا أتوا بثلاثة شيلان حريرية لكل من ماريلين وإجلال ومنى . يخرج الباقون هدايا متنوعة ، أغلبها كان موجهة لمنى تقبلتها بسعادة وشكر . رقاقت فلاش لأفلام وبرامج حاسوبية من عارف وصديقيه ومن سامر وميرث . دمية خنزير من روميو وسوسن ، احتضنتها منى بحماسة ، وضحكوا لها جميعا ، بينما روميو يقول لضهرى : ' كنت متأكد أنك ها تسافر الأسكندرية ، إنما قلنا برضه نجيب ده احتياطى ! ' .

انتظارا لانتهاء الشواء ، يشرع الجميع في احتساء النبيذ . ويثنون على نوعيته ، ويحتزون الكثير من ذكريات نبيل . أعدت إجلال بمشاركة أطاف أطباقا من السلطة الخضراء ، شملت عددا هائلا من الخضروات المتنوعة التى جعلت منها كرنفالا لونيا ، خس الكابوتشى الذهبى والفجل الأحمر والكرنب الأرجوانى والبنجر القرمزى وقنبيط البروكولى داكن الخضرة والتوت الأزرق والفلفل الرومى الأصفر ، وطبعا طماطم وردية وخيارا أخضر وغيرها كثير . أما النقطة السوداء الدقيقة المطبوعة كما النمش فوق كل قطعة من هذه القطع الصغيرة ، فهى أوراق نعناع أخضر ، جففت وطحنت بعناية كبيرة . تراحمو على تقطيع الخنزير ، ولم يظهر أى منهم أية مهارة حقيقية ، إلا ضهرى بالطبع . تجمعوا حول مائدة طويلة ، ولم يكفوا طيلة تناول الطعام على الثناء على كونه أشهى أكلة تناولوها في حياتهم .

تأتى المانجو الموعودة بعد الغداء ، معدة بأكثر من طريقة ، تقطيعا وعصيرا وأيس كريم ... إلخ . منى كانت قد رفضت كل ذلك ، وأخذت ساندويتشا أعدته أمها لها ، وكأنها تعرف رغبتها سلفا ، ومعه راحت تشرب علبة كوكاكولا معدنية . حين تفرغ منها يلتقطها والدها ، ويتفحصها (طبعا بغيط داخلى تداريه ابتسامه تهكمية) ، ثم يقول ' عارفة إيه أول حاجة ها أعملها بعد ما تشتري العربية ؟ ها آخذك فوق كوبرى أكتوبر

وها أخليكي تفكي الأربع عجالات وتركيبهم تاني ' . ينفجر القادمون والقادمات من رمسيس في نوبة ضحك عارمة ، ومنى والآخريات -بمن فيهم الطاف- يتملكهن الاستغراب ، فيبدأ أولئك في الشرح لمن ' دى حاجة الحاج كان نفسه يعملها مع حد من زمان ، إنما لسه ما جاتلهوش الفرصة ! ' ، هذا بخلاف بقية القصة . أما إجلال فتسحب الطاف معها للدخل ويعودان ببعض أطباق من لباب المانجو المطعم بالمكسرات . طبق اخترعته من وحى اللحظة ، قصة الـ إيم ديليو !

تسود الأجواء لحظات من الصمت العميق ، الصمت الذى ذكر الجميع بشيء واحد : نقاشات وحيد وضهرى التى لم تكن لتهدأ ولا تتوقف إلى أن عصف بها طوفان اكتتاب البنك الأهلى ، ومن بعده انتظام القاعة في زحام يومى لم تعتده يوما . السؤال كان فقط : من الذى سيبادر ويستأنفها ، وبماذا ؟

- (بغضب فجائى ، والغضب كالعادة يعيد له لهجته الريفية القح وعشوائية حركة ذراعيه :) عارف أنا بكرة ها أعمل إيه ؟

- كومپريسور وبوتاس ؟

- لآ ! شنيور . شنيور هيلتي ودقاق كمان ، زى إالى بيخرموا بيه علشان توصيلات الغاز في البيوت . لازم البطاس يوصل لجوه خالص علشان يقتل كل الفيروسات إالى معششة في مخك دى ! إيه إالى قلته عن مصر ده ؟

- أنا ما قلتش حاجة ، أنت إالى كنت بتتكلم .

- لآ ، قلت ! قلت كلمتين فيهم السم كله : الفرعونية موش حضارة ، كتيبة ، وأم الدين ، ومخترة أسوأ اختراع في التاريخ .

- أنت لسه فاكرك ؟ ! ده أكبر دليل أنك عربى موش مصرى : ما بتساش تارك أبدا !

- أنت كنت عاوز تقول إيه تانى أكثر من كده ؟ ! لعلمك الحياة في مصر القديمة كانت حياة مبهيجة جدا .

- أشك في هذا !

- أنت مين علشان تشك أو ما تشكش ؟ أنت حتى ما زرتش الهرم ؟ أنت متأكد أن الجنود الرومان إالى قالوا على المصريين متجهمين شافوا مصريين فعلا ، ولا إالى شافوهم في الدلتا هم الفرس المحتلين أو البدو الآسيويين ؟

- ها ! هو أنا اللى كنت باستشهد بيجيون ؟ أنا إالى قلت المصريين لما يضحكوا يقولوا ' اللهم اجعله خير ! ' ؟ أنت ما بتبشش على رأى واحد أبدا ؟ ! أكيد ونس له رأى في الموضوع ده ، موش ده برضه الرعب من إله الإسلام ؟

- سيبك من تشتيت المواضيع ده . أنا قارئ ألف كتاب في الموضوع ده . ولما أقول لك حياة مبهيجة تبقى حياة مبهيجة . كفاية يا أخى الملابس الشفافة بتاع الستات ! كفاية يا أخى شم النسيم ! كفاية يا أخى وفاء النيل ! دى موش احتفالات بالحياة ، ولا برضه احتفالات بالموت ؟ ! حتى الاحتفال الدينى بتاع ٢٦ مايو بتاع مراكب الشمس واستقبال رع ورحلة العالم السفلى ، كان احتفال شعبي بيجي ضخيم . دى الناس إالى اخترعت أصلا حاجة اسمها احتفالات جماعية لكل الشعب ! ها تقول لى عيد العمال أول مايو كان أصلا شم النسيم بتاع أوروبا ، صح ، إنما شوف ابتداء سنة كام ، وإلهة الزهور الرومانية فلورا الحفيدة رقم كام ألف لأم الأمهات ذات العشرة آلاف اسم ، إيزيس ؟ كمان قلنا لك المصريين موش عرب ، يعنى جينائهم أفريقية ، وأظن الأفارقة حرية جنسية ما فيش بعد كده ! (ويستدرك :) بل هم أحسن عرق أفريقى ، بل هم عرق قائم بذاته ، هو أصل كل أعراق الحضارة .

- حرية جنسية ؟ برضه أشك ! أنت جاي تقول لى أنا الكلام ده ، روح قوله لواحد صعيدى وشوف ها يعمل فيك إيه ؟ ثم إنهم أحسن عرق موش علشان أصلهم الأفريقى ، إنما علشان تخليط كل جينيات الدنيا جواهرهم .

- عرفت منين أن الجينيات اختلطت ؟ ! عملت تحاليل قالت لك كده ؟ ! هه ! !

- فيه مصريين مسيحيين فيهم كل صفات العرب ، تقول إيه مثلا في مرقس الفهلوى أو في زوجة إدوارد البارانونية المتدمرة ؟

- موش كل الصفات ؛ أى نماذج استثنائية من المصريين الأصليين تراها قبلية أو محتالة أو مسعورة بالجنس أو بنظريات المؤامرة أو ... أو ... برضه موش ها تلاقى فيها العنف ، وأتحداك .

- وهو العنف وحش ؟

- وحش لو في الشر والتخلف . إلى بتتكلم عليهم دول اسمهم تطفرات ، وكل مجتمع فيه الكويس والسيء وكل الصفات . يا عزيزي ، انظر للصورة كاملة ؛ حتى يكتمل علم الجينيات ليس لدينا إلا الإحصاء وما هي الطبائع الغالبة على مجتمع معين وأياها يمثل الأقلية (تماما زي فرويد ما قال حتى يكتمل علم فيسيولوجيا المخ ، ليس لدينا إلا صنع النماذج التخيلية ، كالشعور وتحت الشعور والأنا والهو ... إلخ) . المسألة ككل محدودة ومحصورة أكثر مما تتخيل ، ولحسن الحظ أن من طبيعة أغلب الجينيات في البيولوجيا عامة أنها لا تميل كثيرا للاختلاط ، فما بالك إذا كانت خصيصة خاصة جدا لدى القبائل العربية بالذات . هم يقولون إنهم يرمون بناهم للتمساح ، لا بأس ، لكن المصريين أيضا يرفضون تزويجهم بناهم لأنهم يعرفون أنهم سيتزوجون عليهن وسيضربوهن وأن كل ما يحدث في الفراش سوى يرويه عنترة على المقهى في اليوم التالي . أغلب الناس دى موش مواطنين أصلا ، عايشين من غير شهادات ميلاد أو بطاقات شخصية ولا يدخلون الجيش ، فإزاي يتجوزوا مصريات ؟ لا تقس على واحد مثلي ، نحن شيء استثنائي جدا ، مع ذلك كلكم بلهاء ، وأنت طوال الوقت تستفزني بكلمة ارسى على بر ، معتقدا أن سببها اختلاط الجينيات في عيلتنا ، ولا تعرف أنها أكبر دليل على أن جينياتي مصرية نقية لأبعد مما تخيل ، ولسنا -أنا ولا إخوتي- الطفرة ، إنما على الأقل أبي ، لم أجد فيه شيئا يشبهه مع أبناء عمومته .

- (روميو متداخلا :) جايز الجينيات الإنجليزي هي إلى كتتمت نفس الجينيات العربي عندكم ، فما فضلش غير الجينيات المصرية . ها ! ها !

- وليه ما تقولش أن الجينيات الدخيلة تكون أحيانا أشبه بمصل يزيد من مناعة جينياتنا المصرية ؟ دى علوم ، موش كلام يحتمل الهزار . ثبت عامة أن الجينيات الأفريقية تميل لأن تكون سائدة ، وفي حال الاختلاط تنتجى الجينيات الأخرى عربية أو بيضاء أو غيرها ، لكن فعلا الجينيات الإنجليزية بالذات تتسيد ، وأخونا وحيد مثال واضح ، أما الجينيات العربية -مهما أسموها بالنطفة الشريفة- فلحسن الحظ أيضا ، هي ضعيفة ومتنحية . يعنى بعبارة أخرى : الجينيات المصرية قابلة فقط للتحسن لا للتدهور ، والتحسن فقط بالانتخاب الطبيعي لا بالتهجين -لاحظ ، لأنه يفترض أنها الأفضل لأنها منبت الحضارة وجذر كل القومية الحضارية عبر العالم . هكذا تصميمها ، وهو أحد أسرار عظمة وخلود مصر وشعب مصر !

- (يواصل روميو مستعرضا بعض ثقافته السياحية :) القومية الحضارية ؟ إيلليوت سميت ده يا مرسى ؟ ها ! ها ! ها ! ولا جايز إيلليوت بتاع الشعر بتاع عم وحيد ؟ ها ! ها ! ها ! أو موش جايز إيلليوت بتاع منحنيات البورصة بتاعنا إحنا يا ونس ؟ ها ! ها ! ها !

- (لا يلتفت له ويوجه الكلام لوحيد :) إيلليوت سميت مين ؟ القومية الحضارية ده مصطلح طلع لوحده على لسانى دلوقت حالا ! ... إيه يعنى ؟ بقيت عنصرى زيك يا سيدى !

- عامة يا حاج كلامك موش مضبوط ! فيه مسيحين سلوكياتهم زى العرب بالظبط : التهليل ، التوحش ، الغدر ، التزمت ، العنف ، الشهوة الجنسية الزائدة ، الانتماء للأسرة الأصلية وعدم الانتماء للأرض أو لوطن أو حتى للأسرة التى تكونت بالزواج . يعنى هل تعتبر مثلا مرقس مصرى حقيقى أو زوجة إدوارد مصرية حقيقية ؟ !

- حالات فردية جدا ! ده أكثر موضوع تأملت فيه فى حياتى . لو نظرت لأسرة كل من هؤلاء ستجد أنهم شواذ ومختلفون جدا عن الأب والأم وعن بقية الإخوة والأخوات ، والأهم من هذا ألف مرة أن تنظر للأبناء والبنات ، فتكتشف أن تلك الصفات اختفت فجأة ، تماما كما ظهرت فجأة . ثم على أية حال نحن لا ننكر أثر الثقافة والأفكار وغسيل المخ . عادة أثرها مؤقت لكن ليس كل واحد يستطيع أن يكتشف أن الأفكار التى اعتنقها أو السلوكيات التى اكتسبها تناسب طبيعته الداخلية ، وإلا لما كانت هناك حاجة لأطباء نفسيين بالمره . المهم فقط أنها لا تورث طالما هي دخيلة أو أتت بالاكتساب . أو راحت فىن الهجرات المسيحية الواسعة لمصر من الشرق عندما ازهرت اقتصاديا وتساحت دينيا أيام أسرة مُجَّد على ، فى وقت كان الأقباط -أقصد المسيحيين الأرثوذكس- فيه -حسب تعداد الحملة الفرنسية- إلى شبه انقراض حتى بمعايير مصر الحالية . (يشيرون إلى إجلال مبتسمين مجاملين ، ويشير هو إلى ماريلين :) أنا أم أمى أرمنية ، لكن الهجرات شملت فى نفس الوقت الكثيرين من أعراق أخرى ، منها العرق الكارثى : الساموى (مثلا ، أنا شخصا لا أعتبر صدام حسين قد أخطأ كثيرا عندما أشهر إسلام ميشيل عفلق بعد موته !) . إذن ، هذا يعنى أن المسيحى فى بلدنا لا يجب أن يأخذ مصريته كإحدى المسلمات ، ويجب أن يعلم أن أغلب ' مسلمى ' (بين قوسين) مصر لا يقلون مصرية عن عموم مسيحييها ، ومن هنا أظل أقول دوما بأن التحاليل الجينية التى تدق الأبواب الآن هي الفاصل الوحيد

حتى لا يظلم أحد ، وساعتها قد يثبت أن شخصا مثلى قد يكون أكثر مصرية من إدوارد مثلا . وطبعا عامة ها يروح فين احتمال التطفر ، أو تروح فين الصفات المتنحية . كونها متنحية لا يعنى أنها مندثرة ، هى موجودة وتحت تباديل معينة ممكن تظهر في حالات محدودة ، الفارق أنها لن تصبح أغلبية أبدا . عامة أنت لا يمكنك التحكم في كل العوامل ؛ دى بركة جينية كلها حركة وصراعات ، موش جهاز كمبيوتر $1 + 1 = 2$. لذا ما يهنا هو فقط النتيجة الإحصائية الإجمالية ، وأن السمات العامة كذا وكذا ، وعرقيا غالبية السكان هم كذا ، وكلها أمور قررتها وتقررها قوانين الانتخاب الطبيعي ، والنتيجة أن تطور فعلا ما استحق التطور وانقرض ما استحق الانقراض ، والواضح تماما لأى أحد أن مصر القديمة لا تزال حية جدا لليوم ، لأنها أقوى من معظم الجينات الأخرى ، وبالأخص السيء منها .

ويولول إدوارد كعادة المسيحيين : ' أنت نسيت خطف أو اغتصاب العرب للقبطيات في الماضي ، والذي لا يزال مستمرا لليوم ' .
يرد الحاج بحسم : ' لو اختطفت قبطية فقد اختطفت ، ولو أعتصبت فسيعود العربي ليأخذ الطفل بعد سنة . في كل الأحوال كل النسب الناتج انضم بالفعل لقبيلة الأب ، وستجده اليوم دخل في أنسابها . بالتالى الجميع يدخل في إطار الأقلية العربية الحالية على أرض مصر . العرب لم يتغلغلوا في مصر كما تبدو لك الصورة من صوئهم العالى ' .



- هل تقصد أن الحرب المستعرة في الصعيد ليست حربا بين مسيحيين ومسلمين إنما بين مصريين وعرب ؟ !

- أقصد أنها حرب بين جينات ؛ كل الحروب في التاريخ حروب بين جينات !

- كيف ترى إذن يا حاج موجات ترك الإسلام للمسيحية التي تحتاج مصر الآن ، هل شيء إيجابي أم شيء لا يبنى بأى خير ؟
- الجينات هى الفيصل يا دكتور أرسطو ! (ثم ضاحكا :) لا تجزع هكذا ! شيء كهذا سيؤدى لاستقرار أكبر للبركة الجينية . الغزو العربى هو الذى كان غسيلا قسريا للمخ فرض على الناس أشياء مضادة للطبيعة المصرية ، وما يتم الآن هو غربة لهذه الجينات ، بحيث سيتميز من لديهم غلبة للجينات العربية عن بقية المصريين ، الأقلية سيتمسكون بالإسلام الأصولى والأغلبية سيحاولون العودة لأصولهم الصوفية وليس تحت مسمى المسيحية بالضرورة ، أما من ولد بجينات علمانية فسيعلن علمانيته بلا خوف من أحد .

- هل تقصد أن الحرب المستعرة في الصعيد ليست حربا بين مسيحيين ومسلمين إنما بين مصريين وعرب ؟ !

- أقصد أنها حرب بين جينات ؛ كل الحروب في التاريخ حروب بين جينات !

ويؤمن ونس على كلامه : ' كما قلت لك من قبل يا صديقى : الأحقاد المتبادلة تورث للأطفال ٢٤ ساعة يوميا في صمت ! ' .



كما أن العرب من الإعراب أى الانكشاف ، أى سكان العراء ، أو من لا مستقر لهم (المصريون يطلقون على السيارة عربية) ، فإن البدو من البداءة ؛ أى فى كلتا الحالتين يقصد بهم تلك الثدييات دون-الإنسانية ، أو حتى دون-الحيوانية فى كثير من الصفات .

أقل هذا شهوة ذكورهم التى لا تنطفئ بسبب أعضائهم التناسلية السوداء الضخمة المتهذلة ، التى جاءهم هجينا من كثرة استنكاح نساءهم للإبل ، وفى ذات سبب شهوة نساءهم ' القمطرة ' التى لا تهدأ أبدا ، وسبب الانتشار الفاحش للمثلية الجنسية رجالا ونساء حيث فرص الإشباع ربما أفضل قليلا ، وقطعا أقل مهانة ، ذلك بينما أعضاؤنا نحن وردية دقيقة حادة قوية ورثناها عن الإله من أو كنتلك التى تراها فى لوحات وتمائيل الغرب قديمه وحديثه .

ومثلا نحن سيداتنا تيجان رءوسنا -فى الحياة العمومية والأسرية ، كما فى السرير- لأن مصر كانت مجتمعا أموميا وليس بطيركيا ، إلى أن دوهنا بغزوات الهكسوس وأشباههم من البدو فاضطروا للعسكرة ولبناء إمبراطورية ، فتخلينا عن بعض حياة الوداعة والسكينة فارتفعت قيمة الذكور بعض الشيء ، وإن -كما ترى- ظلت للمرأة سلطة هائلة حتى اليوم لا سيما فى الصعيد !

... باختصار : كل أمراض مصر الاجتماعية والاقتصادية سببها تلك الأقلية العربية المقيمة على أرضها !

... شاهد أى برنامج تليفزيونى سياسى أو دينى أو اجتماعى أو فنى أو أى شئ ، أو اذهب وجالس أى أحد من أى من مراحل العمر فى جامعة أو ديسكو كلوب أو مصطبة ريفية أو مقهى أو صالون حلاقة ، أو استمع لأى رجال أو نساء يتناقشون فى العلاقات الزوجية أو كيفية تربية الأطفال ، أو ربما يكفيك تأمل ما يجرى على شاشة البورصة ، وسوف تدرك ساعتها أن أرض مصر الطيبة المسالمة هذه ، لم ولن تعرف فى تاريخها إلا صراعا رئيسا واحدا : الصراع المصرى-العربى !

- كما أن العرب من الإعراب أى الانكشاف ، أى سكان العراء ، أو من لا مستقر لهم (المصريون يطلقون على السيارة عربية) ، فإن البدو من البداءة ؛ أى فى كلتا الحالتين يقصد بهم تلك الثدييات دون-الإنسانية ، أو حتى دون-الحيوانية فى كثير من الصفات . أقل هذا شهوة ذكورهم التى لا تنطفئ بسبب أعضائهم التناسلية السوداء الضخمة المتهذلة ، التى جاءهم هجينا من كثرة استنكاح نساءهم للإبل ، وفى ذات سبب شهوة نساءهم ' القمطرة ' التى لا تهدأ أبدا ، وسبب الانتشار الفاحش للمثلية الجنسية رجالا ونساء حيث فرص الإشباع ربما أفضل قليلا ، وقطعا أقل مهانة ، ذلك بينما أعضاؤنا نحن وردية دقيقة حادة قوية ورثناها عن الإله من أو كنتلك التى تراها فى لوحات وتمائيل الغرب قديمه وحديثه .

ومثلا نحن سيداتنا تيجان رءوسنا -فى الحياة العمومية والأسرية ، كما فى السرير- لأن مصر كانت مجتمعا أموميا وليس بطيركيا ، إلى أن دوهنا بغزوات الهكسوس وأشباههم من البدو فاضطروا للعسكرة ولبناء إمبراطورية ، فتخلينا عن بعض حياة الوداعة والسكينة فارتفعت قيمة الذكور بعض الشيء ، وإن -كما ترى- ظلت للمرأة سلطة هائلة حتى اليوم لا سيما فى الصعيد ! ... باختصار : كل أمراض مصر الاجتماعية والاقتصادية سببها تلك الأقلية العربية المقيمة على أرضها !

... شاهد أى برنامج تليفزيونى سياسى أو دينى أو اجتماعى أو فنى أو أى شئ ، أو اذهب وجالس أى أحد من أى من مراحل العمر فى جامعة أو ديسكو كلوب أو مصطبة ريفية أو مقهى أو صالون حلاقة ، أو استمع لأى رجال أو نساء يتناقشون فى العلاقات الزوجية أو كيفية تربية الأطفال ، أو ربما يكفيك تأمل ما يجرى على شاشة البورصة ، وسوف تدرك ساعتها أن أرض مصر الطيبة المسالمة هذه ، لم ولن تعرف فى تاريخها إلا صراعا رئيسا واحدا : الصراع المصرى-العربى ! إن حتى أصغر الصراعات إطلاقا هى صراعات جينية ، فما بالك بنظرتين متكاملتين كليتي الاختلاف للكون وللإنسان . أنت نفسك حين كتبت تحاجم الاقتصاد الإسلامى يوما ، كنت فى الواقع تدافع عن جينياتك الأنجلو-ساكسونية ، لا أكثر ولا أقل ! كل ما هنالك أن الصعيد مكان نموذجى تماما لمثل تلك المواجهة : مصريون أقحاح فى مكان واحد مع عرب أقحاح ، فى حالة كهذه لا صوت يعلو على صوت الجينين !

- أو صوت الطفرة ، زيك كده ؟

- أنت موش عاوز تفهم ليه ؟ أنا موش تطفر ، أنا زى زى أى مصرى أصيل . تنحى صفات حصل من زمان أوى . جدى (موش أبويا بس) ، لو جينياته عربية فعلا ، كان من عاشر المستحيلات أنه أصلا يقاطع قبيلته علشان يبقى فلاح فى القناطر أو علشان يتجوز واحدة مصرية . حتى لو كان كروموسومى الذكرى صورة طبق الأصل من جد جدى العربى ، فهو بصمة بلا معنى لأنه لم يعد سوى نقطة معزولة فى بحر

من الجيائنات المغايرة غير العربية وليس ذا شأن يذكر فى مجمل الصفات . ثم أنتم موش طلعتم مُجد موش عربى ؟ يبقى منطقى الاحتمالات أكبر أن يكون الهاشميين كويسين ويكون الفاطميين ناس هائلين وهلم جرا . التخين إالى جنبى إالى ما شفش مرأته ١٠ أيام على بعض فى حياتهم ، مهتم أوى بالنسوان القمطة ، إنما ما حصلش مرة أن فكر فى الرجالة القمطة . لماذا الأتراك والعراقيون شرسون جدا والقتل المجانى حياة يومية عندهم ؟ لا بد من سبب : آل عثمان ليسوا الأتراك الأصليين إنما نزلوا من جبال وسط آسيا شديدة الضراوة وجاءت جيئناهم معهم (لضيق معرفتهم بخريطة العالم يسمون وسط آسيا بشرق آسيا ، ويختصرونها إلى شراكسة !) . أما لماذا السعوديون أقل عنفا من العراقيين مثلا ، بينما هم أصل الجيائنات العربية ، فالسبب أن الأشواس الأشراس هواة القتل هم من خرجوا للغزوات من عرب الجزيرة واستقروا فى نهاية المطاف فى دولة الخلافة ، أما المختنون ونحوهم فهم من بقوا حيث ولدوا ! ... كل قصة البشرية هى تاريخ حركات وسكنات جيئناات الإنسان ! لازم تغيروا نظرتكم الساخرة للأشراف شوية ، موش معنى أنهم اختاروا اسما مضحكا لأنفسهم أنهم أناس سيئون بالضرورة ! هم ككل جزء من التيار الصوفى المصرى ، والمصريون عطفوا على آل البيت وآووهم ، لأنهم كانوا دائما المظلومين المضطهدين والمطاردين من الصحابة-العصابة ، وغلطتهم بس هى الاسم .

- (يقاطعه ونس :) أنا ها أريحك خالص من موضوع الأشراف ده ، إالى عامل لك أزمة نفسية . أنت ممكن ما تكونش لك أصول عربية خالص . إيه معنى كلمة أشراف ؟ عكس أوغاد . وبما أن كل الصحابة-العصابة ، والعرب عامة ، أوغاد من أبناء ذوات الرايات الحمر ، فإن الانتساب لآل البيت ، ممن عرف عنهم بعض الشرف والأخلاق -نسبيا طبعاً- هو نوع من التبرؤ من دين الصهاك ، أكثر منه تمسحا فيه . وهذا الإدعاء الكاذب بذلك النسب ، كان بالذات ظاهرة فى كل الشمال الأفريقى ، كنوع من التمرد غير المباشر على الحكام العرب ، من خلال تذكيرهم بسلالة الدعاة التى جاءوا منها ، وفى نفس حماية أنفسهم من الانتقام .

- خلاصة الكلام -وخده من واحد يعرف العرب كويس وكمان جازى يكون فيه دم عربى ومؤكد عارف هو بيقول إيه- أن كل شىء سىء فى المصريين أتى على سبيل الحصر من مخالطتهم بالعرب ، ولأنه أتى من المخالطة وليس من التزواج فهو محدود الدرجة والانتشار عند المصريين ولا يقارن بالعرب ، وإليك القائمة : العنف والثأر ، العصبية والتعصب ، تعدد الزوجات ، ضرب الزوجات ، الولع بالبدينات ، تدجين المرأة ، تحجيب البنات ، غسل مخ الطفل وخلقه مسخا نسخا ، قهر أية حرية للتفكير وإعمال الخيال ، پارانويا العداء للغير أيا من كان ؛ حتى الفهلوة التى تنسب حصريا للمصريين ليس أصلا منهم إنما هى النهب والسلب العربية الدموية لكن بعد أن جردوها من العنف وحولوها لشىء أقرب للنصب منه للسطو المسلح وطبعوها بطابعهم الطيب الناعم خفيف الظل ، وأنت طبعاً أخبر الجميع بطريقة تفكير العرب فى الربح السريع واخطف واجر (أيضا ذكرت لك ذات مرة عدد المصطلحات الموجودة فى اللغة المصرية لوصف قطاع الطرق والتى توحى بالازدراء والغيط والعداوة نحوهم : نورى ، عويل ... إلخ) ؛ أما أسوأ الأشياء إطلاقا فى العرب فهو حياتهم المزدوجة بين التشدد الدينى الهائل ظاهريا وبين التسامح والتعايش السلس جدا مع العطن المطلق طالما هو تحت السطح . الدين لا يعنى أى شىء حقيقى عند البدوى ، دين بلا جوهر ، فقط مظهرات ورخص للنهب والفساد كما تسميها ، ذلك بينما هو أهم شىء عند المصرى . فى السعودية نادرا ما تسمع كلمة إن شاء الله ، لكنها عندنا موجودة فى كل جملة .



أنت حتى عندما أسميته أسوأ اختراع في التاريخ ، لم تلحظ الفارق بين إله التوحيد المصرى وإله التوحيد اليهودى الشهير اللاحق :
في مصر القديمة كان الدين قاطرة للعلم والتقنية ،
لكن اليهود هم من أخذوا الأخوين أوزيريس وست وقلبوهما إلى قايين وهابيل وجعلوا القداسة والخير مرادفين للبداءة والتخلف .
... نعم التوحيد كان خطوة شريرة للغاية لأنها تلغى الحق الطبيعي للإنسان في صنع أو اختيار الإله الذى يريد ،
لكنه لم يكن الشر الحقيقى أو كل الشر أو منتهاه . الشر المطلق هو إخفاء الإله .
الإخفاء هو الذى أتاح الفرصة لكل من هب ودب يريد السيطرة على الناس إدعاء أنه يتلقى رسائل صوتية منه ،
وعلى الأقل كانت الشمس إلها باين زى الشمس !
ثم أليس اختيارها بالذات للعبادة هو أقرب شيء ممكن للحقيقة العلمية ؟ أليست هى بالفعل واهبة الحياة لكوكبنا ؟
... فقط عليك أن تعلم أن أختاتون لم يستحدث عبادة الشمس ، فقد كانت طوال الوقت تاجا على رءوس معظم الآلهة ،
فقط هو كفر عبادة غيرها ، ومن ثم نكل به المصريون في ثورة شعبية محضة لم يقدها فرعون ولا قائد عسكري ،
طرودا فيها كل أقاربه -فهو من حيث النسب لم يكن مصريا حقيقيا خالصا ، فلول كل أولئك الذين أتوا من آسيا يوما ،
وقضوا على التوحيد الذى لم يكن أولئك يحتاجون لأكثر منه إلها واحدا بسيطا يخلق لهم قحل الصحراء ،
بينما ثراء المشهد البيولوجى والفكرى والحضارى يستحيل -في فكرنا المصرى- على إله واحد أن يخلقه !

- إذن تعترف أن مصر أم الدين ؟

- صحيح ! موش ها أقول لأ ، لكن ليس الدين الذى تعرفه وتكرهه . إله التوحيد الذى تراه أسوأ اختراع في التاريخ ، ليس هو لب العقيدة المصرية . هو مجرد تمرد أختاتوني ، هوجة زى هوجة عرابي وراحت لحالها ، أو راحت للبدو السامويين اليهود ، فصنعوا منها أسوأ اختراع . رغم هذا ليس من العدل أن تحاكم كل المصريين بجريرة أو جريمة فرد واحد هو أختاتون ؛ ليس تساهلا أو كرما ، إنما لأنه الحقيقة العلمية . ليس من العلم أن تختزل كل تاريخ مصر القديمة العريض جدا والثرى للغاية في شخص واحد وحقة عابرة ، بالذات وأن لب العقيدة المصرية ومحركها الأساس ، ليس الإله ولا الآلهة ولا العبادة ، إنما شيء آخر : الخلود ! طبعا أنت أيضا ترى الخلود أسخف فكرة في العالم ، لكن لا يجب أن يمنعك هذا من تأملها وتحليلها ، بالذات وأنها عقيدة للأرستقراطية الثرية المثقفة أكثر منها لعموم المصريين . الخلود يعنى أمرين : حب الحياة ، وحب النقاء . أولا : حب الحياة ، سمعت ؟ يعنى لأنهم يبيعوا الحياة موش عاوزين يموتوا أبدا ؛ يعنى موش حضارة موت زى الكليشيه إلىى حضرتك حافظه ، وقلت لك روح شوف البورنو على حوائط المعابد . جاز ما اخترعوش صواريخ ، وجاز ليسوا ثورة تقنية ، لكن على الأقل كانوا متقدمين جدا في الطب ، والطب ما هو الاستمسك بالحياة . ثانيا : الآلهة ما هى إلا ذلك النقاء ، وحب الآلهة يعنى إخلاص وود وحنان وصدقة وبنوة موش تقديس وسجود ورعب وخوف ورعشة وعذاب قبر . روح شوف الفلاحة بتكلم العذراء إزاي ، ما فيش قداسة خالص ولا هيبه خالص ، إنما تكلمها زى أختها أو صديقتها إلىى طول النهار بتلاعبها وتعاتبها وتستعطفها وتحز معاها وتناكفها وتساوها وتزعق فيها وتغضب عليها أو حتى أحيانا تشتمها أو تعابرها بفشلها . نعم ، هما doing business والعلاقة تنطوى على كثير من قضاء حاجيات متبادل (شفاء البنت مقابل نذر ، نجاح الابن مقابل دستة شمع ... وهلم جرا) ، لكن ليس طوال الوقت ، وليس هو الأساس ؛ هى صداقة حقيقية وحب حقيقى واشتياق حقيقى وما بها من خدمات متبادلة لا يعدو إلا تلك المعتادة بين الأصدقاء المتحابين .

ويقاطع روميو : ' أول مرة أعرف أنك كييف موالد يا حاج ! ' . ويتداخل ونس : ' أنت موش فاهم حاجة وكل دماغك في الجنس . المسيحيون دول أذكاء ، شوف الفلاحة لما بتقف قدام العذراء شغلت كام حاسة ؟ بتبص لصورة جميلة بعينها وتتحنس حبيبات الزيت فيها بيدها وتسمع تراتيل وتبشم بخور وتبتمضغ قربان وتتخاطب مع صاحبة الصورة بالحاسة السادسة ، إذا أضفت لكل ده الاستشارة الجنسية سواء من الراجل إلىى حاشر نفسه فيها من ورا أو من الذكر الأعظم ساكن الأعلى ، هل بعد كده يفضل مكان لأنها تشغل عقلها ؟ ... طبعا عمو وحيد ينظر باحتقار لهذه الفلاحة الغلبانة ، وبديهي لا يريد لها تأمينا صحيا ، حتى تموت لو مرضت ، وتخلي مكانها لكائن أفضل ! ' .

- بالعكس ، أنت من يتكلم باحتقار واستخفاف عن هذه المرأة . أنا أفترض أنها فلاحه منتجة ، ومحترمة للغاية ، وتستطيع الحصول على التأمين الصحى الذى تشاء من الشركة التى تشاء من مالها الخاص .

- كلكم على بعض جهلة وموش فاهمين حاجة فى موضوع الموالد ده . كلامنا كثير عن الشعب المصرى إالى متعلق فى ديل ماما الحكومة ، وعن مصر إالى اخترعت أول حكومة فى التاريخ وإالى ها تفضل أقوى حكومة لآخر الزمان . كل ما هنالك أن الشعب يترك شأن الحكم للحكومة لأنها أمور معقدة لا يريد أن يفنى فيها بما لا يعلم ، لكن الحقيقة أنه عاشق للحرية عشقا مطلقا . أتحدى مشاوخ السنة إالى زى أخونا حجاب ، الذين فاهمين أنهم بقوا سلطة وتربعوا على الشعب المصرى وكتفوه بالحبال ويحركوه بإشارات صوابهم ، يقولوا لى إزاي مصر بقت شيعية-إسماعيلية-درزية فى حسبة شهور ، وساحت فى الهوا سيوف كل الخلفاء وكل السيفيين وكل الفقهاء ؟ لم يحدث أن أجبرهم -أو حتى دعاهم- أى حاكم فاطمى لهذا . بل تقريبا العكس هو الصحيح ، هم الذين صاغوا دين الحكام . كل ما حدث أن جاء لمصر بعض أئمة من فارس بالذات ، ممن يترخصون فى العبادات ويسقطون الصلاة والصوم ، فترك المصريون مساجدهم وهروا خلفهم ، ومن خلفهم هروا الحكام . يا وحيد ، أنت حتى عندما أسميته أسوأ اختراع فى التاريخ ، لم تلحظ الفارق بين إله التوحيد المصرى وإله التوحيد اليهودى الشهير اللاحق : فى مصر القديمة كان الدين قاطرة للعلم والتقنية ، لكن اليهود هم من أخذوا الأخوين أوزيريس وست وقلبوهما إلى قايين وهابيل وجعلوا القداسة والخير مرادفين للبداءة والتخلف . . . نعم التوحيد كان خطوة شريرة للغاية لأنها تلغى الحق الطبيعى للإنسان فى صنع أو اختيار الإله الذى يريد ، لكنه لم يكن الشر الحقيقى أو كل الشر أو منتهاه . الشر المطلق هو إخفاء الإله . الإخفاء هو الذى أتاح الفرصة لكل من هب ودب يريد السيطرة على الناس إدعاء أنه يتلقى رسائل صوتية منه ، وعلى الأقل كانت الشمس إله باين زى الشمس ! ثم أليس اختيارها بالذات للعبادة هو أقرب شىء ممكن للحقيقة العلمية ؟ أليست هى بالفعل واهبة الحياة لكوكبنا ؟ . . . فقط عليك أن تعلم أن أختاتون لم يستحدث عبادة الشمس ، فقد كانت طوال الوقت تاجا على رعوس معظم الآلهة ، فقط هو كفر عبادة غيرها ، ومن ثم نكل به المصريون فى ثورة شعبية محضة لم يقدها فرعون ولا قائد عسكري ، طرودا فيها كل أقاربه -فهو من حيث النسب لم يكن مصريا حقيقيا خالصا ، فلول كل أولئك الذين أتوا من آسيا يوما ، وقضوا على التوحيد الذى لم يكن أولئك يحتاجون لأكثر منه إله واحد بسيطا يخلق لهم قحل الصحراء ، بينما ثراء المشهد البيولوجى والفكرى والحضارى يستحيل -فى فكرنا المصرى- على إله واحد أن يخلقه !

- ها ! عاوز تفهمنى أن أسوأ اختراع فى التاريخ طلع فيه أسوأ منه ؟ !



ليس عرب الجزيرة وحدهم القمامة الجيبينية ، بل كل الهلال القحيل الذى لفظهم أصلا ، والعراق سمى عراقا لكثرة أعراقه .
عند هذه السلالة الإبراهيمية-الحامورابية ، ممن استنكفوا عن زرع وديان تلك الأنهار وخرجوا للرعى ،
الدين هو نظرية للحكم ؛ قهر واستبداد وتسلط وتشريع لأدق الدقائق لأنه تستحيل السيطرة على الناس بدونها .
هم لا يطيقون جهد الزراعة واسألنى أنا ، بل أغاروا ودمروا المحاولة الجيبينية الأولى والوحيدة التى كان اسمها سومر ،
قتلوا إينانا وعشتار -اللتين بهما مسحة ما من الجمال والخصب والأمومة الإيزيسية- وعبدوا البعل .
وما أدراك ما البعل ؟ . . . إنه إله المطر !

نفس سؤال وما أدراك بأرض الميعاد التى تلقى أحد -أو بالأحرى كل- أبناء أرض تلك الأنهار الفيضاة وحيا بالارتحال إليها ؟
إنها صحراء كنعان القاحلة لكن بالذات التى يتقاتل عليها الجميع .

لماذا ؟ لأنها أقرب نقطة ممكنة للقفز من آسيا على مصر لنهبها ، وتلك قصة أخرى !
. . . أما عند المصريين فالدين هو حرية من كل القيود وطبعا من قسوة الشغل اليومي .
إنه يوم الراحة والنزهة والطبيعة والغناء والرقص والملابس الجميلة ،

ذلك من أول طقس فى أول معبد لإيزيس لغاية آخر رقصة فى مولد الأسبوع إالى فات
(إالى طبعا ما حدش كان اتولد فيه ، إنما المولد الوحيد الاسم على مسمى هو عيد ميلاد حورس إالى غيروا اسمه للكريسماس) .

. . . لهذا السبب لفظوا فى أقل من طرفة عين حتى ذلك التوحيد الأختاتونى شبه البريء !

- ليس عرب الجزيرة وحدهم القمامة الجيبينية ، بل كل الهلال القحيل الذى لفظهم أصلا ، والعراق سمى عراقا لكثرة أعراقه . عند هذه السلالة الإبراهيمية-الحامورابية ، ممن استنكفوا عن زرع وديان تلك الأنهار وخرجوا للرعى ، الدين هو نظرية للحكم ؛ قهر واستبداد وتسلط وتشريع لأدق

الدقائق لأنه تستحيل السيطرة على الناس بدونها . هم لا يطبقون جهد الزراعة واسألنى أنا ، بل أغاروا ودمروا المحاولة الجنينية الأولى والوحيدة التى كان اسمها سومر ، قتلوا إينانا وعشتار -اللتين بهما مسحة ما من الجمال والخصب والأمومة الإيزيسية- وعبدوا البعل . وما أدراك ما البعل ؟ ... إنه إله المطر ! نفس سؤال وما أدراك بأرض الميعاد التى تلقى أحد -أو بالأحرى كل- أبناء أرض تلك الأنهار الفيضانية وحيا بالارتحال إليها ؟ إنها صحراء كنعان القاحلة لكن بالذات التى يتقاتل عليها الجميع . لماذا ؟ لأنها أقرب نقطة ممكنة للقفز من آسيا على مصر لنهبها ، وتلك قصة أخرى ! ... أما عند المصريين فالدين هو حرية من كل القيود وطبعا من قسوة الشغل اليومي . إنه يوم الراحة والنزهة والطبيعة والغناء والرقص والملابس الجميلة ، ذلك من أول طقس فى أول معبد لإيزيس لغاية آخر رقصة فى مولد الأسبوع إلى فات (إلى طبعا ما حدث كان اتولد فيه ، إنما المولد الوحيد الاسم على مسمى هو عيد ميلاد حورس إلى غيروا اسمه للكريسماس) . . . لهذا السبب لفظوا فى أقل من طرفة عين حتى ذلك التوحيد الأخناتونى شبه البريء ! ... المشكلة أنهم نجحوا تدريجيا فى غسل أبحاثنا بعقائدهم الصحراوية ، وخلقوا فينا كراهية كل شىء جميل ، وأقلها العرى لأنه صراحة وصدق ، وكما تقولون الصدق هو الشىء الوحيد الذى عليه حد من إله الإسلام (الردة ، الزنا ، السرقة ، أى شىء ، عمليا لا يحد إلا بالاعتراف) . وللأسف أصبحنا ننسى أننا فى مصر كنا نحتقرهم أشد احتقار : ' كل راعى غنم رجس عند المصريين ' every shepherd is an abomination unto the Egyptians ، هكذا لم تستطع التوراة تجاهل هذا ووضعت على لسان ذلك النكرة المدعو يوسف فى توراتهم ، رغم أنه شخصية اختلقتها أحلام يقظتهم الحاقدة على المصريين وعلى عظمة مصر ، وما كانوا مجبرين على استنطاقها هكذا .

- (هذه المرة يضحك بالفعل :) ها ! ها ! عاوز تفهمنى أن المصريين رأيهم من رأيى فى نظريات الحكم ؟ !



- كيف لم تلحظ أن الحضارة المصرية بدأت بقصة حب ؛ إيزيس وأوزيريس ؟ !

- وكيف لم تلحظ أنت أنها انتهت بقصة حب ؛ كليوباترا -الفرعون الأخير ؟ !

- بل كيف لم يلاحظ كلاكما أنها لم تنته قط : طوال الوقت يوجد أناس يفكرون رأسيًا ،

يتملكهم شبق الكدح والبناء والارتفاع ، يرون العالم همرا أو مسلة ، ويرفضون فكرة القطيع والمستنقع والمساواة .

وبناء عليه كل ما جرى من ألعاب نارية على الماء فى أكتيوم أو فى حريق الأرامادا ،

لم يكن سوى الطريقة التى يبدو أن أمنا الطبيعة تحب الاحتفال بها بتسليم شعلة الحضارة من جيل إلى جيل ؟ !

- رى الحياض ربما علم المصريين بعض الكسل ، لكنه الكسل الخلاق . رى الحياض علمهم السكينة والتأمل وحب السلام ، وأهم شىء علمهم حب الحب . أعنف قصص الحب هى التى تجرى فى قرى مصر . هل من قبيل الصدفة أن عثر على الأناجيل الغنوصية فى نجع حمادى ، وليس فى روما ولا القسطنطينية ؟ لماذا ؟ أهذا سؤال ؟ لأنها النسخة الصوفية اليسوعية الأصلية من المسيحية ! ؛ لأن نجع حمادى هى التى تقع على مرمى حجر من كل معابد رع وإيزيس ؛ لأنها أصلا نبتت فى دفء طمى النيل الوداع الآمن ، ولأنه وحده كان المسئول -والقادر- على حفظها لنا للأبد ! الأدهى : كيف لم تلحظ أن إيزيس وأوزيريس -ديانة الشعب المصرى العريض البسيط ، أصل كل الموالد والأعياد الشعبية الحالية ، وحجر الزاوية وقدس أقداس العقيدة المصرية ككل- هى بالأساس مجرد قصة حب ؟ ! أنت تذكرنى بركيا بطرس حين يحكى قصصا من سيرة مُجَّد فيسأل متعجبا أين التسامح ، أين العفة ، أين الروحانية ، أين ... ، أين ... ؟ ، ومن ثم يقنع المشاهد أنه هكذا وضع مُجَّدًا فى ميزان المسيح فوجده فاشلا . الواقع إنه -من حيث لا يدري- وضع الاثنين فى ميزان إيزيس ، المرجعية الأولى والعليا لكل القيم النبيلة . الغنوصية التى ترى فيها المسيحية الأصلية ، لا تمت لليهودية ولا لليهود ولا لكل العرق الساموى الحثالى بصلة . هى تطفر جيبينى وصلت عدواه من مصر ليهودا والسامرة فى صورة شخصين أحدهما من الناصرة والأخرى من مجدل ، فأثارت روحانيتهما الكارثية أما ارتباك واضطراب فى البركة الجينية اليهودية فحكموا عليهما بلا لحظة تردد واحدة بالقتل والنفى . فجر الضمير إلى موش عاجبك ، هو فى الحقيقة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أيضا ! أخيرا ، وما أن المصريين أناس محبون بالأساس ، فهم بالتالى أناس منفتحون على الغير ، ولا يوجد تاريخيا ما يقول عن المصريين إنهم كانوا ضد الأجنبي أو قاوموه أو طردوه ، حتى من كان شديد البشاعة والخراب -وأقصد العرب- كانت المقاومة لهم لا تكاد تذكر ، فقط اتقاء للشر قدر الإمكان وازدراء بالنكت بتاع روميو والأحاديث المدسوسة بتاع ونس والكلام بتاعك والموالد بتاعتي . عليك أن تقارن بين ما قد يسمى ' بيسيكولوجية العبيد '

هذه ، وبين الأرتيكاريا العربية المسعورة ضد كل ما هو أجنبي ، والزعيق بأمراض المجد والعزة والفخر ... إلخ . إذا احترمت رئيسك في الشغل لأنه شخص كفء وجدير ، فأحبته وأخلصت له ، يسميها العربي مذلة ، فهل تسميها أنت ؟ خطوة أخرى : هل يختلف الأمر لو كان هذا الرئيس أجنبيا ؟ خطوة ثالثة : هل يختلف الأمر لو كان هذا الأجنبي رئيسا للدولة ؟ هذا ما تفعله مصر مع من هم أكثر منها تقدما ، تنظر لهم لأعلى ، لا حقد ولا حسد ، فقط حب واحترام . طالما هناك هذا الحب والاحترام ، فأنت نفسك محترم ، لست عبدا ، والطرف الآخر لن تصيبه عدوى العبودية التي تحدث عنها يونج . إنها علاقة تعاون وتكامل ، أما عبيد روما فهم عبيد ، والعرب بتوع العزة والفخر هم عبيد ، لأن كليهما يسعى لنهب ما للغير وانتزاع السلطة منه ، لا يحركه إلا الجشع والحقد والمرض . باختصار ، مصر ليست لديها عقدة العبيد ، إنما لديها عقدة الخواجة ! الإنجليز أسياذ العالم أناس متواضعون للغاية (وطبعا لا أقارنهم بالعرب الأمجاد جدا ، إنما بأى شعب أوروبى عادى) ، أغلبهم طبقات شغيلة يمارسون أبسط الأشغال لدرجة أن يتهمهم العالم بالغباء ، لكنهم أعظم الناس بلا شك ، لأن قطعاً ليس لديهم عقدة العبيد .

- إنهم مكن !

- تمام ! نسيت أنا بأكلهم مين ! أنت آخر من يرى المكن عبيدا ، وأول من يراها سادة للكوكب ؟ ! حاول أن ترى المصريين مكننا أيضا ، أناسا لا يصابون بالعقد النفسية . فكرة صعبة شوية ، لكن حاولوها تلقاها ماشية . من بنوا الأهرام والكرنك ونحتوا أبى سمبل ، من الصعب أن تتسلل إليهم سيكولوجية العبيد ؛ هذه الصروح تمنعهم ، لأنها قابضة هناك في عقولهم الباطنة . فقط يتعاملون بسيكولوجية منبسطة سوية مع من هو أعظم منهم ، هذا لأنهم كانوا أنفسهم الأعظم يوما . العرب لم يبنوا شيئا أبدا (فقط -وأيضا حسب ابن خلدون- هدموا جدران عمائر الأمصار كي يستخدموها مساندا للقدور ، ونزعوا خشب سقفها أوتادا للخيام أو للحرق) ، لذا فهم كتلة من العقد النفسية الشيطانية الخالصة . سيكولوجيا ، العرب هم العبيد الحقيقيون الوحيدون في هذا العالم . طيلة التاريخ وهم قاع العالم وخارج خريطة العالم ، ويدركون تمام الإدراك وضعيتهم الدونية في نظر الدنيا . ثانيا ، بالأخص لأنهم خاطفو وجلابو العبيد ، فهم يرتعدون جدا من أن يفعل بهم أحد ذات الشيء ، فنموا لأنفسهم سيكولوجية موهومة من التعالى الشديد المزيف ، وحاولوا عبثا إفراغ أمراضهم ودونيتهم في هؤلاء العبيد إذلالا وتعذبا ... إلخ . العربي يزدري الكلب لأنه يخلص له ، أما أنت فتحبه وتبحث عن أى شئ لتسعده به . القومجيون العربجيون عندنا أكثرنا مؤخرا الكلام شديد التعالى عن الممالك (تفريغا وتفريجا عن مهاتهم وهزائمهم) ، أما أنت فترى الممالك أناسا جيدي التربية أقوىاء الشخصية نالوا كل مجد وثروة يريدونها من الحياة ، بل وقادة لا بأس بهم أحيانا كثيرة ، رغم أنهم تقانيا ليسوا إلا عبيدا . ما أردت قوله هو أن عليك أن تصبح أكثر تدقيقا في رؤية الأمور : فقط الدخلاء العرب هم البيضة الفاسدة في هذا المجتمع ، وتنظيماتهم القبلية كالإخوان-الأخوان والجامعة العربية والأحزاب القومجية العربجية وطبعا الأزهر -المؤسسة الدينية الرسمية- التي حولوها بأموال النفط من الصوفية المصرية للسلفية الوهابية ، هم تحديدا من يشد مصر للوراء ؛ هم سرطان التخلف والرجعية وكراهية العالم ، وليس أى أحد آخر ، وقطعا ليس المصريين !

- أنا موش فاهم ليه كل شوية تجر معاى موضوع الفراغة ده ؟ !

لم يجب الحاج ، لكن ارتسمت في تلك اللحظة أمام وجهه تلك الملامح الفرعونية لقاتل نبيل ، والتي تقريبا لم تفارقه قط منذ وقع بصره عليها . بعد صمت طويل متبادل يعود وحيد : ' على الأقل عرفنا الآن أنك من دعاة الفتنة وتريد شق ما يسميه الجميع بالوحدة الوطنية ، هذا بتقسيم الشعب المصرى لمصريين وعرب ' .

- لست أنا الذى أريد هذا ؛ أنت الذى تريد تقسيم المصريين لمحبين بالتقدم ولأعداء له (مثلما كنت تفعل في لبنان) ، وأنا فقط أعطيك طرف الخيط !

- (شاردا :) معقول برضه ! أنا كمادى لا أضع أدنى وزن للكلام ولا أنظر له ولا أهتم به أصلا ، فالمهم الفعل . السادات كان يبيلس بيتكلم عن الإسلام ليل نهار وتاريخه نفسه يصنفه كإسلامى ، لكن الأفعال كانت شيئا آخر ؛ لا ذرة عروبة بها ولا ذرة إسلام ، فقط تبنى بحياته التحديث واستقدام الأمريكان والإسرائيليين حتى يعيد لمصر مجد بنائها ! لم يحدث أن حارب السادات إسرائيل أبدا ؛ هو يحب إسرائيل ، وما حاربه في ١٩٧٣ هو الحرب نفسها . أيضا حسنى مبارك مصرى أصيل بالمثل لم تدخله الجيائنات العربية ، شخص يحب الحداثة والبناء ، وإن شخصيا أخذ عليه مصريته الزائدة ، هذه التى جعلته طيبا مسالما متسامحا مع الجميع بمن فيهم الهمج العرب !

- لا تخزن هكذا ، سأروى لك نكتة لعلها ترفه عنك : حفر الفرنسيون تحت برج إيفيل فوجدوا أسلاكاً ، فقالوا انظروا لقد انفضح كذب الأميركيين ، نحن الذين اخترعنا التليفون من قبل ٢٠٠ سنة . حفر الإيطاليون تحت برج پيزا فوجدوا إسلاكاً ، فقالوا انظروا نحن الذين اخترعنا التليفون قبل ٥٠٠ سنة . حفر المصريون تحت الهرم الأكبر فلم يجدوا شيئاً ، فقالوا انظروا نحن الذين اخترعوا الموبايل قبل ٥٠٠٠ سنة ! يهمس وحيد لنفسه : ' أنت متأكد أن نكتك دى مصممة علشان تحبب الضحك موش الاكتئاب ؟ ! ' ، ثم يجتر شيئاً آخر : ' شنويور ؟ ! لك حاجات يا حاج ! ' .

- كيف لم تلحظ أن الحضارة المصرية بدأت بقصة حب ؛ إيزيس وأوزيريس ؟ !

- وكيف لم تلحظ أنت أنها انتهت بقصة حب ؛ كليوباترا - الفرعون الأخير ؟ !

- بل كيف لم يلحظ كلاكما أنها لم تنته قط : طوال الوقت يوجد أناس يفكرون رأسياً ، يمتلكهم شبق الكدح والبناء والارتفاع ، يرون العالم هرماً أو مسلة ، ويرفضون فكرة القطيع والمستنقع والمساواة .

... هكذا -بعد برهة صمت أخرى- صفى زهري وروميو ووحيد حساب هذا الجدل في مرافعات وجيزة أخيرة !



منذ طفولتي وأنا أتساءل لماذا ينظر الناس للسماء حين يخاطبون الإله .

لماذا لا ينظرون للأرض مثلاً ؟ أليست هي المكان الذي تأتي منه الحياة للنبات ؟

بل لماذا أصلاً لا ينظرون في المرأة بحثاً عن الإله ؟ !

- ما تغنى لنا يا ونس شفيق جلال لما يقول ' ع الجينينات دور ! ' . رغم أن عيال الجماعات المتحمسين للغلبة إلى على نياتهم جاز يكونوا مصريين ، ورغم أن الإخوان والسلفيين عرب ، إلا أن الشعب المصري رفض الاتنين . عارفين ليه ؟ لأن لتدين أحدهما أهدافاً سياسية ، وتدين الأخرى يرفض مبدأ الشفاعة . المصريون -على عكس العرب- قادرون على تخيل التجريد الهائل في فكرة الإله الروح غير المرئي الذي يوجد في كل مكان ، لكن لأن إلها بهذه الصفات هو شيء عظيم جداً ، فهم بتواضعهم لا يشعرون بأنهم مستحقين لمخاطبته مباشرة ، أو ربما مجرد أنهم لا يحبون مخاطبة الشرطي أو السلطان أو المستعمر أو أى جبار ، فقرروا ألا يخاطبوا الإله أيضاً اتقاء لشره لا أكثر ، فاخترعوا فكرة الشفاعة ، وهى خصيصة تميز بها آلهة مصر القديمة ، وتبنتها بقوة الكنيسة المصرية في عذرائها وقديسيها . هؤلاء بالأساس رهبان أو سائحين سكنوا الصحراء ، وأيضاً ليست صدفة أن مصر هى التى اخترعت الرهبنة في المسيحية . ثم تبنها الإسلام المصري بأوليائه الصالحين ، مضيفاً إليهم لشفعاء الكنيسة المعلومين جيداً بدورهم لدى كل مسلم (أما الإسلام الصحيح العربى البدوى فقد أعجبته فكرة اتقاء شر الإله ، فاخترع منه مصطلح التقوى ، وراح يرهب به أتباعه ، لكن بالأحرى مفهوم الدين أو الإله لم تكن قبل ذلك مما تشغل العرب أصلاً بعقلهم دون-البشرى) . المصريون لم يخترعوا التوحيد كما تهمى أنت دائماً القول . تقانيا هم مخترعوه ، لكن واقعياً هم من لفظه ، فتلقفه اليهود ، أى موسى ، أو للدقة إحدى الشخصيات الواقعية التى ركب منها معاً اليهود شخصية موسى الخيالية ، ثم بنوا عليها أساطير لسلف وهمى بالكامل كنوح وإبراهيم ، ومن ثم ديناً كاملاً . كلمة التوحيد مرفوضة مصرياً -وبعنف- لأنها ضد التعددية والتسامح والصفاء ، وأشهر عبارة تقتبس إطلاقاً عن أورداد صوفية مصر هى ' انشلى من أوحال التوحيد ' ، فحياة القمل الصحراوية هى التى لا تستطيع تخيل أكثر من إله واحد . هل لو فرضنا تقابل الأنبا بولا أول السواح مع ذى النون المصرى فى الصحراء ، أو مثلاً تقابل القديس بروسوم العريان مع الشيخ إبراهيم العريان ، فتصادق كل زوج معاً لسنوات طويلة ، سيعرفان أن أحدهما مسيحى والآخر مسلم ؟ السبب بسيط أن كليهما يعتقد أن الطرائق إلى الإله بعدد أنفاس الخلائق . الصوفية مذهب فوق الأديان سابق للأديان وعابر للأديان ، أقله أن أغلب مشايخ الطرق الصوفية عندنا لا يؤدون الصلوات الخمس ، ويدعونك يا فلان ابن فلانة فى تحد صريح للكرهان ، وهلم جرا .

- أسبقك الكلام : الرهبنة ذات الشيء ، موجودة في المسيحية وفي الإسلام وموجودة قبلهما ، ومن الصعب جداً إدعاء أنها اختراع قبضى ، وإلا أين نذهب ببوذا ؟ الصحيح فقط أن المصريين هم من أدخلوها على المسيحية والإسلام .

- إيه الخلاوة دى ؟ ! كنا فين وبقينا فين ؟ ! المهم ، عليك أن تعرف أين تقف مصر بالضبط ، تبعاً للأرقام لا لعلو الصوت : عدد الأزهرين والإخوان والسلفيين مجتمعين أقل من مليون ، وعدد أعضاء الطرق الصوفية المسجلين أكثر من عشرة ملايين ، ومن يحضرون الموالد من غير

الأعضاء عشرات الملايين ، والمولد الواحد قد يشهده أكثر من خمسة ملايين . بعض جوانب ديانة إخناتون قد تكون أكثر صوفية من سابقاتها ، لكن المصريين لفظوها ، لماذا ؟ لسبب جوهرى جدا وإن بدا جديدا ؛ أنها أفقتهم لأول مرة على فكرة مرعبة : إمكانية ربط الدين بالدنيا . لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ليست عبارة من اختراع السادات ، إنما هى تعريف المصريين للدين : الدين نقيض الدنيا . هو التقشف والصوفية والرهينة . وللدقة ، الدين طريقة وليس دينا ، أى أسلوب حياة ، وكلمة دين المصريين استخدمها مجازا . ثانيا ، الطريقة شئ لم يخلق له ولم يخلق لنا ، إنما التعبد وظيفه القديسين الأولياء والصالحين ، الذين من اختصاصهم التشفع لحوائجنا عند الإله . لعلمك -بالمناسبة- الولى -بحكم توحده مع الله- هو فى عرف الصوفية شخص يفوق النبى مكانة بكثير ويفوق الرسول بأكثر ، وهذا يمكن -لو شئت- أن يعطيك لمحة عن نظرة المصريين للأنبياء والرسل عامة : دجالون وأشباه دجالين بائعو كلام ، موش أتقياء حقيقيين عارفين واصلين زى الأولياء ! هناك دعاء صوفى مشهور يعتقد أن أصله رابعة العدوية (التى بالمناسبة ينسبها أقباط مصر لأنفسهم وينفون أية علاقة لها بالإسلام) ، يقول ' إلهى إن كنت تعلم أنى أعبدك طمعا فى جنتك فاحرمينها ، وإن كنت تعلم أنى أعبدك خوفا من نارك فأذقنيها ، وإن كنت تعلم أنى أعبدك طمعا فى نظرة من جلال وجهك يوم لقاك فأنلنيها ثم افعل بى ما تشاء ! ' . هذا الدعاء به ما لا يقل عن عشر مخالفات شرعية صريحة صريحة للكرهان والسنة ، وبه طعن مباشر فى أصول العقيدة ومفاهيم الإلهية والعبودية ، وبه تحقير لمحمد نفسه الذى كان يدعو آلاف المرات يوميا متوسلا طلبا للجنة ، ويستغفر آلاف المرات يوميا هلعاً من عذاب النار ، لكن السؤال هل امرأة يمثل هذه النورانية والشفافية والوصل فى حاجة لأن تقرأ كرهانا وأحاديث ، أو أن تسأل ماذا يقول الأنبياء والرسل ؟ ! ... منذ طفولتى وأنا أتساءل لماذا ينظر الناس للسماء حين يخاطبون الإله . لماذا لا ينظرون للأرض مثلا ؟ أليست هى المكان الذى تأتى منه الحياة للنبات ؟ بل لماذا لا ينظرون أصلا فى المرأة بحثا عن الإله ؟ !

ويسخر إدوارد : ' إحننا موش معانا بكالوريوس زراعة زيك ... ' ، ويغنى ونس : ' أحبك حبين ... ' .



لعلمك الإسلام لم يتغلغل حقا قط فى التربة المصرية

- موش سبق وقلنا ما لكش دعوة بأغانى الست ؟ ها أفوتها لك المرة دى زى بعضه ! (ثم يواصل موجهها كلامه لوحيد :) بالطبع هذا ليس بالضبط تعريف الغرب للدين أنه علاقة شخصية بين الإنسان وربه ، لكنه قطعاً ليس تعريف الإسلام . لعلمك الإسلام لم يتغلغل حقا قط فى التربة المصرية . مصر هى التى صنعت نسخة خاصة بها مما كانت تسميه تلك العصابات الغازية دينا ؛ وضعت فيها معظم التراث الدينى المصرى القديم ، مع فارق الأصل من العك طبعاً . حتى السنة والشيعه كانت مصر فوقهما . الأزهر نفسه أنشئ فى الأصل كمؤسسة شيعية ، ثم امتصه المصريون فى عقيدتهم . المهم ، أنك لو دورت عندنا على كل المتمسكين بشدة بالإسلام الحرفى عندنا ها تلقاهم عرق عربى -مختلين أو مهاجرين ؛ المصرى الحقيقى موش ها تلقى تدينه كده أبدا ، ها تلقاه صوفى عميق الإيمان شديد الاتكالية ، ودى أقوى فى دياناته السابقة على الإسلام . فاكرا لما قلت لك كل المصريين مطرح ما تحطهم مطرح ما تلقاهم ؟ ده كان قصدى ، كلهم طيبون بسطاء يتصدقون على المحتاجين لعاطفية مشاعرهم وليس من أجل عداد الحسنات والميزان الذى يرفع يوم البعث (إالى هو بالمناسبة اختراع مصرى قديم نقله الإسلام حرفيا عن كتاب الموتى) . موسى أخذ الأفكار من إخناتون لكن شوف ابتدلها إزاي وحوها لشرعية بملايين التفاصيل التافهة خالية من أية روح أو روحانية ؟ حتى كلمة حياة أبدية لم ترد فى العهد القديم برمتة إلا مرة واحدة قرب النهاية ، بل وتقول إن البعض فقط هم من سيحيون من رقاد التراب . المسيحية الأصلية الأكثر صوفية حفظت عندنا فى مكتبة الأسكندرية ومنظرو البوذية نقلوا الكثير من مخطوطة إنجيل توما فيها لعقيدتهم ، ربما أيضا الأقباط فى مجملهم أشد روحانية من معظم مسيحي العالم . عارف أنا بأسمى العقيدة المصرية إيه ؟



- هو فيه حاجة اسمها العقيدة المصرية ؟ !

- وهو فيه شعب يغير عقيدته ؟ ! ألم تسمع عبارة أن الدين ثابت ؟ ! الشعب ممكن يغير اسم العقيدة ، لكن العقيدة نفسها لا تتغير .

... طبعا فيه عقيدة للمصريين ، وطبعا ليست ديننا ، وطبعا لا هى الإسلام ولا المسيحية ولا حتى الأخناتونية ،

إنما هى تلك العقيدة الأولى التى لم تتغير منذ رع وإيزيس وأوزيريس ... أنا أسميها الوثنية الشفعية الصوفية !

... لا أحد يمكنه قهر الوثنية ، لأن جينيات كل البشر وثنية ،

تحب أن تختار آلهتها بنفسها ولا تحب من يدجل عليها بأنه وكيل لألهة غير مرئية .

... أيضا جينيات كل البشر شفعية لأن كل الوثنية شفعية ، وأنبياء التوحيد هم من زوروا الحقيقة واخترعوا أكذوبة عبادة الأصنام ،

فى خلط متعمد للأوراق بين قضيتين مستقلتين -تعدد الآلهة والتشفع إليها بوسطاء ،

فإن أحدا قط لم يعبد أصناما ، إنما فقط كان يتوسل بها لقوى الطبيعة وما وراء الطبيعة .

... أما بالنسبة للصوفية فهى أصيلة بالخصوص فى جينياتنا المصرية أكثر من معظم شعوب العالم !

- هو فيه حاجة اسمها العقيدة المصرية ؟ !

- وهو فيه شعب يغير عقيدته ؟ ! ألم تسمع عبارة أن الدين ثابت ؟ ! الشعب ممكن يغير اسم العقيدة ، لكن العقيدة نفسها لا تتغير .

... طبعا فيه عقيدة للمصريين ، وطبعا ليست ديننا ، وطبعا لا هى الإسلام ولا المسيحية ولا حتى الأخناتونية ، إنما هى تلك العقيدة الأولى التى لم

تتغير منذ رع وإيزيس وأوزيريس ... أنا أسميها الوثنية الشفعية الصوفية ! ... لا أحد يمكنه قهر الوثنية ، لأن جينيات كل البشر وثنية ، تحب

تتحب أن تختار آلهتها بنفسها ولا تحب من يدجل عليها بأنه وكيل لألهة غير مرئية أيضا جينيات كل البشر شفعية لأن كل الوثنية شفعية ،

وأنبياء التوحيد هم من زوروا الحقيقة واخترعوا أكذوبة عبادة الأصنام ، فى خلط متعمد للأوراق بين قضيتين مستقلتين -تعدد الآلهة والتشفع إليها

بوسطاء ، فإن أحدا قط لم يعبد أصناما ، إنما فقط كان يتوسل بها لقوى الطبيعة وما وراء الطبيعة أما بالنسبة للصوفية فهى أصيلة

بالخصوص فى جينياتنا المصرية أكثر من معظم شعوب العالم ! الكل يعلم أن المصريين ليسوا عربا وليسوا مسلمين ، لكنه لا يعرف كيف يوصف

إسلامهم ؛ إنه ببساطة الإسلام الإيزيسى البرئ والخالص لوجه السماء . منذ الأزل إن أردت أن تعرف طبيعة شعب ، فلتسأل عن دينه . لو

عاوز تعرف إيه العقيدة أو الدين الحقيقى لأى شعب اذهب لأعماق الريف ، ولو عاوز تعرف أكثر روح مولود أو لحضة صوفية . الأيقونات

القبطية التى تأخذ شكل مستطيل تعلوه نصف دائرة ، هى عينها أقراص كتاب الموتى الرخامية كالتى وجدت فى مقابر الأقصر . حتى الموسيقى

الفرعونية القديمة ستجدها هناك كما هى ، حفظت واستمرت عبر ألحان الكنيسة القبطية ، إلى أن وصلت للكحلوى والنقشبندى والطوخى .

حركة الكهنة والشمامسة والعموم داخل الكنيسة وحول المذبح ... إلخ ، منقولة حرفيا من المعابد القديمة (راجع كتاب الموتى ، إلى بالمناسبة ده

موش اسمه خالص يا بتاع النكد أنت ، إنما ' الخروج فى ضوء النهار ') ؛ المسجد التقليدى ليست به حركة ، لذا يذهب الناس للطرق الصوفية ،

استجابة للإيمان الفطرى الذى يجرى فى دمه !

- لكن ما أعلمه أن أعضاء الطرق الصوفية أو من يذهبون للموالد هم حضيض الثقافة والتعليم إطلاقا .

- بالضبط ! لذا هم من يجب أن تعرف من خلالهم حقيقة معدن الشعب المصرى ، أو ما تسمونه بلغة كيمسنيجر الطبقات الجيولوجية

للشعب ، أو بلغتك أنت الأعماق الجينية أو الجيولوجيا الجينية . سبق وقلت لك الدين موش بنية فوقية . الفلكلور كله -موش حتى الدين

بس- حاجات فى الجينيات وبنية تحتية جدا مادية جدا . ما فيش غير كلام ' المثأفين ' إلى زيك هو إلى بنية فوقية . تعال عندنا القناطر واسأل

أية فلاحه أو فلاح إيه أقدس شىء عنده ؛ ما الشىء الذى يشعر بقوة رهيبة إذا تمسح به ؛ ما الشىء الذى يمكن أن يشفى لها ابنها أو يحل له

مشكلته المستعصية ؟ أى ضريح لولى هو شىء مقدس ، أية أيقونة مسيحية هى شىء مقدس ، يستوى فى هذا المسيحي والمسلم ، وحتى المسلمة

التي ألبسوها القرف المسمى الحجاب الإسلامى . هنا أقدس الأشياء على وجه الإطلاق هو صورة السيدة العذراء التى تستغنى الريفية عن زيارة

أمها ولا تستغنى عن زيارتها ؛ تلك العذراء لا يعلوها أحد عند المصريين ، وشخصيا حاولت أن أعرف لماذا وفشلت (من الجائر لأنهم يرونها

الأطهر من الباقين ، أو ربما فقط لأنها الأقدم والأقدم أنقى وأفضل ، أو مجرد أنها امرأة مثل إيزيس ، أو ربما بما أنها الست إلى وقع ربنا فى غرامها

وتزوجها ، فبالتالى لا يمكن أن يرفض لها طلبا ، أو ربما لأن الدين الشعبى المصرى القديم كان لإلهات وليس لآلهة ، وشعبية إيزيس ، أو أكثر منها

إلهة الجمال تحتور ، هي أشد المعابد ازدحاما بعموم الشعب إطلاقا . جازيز بيحبوا الجمال ، بيحبوا النسوان ، ما أعرفش ، جازيز روميو يفيدنا أكثر ؟) . هذا الإيمان هو ما يجرى في الدماء المصرية ، ولا تقوى عليه أية جبينات دخيلة . إن تجريد الإله كفكرة وجعله غير ملموس وساكننا للسماء ، لا تزال فوق عقل أغلب المصريين . الديانة المصرية شيء لا نظير له في أى مكان . نعم ، هي خليط عجيب من ثالوثها المقدس الخاص ، ليست وثنية ترتبط بمجرد شفاعات ومطالب ورعاية ، إنما مزوجة بحب صوفي عميق للوثن يصعب جدا تفسيره !

ويتدخل ونس مجددا : ' أنا أؤيد واعترض ! أؤيد مقولة ' يا عزيزي كلنا وثنيون ! ' هذه ؛ هذا صحيح جدا ، هناك من يعبد مُجَّد ، وهناك من يعبد سيف مُجَّد ، وهناك من يعبد ذكر مُجَّد ، لكن أكثرنا يعبد شيخ الجامع الفلاني أو الداعية التليفزيوني العلاني . في المقابل ، طول عمرى بأغلطك في حاجة أساسية يا حاج : أنك فاكرك أنك كمصري ممكن تطلع من الإسلام بمذاهب صوفية . ده زى الرهان على سهم غلط في البورصة ، أو -ولا مؤاخذة!- زى إللى بيشم في طيز القرد . كل ده فشل ، والنصوص والسنة كانوا أقوى بكثير دائما ، وعلشان كده إللى بيسموه التنصير شغال على ودنه دلوقت ، لأنها ما تفرقش : الصوفي زى المرتد ، وكلهم اتقتلوا في التاريخ الإسلامى . أهل السنة لا يهمهم ما في القلوب ، ولا يهمهم الإيمان نفسه في شيء . كل الفتاوى الآن تقول لا بأس بأن تترك الإسلام للنصرانية طالما ستحتفظ بالأمر سرا في قلبك ، لكن المجاهرة بشيء كهذا خط أحمر لأنها ببساطة تقويض لأصل الفكرة ؛ لكل خطط إقامة دولة وغزو بقية الدول ' .

- مضبوط وموش مضبوط ! مع احترامى ليسوع الذى حوله أتباعه لمسيح وأهدروا رسالته الصوفية ، فهو فرد ، ولا زلت أرى أن أكبر عدد من الصوفيين في تاريخ المنطقة جاءوا من خلفية إسلامية ؛ لكن الفكرة ليست هنا ، إنما في أن هناك فارقا مهما بين المصريين والعرب . المصريون أوثانهم روحية لحد كبير ، لكن العرب يجب أن تكون أوثانهم أكثر تجسيدا ، شخص نبي ميت على الأقل ، وهذا هو السقف الأقصى للتجريد الممكن لدى العقل العربى . إله التوحيد الإسلامى يقع للوهلة الأولى على الأذن كشيء تجريدى ، لكن حين تتأمل فيه قليلا تجده متجسدا أكثر مما ينبغى ؛ متجسدا في أشياء ملموسة جدا بدءا من انتقامه وعذابات قبره حتى جنته وحورياته .

- لقد اتفقنا أنه ليس روحا كإلهى اليهودية والمسيحية ، وليس موجودا في كل مكان إنما -حسب إجماع الصحابة والتابعين والمفسرين والفقهاء- موجود في السماء فقط بمبيئة جسدية محددة محدودة معلومة ومرئية في حيز مكانى محدد محدود معلوم ومرئى ، هو موقع العرش العظيم وليس مكان آخر قط ، بل إنه لا يتحرك قط -وهذا ليس كلامى إنما كلام أحنك وأرفع لاهوتى الإسلام- ذلك لأن الحركة جارحة ، والجارحة تغير ، وهو منزو عن التغير ، لأن التغير يحتمل أفضل ومفضل (كسماء عليا وأخرى دنيا مثلا ، أو فوق العرش أو دونه) . ما يسع السموات والأرض هو علمه ، وهى بدورها ليست خصيصة ميتافيزيائية أو فانتازية جدا كما قد تبدو للوهلة الأولى ، إنما هى بفضل شبكة ملائكته ووكلائه وشياطينه وغفارتيه وجواسيسه الواقفة على أكتاف كل بنى آدم ... إلخ ، وهى كما تعلم أشياء مجسدة جدا وشبه مادية في حياة المسلم اليومية . نعم ، هيئة الكون مختلفة تماما في عقل الإنسان العربى عن عقل بقية البشر .

- صحيح ، لكن فاتك شيء ، أقصد فات هؤلاء الأحنك والأرفع : هل حين تغيرت القبلة كان قد تغير مكان العرش أيضا ؟ وأين الأفضل والمفضل هنا ؟ طبعا دع جانبنا المهرطقات من قبيل دوران الأرض حول محورها أو دوراتها حول الشمس ، إلى آخر هذه الخرافات ، ذلك حتى لا نصيب إله العرب بالدوار . نعم ، لا يمكن لأحد أن ينكر أن الإسلام وحده هو من أتى بالتوحيد المطلق ، توحيد كل الأصنام في صنم واحد ، لكن تظل هناك مشكلة : المكان الذى اضطر أن يضع فيه هذا الصنم ! بما أن هذه الشعوب لا تقوى على التجريد ، فإنها دائما ما تعبد إلهها قريبا ، لذا الأفضل إطلاقا أن يكون الوثن شخصا حيا ، كشيخ القبيلة أو صدام حسين أو الخومينى وهكذا ، شفيعا نصيرا champion مجسدا . إن قدراتها العقلية محدودة ونبههم -لا أكثر ولا أقل : هو كبيرهم ! عمر قال ما فيش زواج متعة ، وعمر ده كبير وما حدش يقدر يفتح [بتشديد التاء] عينه فيه ، يبقى ' ما فيش زواج متعة ' هو كلام ربنا ، والإله الآخر لا شيء . مع مثل هؤلاء الطغاة تكون العبادة في أعلى مستوياتها ، لأن كل منهم إله يعرفونه برؤية العين ، أقرب لهم من الأنبياء السابقين ، يثقون فيه وينامون متكئين على قدرته الخارقة . لطالما شخصيا جاءنى إحساس أن محاولات إدخال الإسلام الوهابيلمصر منذ السبعينيات ، يمكن أن تؤدى لاجتثاث الإسلام برمته من التربة المصرية .

ويتدخل ونس مرة أخرى : ' صح ! هم أصلا قابلين أبو حنيفة بالعافية ، فتجيب لهم ابن حنبل ! ها ! ها ! ' .

- أنا لا أعرف إذا كان كل هؤلاء الأنبياء كذبة أم لا ، لكن أعرف أن هناك إلهًا تريد الناس التواصل معه . إحنا شطار نقول الشركات تنشأ لتلبية حاجيات اجتماعية ، ونسى أن الأديان كذلك ، فما الذى كان سيلبيه دين التخلف الصحراوى للمصريين ؟ لو احتاجوا الانحلال فلن

يرضوا بقشرة دينية مزيفة له ، فليس من عادتهم الكذب على أنفسهم أو تسمية الأشياء بعكسها . لو احتاجوا ديناً مؤسساً عريقاً محترماً متماسكاً الأركان فهناك الكاثوليكية . لو احتاجوا ديناً متماشياً مع العصر فهناك البروتستانتية . لو أرادوا الروحانيات فهناك الديانة المصرية الشعبية بصولاتها الأرثوذكسية أو حضراتها الصوفية . لو أرادوا صلة حميمة مع الله فالمؤكد أن دين عذاب القبر وال ١٧ ركعة يومياً هو آخر من يصلح لهذا . لو أرادوا أى شيء (فقط باستثناء النهب والسلب) ، فهناك من كان سيقدمه لهم أفضل من الإسلام . ثم أنهم في كل الأحوال لا يحبون القهر فكيف يقبلون ديناً يقول الجزية والفتح وملكات اليمين ؟ ! أقل الأسباب جميعاً في كل هذا أن الجيائنات المصرية -رجالاً ونساء- ترفض تعدد الزوجات ، ويضرب بها المثل في كل بلاد الإسلام . إن مجرد تخيير المصريين بين الموالد أو شم النسيم وبين الإسلام لن يكون في صالح الأخير ، لأن الأولى في جيئناهم ، وهذا لا . نفس الكلام يسرى على الإخوان ، وعلى كل هؤلاء أن يفهموا أنهم استدعوا للقضاء على الشيوعية لا أكثر ولا أقل ، وأن دلوقت Mission Accomplished! خلاص المولد انفض وبيتك بيتك يا كتكوت ، ولو السادات ومُحمَّد عثمان إسماعيل -إلى بيعتروا عباقرة لأنهم جابوكم علشان تضربوا الشيوعية وتقضوا على أخطر إمبراطورية شر في التاريخ- موجودين النهارده ، كانوا جابوا زكريا بطرس على القناة الأولى كل ليلة علشان يقضى عليكم . الإسلاميون لن ينتصروا أبداً ، وسيكونون السبب في مزيد من التمسك عندنا بالصوفية التي يسمونها البدع ، إن لم يكن الارتداد للمسيحية ، إن لم يكن إجبار دول العالم واحدة تلو الأخرى على تحريم الإسلام . فطرة المصريين تفهم الدين شيئاً خالصاً للتقوى والعبادة والنسك . وجود أهداف بيزنسية أو سياسية يلوث في نظرهم الدين الذي يجب يكون فردياً وخالصاً لوجه الله هذا الذي يتمسح به أولئك . بقول آخر : جزء أساس من العقيدة المصرية سبقوا إليه يسوع الناصري بألفيات كاملة أن ' اعط ما لقيصر لقيصر ' و' مملكتي ليست من هذا العالم ' .



بإجماع الفقهاء ، المسلم يستطيع أن يفسد الأرض كلها دون أن يفسد هذا صومه ،

أو باختصار : الجريمة الوحيدة التي تستوجب الحد في الإسلام هي الصدق !

- ألم تسأل نفسك ذات مرة يا وحيد لماذا لم تكن مصر يوماً عاصمة للخلافة الإسلامية ، رغم أنها المركز الديموقراطي للدولة الإسلامية ، والأهم أنها مركز الثروة أيضاً ؟ ألم تسأل نفسك لماذا حتى لم يضعوا على رأسها واليا مصرياً ولو ليوم واحد طيلة ١٤٠٠ سنة ؟ لماذا حين جعلوا مكة والمدينة في غمضة عين -رغم كل جلالهما وقديسيتهما- مجرد منافي ترسل إليها عائشة للإقامة الجبرية حتى الموت بعد هزيمتها في موقعة الجمل ، اختاروا دمشق وبغداد عواصم لهم وليس منف أو الفسطاط ؟ قد ترد على وتقول الأمويين كانوا زنادقة ، والعباسيين لم يعرفوا سوى الخمر والنساء والغلمان ، ومصر أولى بالخلافة لأنها متدينة ، أجيبك فأقول لك : بالضبط ! هذه هي المشكلة : أنها متدينة ! هذا يشبه عندي سؤالاً آخر : ألم يكن المجتمع المسلم سيصبح أفضل لو ترك مُحمَّد له المرأة الغامدية الزانية التوبة الطهور -ومثلها ماعز زاني المرد والمكحلة- دونما رجم ؟ ... بالضبط ! هذه هي المشكلة : أنهم متدينون ! كان لا بد من جعلهم عبرة لمن لا يستطيع التمييز بين الظاهر والباطن . ليس المطلوب التطوع بالقداسة والعفاف ؛ إنما مضران ومطلوب الفسق والفجور لأنها أساسية لاستمرار العشيرة البيولوجية ، تماماً كما أن مظهر التدين مطلوب لذات الغرض . من لا يملك مهارة الكذب هم خطر على المعادلة البيولوجية العربية القائمة على المخادعة لاختراق أسوار مدن الحضارات . لقد وجدوا كل تلك الشعوب في الهلال القحيل وغيره شديدة العنف بدوية رعوية الطباع كثيراً مثلهم (رغم مرور أنهار متعددة بها) ، ذلك أنهم ببساطة أصل العرب ، أما المصريون فأناس ذوو طباع مختلفة بالكامل : متدينون بجد ، وما كارثة أدهى من هذه ! بينما يرمج مُحمَّد الغامدية وماعز رغم توبتهما ، يعفى يسوع المجدليلة من الرجم رغم أنها لم تكن نادمة على شيء ، ثم يذهب لوحده لخطبتها في السامرة ويجعلها ذراعاً الأيمن في دعوته . ارو قصة الصفح عن فاجرة علنية هذه ، لأعرابى وسوف تراه قد قفز هلعاً لفعلت يسوع الخرقاء والانتحارية جيئنيا من وجهة نظره (ذهاب يسوع للسامرة دون أتباعه تصرف غير مالوف واستثنائي للغاية منه ، يثبت أن المجدليلة هي عينها المرأة السامرية وعينها زانية الرجم وعينها ماسحة الرجلين بالطيب ، إن لم يكن بخلاف الرابعة مجهلة الاسم ' الأم ' شاهدة الصلب ، كل هذا لأن كل هؤلاء الخمس هن ببساطة زوجة الرئيس السرية وحاملة نسله المهتد بالفناء في تلك البركة الجيئنية العدائية الخطرة !) .

- على الأقل احتفظا بعلاقتهما سرا ، بإجماع الفقهاء ، المسلم يستطيع أن يفسد الأرض كلها دون أن يفسد هذا صومه ، أو باختصار :

الجريمة الوحيدة التي تستوجب الحد في الإسلام هي الصدق ! ألا يشبه هذا تفكير العرب ككل ؟

- بس مين قال العرب ضد الأسوار على طول الخط ، ما سمعتش عن سور الكرهان الكريه ؟ لا تملك مدنا تبني حولها أسوار ، ابني حول ما تملك ، الكلام !



إن المعارك التي تصدى بها الأقباط للعرب محدودة ورمزية ،

مع ذلك الجميع -من خلفاء بنى أمية أبناء العاهرات حتى شيخ الإسلام ابن تيمية- يصنفون مصر بأنها بلد أخذت قسرا ، لأنهم يفهمون أن ليس بالمعارك وحدها يقاس العصيان .

بذلك هو يلخص قرونا طويلة لم يحدث خلالها أن اعتبر خليفة واحد مصر بلدا مسلما إسلاما حقيقيا يرتكن إليه أبدا !

- ربما ، الظاهر والباطن عند أعرابي الصحراء أمر أعمق من الدين والأخلاق ؛ الخداع سلوك يومي شديد الحيوية ويستخدمه في كل شيء ، لأنه مرتبط بالحصول اليومي على لقمة العيش . هل تعرف أصلا معنى كلمة مصر ؟ سيبك من حكاية مصراييل وهبل اليهود إياه ؛ عربيا كلمة مصر كلمة سيئة المدلول وعدائية بالمثل . إنما المكان الذى له حدود ، والبدو يكرهون كل ما هو أمصار أو له أسوار . بالمثل ، الكلمة تعنى إيجاثيا الجيران الغامضين ، وهو وصف لم يقلوه عن الروم أو فارس أو أى أحد . منذ الوهلة الأولى بدت مصر للفطرة الهجامية للعرب كشيء مختلف جدا ، مهما اجتاحتها فستظل فى نظرهم هى هذا الحصن المنيع جدا ، ومن ثم أسموها ذلك الاسم الغريب جدا (وهذا راسخ حتى اليوم فى عقولهم الباطنة بدليل أن الفلسطينيين ينسحبون تلقائيا بعد كل اجتياح منهم لسيناء ، مجرد سيناء) . إن المعارك التي تصدى بها الأقباط للعرب محدودة ورمزية ، مع ذلك الجميع -من خلفاء بنى أمية أبناء العاهرات حتى شيخ الإسلام ابن تيمية- يصنفون مصر بأنها بلد أخذت قسرا ، لأنهم يفهمون أن ليس بالمعارك وحدها يقاس العصيان . بذلك هو يلخص قرونا طويلة لم يحدث خلالها أن اعتبر خليفة واحد مصر بلدا مسلما إسلاما حقيقيا يرتكن إليه أبدا ! فى الكرهان مصر فرعونية كافرة ، وفى كلام النبي كل حديث نبوى قال خيرا عن مصر أو أنها خير جند الأرض أو ... أو ... إلى آخر هذا الهراء ، باطل مكذوب وهذه من البديهييات التي يعرفها كل دارس للحديث ، وعلى أخينا ونس أن يرسلها لعلماء الفلكلور ليعرفوا أحلام يقظة من بالضبط هى . إنه شيء معنوى أساسا ؛ إنه هاجس ربما ورثوه بالعقل الباطن عن اليهود ، مصر أرض السحر والغموض وأهلها سيقضون عليك ليس بالسيف ، إنما بأسحارهم وتعاويذهم . لقد أدركوا فوراً أن مصر هى التى ستستوعب الإسلام وتحوله لشيء آخر ، وليس هو الذى سيبتلعها ، ولو ولوا عليها مصريا لاستقل بها وربما أيضا عاد هو نفسه للمسيحية ، فحرصوا دوما على جعلها من بلاد الهامش . المصريون لا يجيدون سفك الدماء ، وبدون أثمار دماء ، الإسلام لا يعود إسلاما ولا يعود نظاما ناجحا للحكم ، حلو الكلام كده يا ونس ؟ (ثم يعود لوحيد ضاحكا وقد تذكر شيئا :) بالمناسبة ، ما رأيكم كعلمانيين فى بتولية العذراء مريم ؟

- الأمر واضح ولا يحتاج لرأى . من المؤكد أنها ليست ربة الطهر والعفاف . واقعيها هى مجرد فتاة يهودية صغيرة غير متعلمة ، ومعلوماتها محدودة كثيرا عن كيف تتعاطى مع خطيئها وتتفادى الحمل فى نفس الوقت !

- مولد العذراء الجاى بيحضره ٦ مليون ، ممكن تيجى وتقول لهم الكلام ده بنفسك !

ويغنى ونس : ' الليلة الكبيرة يا عمى ، والعالم كثيرة ! ' .



أخيرا وجدت أن البوذية هى أعظم الأديان جميعا !

يسترخى الجميع على مقاعدهم ، وتسود من جديد لحظات طويلة من الصمت ، يقطعها أخيرا زهري أكثر الجميع شرودا بتمتمات خفيفة الصوت : ' لا أعتقد أن مصر يمكن أن تعود ثانية لإسلامها المتسامح الطيب الذى تعودته لقرون . هذا لم يكن إسلاما إنما سرقة منها لكلمة الإسلام ووضعها على دينها الخاص ، ولا بد أن تسمى الأشياء بمسمياتها يوما . بعد كل هذا الانفتاح الإعلامى ، والتعرف الهائل على الإسلام السلفى من جهة وعلى المسيحية من جهة أخرى (الفريقان الرئيسان اللذان يعبران بصدق عن عقيدتهما ، ولا يخفيانها كالإخوان) ، أصبح على مصر إما أن تختار المسيحية أو أن تعود لعقيدتها القديمة الأصلية ، وإما ربما طبعاً أن تختار نسختها الخاصة جدا من العلمانية . الزلازل الذى جرى للإسلام لا بد وأن يمس الطرق الصوفية ، إما ستكتمش شيئا فشيئا مع زيادة التعليم والوعى ، وإما ستخف المفردات الإسلامية تدريجيا من خطابها ، لكن فى كل الأحوال الإسلام المصرى كما عرفناه ، قد انتهى للأبد ! ' .

ثم فجأة يندر زهرى إدوارد بسؤال مباغت : ' أنت تشغل في السمسة ، هل تعرف ما معنى هذه الكلمة ؟ ' .

- (باستغراب :) ماذا تقصد ؟ السمسة هي السمسة ، الوساطة بين ...

- السمسة كلمة هندية معناها حلول الروح في كائن آخر بعد الموت . إنها أحد أركان العقيدة الهندوسية . (ملاحظا أن الجميع انضموا يشاركون إدوارد استغرابه :) هذا سخف ! لقد عكفت طيلة الشهور الماضية على دراسة ديانات الشرق ، الهندوسية والطاوية والكونفوشيوسية حتى الشتوية ديانة ذوى الدم الإمبراطورى اليابانيين .

ونس ساخرا : ' ها ! الزوجة تبعث لزوجها والخور العين والولدان المخلدون وأثمار الخمر واللبن والعسل وبول البعير ، أليست هذه سمسة أيضا ؟ ! ' .

روميو جادا : ' وماذا اكتشفت يا حاج ؟ ' .

- أخيرا وجدت أن البوذية هي أعظم الأديان جميعا !

يصيحون بنفس واحد : ' البوذية هي الحل ! ' .

- إذن أخيرا عثرت على الحقيقة ؟

- (بحدوء وسلام شديدين :) نعم يا روميو ، الحقيقة التي تؤمن بها البوذية هي أن لا وجود لحقيقة في متناول اليد . عندما تسأل بم تنباهون في تاريخ بين النهرين يقولون لك حامورابى اخترع القوانين . في الواقع ليس في هذا ما يثير التباهى ، لأن السبب هو أن شعوب غرب آسيا المسماة الساموية هي أخط وأجرم شعوب الأرض فقد احتاجت لشرعية حامورابى وشرعية موسى وشرعية محمد ؛ الدين عندهم قانون عقوبات والإله -God the-Cop . لو لم يكن إله موسى يحقق انتصارات حربية للقبيلة لما اتبعه يهودى واحد ، ولو لم يكن إله محمد منتقما جبارا متكبرا مذلا قهارا مكارا غدارا كذابا كيدا ظالما مضلا فاسقا سفاحا مجرما سافلا واطيا وغدا وأكثر شيطانية من أى شيطان سبق للناس تخيله ، لما خاف منه عربى واحد والتفت لمن يتكلمون عنه . بينما في ذات كل هذا الوقت -وربما قبله- كانت بقية شعوب الحضرة الحقيقي تفكر في أشياء من قبيل الغاية من الوجود وسر الحياة والروح وكيفية الوصول للإله . اليسوعية الغنوصية كانت بالقطع أعظم ' طريق ' للرب في حينها ، وكانت فكرا عبقريا بالتأكيد ، لكن پولس ويوحنا اغتالوها وقتلوها في مهدها وحولوها لدين وعقيدة وطقوس وبعد قليل تحولت منطقيا وتلقائيا لسلطة . أنا لم أرتح بالكامل يوما لديانات التوحيد ، الديانات المتجلاة revealed الثلاثة ، ولم تعجبني فكرة الإله الذى يرسل لنا بالإجابات من خلال كلمات مباشرة واضحة -ولا أقول ساذجة- على لسان أشخاص بعينهم . حتى المسيحية أكثر الثلاث صوفية ، بالذات في نسختها الأصلية ، اخترعها الأتباع في حل أبسط من أن يعقل : بمجرد أن وجدوا شخصا يمثل ورعه ، أعلنوا بتسرع أهوج أن ملف التحقيق قد أغلق : هذا الممسوح من كل الأوزار هو المسيح المنتظر ؛ يسوع هو إله السماء شخصا ، وتوتة توتة فرغت الحدوتة ! بصراحة ، أنا أفهم أن اليسوعية-المجدلية الغنوصية الأصلية يمكن أن تستوعب أن يسوع هو المسيح بالمعنى المجازى للكلمة ، ذلك لأننا لو اتبعنا أفكاره -أى يسوع- المثالية الروحانية فلن نكون في حاجة لانتظار مسيح أصلا لأننا صرنا بالفعل كلنا أبناء الرب ، بل كل منا الرب نفسه ، وهى الفكرة القاعدية لكل صوفية لاحقة لدى جميع الشعوب ، لكنى مع ذلك أحترم عقلية اليهود الذين رفضوا قبول أن بمجرد طرقة إصبع من هذا النوع ، أصبح يسوع نهاية التاريخ ، قد غفرت كل الخطايا تجلى كل المستور وأجيب كل الأسئلة . أنا يعجبني هذا الرفض في حد ذاته ، لأن الأسئلة الكبرى لا يجاب عليها إجابات بسيطة . (مشيرا لوحيد :) نعم أعلم أنهم كذبوا كل الأنبياء بمن فيهم موسى ، وفترات إيمانهم بالإله الخفى هي الاستثناء ، وأعلم أن وحيد يحترم فيهم علمانيتهم وحضارتهم التقنية الحالية لكن ربما ليس السبب فقط الاختلاط الجيني مع أهل بلاد الشمال أو البيئة الباردة اللتين يراهما قد صنعتا عرق الأشكيناز ، وأدقق له أن العلمانية لديهم أكثر قدما وتجزرا وديمومة وأيضا جينية . (ثم يعود لسياقه الأصلي :) المعابد البوذية تقع فوق الجبال ، ويجب أن تعانى حتى تصل إليها للتعب . الشيء العادى أن تعيش وتموت دون أن تعرف الإله أو الروح ، النادر هو تلك القلة التى تغلج في الصلاة إليه ، تحرير روحها من أسر الجسد ، وهذا هو البوذا ، ومعناها المستنير ، أى من وصل لمرحلة الاستنارة . إنما حتى لا تقول إن قمع الجسد يحرق الروح ، بل الواقع أن بوذا نفسه نهي عن هذا ، تخيلوا ؟ ! الإله أو الآلهة التى يتصورونها البوذيون آلهة رفيعة عزيزة ، ليست لزجة تقصفنا طوال الوقت بالوحى والأنبياء والتعليمات ، وتذهب معنا حتى لدورات المياه . الإله الذى يرسل رسلا ومبعوثين عنه طوال الوقت إله ' ثبيل ' سخيף رزل ، ولا يمكن أن يكون إلها !

يسخر ونس : ' قل ولا تقل : لا تقل رسول الله ، قل رزول الله ! ' . وأيضا تعلق منى ضاحكة رغم هيبه الموقف : ' حقن راكبة جوه حنفيات يعنى ؟ ! ' .

وبجاريهما والدها المرح : ' بنقول العرب هم الجهل الجيبنى : يقولون ليس المهم الأرض ، المهم البذرة . بماذا تسمون اليهود الذين ينسبون الطفل لأمه ، ويقولون ليس المهم البذرة ، المهم الأرض ؟ ' . ' الجهل الجيبنى الآخر ! ها ! ها ! ' . ' ولماذا لا تقولون ذكاء اكتساب الجيبنات الممتازة ؟ ها ! ها ! ' .



تتحدثون كثيرا عن جنة عدن وجنة القناطر والجنة السماوية وجنات المستقبل البيوتوي وغيرها وغيرها ،

لكن الواقع أن هذه الأرض لم ولن تعرف سوى جنة واحدة فقط لا غير : مصر القديمة ؛

أرض الوفرة والخير والحب والسلام ، التي لم ينغصها عليهم شيء بما في هذا حتى غزوات إبليس الصحراء من حين لآخر !

ويعود روميو مواصلا سخريته : ' إحنا مالنا ومال أديان التوحيد ! النهارده يوم سيدخل التاريخ : الحاج زهرى المصرى اكتشف أن إيزيس موش الألف والياء ولا الفجر والعشاء ، ولا حتى أعظم الأديان ! هل معنى كده أنى ممكن أنام مع إيزيس دى من غير ما تزعل يا حاج ؟ ما تنساش أنا وهى أصحاب قدامى من أيام السياحة ، بس كنت بأتدلع عليها واقول لها صواب حتحور أحلى ! ' .

- تتحدثون كثيرا عن جنة عدن وجنة القناطر والجنة السماوية وجنات المستقبل البيوتوي وغيرها وغيرها ، لكن الواقع أن هذه الأرض لم ولن تعرف سوى جنة واحدة فقط لا غير : مصر القديمة ؛ أرض الوفرة والخير والحب والسلام ، التي لم ينغصها عليهم شيء بما في هذا حتى غزوات إبليس الصحراء من حين لآخر ! كان من الممكن أن تقول لقد خرجنا من الجنة وانتهى الأمر ، لكنك لن تمنع كل الناس من مواصلة البحث الأبدى عن الفردوس المفقود . الجهلة الحاليون يعتقدون أن المصريين كانوا يعبدون تلك الآلهة الشهيرة بنفس مفهوم العبادة الساموى أى الإله فتوة القبيلة وناصرها ، يدافع عنها مقابل رفع مؤخراتهم سجودا وطاعة له . إنهم -المصريون- لم يكونوا حتى يهتمون بتلك الآلهة من الطبيعة ، بمعنى خوفهم هم من نقمات الطبيعة . الحقيقة أن دور تلك آلهة كان حفظ النظام والاستقرار والتناغم والانسجام والهدوء والسلام ، فى الكون والطبيعة وبين الناس وداخل الإنسان نفسه . مصر هى أصل فكرة وحدة الوجود القائمة حتى الآن فى ديانات الشرق ، وما عبده المصريون ليس هذا الإله أو ذاك ، إنما ذلك التناغم والتوازن والانسجام فى الكون والكائنات . تأليه الفراعنة جاء من هنا ، تأليه مستحق بفضل قدرتهم على حفظ الأمن والنظام ، وليس لخوف الناس منهم ، أو لاستبدادهم هم أو تعاليمهم . كلنا نقول ست إله الشر أو إله الصحراء والصحراويين ، الحقيقة أنه أكثر تحديدا من هذا : هو حرفيا إله الفوضى -إله الاضطراب أو الإخلال بالنظام . حتى الجهلة الحاليون يفسرون الإلهة معت أو مفهوم المعت بأنه العدالة . أيضا العدالة هاجس صحراوى نتيجة الحقد على ما تحققة الأمم الأخرى من ثروات ورفاهة عيش ، إنما معت تعنى حرفيا الهارمونى . نعم ، لا تعنى حتى مجرد الحقيقة كما قد يقول البعض ، إنما تناغم كل الحقائق معا ! يا روميو ، إيزيس هى الديانة الأعظم بكل المقاييس ، المشكلة أن مصر القديمة كان يؤرقها سؤال واحد هو الخلود ، إلا أن هذا لم يعد اليوم هاجسا يذكر للإنسان المعاصر . لقد جعل الطب الحديث متوسط أعمارنا أربعة أو خمسة أضعاف أعمارهم ، والأرجح أن أحدا لا يهتم بالخلود وقد عاش مائة سنة أو أكثر . أيضا الهندسة الجيبنية تتيح لك أو لجد جدك التناسخ لو أنت تعرف مكان قبره ، أو كنت تحتفظ بشجرة أو ظفر منه لو كنت مثلا قد حرقت جثمانه .

- (يعلق روميو ببعض الجدلية هذه المرة :) وحدة الوجود ! إيه الخلاوة دى يا حاج ! فعلا أنا أعرف أن الآلهة فى مصر القديمة ليست قوى خارجية مستقلة عن الإنسان ، إنما الإلهية تنبع من داخل الإنسان من خلال تقربه فتوحده مع الآلهة ، نيرفانا يعنى ، طالما الحاج بيكلمنا بالبوذى . يعنى يا إدوارد أنتم أخذتم معت وسميتها الروح القدس . ها ! ها ! بالمثل ، الشفاعة يجب أن تفهم بهذا المعنى ، وليست بمعنى التواكل بتاع الموالد الحالية . حتى الخلود نفسه يا حاج لم يكن رعب من الموت كما يقول الجهلة إالى بنقول عليهم . أنا قرأت نظريات كثيرة فيه . أحيانا يفسر كما تقول كفلسفة وحدة الوجود والتواصل مع الآلهة أو مع أرواح الأجداد ، حيث يعتقد أن هذه الأرواح لا تزال حية وداعمة لحياة الأبناء والأحفاد الأحياء ، وأحيانا يفسر كمجرد معيار مجتمعى -أى غير دينى أصلا- لشفرة القيم ، وأحيانا كمجرد رمزية عامة تعبر عن حب المصريين للحياة الدنيا ، أو أحيانا كمجرد الخلود فى ذاكرة التاريخ -أى نحن ، بل وأتى على مصر بعض الوقت وكفرت به صراحة باعتباره خرافة (كأغنية هارپ فى قبر أنيوتيف مؤسس الأسرة الحادية عشرة وابن منحتب الأول مدشن كل المملكة الوسيطة ، تنعى ضياع قبر الأب رغم عظمتة ، ومنه

تشكك في المبدأ نفسه) ، وأنت طبعاً سيد العارفين يا حاج ! (يصمت قليلاً ثم يعود للسخرية :) بس أنا عندي سؤال يا إدوارد ، أنتم بتقولوا الملكوت هو التمتع بوجود الرب ، هل معنى كده أن ربنا موش ها يكون موجود عندنا في النار ؟ يا نهار أسود ! فيه حته ربنا موش موجود فيها ؟ ! طبعاً مستحيل بناء على تعريف الرب الأهل بتاعكم . إذن بما أنه موجود في النار ، فهو مجبر على قبول توبتي ساعتها ! ها ! ها ! - لا تفهم أني حين أتكلم عن البوذية أني أقول إن عقيدة مصر ماتت فينا كمصريين . قطعاً لم يستطع أحد من الديانات الوافدة -ديانات التوحيد الحقيق- قتلها ، لكن للأسف نجحوا على الأقل في تجميدها . أما معظم أديان الشرق -بنات إيزيس- فقد راحت تتطور وتنمو في رحلة البحث . لم تتحجر قط كأديان جامدة بالمعنى المعروف في الشرق الأوسط ؛ كلها يقبل اعتناقك لأي دين آخر من الباطن ، لأنها ببساطة عملية بحث عن الإله (النيرفانا ، الفردوس ، سمه ما شئت) ، هذا الذي لا تجزم أصلاً بوجوده من عدمه ، أو بتعدد من وحدانيته ... إلخ ؛ لذا البوذية هي الأرقى تماماً الآن ، لأنها صارت الفن الأمثل لطرح الأسئلة . إنها أبرع الجميع في هذا : إحالة كل شيء لتساؤلات ، وكلما اقتربت من الإجابة ، جعلتك تسخر من نفسك لأنك ساعتها ستجد نفسك تطرح المزيد من التساؤلات . البوذية واصلت دونما عن كل الأديان رحلة التأمل والنضج والعمق ، بما يجعلها الدين المناسب تماماً للعصر الحالي . إنها لا تجزم حتى بخلود الروح التي تتسمسر ، بل يميلون لأنها روح متغير طوال الوقت ، ويشبهونها بالنار التي تختلف محتوياتها في كل لحظة عن الأخرى ، مع ذلك تبدو مستمرة متواصلة . لا شيء دائم ، والكل متغير ، أليست هذه فكرة حداثية للغاية سبقوا إليها عصر ' صدمة المستقبل ' بآلاف السنين ؟

- (يعود روميو للسخرية :) بس الصوفية العالية أوى دى يا حاج ، ما ينفعش تيجي بالعقل إلی أنت مشغله على طول ده . النيرفانا محتاجة حاجات ثانية خالص ما لكش فيها : عاوزه مثلاً قعدات يوجا بالأيام ، وكمان -وأنت سيد العارفين بمشاهير الصوفية حتى المسلمين منهم- عاوزه والعياذ بالله المسكر ، زى إلی قدامنا ده وإلی أنت ما بترضاش تشرب منه أبداً . يا حاج أنت بتدور على روحانيات ، والأديان موش ها توصلك إلی إلی أنت عاوزه . رأي تروح تجرب الحشيش أحسن ، صدقي ها يطلعك سما الروحانيات نفسها . ها تقول لى الخمر والحشيش نيرفانا مزيفة ، أقول لك دى أحسن بضاعة موجودة ، ومن غيرها موش ها توصل لأي حاجة . أقول لك حاجة وما تزعلش من أخوك الصغير يا حاج ؟ أنا رأي أنك تروح تكشف أحسن ؛ لازم تعرف عدوى جيين البوذية دى جت لك منين ؟ ! ... ولا إيه رأيك يا أستاذ وحيد ؟ موش أنت أثبت من أينستين استحالة وجود إله ؟

- (ضهرى لا يتيح لوحيد فرصة الرد لكن مع ذلك لا يتخلى عن نبرته الهادئة :) غير صحيح . هو أثبت استحالة وجود إله كلى القدرة ، وفعلاً مستحيل إثبات أن الله واحد ، لكن جازي مثلاً أن فيه إله لكل مجرة . هل القناطر أو حتى البيت ده بناه شخص واحد ، فإيه المانع أن يكون كل إله بنى له حته في الكون ! ... هل تعرف أن نظرية الانفجار الكبير أصلها فرعونى ؟ ! الإله أتوم أول الآلهة (إلی سمو الذرة على اسمه) ، بدأ الكون بنقطة صغيرة ثم توسع وتوسع في الخلق . لهذا كانوا يبنون قدس الأقداس في المعابد المصرية حجرة صغيرة جداً متواضعة ومظلمة ، تبدو نقيصاً غريباً لكل بهاء وهيبة المعبد ، رغم أنها أهم مكان فيه !

مع ذلك يستطيع وحيد بالكاد تمرير عبارة واحدة خبيثة : ' إلی أنا شافيه أنك لم تتحول للبوذية ، إنما تحاول إحياء العقيدة المصرية القديمة ! ' .



وكأنها معركة بين دجاجتين نافرتين تتصارعان على أحد الديكة

فجأة -وكأنه لا يريد الاستطراد في هذا الحوار- يدعو ضهرى الجميع لمباراة كرة القدم في الفناء الخلفى : ' بسرعة ، حتى لا يتأخر بنا الوقت على اللعب ! ' . ملعب صغير لكن مجهز بمرميين . روميو يقول ما ليش في الكورة ، فيضع نفسه للمرة الألف هدفاً لتقريع ضهرى وسخريته . الكورة دى لعبة ستات دلوقت . ستات إيه ؟ أنت ما حصلتش حاجة . الستات زى الرجالة . ده يقولوا قريب الفرق ها تبقى مشتركة رجاله وستات . يقول روميو : ' إذا كان كده معلش ! ' ، ' قصدك إيه ؟ ' ، ' قصدى نلعب كلنا رجاله وستات ' . لوهلة فوجئ ضهرى بالاقتراح ، لكن بسرعة أبدى حماساً ، لم يسبقه له إلا حماس سامر للعب مع حبيبته . رضخ ضهرى قائلاً : على الأقل ها تبقى أول مباراة مشتركة في تاريخ القناطر . القناطر إيه ؟ في تاريخ مصر .

بدءوا تشكيل الفريقين . بما أن ضهرى هو ' المحترف ' الوحيد ، فعليه على سبيل التوازن أن يضم ونس الذى لا يستطيع التحرك مطلقا فى فريقه . يوافق بسهولة : ' ها أسد به الجول . ها أعمله جول كيبيير ! ' . تقول إجلال : ' أنا صحتى ما تساعدينش على أكثر من جول كيبيير ' . طبعاً يلقي هذا القول عاصفة من الاحتجاجات بأنها الأكثر شباباً من الجميع . منى أيضاً أكدت ذات الشيء وراحت تقبل أمها . يقبلون اقتراح إجلال على أية حال ، ويضم فريقها وحيداً زائد الثلاثي أسد وعارف ورزق الذين اختاروا أن يلعبوا معاً . وتطلب إجلال أن تكون ألطف فى خط الدفاع أمامها مباشرة وإلى جانبها مينا . روميو وسوسن وإدوارد وسامر وميرفت يشكلون بقية فريق ضهرى وونس . منى ترفض دور الحكم وتصمم على اللعب . تلاحظ أن سماء انسحبت بعيداً وغرقت فى أحاديث مطولة لا يعرف أحد عنها شيئاً مع ماريلين . سحبتهما منى سوياً ، يا تانت ها تلعبى فى فرقة ماما وأنا ها ألعب فى فرقة بابا ، وجدتو هى الحكم . يصفقون جميعاً للاقتراح ، ويقطع ضهرى كل هذا اللغط بصافرة طويلة كانت جاهزة فى جيبيه .

كان الرجال -عدا وحيد- جاهزين بأحذية رياضية ، أما السيدات -عدا ميرفت- فبالكعب العالية . هرعت منى لداخل المنزل ، وأحضرت كل أحذيتها وأحذية أمها الرياضية ، وأحضرت معها نوعاً من السبراى اعتادت استخدامه مع الأحذية ، وعدداً من الجوارب الرياضية . ناسب أحد أحذيتها سماء ، وناسب أحد أحذية أمها ألطف ، وبدت سوسن سعيدة بأن ستلعب حافية على النجيل الأخضر . باستثناء ضهرى بالطبع ، سوسن وألطف كانتا النجمتين . جزئياً بسبب فتنتهما الجسدية الأخاذة التى أبرزها الجرى والحركة أضعافاً مضاعفة . وجزئياً لبسالتهما فى اللعب والمراوغة ، بالذات أكثر من مرة ضد بعضهما البعض ، وكأنها معركة بين دجاجة نافرته تتصارعان على أحد الديكة ، واحدة بتنورة بالغة القصر وأخرى ببنطلون شديد الضيق ، وبأنصاف علوية للأجساد راحت تنطلق بحرية داخل البلوزات الخفيفة مستغلة طراوتها ومرونتها . عامة لا أحد آخر يجيد شيئاً يذكر فى اللعب ، وعلى رأسهم ونس حارس المرمى الذى لا يحرك ساكناً . سامر بدا رياضياً بالفعل ، لكنه كان مهتماً بمتابعة ميرفت أكثر من متابعة الكرة . منى اتضح أنها غير رياضية بالمرة ، وظلت تعد طوال الوقت بأن تغير نظامها الغذائى ، وأن تستغل ما لديها من أحذية رياضية مركونة فى الجرى والتدريب . سماء لم تتميز عنها كثيراً ، لأنها لم تبدل مجهوداً أو بالأحرى بدت مستغربة من الأصل لفكرة أن تمارس لعب الكرة . يظل أفضل من استمتع بالمباراة إطلاقاً ، الكلب مايتى الذهبى الرشيق متوسط الحجم ، الذى جرى وراء الكرة أكثر من أى أحد آخر ، وتارة كاد يتسبب فى تعثر حبيبته المفضلة منى على الأرض ، وتارة ذهب للوقوف بجوار جدتها حين شعر بأنه فعل شيئاً خطأ !

حين أطلقت ماريلين صافرة النهاية ، كان ضهرى قد أحرز ثلاثة أهداف فى إجلال ، تلقت تعنيفاً عليها من فريقها مع اتهام ضمنى بأنها تتساهل مع زوجها . هذا فى مقابل ثلاثة لأسد وعارف ورزق فى ونس ، تلقوا بدورهم كيلاً من الوعيد بالانتقام منهم لدى العودة للشركة وأنه سيحجب عنهم نصائحه الثمينة ، فصارحوه ربما لأول مرة أن لا أحد فى كل رمسيس يأخذ نصائحه على محمل الجد . بعد الصافرة اقترحوا ضربات جزاء ، ثم غرقوا فى خلافات لا نهائية فى احتساب الأهداف ، وهل تحرك الحارس قبل انطلاق الكرة أم لا . وضجرت ماريلين من محاولاتهم تلقينها القاعدة تلو الأخرى طوال الوقت وانسحبت . وانتهت المباراة دون نتيجة محسومة ، وكل فريق يدعى النصر لنفسه ، لكن مع إجماع من الكل ، بمن فيهم سماء ، بأنها كانت متعة حقيقية ، لم يحدث أن مروا بها من قبل .



وأنا ما يهمنيش المجتمع ولا بقشرة بصله

حين تهدأ الأجسام من انفعالات الكرة ، تنبه ماريلين الآخرين أن مايتى اختار الجلوس تحت قدمى وحيد . هذا شيء لم يفعله قط مع ضيف من قبل . طوبى لأنقياء القلب لأنهم يرثون ملكوت الله . أى منهما بالضبط تقصدين بأنقياء القلب ؟ احترسى قليلاً فى أحكامك ! من تتخيلين أنه نقى القلب ربما يكون هو المسيح-الضد شخصياً ! ها ! ها !

بعد قليل ينفرد ضهرى بروميو ويقترح عليه أن ' يلعب ' ألطف ويصلح غلظته ، فيرد على غير عادته بجديّة غير مصطنعة هذه المرة : ' أنا بأعمل لها كل إلى بأقدر عليه ' .

- أنا عارف . أيوه عارف . أنت فاكراً أنها جت بالساهل النهارده ؟ طبعاً كانت رافضة تيجى فى رحلة كلها ناس زيكم . أخذت منى حوار طويل ، وطبعاً حكّت لى كل حاجة . أنا لى نظرة فى الإنسان . ومن أول لحظة حسيت أنها إنسانة طيبة . النهارده اتأكدت لى حاجات كتير فى شعورى ده . أمى استطلعتها وده تقريبا معجزة أنها تعمل كده بسهولة مع أى حد . كمان إجلال واخداها معاها خطوة خطوة فى كل حاجة ،

موش بتعاملها كواحدة ضيفة غريبة من طرفي . الموضوع جازي عاوز تحليل نفسي . الست دى عقلها ضاع لما لقت نفسها حامل . نسيت كل حاجة وطلعت جواها مشاعر الأمومة والكرامة والإحساس بالحرمان . قالت من حقى يكون لى طفل ، وما حسبتش أى حسابات للى ممكن يحصل بعد كده . ما سألتش نفسها حتى أن أى طفل لازم تكون له شهادة ميلاد . اسم أب !

- بص يا عم ضهرى : أنت أخ كبير . أنا ناوى أعمل كده فعلا . بس على الورق . وكمان ها أشارك فى مصاريف تعليم جميلة . علشان أكون صريح معاك ومع نفسى ، أولا أنا ما يفرقش عندى أتجوز واحدة زى أطفاف أو أعيش مع واحد راجل . المجتمع لا ييحترم لا دى ولا دى . وأنا ما يهمنىش المجتمع ولا بقشرة بصلة ، يعنى زى ما عشت سنين مع روبرت ممكن أتجوز أطفاف وأعيش معاها .

- (ضاحكا :) أنت قارح . دى أنا متأكد منها !

- إنما الفكرة أن الصدق مع نفسى بيقول لى أن الارتباط ده أو ده لا يمكن بدون حب . أنا علاقتى بأى ست ما وصلتش لمرحلة الحب أبدا . أنا حببت مرة واحدة فى حياتى ، وانتهت حياتى على كده .

يربت عليه ضهرى قائلا باحترام ولأول مرة بدون عدوانية : أتمنى لك أن تجد حبا جديدا كحبك القديم . إنما دلوقت خليك واقف جنب أطفاف ، وأنا من ناحيتى ها أحط موضوعها فى بالى . إنما لو الوضع استمر كده ها تضطر أطفاف ترجع للدعارة تانى ، والبنت ها تطلع تشتغل نفس شغلة أمها ، ما فيش مفر . هى واهمة أنها تقدر تمنع ده ، لكن مستحيل ، دى مجرد أحلام . مصاريف البنت ها تكون فوق الوصف ، وللأسف هى تعليمها معدوم تقريبا ، لو ترضى تشتغل حاجة يدوية عندنا فى المزرعة أهلا وسهلا . أشوف لها وظيفة عند حد من معارف أهلا وسهلا . شوف رغبتها إيه ، وإللى ربنا يقدرنى عليه ها أعمله . ومين عارف جازي يظهر لها ابن الحلال إللى يحبها ويسترها ويسعدها .

- عارف هى ممكن تتجوز مين ؟

- مين ؟

- رمانة بتاعة وحيد . بيقول عليها طيبة جدا ، وكمان حلوة !

- آه ، يا وسخ !

- إيه الوساخة بس فى كده ؟ أنت موش لسه بتتمنى لى أحب تانى ؟ صدقنى ها يفهموا بعض أكثر من أى حد تانى ، وها يربوا العيال أحسن تربية ، ويعيشوا أحلام هند وكاميليا !

حين يستدعوها ويعرضون عليها كل ما توصلوا إليه (باستثناء هذا الاقتراح الأخير طبعا) ، ترد بفرحة واضحة : أنا موش عاوزة وظيفة من أى حد فيكم . الست إجلال عينتنى خلاص . ها أساعدها هنا فى البيت . الأسهم على أد الحال إللى فى رمسيس دى عهدتكم أنتم بأه .

يسأل روميو : ها تساعديها فى النظافة ؟ التراب هنا كثير فعلا ؟

- لو طلبت طبعا موش ها أتاخر . لكن هى عندها خديجة للتنظيف . وبتقول أنى عجبتها فى المطبخ . كمان ها تودينى دروس محو أمية فى الجمعية بتاعتها .

ثم تنظر لجسدها وتسوى صدرها وتقول : يا عينى على ! على الله رحلة الأتوبيس النهري كل صبح ترد لى شوية من الصحة بتاع زمان . يضحك ضهرى : ما لها صحتك ؟ زى الفل . كنتى أحسن واحد فى الملعب النهارده ، ولولاكى كنا فزنا ١٠ أحوال . بعدين بطلت تبصى لجسمك كل شوية . الحكاية دى كانت ورانا ونساها خلاص .

تتوقف لترد عليه بجدية : على فكرة أنا حكيت للست إجلال كل قصة حياتى !

ويحتج روميو : كل حياتك ؟

- أيوه كل حاجة .

- يعنى لازم الفضايح ؟

- إزاي أخى عليها حقيقتى ؟

- موش قصدى حقيقتك أنتى . قصدى حقيقتى أنا !

يضحكون ، وينادى زهري على وحيد قائلا : ' تعال انضم لنا يا هر يونج ، عاوزين ناخد رأيك فى حاجة ! ' .



من يسلب العمال حقوقهم ومعرض عرقهم ليس أصحاب الشغل ، إنما أولئك الذين ينجبون مزيدا من العمال .

إلى يحمى العمال حاجة واحدة ، أن يقل عددهم فيرتفع سعرهم بناء على العرض والطلب !

يميل وحيد على إجلال لحييها على ما فعلت لأطاف . تنظر إليه مستغربة وتقول ' لا تنظر لى كمجرد امرأة رقيقة القلب . فى الواقع أنا أبعد ما يكون عن هذا . لقد كنا نطوع فى المستشفيات أثناء الحروب ، ورأيت شخصا أهوالا تفوق الوصف . الأبعد من هذا أبى ذات مرة كنت واقفة عند هذه البوابة التى أمامنا ، والتفت لسيارة لورى كبيرة تطلق صفيرا مزعجا طويلا ، فإذا بهذا الصغير يريك الشخص الذى قصد تحذيره ، والذى للصدفة كان مجندا أيضا . بدلا من أن يبتعد تعثرت أقدامه ، ووقعت دماغه تحت عجلتها الضخمة بالضبط . انطلقت كتلة مخه كما قذيفة لتسقط بالضبط بين قدمي . أنا لا تحتز مشاعري بسهولة كما قد يبدو لك . فقط شىء واحد لا غير يمزق نياط قلبي : أن أرى أبأ أو أما يأمر أو ينهر طفله ، فإذا بهذا الطفل يطاطى فى صمت منصاعا لشيء هو افى داخله لا يريده ! ' . ينظر لها وحيد باستغراب أكثر من استغرابها . لا تدعه على حيرته طويلا وتقول ' ما قصده أنتى من شديديات الإعجاب بما تكتب عن الحرية الفردية ! ' .

ككل تتحول الأحداث لأمر أكثر جدية . يبدؤون كالعادة بامتداح الجو ، فيجرهم الحديث للمقارنة مع إعصار كاترينا ٢ ، هذا الذى ضرب نيو أورلينز مرة أخرى قبل أقل من شهر ، الأسبوع الأخير من أغسطس ٢٠١٠ ، بعد خمس سنوات بالضبط من الأول . يتبارون فى وصف مشاهد الدمار التى تبثها التلفزيونات . ويقول وحيد إنه لا يوجد اقتصادى واحد عبر العالم ، بات يشك الآن فى حصول دكتور فرغلى على جائزة نوبل القادمة فى نوفمبر .

لم يفتهم بطبيعة الحال أن يثيروا السؤال حول غياب مجدى ويسرى . يقول زهري إن يسرى لا تزورنا إلا نادرا جدا . أما مجدى فسيبوه فى حاله ، كفاية عليه بتوع مجلس الشعب . يقولون إنه يعطى أراضى الشعب ببلال للمحاسبين . من يقولون هذا معروفون بالاسم ، هم أنفسهم أخذوا أرض قبل ٥ سنين ، لأنفسهم أو كوكلاء لشركات خليجية ، ولم يفعلوا بها شيئا فانتزعها منهم ، وهذه كانت جريمتهم . المعارضة هى إلى موديه البلد فى داهية . موش فاهمة حاجة ، بالذات فى الاقتصاد ، وكل إلى بتعمله أنها بتشد الحكومة فى الاتجاه الغلط . مثلا لما الحكومة قالت ها تعمل محطة نووية عملوا مظاهرات وقالوا البيئة والتلوث . ولما الحكومة قلبت الأرض مشروع سياحى قالوا تعليمات من أمريكا علشان نفضل متخلفين . ولما الحكومة رجعت المشروع ، قالوا برضه تعليمات من أمريكا ، علشان عاوزه تبيع لنا محطات .

يجر النقاش نفسه لإضرابات شركات الإسمنت . مين معاه أسهم إسمنت ؟ خسارة هائلة ما حدث هذا الأسبوع للأسعار . يتحدث وحيد عن مزايا الاستثمار الأجنبى ، اقتباس التقنية ، رفع الجودة ، فتح الأسواق الخارجية ، ومن ثم كيف تأتى لمصر بفضل هؤلاء الأجانب تحقيق أعلى نمو فى الناتج الداخلى الإجمالى ، وبالتالي انتزاعها للمكانة التى ظلت تحتلها الصين تقليديا لنحو عقدين . ثم عرج لصناعة الإسمنت تحديدا فتساءل هل العالم المتقدم يريد حقا لنا الصناعات الملوثة ، أم هم الذين حلوا لنا مشكلة التلوث الذين فشلنا فيها لعقود ؟ كنا نلوث الجو بغبار الإسمنت مثلا بعشرين جزء فى المليون ، أصبحت ٢ جزء فى المليون . نعم هذا غير مسموح به فى أوروبا أو الولايات المتحدة . لكن هل استفدنا نحن أم لا بقدمهم ؟ الكل فائز . يضيف وحيد أن تلك هى نفس الحجة التى قيلت عن الإنجليز ، لا يأتوننا إلا بالصناعات البدائية ، وكأننا كان يمكن أن نجيد سواها ولم يأتونا به . أنت لا تريد أن تتعلم من المستعمر ، أنت تريد أن تحكمه . النتيجة أن لم تتعلم وطبعا لم تحكم .

الخطة ؟ خدعة ! انتصرونا ! انتصرونا ! تقول الأغنية . يا فرحتنا ! طردنا الاستعمار بدم بارد ، ثم ماذا بعد ؟ ماذا فعلنا بالأرض ؟ جعلناها الأرض الخراب ، كما تقول القصيدة . ثم بعد قليل بدأنا نبتز الصدقات والمعونات . ثم بعد قليل حين فاض الكيل ، واكتشف الغرب أن المعونات لا تقضى على الفقر أو ترفع مستوى المعيشة ، إنما تزيد الإنجاب وبالتالي تزيد الفقر ، رحنا نستجدى عودة ذات المستعمر من خلال قوانين الاستثمار بإغراءاتها المختلفة . طب كنا طردناه ليه أصلا ؟ ! حتى تكفله بإراحتنا من الإنفاق على الدفاع والجيوش ، والذى كان اسمه الحماية ، عدنا وقبلناه ، فقط مع تعديل الاسم ليصبح المعونات العسكرية !

ويؤمن زهري الخارج للتو من مباراة كرة ليست الأفضل في حياته ، على الكلام : ' أولا ما قلته عن المعونات والصدقات والجمعيات الخيرية هو معادلة بيولوجية بسيطة ومعروفة : ضع طعاما وفيرا للصراصير تزداد عددا بسرعة ؛ انشئ وكالة دائمة -أى ليست مؤقتة- للغوث في المناطق الفلسطينية تحصل على أعلى معدل إنجاب في العالم ، لا توجد معادلة بيولوجية أكثر قاعدية من هذه ! ثانيا إيه المشكلة ؟ إشمعنى عادى جدا بنجيب مدرين كورة أجنب ؟ إيه المانع نجيب رئيس وزراء ووزراء أجنب ، ناس محترفين بمرتبات كويسة . أتعجب من تلك الشعوب التي تفضل ناس على ناس علشان تحكمها ، بناء فقط على لون جواز السفر . صحيح إيه المؤهلات إالى عند نھرو أو عبمعصورة ، أكثر من مواطن إنجليزى متوسط ، موش ها أقول تشرشل ؟ ثم أنت فاكرو قوانين الاستثمار دى ها تدوم للأبد ؟ بعد ما يجيب الغرب كل ما عنده ويحطه عندنا ، ها يطلع للصوص أمثال جاندى ومصدق وناصر ، ويسرقوا كل شىء من جديد . هكذا الحال دائما . هل تتخيل أن دى ستستمر هكذا للأبد ، أم سيأتى يوما من يؤمّمها كلها ويقتل هؤلاء الأجنب ' المحتلين ' ؟ ده أسلوب حياة يا سيد . هكذا الطريقة الوحيدة التي ترتزق بها هذه الشعوب ، سرقة عرق الغير ! ' .

وبعد برهة يحذر وحيد الحشد المشوش أمامه بخصوص مستقبل شركات الإسمنت : الآن نفس الدورة تتكرر . الاضرابات لا تنتهى . العمال لا يفهمون أبدا العقود التي وقعوا عليها ، الحوافر سلفة مشروطة ، وهم يعتبرونها حقا مكتسبا ، ويفرضون شروطا جديدة طوال الوقت . ثقافة العقود التي هي أساس أى مجتمع متحضر ، ولا أقول الرأسمالية بالذات ، لا وجود لها في منطقتنا . عرفات وقع على أن يحصل على غزة وأريحا في مقابل إلقاء الفلسطينيين ، كل الفلسطينيين ، للسلاح ، كل السلاح ، للأبد ، كل الأبد . ثم نقض هذا (علما بحصوله على أرض أكبر بكثير) ، وتباهى في خطاب شبه علني في جوهانسبيرج بأنه لم يحدث أن اعتبر أوسلو بأكثر من صلح حديبية فلسطيني . ما لدينا هو فقط عقلية خد وطالب . مرتب بعض عمال الإسمنت هؤلاء يصل إلى ١٠ آلاف جنيها شهريا ، لكنهم لا يكفون عن الصراخ بكونهم غلبة ومظلومين ومهضومي الحقوق .

ويندفع أسد : ' المفروض تجريم كل أشكال التنظيم -نقابات ، جمعيات ، منظمات ، أديان- كل حاجة باستثناء الشركات التجارية الصريحة الهادفة للربح ' . وينوه زهري بأن التوترات الطائفية عامل يضاف ، وإذا كان قد تم احتواء الموقف في المرة الأخيرة ، فلا أحد يستطيع الجزم بما سيحدث في المرة القادمة . ويدخل عارف وأسد ورزق في نقاش مع وحيد أنه دائما ما يهتم بطرف واحد هو رجال البيزنس ، ويتحامل على العمال ، فينفى بشدة قائلا : كل شىء عرض وطلب . السؤال بسيط : هل ذهب صاحب الشغل لأحد العمال في منزله صباحا وجره عنوة للشغل ؟ إذا لم يحدث فليس للعامل أية حقوق ، سوى أن يقدم استقالته .

- حتى هذه لا حق له فيها ، لأنه عادة ما يوقع على الاستقالة قبل التوقيع على عقد استلام الشغل !

- وده سببه إيه ؟ سببه القوانين المجحفة لأصحاب الشغل . تضطربهم لهذا . العرض كبير ، والأجور لازم تكون أقل ، وإلا يروح الصين أو الهند ، الناس أرخص هناك .

ويتساءل عارف : ' إذن لاشىء يحمى العمال من ظلم أصحاب الشغل ؟ ' .

- ولا شىء يحمى أصحاب الشغل من بلطجة العمال ؟ ما فيش حاجة تحمى حد من حد ؟ زى ما كنا بنقول الصبح ، الإنسان سلعة زى أى سلعة ، وكله عرض وطلب . وزى ما طول عمرنا بنقول ما فيش حاجة اسمها عدل وظلم ، فيه بس عرض وطلب ، وهو ده المعنى الوحيد للعدالة الاجتماعية . من يسلب العمال حقوقهم ويمص عرقهم ليس أصحاب الشغل ، إنما أولئك الذين ينجبون مزيدا من العمال . إالى يحمى العمال حاجة واحدة ، أن يقل عددهم فيرتفع سعرهم بناء على العرض والطلب ! هذه ليست فرضية نظرية ، إنما كثيرا ما نراها حولنا ولا نفكر في تفسيرها . مثلا ، هل لديك تفسير آخر غير العرض والطلب يجعل السباك أغلى من المهندس ؟ للحق ، أو ما نراه أيضا واقعا ، هو أن صاحب الشغل هو الوحيد المظلوم ، الوحيد إالى ما يقدرش يمشى ويسيب المصنع . مثلا بالنسبة لتكاليف التدريب ، تتحل برضه بالسوق الحرة . العامل يكتب كمبيالات بمصاريف التدريب ، ويسددها من مرتبه بطريقة متفق عليها . لو حصل وزوغ يوضع على قائمة سوداء على قاعدة بيانات لأصحاب الشغل . وصاحب الشغل إالى يعين واحد من دول يتحط هو نفسه على قائمة سوداء لأصحاب الشغل . كل حاجة بالعرض والطلب . كفاءتك وحدها إالى تخليك تلوى دراع صاحب الشغل زى ما أنت عاوز وتأخذ حقك . غير كده ما لكش حقوق ويقي اسمها بلطجة . ووالدك إالى خلفك هو المسئول عن مشروع إنجابك وتدريبك وإدخالك للمنافسة مع بقية سكان الصين وبقية سكان الكوكب . إنما إيه

ذنب أصحاب مصانع الإسمنت إلى جابوا فلوسهم وجم . غير الضرايب الجديدة زى ضريبة التصدير ، وعلى فكرة كل الضرائب المستجدة هى تأمين ومصادرة زى بتوع عجمعصور ، إنما مقنعين . إخلال بشروط العقد غير المكتوب مع حكومة البلد . إيه ذنبهم يلقوا كمان كل الإضرابات دى ، ولو فصلوا حد ها تتكسر مصانعهم أو يتولع فيها ؟ الكل يطالب بقوانين ضد الشركات الاحتكارية ، لكن أحدا لا يتحدث عن قانون ضد النقابات الاحتكارية . أنا ضد الفكرة النقابية من الأصل لأنها تصادر المنافسة بإدخال عنصر البلطجة والعنف الابتزاز ولى الذراع على قرارات يفترض فيها أن تكون اقتصادية خالصة ، لكن أين على الأقل حق الشغل فى الاختيار بين نقابات مختلفة ، إذ ربما يختار النقابة التى تعطيه أجرا أقل لكن تضمن ديمومة الشركة ، ولا تراها بقرة تحلب حتى هزال الموت ، ولا تجعله بيدقا فى الطموحات السياسية لزعماء تلك الاتحادات ، أو غير ذلك .

- ها ! بتعلم ! النقابات منظمات إجرامية بحكم نشأتها وتاريخها وطبيعتها ، ولو سمحت لها بالتنافس فيما بينها فلن تتنافس إلا بالاغتيالات ! يعنى م الآخر أنت عاوز قانون العمل مادة واحدة : العامل يحصل على آخر أجر وعده به صاحب العمل ، وإلى موش عاجبه من الطرفين يدى الثانى إنذار ١٥ يوم لترك العمل ؟

- حتى دى ما لهاش لازمة . يتلغى قانون العمل أصلا . الحالة المثالية ألا يكون هناك قوانين على وجه الإطلاق ، وفى الحالات الاضطرارية يمكن أن تسن القوانين تحديدا من أجل شىء واحد ، حماية الحرية فى حال ما تهددها أحد أو شىء . إنما الوضع الحالى من طوفان القوانين التى تقيد علاقات الناس بعضهم البعض ، فهى قوانين غير مشروعة إن جاز التعبير . على الأقل جدا المفروض يتلغى أى قانون يمس الاقتصاد ، أو يمس أى نشاط اقتصادى أو نشاط يمت للاقتصاد بصلة ولو بعيدة . زى ما اتلغى قانون الإسكان ، وكل الإيجارات بقت عرض وطلب ، وزى ما اتلغى قانون التعليم وأصبحت سمعة الشهادات تحدد حسبما تقدرها جهات التوظيف ، أقترح أن يلغى بالمثل قانون العمل ، وكل شىء يخضع للعقد شريعة المتعاقدين ، والمحاكم المدنية . (يقصد بإلغاء قانون التعليم ما حدث من مؤخر من هجرة جماعية وبالإجماع وفيما يشبه المظاهرة القومية -تلاميذا وأهالى ومدرسين- هجرة للمدارس الحكومية ، وأن اكتشفت الحكومة أنها لم تكن تشتغل وتهدر كل تلك الموارد الباهظة إلا لإرضاء أحزاب المعارضة ضد إرادة ومصلحة كل الشعب ، الذى لا يريد تلك المدارس ولا حتى من قبيل كونها جمعية خيرية لإعالة المعلمين ، هؤلاء الذين قالوا إن لا مشكلة بطالة لديهم وإنما كوظيفة مضیعة لوقتهم لا أكثر ولا أقل !) .

- حتى الرعاية الصحية تخضع لشريعة المتعاقدين ؟

- حتى الرعاية الصحية . لو مرتب معقول ورعاية صحية ومعاشات ، أشتغل . لو ما فيش رعاية خالص والمرتب مغرى ، أشتغل وأدفع الحاجات دى من مرتبى ، أو ما أدفعهاش أنا حر .

- لو ده موش كويس وده موش كويس موش ها أقبل الشغل ، أو ها أسيبه . العامل حقه محفوظ دائما ، من حقه يطلب علاوة زى ما هو عاوز ، ولو رفض صاحب الشغل يسببه ويمشى . صاحب الشغل يبني المصنع ويكلفه ، وهم إلى بييجوا برجليهم ويمحض حريتهم وإرادتهم . رأى الشخصى بالنسبة للتأمينات أنها تتلغى ، وكل واحد يؤمن على نفسه زى ما هو عاوز فى شركة تأمين ، أو لا يؤمن ، هو حر . فلوسه وهو حر فيها .



- ما هو أعظم اختراع صنعته البشرية ؟ ... سؤال جيد ! ... آه ، لقد عرفت قصدك : الحرب !

- الحرب ليست من اختراع الإنسان !

- آه ! نظرية عيشنى النهارده وموتنى بكرة ! براهو يا أونكل ! (تنبس منى ذات الميول الانتحارية بنبرة تأييد) .

- أنا موش معاكى . التخطيط للمستقبل البعيد شىء مهم جدا . ما أعترض عليه هو فقط أن يكون فوق مبدأ الحرية . لا يجب لشىء أن يكون فوق الحرية !

وأخيرا يتدخل زهرى : ' تفنكر الشغالة بتاعتك ، علشان ما يحصلهاش إلى حصل ، كان لازم تروح تؤمن على نفسها تأمين صحى وتأمين عجز وتأمين حياة وتأمين بطالة فى شركة تأمين ؟ ' .

- المفروض .

- إذا كانت الفلوس أصلا موش مكفية الضروريات ؟

- أنا اتغطت أكبر غيظ من الست إلى كانت صاحبة الشقة قبلى ، لأنها فى دقيقة واحدة طردت الشغالة إلى خدمتها طول عمرها ، وكان لازم تحافظ عليها لفترة وتساعدنا . صحيح رمانة دى صعبت على وحاولت أساعدها قد ما أقدر ، لكن موش معنى كده نطلع قوانين تحدد تفاصيل العلاقة بين صاحب الشغل والشغل . مثلا لو عملنا حماية زيادة للعمال ، رءوس الأموال ها تسبب البلد ، وها تروح أماكن تانى أفضل . زى الرقابة الزيادة ما تعنى رشاوى زيادة ، عمليا الحماية الزيادة تعنى بطالة زيادة . والعكس لو حمينا أصحاب الشغل ، العمال ها يهاجروا لبره ، وهكذا . التنافسية المطلقة هى وحدها التى تأتينا بالتوازن الصحيح ، وتخلي كل واحد مسئول عن نفسه ، وما حدش يأمن للزمن ببساطة ، زى ما عملت رمانة . ما فيش حل تانى ، بالذات بالقوانين . حلول فردية ممكن ، أنشطة خيرية ممكن وإن فى أضيق الحدود ، لكن أى حل عام أو بفرض قوانين غلط ، لأنه بوابة للفساد والفقر للجميع .

- الشعب جاهل وغلبان ، وموش ممكن يعمل حاجة زى إلى أنت عاوزها .

- وها يفضل لغاية إمتى جاهل ؟

- لغاية ربنا ما يريد !

- لأ ، لازم نخطه على المحك ، ساعتها بس ها يتعلم !

- يعنى ! الحكومة بتعمل كده فعلا ، بس بالتدريج !

- اسمه التدريج الممل ، الذى لا يأتى إلا بآثار عكسية ، لأن ببساطة الدنيا بتجرى وموش مستتية السلحفاة المصرية .

- سيبنا م العيال الهايفين دول ، وخلينا فى النهار الجميل ده . أنت بتقول كل حاجة حرة . صح ؟

- صح !

- يعنى الحب والمودة تتلغى بين الناس خلاص ؟

- برضه عرض وطلب ، والعقد شريعة المتعاقدين . محدش منع حد يحب حد ، أو يضحي علشانه . برضه الحرية هى الحل . وأفتكر ٢٥ سنة وصل فيهم التدين لكل صغيرة وكبيرة فى حياة الناس ، وما تقدروش تقول أننا كنا أقل مودة ورحمة فى السبعينيات مثلا ، أو فى أى حنة نعرفها فى القرن العشرين كان التدين فيها محدود ، من سقوط الخلافة لغاية وصول الإخوان للبرلمان .

وييتسم قبل أن يواصل : ' عارف إيه أحسن اختراع فى التاريخ فى رأيي ؟ ' .

- لأ ، أعرف بس أسوأ اختراع ! (يضحك أغلب الباقين) .

- ما هو أعظم اختراع صنعته البشرية ؟ ... سؤال جيد ! ... آه ، لقد عرفت قصدك : الحرب !

- الحرب ليست من اختراع الإنسان ! هل نسيت اتفاقنا على أن الإنسان جاء فوجد كل شىء جاهزا ؟ قطعنا الحرب هى أعظم اختراع ، لكنها موجودة لدى أغلب اعشائر البيولوجية . أعظم اختراع إنسانى هو النقود . عارف إيه إلى فكرنى بالكلام ده ؟ الكلام إلى بتقوله من زمان عن أن الناس عندنا إما بتعبد أيقونة أو شخص أما ميت وإما حى -وهو الأفضل والأقرب ، ذلك أن عقولها لا ترقى لاستيعاب مفهوم الإله كشىء تجریدی . حين تكلمت اليوم عن البوذية ، أصبت بالدهشة لولها ، ثم فهمت بسرعة أن هذه كانت النتيجة المنطقية الوحيدة . النقود أعظم اختراع لأنها أكبر شىء نقل البشر من الملموسات للتجريد . لولاها لما دخلت الأرقام بكل هذه الكثافة للحياة اليومية لأبسط إنسان فى الدنيا . نعم ، الرياضيات تجريد واللغة تجريد ، لكن على الأقل يمكنك العيش إن لم تذهب للمدرسة لتعلمهما . إنما تقييم الأشياء بالنقود أصبح شغل يومية لكل الناس ، ولا يمكن لأحد أن يعيش دون اتقانه . وطبعاً هذا ' التكميم ' quantification كان بنية تحتية لتوحيد أراضى باتساع الإمبراطورية الرومانية فى اقتصاد واحد ، أو لاحقاً لكل إنجازات عصر الصناعة ، ولولاها لظللنا نعيش عصر المقايضة والحياة الريفية البدائية . هذا من حيث الكم ، من حيث اتساع الإمبراطورية الإنسانية . أما من حيث النوعية ، فذلك التكميم كان أيضاً شيئاً جوهرياً لميلاد فكرة قيام المجتمع على التنافس ، أى نشوء الرأسمالية واقتصاد السوق . لو لم تكن قد توصلت البشرية لهذا الاختراع الفذ لما كنا نرى مثلاً الأكفاء يحتلون المكان

المناسب ، لما تناغمنا مع قوانين الطبيعة الأصلية القائمة على التنافس الشرس الذى هو قاطرة التقدم والرقى ، وهكذا . إنه مثلا الفارق بين أميركا وأوروبا ، الذى قتل بحثا ، حيث تجاوزت الأولى بمراحل فكرة أن ثمة أشياء تسمو فوق التكميم ، بينما تضحك الثانية على نفسها بالأوهام والشعارات ، ومن ثم فقدت كل علمائها وفنانيها ومواهبها وعقولها البارزة فى طائرات عابرة للأطلنطى . ربما اللغة أو الرقص أو الموسيقى أشياء محلية تخص القبيلة أو الشعب ، لكن النقود لغة عالمية ، أول لغة عالمية !



لو اهتممت بالفقراء والضعفاء فى مجتمع ما ، ستخلق مجتمعا فقيرا ضعيفا ؛
ولو اهتممت بالأثرياء والأقوياء ستخلق مجتمعا ثريا قويا ، هكذا ببساطة !

- الحب لغة عالمية . موش كل شىء يقدر بالمال .

- ولم لا ؟ لم لا يقدر كل شىء بالمال ؟ مثلا الحب الذى نتحدث عنه ، شىء ثمين جدا بالفعل . لكن كيف عرفنا أنه ثمين ؟ هل كنا ستعرف ذلك إلا لو قارناه بقدر التضحيات المالية أو عروش الممالك التى يمكن أن يدفعها أو يتنازل عنها الإنسان فى مقابله ؟

ويغنى ونس : ' أعطى المال وغنى ، فالغنى سر الوجود ! ' .

- أنا معاك الفلوس موش كل حاجة ، إنما هى تقدر تعرفنا قيمة كل حاجة . أنا سعيد أن كل الحروب دلوقت بقت مؤسسات خصوصية . ده حدد لنا بالأرقام لأول مرة ما تساويه الحياة الإنسانية . موش ها أضحي بحياتي بسعر أقل من ١٠٠٠ دولار فى اليوم . فى نفس الوقت دلنا على أن الوطنية هراء وشعارات ولا تستحق ألف مليون ، وده شىء تقدمى جدا وإيجابى جدا . أيضا كون أن تملك نقودا أكثر يعنى أن تملك جيشا أقوى ، هذا هو الحق والعدل ، تماما كما أرادته لنا أمتنا الطبيعية . إن خصخصة الجيوش شىء رائع يثير الانتشاء بكل معنى الكلمة ! (ويرفع كأسه :) فى صحتكم !

بعد قليل يعود وحيد ليشرح لعارف وصحبه ما أحس أن مقاطعة ضهرى قد تركته عالقاً من المناقشة الأصلية . لم يدعوه يبدأ حتى قالوا إنهم ليسوا ضد الرأسمالية ، ويفهمون أنه لو اهتممت بالفقراء والضعفاء فى مجتمع ما ، ستخلق مجتمعا فقيرا ضعيفا ؛ ولو اهتممت بالأثرياء والأقوياء ستخلق مجتمعا ثريا قويا ، هكذا ببساطة ! لكن وحيد لم ير الأمر بسيطا هكذا وانطلق يكرر كلاما طالما أحب قوله وكتابته .



لو رجعتكم لمصر القديمة لن تجدوا أصلا مشكلة فى التأويل الصوفى للرأسمالية ، ولا فى التأويل الرأسمالى للصوفية !

يصحح لهم أن هذه ليست بالضبط الرأسمالية . الرأسمالية ليست مقابلة بين الغنى والفقر . اليمين ليس انتماء طبقيا . آخر ثلاثة زعماء يمينيين عظام -نيكسون وثاتشر وريجان- أتوا من أصول أبعد ما تكون عن الرفاهية . إنما اليمين رؤية لكل الطبقات ، مشروع شامل متكامل لكامل المجتمع ، كل بحسب طاقاته وقدراته . الكبير يرى الصورة الكبيرة ، أما الصغير فلا يرى إلا نفسه . الرأسمالية ليست نقابة لرجال البيزنس ، تدافع عن الثرى ضد الفقير أو عن الكبير ضد الصغير ، إنما هى فقط -وبكلمة واحدة- المنافسة التى يمكن -بل يجب- أن تقضى -أول ما تقضى- على الكثير من هؤلاء الأثرياء والكبار أنفسهم ! إنما النظام الذى يجب أن يقاتل من أجله كل مجتهد طموح غنيا كان أم فقيرا ، والذى يجب أن يقاتل ضده كل كسول أو فاسد غنيا كان أم فقيرا !

ويلق ضهرى الذى لم يكن قد خرج بالكامل بعد من أجواء الصوفية : ' أنا لا أرى الرأسمالية صراعا بين أفراد المجتمع ضد بعضهم البعض ، إنما صراع كل إنسان ضد نفسه من أجل الوصول لسقفه الجيئنى ! ' .

' حتى الرأسمالية ها تدخلها جوه الصوفية بتاعتك ؟ ! ' ، ' رد عليه يا أستاذ وحيد ! ' ، لكن وحيد يحبط آمالهم : ' بالعكس ، هذا أدق تعريف ممكن للتنافسية ، لأن الصراع ضد الغير لا يعنى بالضرورة الاقتصاد على الارتقاء بنفسك ، إنما يحتمل أيضا محاولة الهبوط بالمنافس أو إضراره ، بينما التخريب والتدمير ليست من مقاصد أمتنا الطبيعية . نعم ، هى تعشق القضاء على الفاشلين ، لكنها قطعاً لا تسعى لإفشال أحد عمدا ' . ويتنهد ضهرى : ' المشكلة أنكم لا تجهدون أنفسكم فى البحث عن الحقيقة . لو رجعتكم لمصر القديمة لن تجدوا أصلا مشكلة فى التأويل الصوفى للرأسمالية ، ولا فى التأويل الرأسمالى للصوفية ! ' .



الرأسمالية ليست نقابة لرجال البيزنس ، تدافع عن الثرى ضد الفقير أو عن الكبير ضد الصغير ،

إنما هي فقط -وبكلمة واحدة- المنافسة ،

المنافسة التي يمكن -بل يجب- أن تقضى -أول ما تقضى- على الكثير من هؤلاء الأثرياء والكبار أنفسهم !

... إنها النظام الذي يجب أن يقاتل من أجله كل مجتهد طموح غنيا كان أم فقيرا ،

والذي يجب أن يقاتل ضده كل كسول أو فاسد غنيا كان أم فقيرا !

يشردون في تأمل الطبيعة المحيطة بهم ، إلى من يعود وحيد لتفصيل كلامه الأصلي : ' هل أنتم رأسماليون ؟ مع ذلك أنتم تشتغلون في شركات مملوكة لرأسماليين ، ولديكم أسهم في شركات يهتمكم ازدهارها ، كما يهتم كبار مالكيها بالضبط . أنت يمكن أن تجمع كل الشعب على منصة platform أو برنامج يميني ، لكن من المستحيل أن تجمعه على منصة يسارية . في الأولى الكل فائز كما قلت ، في الثانية البعض يعيش على حساب البعض . ويضرب المثل بكيف أمكن لكل من رونالد ريغان وتوني بلير جمع كل الشعب خلفه . كلاهما على منصة يمينية ، رغم التناقض التام في الخلفية الأيديولوجية الأصلية لكليهما (بلير كان يساريا وانتخب على أساس هذه المنصة ، لكن تحول قناعاته بعد ذلك هو الذي وحد بريطانيا خلفه . فاستمر يحكم ١٠ سنوات ، ثاني أطول مدة ، فقط بعد اليمينية العظيمة ثاتشر . أما هذه فتختلف قصتها ، لم تكن فترة حكمها إجماعا ، إذ خاضت حروبا هائلة كسرت فيها سطوة قرن كامل للنقابات . وفي نهاية حكمها فقط بدأت بوادر الإجماع الشعبي خلفها ، هذا بعد أن أدرك الشعب أنه كان محتطفا بواسطة بلطجية اليسار دون أن يشعر ، وأنهم مستغلوه الحقيقيون ، والعائق في سبيل الرخاء والتقدم) . على أنه بناء على إلحاح الثلاثي يتحدث وحيد من جديد عن شركات الإسمنت فيقول إن أصحاب هذه الشركات على وشك ترك البلد ، ممكن تقولوا دي معلوماتي ! ' .



إنها عاصفة تتكاثف الآن في مكان ما

نسى الجميع كل ما دارت حوله المناقشات ، وبهتوا أمام الكلمة الأخيرة . إنها معلومة داخلية خطيرة ، على الأقل عوضتهم عن عدم لقاء البانكية والوزير . معلومة ستؤدى بهم لبيع أية أسهم لشركات الإسمنت متبقية لديهم ، فجلى أنها لن تتعافى كما توقعوا إنما ستذهب لهاوية لا قرار لها . أما ضهرى فقد توقف طويلا بينه وبين نفسه عند العبارة الأخيرة :

' معلوماتي ؟ ... هذا ليس وحيد . إن شيئا غريبا يحدث . على الأقل هذا الوحيد المنطوى قد عاد على نحو أو آخر ، لماضيه القديم جدا كصحفى شغلته استقاء المعلومات من مصادرها العليا . وحيد لم يعد كما كان منذ عهدنا به ، كتابا مفتوحا بسيطا متبسطا معنا جميعا . لأول مرة بات لديه الآن أشياء يخفيها . منذ قرار فتح كيوبيد لفروع في الخليج ، وبدأت استشعر بوادر تغيير في شخصيته . الكل فرح بالقرار . حتى دكتور فرغلى كان من مؤيديه . هو الوحيد الذى توجس وتجهم . بدأ يتغيب أو يتأخر أو ينصرف مبكرا . صار أقل كلاما . مناقشاتنا المطولة باتت ضمنية ، وكأنه يتهرب منها ، أو استكفى . كان المفروض أن يسعد أن شركة كيوبيد ستكون نموذجا أعلى وستحاول انتشال اقتصادات الخليج من بءائها وتخلفها ، لكن يبدو أن مال للافتراض العكسى : القذارة العربية هي التى ستغرق كيوبيد !

' معلوماتي ؟ ... اليوم تيقنت من صحة مخاوفي هذه .

' معلوماتي ؟ ... هذه الكلمة أسوأ شئ حدث في هذا اليوم الجميل . بكاء مينا كان زوبعة تافهة ومرت .

' معلوماتي ؟ ... إنها ليست مجرد كلمة ... إنها عاصفة تتكاثف الآن في مكان ما !

لدى الانصراف يصممون على شراء مانجو ، إلا ونس الذى كان قد سبق الجميع وطلب هدية (وحين أنه أخذ يتمنع) ، وألطفاف التى وجدت هديتها فى انتظارها بالفعل !



يتصل ونس بمئات بوزير الصناعة والتجارة ، رقم مما وجده في ملف حاسوب وحيد .

- منين جبت الرقم ده ؟

- أخذته من معاليك . لو معاليك شفتني ها تفتكرني ، أنا محمود من نقابة العمال بمصنع بنها ، وفي انتخابات ٢٠٠٥ كنت مبسوط جدا مني ، وأنا طلبت التليفون من معاليك وقلت للسكرتير يديهولي .

- السكرتارية إدتك النمرة دى ؟

- معاليك قلت التليفون ، وأنا إللى قلت له الموبايل . ولو معاليك تحب أقفل وأشطب النمرة من عندي معاليك تأمرني . أنا عارف مشاغل معاليك بالذات بعد ما ضموا لسيادتك الصناعة .

- لأ ما تشطبش . تحت أمرك يا أستاذ محمود .

- العفو معاليك . حكايتي أن ابني متخرج السنة إللى فاتت من معهد النسيج .

- إحنا ما بنعينش حد بالواسطة .

- لأ معاليك ، موش القصد . أنا جبت له وظيفة خلاص في المصنع ، بس هو إللى رافض . شغال هو وشوية لا مؤاخذه عيال صحابه ، بيلموا الكمبيوترات القديمة ، يفكوها ويجمعوا الحاجات السليمة ويبيعوها تاني لبتوع المولات المتخصصين في القديم ، لو عجبتهم الحاجة بيشتروها منهم .

- كويس ؟

- بس أنا بأقول الوظيفة في الشركة أحسن وإحنا سامعين أن مستثمرين عرب ها يشتروها ، وها يبقى لها مستقبل كويس .

- (وقد فهم اللعبة فيما يبدو :) ابنك جنبك ؟

- أيوه معاليك (كان مُجَّد قد جاء لقضاء العطلة الصيفية مع والده بالقاهرة) .

- طب إدهوني .

- اسمك إيه ؟ ... بص يا مُجَّد : زمان كنا بنشجع الشباب على المشروعات الصغيرة ، وتقدر تقول ما زلنا كده برضه . بس زمان كانت الناس لا بددة في الوظيفة الميرى ، مرتبات تافهة من غير شغل ، وكلها على بعضها الحكومة والبلد كانت جمعية خيرية . النهارده ، كل الشركات العملاقة دى استثمارات خاصة ، مصرية وأجنبية . الشركات دى هى إللى ممكن تتعلم فيها التكنولوجيا الجديدة ، والخبرة الصح . موش بأقول لك افضل فيها طول العمر . لكن لو كبرت خبرتك قوى ، وحسيت أنك ممكن تعمل حاجة مستقلة بعد كده يبقى كويس . عدا ذلك الاستمرار فيها ها يدريك مرتب كويس واحترام كبير ، ولأزم تعرف أن الشركات الكبيرة هى مستقبل البلد ومستقبل العالم .

- قال لك إيه ؟

- قال اشتغل في الشركة .

- بس خلاص ! هو ده ! أنا عرفت إللى عاوز أعرفه !

ينادى الوزير مديرة مكتبه وسلمها هاتفه الخليوى : سهام ، عاوز أعرف اسم الشخص صاحب النمرة دى .

- بس دى نمرة فودافون غالبا معاليك ، والشركة شغالة إنجليزى خالص . لو النمرة تبع الشبكة إللى بيديرها المصريين أو إللى بيديرها العرب ، كنت أجيبها لمعاليك بالتليفون منهم في دقيقتين ، وأجيب صورة البطاقة ع الفاكس كمان .

- (يهتاج غاضبا :) فودافون إيه وزفت إيه ؟ اتصلنى بأمن الدولة وقوليلهم فلان بتيجى له تهديدات . لأ ، استنى ! بلاش تهديدات دى ، شوفي حاجة تانية .

- صح معاليك ، أحسن يراقبوا تليفونات معاليك .

- أنتى هبله يا ست إنتى ؟ إذا كانوا موش بيراقبوا كل تليفون فى البلد بياخدوا مرتباتهم علشان إيه أصلا ؟ اتصرفى ! (ثم وقد تذكر شيئا :)
أقول لك استنى استنى ! اتصلى بالإدارة الجديدة بتاع أمن المعلومات فى رئاسة المجلس ، قولى لهم كل إالى حصل بالظبط ، وهم ها يتصرفوا . على الأقل نشوف يستحقوا مرتباتهم ولا لا ؟

بعد ربع ساعة عادت سهام لتقول له : الاسم سامى متياس القمص ، ٧٧ شارع السكاكىنى بالظاهر . لم يشتر شريحة جديدة . بالاتصال بمنزله علم أنه فقد منه التليفون فى هارديز الخليفة المأمون المواجه لسوق العصر بتاع الكمبيوتر ، وبالاتصال بالهاتف الخليوى نفسه ، قالت موظفة الاستقبال فى هارديز إن أحدهم سلمه لها للتو ، قائلا إنه وجده عند بوابة الحل .

- طب يا سى محمود أنا وراك والزمن طويل . قال محمود قال ؟ بس يا سهام أنتى رأيك أنهم يستحقوا مرتباتهم فعلا ؟ تعرفى أن ها يبقى قريب فى كل وزارة زيه لمنع الجريمة قبل وقوعها ، بعد ما كانت قبل كده إدارة جنائية فى وزارة الداخلية وبس ؟

ردت عليه بابتسامة ملؤها العتب لكثرة تعنيفه لها : الواضح المكاملة دى نرقت معاليك حبتين النهارده . وأعصاب معاليك بالدنيا عندنا ؟
ما لم تفهمه سهام ، الراضية على أن الأمر قد مر فى مجمله بسلام ، هو أن من كان يقصدهم معالى السيد الوزير بمن يستحقون المرتب ، ليسوا تلك الحفنة من الأناس الغامضين ، ممن يشتغلون من أحد الأقبية السرية ، تحت إحدى البنايات التابعة لرئاسة مجلس الوزراء فى شارع القصر العينى . كان يقصد وكالة الأمن القومى NSA الأمريكية . هؤلاء حظروا مؤخرا تنمية أحد لتقنيات سرديبة encryption للبيانات بأكثر من ١٠٢٤ بت . وما حدث يوم قرر ريجيم طهران الشيوقراطى تنمية سرديبة أقدر ، أن ردوا عليه بأن حذفوا النطاق الرئيس ir . من شبكة الإنترنت ، فاختفت كل المواقع الإيرانية فى غمضة عين ، وأصبحت كأن لا وجود لها ، وغير مرئية حتى للإيرانيين أنفسهم . فكانت مشكلة أسهل حالا بكثير من مشكلة البرنامج النووى لدولة الملالي ، هذا الذى اضطرت أميركا وإسرائيل لقصفه لاحقا بالقنابل النووية التفتية من طراز ' بي ٦١ ' ونظيرتها العبرية ، فيما سمي بحرب الخليج الرابعة . إذ فى تلك المرة رضخت قم وأصدر مرشد الثورة الإسلامية قرارا فوريا بوقف سرديبة البيانات بقدرة غير ما تسمح به حكومة وقوانين الشيطان الأعظم .

لماذا ١٠٢٤ بت ؟ هو ليس قانونا مؤبدا . بدأ الأمر بـ ٦٤ بت ثم تطور ، وسوف يسمح بالـ ١٠٢٤ بت قريبا ، وربما أكثر منها . الأمر كله يعتمد على قدرة وكالة الأمن القومى على تحقيق هدفها بلا مشاكل . وهدفها هو مراقبة كل بايت بيانات يسير فى الأسلاك أو أمواج الهواء فى هذا الكوكب . مواردنا فى هذه اللحظة تسمح فقط بفك سرديبة بقوة ١٠٢٤ بت . تلك الموارد عبارة عن حواسيب عملاقة ، تسجل كل نبضة إلكترونية تجرى بالشبكات الإقليمية وبشبكة الشبكات المسماة بالإنترنت ، وتحللها دون تدخل بشرى . أيضا تسجل وتحلل كل الرسائل الصوتية والفيديوية عبر كل الشبكات وعبر كل الهواتف . وتلك الحواسيب هى التى تكتشف من تلقاء نفسها أية ترابطات تراها مريبة أو مثيرة للاهتمام ، أيضا دون تدخل بشرى . أما عن اختراق شبكة خصوصية كشبكة حواسيب شركة فودافون العالمية ، فالأمر أسهل . فالسرديبة ' الخفيضة ' بمستويات ١٠٢٤ بت ، تعنى أن بإمكان حواسيب الـ NSA فك كل كلمات المرور وتعنى تخطى كل حوائط النار لأية شبكة محلية . فودافون ليست استثناء . مايكروسوفت ليست استثناء . أموال كل البنوك ليست استثناء . كل الأشياء ليست استثناء . حتى شركة Check Point الإسرائيلية التى تصنع حوائط النار التى تحمى كل حواسيب العالم وكل شبكات العالم ، ليست استثناء . إن الـ NSA تناظر فى عالم الإلكترونيات الرقمية ما يقوله الحاج زهيرى المصرى عادة عن عالم البيولوجيا ، وهو أن التحاليل الجينية تستطيع الآن أن تكشف شخصية المجرم من مجرد أنه تنفس لبضع ثوانى فى الغرفة (وعادة ما يتأسى بعدها أن لو وجد هذا من قبل لربما ما قتل نبيل) !

باختصار ، إن وكالة الأمن القومى الشهيرة باسم الأخ الكبير ، هى نظرية مؤامرة تفوق بمراحل خيال شخص كالمهندس عبد النبى محمد الشهير بونس . وهذا فى حد ذاته دليل كاف على أنها حقيقية وليست بحال ' نظرية ' !

هذا عن ما لم تفهمه سهام . أما ما لم يفهمه معالى السيد الوزير نفسه ، فهو كيف تم الأمر برمته فى ربع ساعة . كيف تم إرسال الطلب ، وكيف تم بحثه ، وتمت الموافقة عليه ، وتم اختراق شبكة فودافون ، وتم إرسال الرد ، ثم أجروا كل تلك الاتصالات التليفونية المحلية ، كلها فى ربع ساعة ؟ هذا لغز بالكامل . نعم الحكومة المصرية أحد الزبائن المرضى عنهم من الـ NSA ، لكن ما حدث يفوق حدود الرضا أو حتى الغرام . إنه طفرة تقنية . خيل له لوهلة أنهم باتوا كمحركات البحث فى الإنترنت ، تتجول ' بعناكبها ' فى الشبكة طوال اليوم ، وتسجل لنفسها نسخة من كل البيانات ، هى التى ينفذ عليها البحث الذى يريده متصفح الغشاء ، ذلك إلى أن يتم تحديث تلك البيانات فى الجولة التالية للـ spiders .

لكن ما حدث أنهم قالوا إن ذلك المدعو متياس أو أيا ما كان اسمه لم يشتر شريحة جديدة بعد . معنى هذا أنهم اخترقوا شبكة فودافون خصيصا في هذه اللحظة من أجلنا ومن أجل إمدادنا بأحدث ما بها من بيانات . أو ربما باتوا يتجولون الآن في الشبكات المحمية طوال الوقت ، وكأنها غير مسددة أصلا ، ومكشوفة لهم كما كتاب مفتوح يتسكعون فيه ٢٤ ساعة يوميا سبعة أيام في الأسبوع بلا مجهود . لعل أيضا كل تلك المراحل (حتى أتنا الرد) تتم إليكترونيا ، دون أية قرارات بشرية ، حاسوب عملاق يسهر على حراسة العالم ، حينما ينام الجميع . معالي السيد الوزير لا يعرف .

الحقيقة ، نحن لا نملك جوابا على تساؤلات معالي السيد الوزير . والمؤكد أن معلوماتنا ليست بحال أفضل من معلوماته . فقط لو تبيننا أراء وحيد الديب المثيرة للاستغراب عادة ، وربما للسخرية أحيانا ، والتي لا تعجب سوى الفتيات الصغيرات الساذجات أمثال هالة إقبال الدغيدى ومنى زهرى المصرى ، فسنقول إن اقتصادا كإقتصاد كوكبنا بحجم ٤٠ تريليون دولار سنويا ، هو جهد هائل سهرت أمنا الطبيعة على إنباته ورعايته ، وكلفها استثمار ١٤ بليون سنة من عمرها فيه . وهى تعتز بأن بنت كل هذا الإنجاز الوليد على مجرد ذرة غبار كونى اسمها الأرض ، تقع في ركن قصى تافه غير مستكشف من الكون . وتقول إنها لا تزال حتى اللحظة تراه استثمارا جيدا ، ولم يحدث أن فكرت في بيع أسهمها فيه مطلقا . وبالتالي هى لن تسمح بأن يضيع هذا كله منها ، بسبب هزار اسمه استقلال الشعوب ، أو عبط اسمه الديمقراطية ، أو استعباط اسمه حقوق الإنسان ، أو باسم أى نوع آخر أيا ما كان من لعب العيال !

للأمانة ، أو إحقاقا للحق ، وحيد الديب نفسه لا يدعى أنه يعرف التفاصيل . ويكتفى حين يسأله أحد ، بتريديد عبارة الكتاب المقدس 'عجيبة هى مسالك أمنا الطبيعة !' .

أما السيد الوزير فلم ينس أبدا ما حدث ، وظل يردد : ' قال محمود قال ؟ ' ، عاقدا العزم على أن يوقع بذلك الشخص أيا ما كانت الطريقة ، سواء بتتبع على التقنية ، لبصمة الصوت مثلا ، أو بأية طريقة أخرى واطئة تقنيا أو أكثر تقليدية .



يا لهول بؤس هذا العالم : مليون شىء يزيد الأنتروى ويقود للموات التدريجى للكوكب :

التسامح المسيحى - تحرير العبيد - الديمقراطية - الشيوعية - الأمم المتحدة - تصفية الاستعمار - تقرير المصير - الاستقلال - حقوق الإنسان - المساواة - الحقوق المدنية - حرية الهجرة - اختلاط الأعراق - التنوع الثقافى - العيش المشترك - مليون شىء .

شىء واحد فقط ينقص الأنتروى ويحقق الاستقطاب اللازم لتراكم الثروة ودوران عجلة الشغل ،

شىء جعلوه أقرب لكلمة سباب : الفاشية أو ال Eugenic !

في اليوم التالى جاء الجميع وقد اعتزى كل منهم هم مزدوج : كابوس اختيار الأسهم الذى حذر منه وحيد ، والشد العضلى الذى يلهب سيقانهم كما السياط بعد مباراة الأمس . لحسن الحظ نسوا الأمرين بعد قليل . لم يحدث ما خشوا منه من هبوط أسعار الأسهم . ما حدث أن عم التفاؤل البورصة بكاملها . وسط ذهول الجميع شهقت أسعار الأسهم ككل . السبب إعلان مفاجئ عن نية شركة الشبكجى السعودية الاستحواذ على كيوبيد . يتهلل الجميع ، ويتدافعون لشراء أى شىء ، وبالأخص كيوبيد . أما وحيد فيصاب بغضب وعصبية شديدين : لماذا كيوبيد ؟ الفكرة في نظرهم أن كيوبيد هى كل شىء . كيوبيد تتحكم في النسبة الساحقة من المحافظ الاستثمارية في مصر . إنها لو شاءت ، تستطيع في دقائق معدودات فعل أى شىء في البورصة . هكذا يرونها ، الثمرة الكبرى . سيحولون تلك المحافظ للمضاربة . بعد أن مارست كيوبيد لعقود وظيفتها في تنمية الاقتصاد المصرى ، بمسئولية وعلمية ونزاهة هائلة ، في أسابيع سيتحول كل الاقتصاد المصرى لكارتلة مراهانات ، وبعد شهر لن يبقى منه إلا الرماد . يسرد قصة تأسيس كيوبيد ، وأنها أكثر من مجرد شركة . إنها ركيزة مصر في المسيرة الصعبة نحو اقتصاد حديث تنافسى متقدم . إنها رمز ، إنها الأمل ، وسقوطها هو الضياع ، هو النهاية !

يتخذ قرار فجائيا يحاول الكل إثناءه عنه : أن يبيع كل ما يملك من أسهم . هذا لا يمكن أن يتم إلا في الصباح التالى إذ كان سعر السهم قد تجاوز كل الحدود المسموح بها في دقائق قليلة وأوقف من التداول . أقعده إدوارد وضهرى أن يترك لهما مهمة البيع ، التى يجب أن تتم على مراحل وبنظام معين ، وراحا يتلكنان فيها بحث لم يتم بيع آخر جزء إلا بعد أربعة أيام . هذا جعل عائد البيع أضخم بكثير مما لو كان وحيد باع كل شىء دفعة واحدة في اليوم الأول . احتفظ وحيد بعشرة أسهم فقط كى يظل من حقه حضور الجمعية العمومية التى ستبت في أمر البيع .

باتصالاته عرف أن الأمر قد قضى ، وأن الأغلبية في صف قبول عرض الاستحواذ ، وأن دكتور فرغلي لم يفلح في إثناء بقية كبار المساهمين أعضاء مجلس الإدارة عن ذلك . فعل كل ما بوسعه . قيل إنه تصرف بحدة تقارب الجنون أحيانا ، لكن القرارات تتخذ بالتصويت ، وسلطته الحقيقية على كيوييد سلطة معنوية لا أكثر حين يأتي الأمر للتصويت ، بالذات على أمر كهذا ، تحكمه عقلية التربح السريع . العملاقة التي طالما تحمست لها ، وبدت كبديهيية قدرية لي ، ليست بلا ثمن . بعض الشركات حين تتعملق على حساب هيمنة الملاك الأصليين أصحاب الرؤية والتخطيط طويل المدى عليها ، تترهل ويبدأ خطر مغادرة علمية الاقتصاد لألاعيب السياسة ، هذا إما بالتطبع ببعض السلوكيات الاشتراكية بالتواطؤ مع فكرة دور الحكومة في الاقتصاد بالذات حين يؤدي التخلي عن معايير السوق للخسائر ومن ثم يبدأ توسل حماية الدولة ، وكلها -أى تلك السلوكيات- أمور تكررت في أميركا أكثر من مرة ، وإما أن تسلك أساليب عربية مسلمة لا ترى أبعد من تربح وارتزاق ما تحت قدميها ، وهو ما يحدث الآن في كيوييد . جاء روكيفيلر من جديد على ذهن وحيد ، ثم راح يحاول تذكر أى من الشركات الحالية الشهيرة لا يزال يحرص أصحابها على نسبة الـ ٥١٪ لأنفسهم ويقاومون إغواء التعملق الزائد ، فلم يتذكر سوى ريوبرت ميردوك الذى شبهوه به يوما عن غير وجه شبه حقيقى ، وزاده غما خاطر أن أغلب الأسماء الكبرى في دنيا الشركات العالمية قد لا تكون ببعيدة عن ذات خطر تحكم الدهماء أو ' النوفو-ريش ' من قابضى الأسهم في مصائرهما . والآن ها هو -أى وحيد- يقضى الأيام التالية عاكفا على تجهيز خطبة عصماء عن ماضى كيوييد ومستقبلها ، كى يلقىها في الجمعية العمومية ، ليس أملا في شيء ، إنما فقط من قبيل تسجيل موقف .

يا لهول يؤس هذا العالم : مليون شيء يزيد الأنثروبى ويقود للموات التدريجى للكوكب : التسامح المسيحي - تحرير العبيد - الديمقراطية - الشيوعية - الأمم المتحدة - تصفية الاستعمار - تقرير المصير - الاستقلال - حقوق الإنسان - المساواة - الحقوق المدنية - حرية الهجرة - اختلاط الأعراق - التنوع الثقافى - العيش المشترك - مليون شيء . شيء واحد فقط ينقص الأنثروبى ويحقق الاستقطاب اللازم لتراكم الثروة ودوران عجلة الشغل ، شيء جعلوه أقرب لكلمة سباب : الفاشية أو الـ Eugenics !



شر الأمور الوسط ،

ومن يقول لى لا يوجد أبيض وأسود وكل الأشياء رمادية ،

أرد عليه جازما هذا لون الغبار ولو نفخته سيظهر لك أحد لونين لا ثالث لهما !

كنت قد اعتقدت لوهلة أن المضاربة هى وسيلة لتحقيق بعض الربح المادى ، إلى أن اكتشفت أنها أسلوب حياة كامل متكامل ، بل ولدى الجميع . إنها رؤية أغلب البشر للعالم ، من مضاربات ونس إلى صداقات روميو إلى ما بعد-حادثة منى إلى غدر العرب إلى ألاعيب السياسة إلى كذب الجميع على الجميع إلى كل شيء ؛ مشى حالك هو القانون الأسمى للكون ، ولا أحد يراهن على المصادقية المستدامة أو الاستثمار طويل المدى أو التخطيط المستقبلى أو اتساق الذات ؛ إلى آخر تلك الأشياء اللعينة التي تطاردنى وحدى دوناً عن كل البشر !

قصر النظر عم كل شيء ، بما في هذا قصر النظر في رؤية أن قصر النظر يقودهم للموت والتحلل البطيئين دون أن يشعروا . كل شيء صار mediocre و banal . الركافة والابتذال ، الغناء والعادية ، هى القانون الأعلى هنا ، إنها النافوسيا المصرية . هم يكرهون الاستقطاب والصراع ، دون أن يعلموا أن لا حياة بلا استقطاب وصراع ؛ دون أن يعلموا أن شر الأمور الوسط ، وأسألو داروين ، أو أسألو القانون الثانى للديناميات الحرارية ، أو أسألو الوثائق المؤسسة لأميركا يوم قالت بحق الحياة والحرية والبحث عن السعادة في ظل إله واحد : قانون الدغل ؛ أسألو أيا من كل هؤلاء هل سألوا أنفسهم ساعتها هل تنتمى أفكارهم للوسطية أم للتطرف ؟ !

قطعا هى أفكار شديدة التطرف . أية وسطية في كل هذا ؟ الوسطية لم تصنع التاريخ يوما ، بل في الواقع هى قاتلة كل الحضارات . ما صنع التاريخ هو -وهو فقط- أفكار تطرفت في الاتجاه الصحيح .

آه ها ! mediocre ! في الإنجليزية الوسطية سبة ، وعندنا نباهى بها ! أن تتحاشى اتخاذ الموقف الصحيح -أو حتى الخاطى- هو الشيء الأكثر أمانا ، أما أن تسعى لأن تكون صاحب موقف فسيصرخ الكل في وجهك ساعتها : متطرف !

... قبل هذا وذاك ، لا تنس أن أساسا تعريف الوسطية هو هز الوسط !

كل شيء حولي في مصر الجديدة هجين . البشر هجين ، الوجوه هجين ، الأفكار هجين ، المباني هجين . حتى البازيليك نفسها ليست بازيليك حقيقية . حتى ماكينة الهاتف المعلقة على حائطها كما البرغوث الطفيلي ، هي ملك لرأسمالى هجين مزيف اسمه مرقس .

لماذا دائما يقيم المتخلفون الدنيا ولا يقعدونها ؟ لماذا لا ينحنى الخاسر للفائز ثم ينصرف صامتا في كرامة وكبرياء ؟ ألم تكن هزيمة قاسية جدا يوما ، لكنى لم أولول للحظة أو أحاول إلقاء اللوم على أحد ؟ لماذا يكرهون المبدأ الجميل The Winner Takes It All ، ناطقا بدستور أمناء الطبيعة الذى أرادته لعالمنا وحيواننا ؟

نعم ، شر الأمور الوسط ، ومن يقول لى لا يوجد أبيض وأسود وكل الأشياء رمادية ، أرد عليه جازما هذا لون الغبار ولو نفخته سيظهر لك أحد لونين لا ثالث لهما .



... إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني ؟ !

من يجرى في دمائه جبين العبودية ، لا يمكن أن يفهم قط معنى الحرية ؛

العبيد لا يريدون أن يصبح الجميع أحرارا ، إنما ببساطة يريدون استعبادنا نحن !

يا للنكتة ! أنا من يعط في النصر والهزيمة ؟ ! هل أمناء الطبيعة إله حقيقي ، إله كلى-الجبروت كما طالما أوهمنا العلم ؟ ما الفارق بينى وبين أى متدين يذهب للحرب معتقدا أن إلهه سيحارب معه ، لكنه يهزم لأن ببساطة لا وجود لذلك الإله ؟

... إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني ؟ !

... أخشى ما أخشاه -إذا كانت حقا كل الأشياء تبدأ من مصر- أن كل الدنيا سوف تتداعى ، وأن كلمة الوسطية لن تصبح سبة في اللغة الإنجليزية هي الأخرى !

... هذا سوف يطرح ساعتها السؤال الأبله : لماذا احتاج الأميركيون لربع ألفية كامل حتى اكتشفوا أن الدولة الأميركية قد قامت على مبادئ متطرفة ؟ !

... الإجابة جلية : أن العبيد بطيئو الفهم !

أنا لم أكن يوما ضد تحرير العبيد ، الفكرة موجودة منذ العظيم يوليوس قيصر ، ومن عارضها الساسة الفاسدون المنتفعون من هذه التجارة زائد العبيد أنفسهم . هربرت سبنسر -ناهيك عن تشارلز داروين- نفسهما لم يكنا ضد تحرير العبيد ، فقط لا أحد من هؤلاء العظماء رأى فيه تلك الرطانة السخيفة التي يصدعون أدمغتنا بما الآن عن المساواة وقيمة الإنسان إلى آخر هذا الهراء ؛ فقط رأوه مجرد إعلام للعبد أن أحدا لم يعد يكفل له طعامه بعد الآن ، وأن عليه أن ينطلق بنفسه للدخل المتوحش ويعتمد على ذاته . هذا هو معنى تحرير العبيد كما أفهمه ، عدا هذا فعدم تحريرهم أفضل كثيرا ، بل أكاد أفهم أن رواد الفكرة قصدوا منها وسيلة بارعة لتسريع انقراض هؤلاء ممن جعلتهم خصائصهم الجينية متخلفين عن الركب الحضارى ، إذ لم يكن يتوقع أن ينجو منهم فى مجتمع رأسمالى تنافسى حر وعادل سوى القلة الكفاء ؛ أما أن يجرروا ويمنحون حصانة ضد الانقراض تحت مسميات مثل التمييز الإيجابى ، بل يتحولون لقوة ابتزاز عاطفى وبلطجة نقابية وتحزب سياسية وميليشيات مسلحة يحلون سادة أميركا وبناتها الأصليين مواطنين من الدرجة الثانية ، عليهم وحدهم الكدح على أن تذهب معظم الثروة أو كلها لهم هم ، فهذا إجرام ، ناهيك عن كونه تخلفا ورجعية وكارثة أنتروبية .

... إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني ؟ ! من يجرى في دمائه جبين العبودية ، لا يمكن أن يفهم قط معنى الحرية ؛ العبيد لا يريدون أن يصبح الجميع أحرارا ، إنما ببساطة يريدون استعبادنا نحن !

رأسمالى هجين ؟ يا للكارثة : أين نحن الآن من أيام روكيفيللر وإديسون ؟ لقد كانت أعظم أيام للرأسمالية التنافسية التى يفضل البعض تسميتها بالمتوحشة . صاحب ستاندرد أويل لم يكن يتورع عن تدمير منافسيه تدميرا تاما لا تأخذه بهم رحمة ، وكله علنا صريحا فوق الترابيزة وفى حدود القانون ، بل يتباهى مسميا ذلك بالعبادة الأسمى ، والأدهى منها أن المجتمع نفسه كان يقف مهللا تصفيقا للفائز وتصفيرا للمهزوم سعيدا بما يجرى ، والأدهى وأدهى أن الفائز والمهزوم غالبا ما يستمران صديقين شخصيين ، فالأمر برمته سباق مقرر القواعد سلفا ويجب أن يتم بروح

رياضية . صاحب جنرال إليكترونيك -مخترع المصباح الكهربائي ونحو ألفي اختراع آخر- كان في نفس الوقت صاحب أكبر جيش للمحامين في عصره ، يلاحق به صناع التصاوير المتحركة حتى قفار الحدود المكسيكية المدعوة هولليوود ، فالمخترع العظيم هو جشع عظيم ، لأن كليهما العبادة الحققة لأمنا الطبيعة ! الدنيا لا تتطور إلا فقط بهذا الأسلوب التنافسي الشرس ، أليس هذا ما تعلمناه في التاريخ الطبيعي يا حاج وأنت أعلم مني به ؟ ! الرأسمالية الحالية برمتها هجين . أخذت من الديمقراطية البورصات فأعطت كل من هب ودب حق أن يدلي بدلوه فيما لا يفهم ، وأخذت من المسيحية التبرع والإحسان ووجبات الطعام المجانية وكل ما يسمى بأفعال الخير بينما هي الشر عينه ، وأخذت من الاشتراكية الضرائب والحق في سلب ومص عرق ودم الغير ، وأخذت من بلطجية النقابات -أو بالأحرى أعطت- التأمينات والضمانات والأتاوات وحق النوم في العسل وتعلمت أن تقاد لا أن تقود ، بل وأخذت دون أن تدري من الإسلام المراجعة والمضاربة والمقاورة والمناسبة والمسارقة والمناهبة والملاصصة ، وأسمتها بنوكا استثمارية . المفارقة أنني راهنت بكل ما أملك على واحد منها ، وما هم العرب يحولونها بأموالهم لفقاعة زيف بين لحظة وضحاها ، وكأن لم يكفهم أن تكاثرت بنوكهم الشبيهة في مصر التي حاولت تقليد نجاح كيوييد ، دون أن يكون لديها أى من قيمها ومبادئها .

مبادئ وقيم ؟ هل هذا كلام يصدر عن شخص مادي مثلي ؟ سامحني يا دكتور فرغلي ، لكن هل سنظل نعول للأبد على أمثالك من أصحاب الوعد الحق للرأسمالية ، كي تظلوا قلعنا المنبعة ، أم سوف تكتسحكم أنفسكم العملات الرديئة وقوى الأنثروبي الهجينية الغثائية ؟ ! سامحني مرة أخرى إن بدت متخلفا بعض الشيء ، لكني الآن أرتجف : الهجوم كاسح وأخشى ما أخشاه أن يكتسح القلعة الأخيرة التي يعول عليها التقدم : حرية الاقتصاد . أليس من الأفضل أن تعود الرأسمالية لأصلها الرصين ، نموذج ما قبل نشوء البورصات أصلا ؛ نموذج البنك التجاري الربوي اليهودي المحترم الذي يقيم الشركات الإنتاجية بنفسه ويضخ المال لداخلها مباشرة تبعا لتقييمه هو لها ، بدلا من نموذج البنك الاستثماري الفقاعي الإسلامي القذر (والإسلامي أقولها بين قوسين ، لأنني أعرف أن المسلمين حثالة بشرية ولم يسمعوا بكلمة بنك أصلا إلا هذه الأيام ولا يمكن أن يكتب باسمهم اختراع ذى وزن في التاريخ سوى غارات قطع الطريق) ، نموذج البنك الذي يمول الشركات من الخارج بمجرد شراء أوراق تسمى أسهمها أو بتوريق ديونها ثم بتوريق التوريق وهكذا ، وكله طبقا لأهواء الدهاء . هل هذه هي الرأسمالية الحققة كما قصدتها آدم سميث وأمنا الطبيعة يا دكتور ؟ هل حين كنتم تتحدثون عن العرض والطلب وقوى السوق كنتم تقصدون قوى الورق وقوى الكلام وقوى الدعاية والضجيج والتطليل وقوى الانفعالات والأمزجة والأهواء ، أم قوى المادة ، قوى الأشياء الحقيقية الملموسة على الأرض ؟



الأنثروبي الجينية !

... يا للمأساة ! الأمر لا يخص الرأسمالية وحدها ! بل الواقع أنها بطولية حقيقية منها أن ناضلت واستمرت كل هذا الوقت !

... من استطاعت هذا سوف تنتصر حتما . لا يجب أن أفقد إيماني بقوى السوق والصراع والتنافس ، وأن مهما أظلمت الدنيا لن يصح في خاتمة المطاف إلا الصحيح ، ومهما اسود الليل لا بد وأن يأتي الفجر !

... لكن كيف ؟ إن كل ما حولى ينطق بالموات الأنثروبي . الدنيا تعطى اهتماما وتدقيقا هائلين لتناسل الجياد أو حتى الأرانب . صاحب المزرعة التي ولد فيها مايتي يأتي من صربيا سنويا لزبارة زهرى والاطمئنان أن كلبه يتلقى التربية الجديرة بما يسميه ' هذا الـ great gene ' . أما البشر ، فمتروكون لاختلاط الجينات كيفما شاءوا !

... إذن ربما الضعف هو النهاية المحتومة لكل عشيرة بيولوجية . تعريف العشيرة البيولوجية هو مجموعة الحيوانات التي يمكن أن تتناسل معا . كل القطط يمكن أن تتناسل معا ، لذا لا مفر من أن نحصل في النهاية على فصيل متوسط ردىء بينما تكون كل الفصائل الممتازة قد اندثرت !

... يا للهول ! ربما يكون هذا هو عينه لحظة الفصيل طوال الوقت في نهاية تسيد عشيرة ما على الأرض وبدء ظهور عشيرة جديدة أرقى !

... بل طبيعي أن يكون هذا هو عينه تفسير نهاية الإنسان بالتالى ، والانتقال لعصر ما بعد-الإنسان !

... بل يا للهول ! اختلاط الأعراق ليس نفسه إلا إحدى تجليات الموات الأنثروبي !

... بل يا للهول ! إنها كارثة كل الكوارث (وربما اسم كتابي القادم ؟ !) : الأنثروبي الجينية !

... بل لماذا لم تسكن يا جدى الغبي في المعادى ؟ !



بعيد عنك سكتة قلبية !

أواخر أكتوبر تحدد موعد الجمعية العمومية بعد شهر بالضبط من يوم القناطر الوداع ، شهر مر كأطول شهر في حياة وحيد . نعم ، كان يذهب أحيانا لرئيس ، لكنه لم يكن يجد ما يفعل ، لم يكن مؤهلا لإجابة طالبي النصيحة ، لأن تركيزه كان ضعيفا جدا مع ما يجري على الشاشة . لم يكن له مزاج حتى لمناقشة زهري في أى شيء . في الليلة السابقة على عقد الجمعية العمومية المنتظرة على أحر من الجمر ، يسكر حزنا لا ينام ويفوته الحضور من فرط الإعياء . حسب روايته ، هو لم ينم لأنه كان يضغط أزرار الكهرباء في البيت لكن الأنوار ظلت مضاءة . فصل الكهرباء من المصدر خارج الشقة نفسها لكن ظلت كل المصاييح والأجهزة ترفض أن تنطفئ .

يأتى صوت وحيد واهنا عبر الهاتف : أنت فين دلوقت ؟ أنا عملت غلطة وحشة قوى النهارده ، وحاسس بهبوط شديد وشكلى ها أموت . أولا بأستأذنك في الرحيل ده ، أنا شكلى موش ها أكمل ، المسيح-الضد ها يموت خلاص من غير ما يعمل حاجة ! ثانيا بلغ سلامى للجميع ، لوالدتك وللمدام ولمنى وللناس في رئيس . ثالثا عاوزك تكون شاهد أن إالى حصل لى ده موش انتحار . أنا متخيل ها يتكتب إيه عنى ، حياة فاشلة تنتهى بالانتحار . دى وصيتى يا زهري ، يا أعز صديق . (ثم يضحك بالكاد :) أريد أن أقول لك شيئا أخيرا : لو هناك بالفعل عوالم حية على أحد إلكترونيات جسمك يبعدونك ، ما أستطيع أن أخبرهم به هو أنك إله لا بأس به !

جن جنون الحاج واتصل بالدكتورة سماء ، قال لها إنه يسكن بعد العمارة إالى فيها رئيس بيبتين . جاءت بالبواب وكسرت الباب ، جاء صوت وحيد قائلا بوهن شديد ' أنتى هنا يا دكتورة ؟ ' . ثم ذهب في إغماء عميق وجسم متصبب عرقا باردا كالثلج . وبينما سيارة الإسعاف تهم بالمغادرة ، كان الحاج قد وصل بالفعل ، حيث لم يحتاج لأكثر من نحو عشر دقائق لقطع كل المسافة من القاهرة الجديدة بأقصى سرعة مجنونة جربها في حياته . أخذوه للمستشفى ، حيث شخصت الحالة بهبوط حاد ، شرعوا بغسيل المعدة وحقن العقار تلو الآخر في الأنبوب المزروع في ظهر يده .

توقف قلبه وسط هلع الجميع . سماء في حالة أقرب للذهيان المخبول . راحت تدق صدره بالشحنات الكهربائية . أجرت المحاولة تلو الأخرى . لم تجد جدوى . بدأت الدموع تسيل في عينيها . بدأت هى نفسها تهوى إلى الأرض . حين أصبح وجهها المتهاوى أمام يده الممدودة من جانب السرير ، هيئ لها أن أصابعه تتحرك مشيرة إليها كى تنهض .

بالفعل كانت تتحرك . بالفعل كان خط الضوء يشير على الشاشة لعودة الحياة ، بعد توقف لثلاث دقائق على وجه الدقة .

بالفعل كانت تتحرك . بالفعل نهضت . واحتضنته وقد وصل بها الهذيان أشده .

كان وحيد قد جاء لرئيس مبكرا ، حزينا مهموما . جاء لأنه لم يطق نفسه بعد أن اكتشف فوات موعد الجمعية العمومية لكيوييد ، ولم يعرف لأى مكان آخر يذهب . كل ما فعله في رئيس هو أن أجرى حوارا مع ونس ، قال فيه هذه الأخير إنها مؤامرة مقصودة ، وأنهم تعمدا جعل موعد الجمعية مبكرا جدا في الصباح ، بحيث لا يذهب أحد . عاد من فوره للبيت إلى ذات الحالة المؤلمة التى تزداد تفاقمًا : استيقاظ بلا يقظة ونوم بلا نوم . سكر بشدة ثم حاول النوم ، فجافاه من جديد ، فقرر في خاتمة المطاف أن يرسل البواب لشراء حبوب منومة . تناول ثلاث حبات فحدث ما حدث .

ألغت سماء عيادتها وظلت إلى بجواره هى وزهري . حين أفاق وجدها ووجد زهري الذى بادرة بكلمات الحمد على سلامته وأردف مشيرا إلى السيدة فارعة الطول بجواره ' سماء ألغت عيادتها وصممت تقعد جنبك ! ' . شكرهما ، لكنه لم ينس السؤال عن شيء استراب فيه قبل لحظة من ذهابه عن الوعي : لما كلمتك سألتك أنت فين ، رديت على وقلت أنا مع مجدى في بيت الدكتور فرغلى ، صح ولا أنا كنت بأتحيل ؟

- يا وحيد ، إالى كنت متوقع له يأخذ نوبل بعد أسبوع ...

- (صاح بأقصى ما يستطيع به صدره الممزق :) ما له ؟

- دكتور فرغلى تعيش أنت يا وحيد . بعيد عنك سكتة قلبية !



العيب ليس فى أنا ، العيب فيها هى !

كانت سماء قد سهرت بجوار وحيد ترعاه طيلة تلك الليلة . تذرعت بأفكارها الطبية ، فسمحت لها إدارة المستشفى . المسكنات وما شابهها ، هذه التى أعطيت لوحيد ، جعلته يذهب فى نوم عميق ، أو بالأحرى غياب وليس نوماً بمعنى الكلمة . بدأ يتنهد فى الصباح والمرضة تتفقد شيئاً ما فى يده . لاحظ وجودها ، همست له بأن الدكتور سماء سهرت طوال الليل بجانبه ، ولندعها تأخذ بعض النوم . ما الذى حدث ؟ لقد تنبهت للحظات . أذكر أن قالوا لى فيها إن الدكتور سماء هى التى أنقذت حياته . قالوا لى إنها تداعت مغشياً عليها على الأرض . ربما لديها عذرها . تخصصها فى الطب هو استقبال الحياة لا توديعها . هل يعقل أن ظلت طيلة الليل جالسة على مثل هذا الوضع غير المريح ؟ لم أتخيل أنها ستفعل شيئاً كهذا وإلا كنت قد رجوتها الرحيل . غالباً أعطوني منوماً بعد ذلك ، وإلا كنت قد فعلت . على الأقل كان بإمكانها أن تطلب سريراً . ما الذى جعلها تقدم على هذا ؟ لا شك أنها مرت بحياة المستشفيات ، وتعرف أعرافها وخباياها . المنوم ؟ الدوار ؟ ثم ما هذا الذى قاله ضهرى ، تلك الفجيعة الخاصة بدكتور فرغلى . هل أراد أن يهتئنى على عودتى للحياة أو يواسينى لما مر بى بخبر كهذا . لا ، لا يمكن أن يكون الأمر برمته صحيحاً . إنه قطعاً كابوس مر بى فى نومي الطويل هذا .

جاءته غصة فى حلقة ، لكنه كبح أن يبدر عنه صوت قد يوقظها من نومها . كم أنا وحيد حقاً ! أليست فى حاجة لامرأة ترعاني وأرعاه ؟ someone to watch over me كما تقول مزامير داود . هل تكفى رمانة الطيبة لمثل هذا الدور ؟ منذ بدأت أنشغل بما فى هذا يومى الجمعة والسبت ، وأنا ألاحظ أن المسكينة تضطر للاستيقاظ مبكراً جداً . تأتي كل تلك الرحلة فى البرد ، حتى لا تفوتنى ابتسامتها . تعتبر أن هذا صلاة فرضت عليها ، لا يصح التقصير فيها . حذرته من أن تفعل هذا فى هذه الأيام بالذات ، هذه التى بدأت قارسة جداً ، رغم كل ما يقال عن سخونة الكوكب . لا يبدو أنها ستقنع . أخشى أن أتسبب دون أن أشعر بأذى جسيم لها . لقد فعلت مثل هذا يوم قررت رعاية أمى فإذا بى أصيبتها بالكمد حتى ماتت . يا رمانة لماذا لا تصدقين قولى المتكرر إنه مهما حدث لا تتخيلى للحظة أنى استغيت عن ابتسامتك . قطعاً لن أستغنى عنها أبداً . فقط تأكدى أنه يكفينى أن أراها مرة واحدة كل أسبوع أو أسبوعين كى تنطبع بقية الأيام فى مخيلتى . أمل ألا يحدث مكروه . على أية حال لا أعتقد أن أينا كان يطمح من وراء هذه العلاقة لأكثر مما نال منها . كلانا يعلم أنه نال الكثير من ورائها ، نال أكثر من الأحلام نفسها ، ولا يلح فى طلب المزيد . أشك أن أعثر على الدفء والحنان الذى وجدته معها ، وأشك أنها وجدت فى حياتها البائسة من منحه إياها غيرى . المشكلة أنها علاقة بلا مستقبل . لقد تعاهدنا على نحافظ عليها كما هى حتى آخر يوم فى حياة أينا ، وهذا يكفى . وأعتقد أن قلبها أكبر من يأتى بأية حماقة يوم ترائى فى حضن امرأة أخرى !

كيف غفلت عن نفسى كل تلك السنين ؟ ثم أعيانى التفكير حين بدأت أهتم فجأة بالأمر فى الشهور الأخيرة . هل أفكار منى الخاصة بالزواج بعد السبعين هى موضحة العصر ؟ وباء استشرى بين الفتيات ؟ هل أنا كهمل بالنسبة لهالة ، ولم يحدث أن فكرت فى مطلقاً ؟ حتى لو لديها صورتها الخاصة لفتى الأحلام ، فلن تكون صورتى . وسيم ؟ ربما حتى لا أكون كذلك ، يقولون إن الفتيات يحببن اللون الأسمر هذه الأيام ، وينفرن من البشرة البيضاء والشعر الفاتح والعيون الملونة . منى المندفعة قالت ذات مرة إن عصر التكنيكولور انتهى ، والموضحة الآن هى الأسود . دعنا من منى وأفكارها السوداء المتطرفة . ربما تكره العلاقات الجنسية لذلك السبب . آه لو أدخل لعقل هالة ولو للحظات ! حتى هذه فكرة سقيمة . أنا أعرف النتيجة سلفاً . لسنوات أعيانى التفكير فى كيف يمكن أن تفكر فى فتاة مثل هالة ، ولا أريد مواجهة نفسى بفاجعة أن الإنسانية الوحيدة التى تتطابق أفكارها وأفكارى ، لا يمكن -بفضل هذا الفكر ذى اللعنة معدومة النظر- أن تهتم بالزواج أكثر من اهتمامها بالكتابة ، بالإنتاج والعطاء والإرث ؟ ... أو لماذا لا يلقي علينا أحد ببساطة بتعويذة تسحرنا طائرى حب صغيرين كسامر وميرفت ؟ !

ماذا أيضاً عن فتيات السيقى ستارز اللاتى يصادقهن ويتكلم عنهن روميو ؟ أفواج لا تعد ولا تحصى ، لكن بالتأكيد لكل منهن تصوراتها الخاصة جداً لأحلامها ول مستقبلها . المؤكد أن لكل واحدة منهن خططها فى التعليم والنجاح . المؤكد أنى لست جزءاً من هذه الخطط . واحتمل أن لم تفكر أيهن نهائياً بعد فى الزواج . لا أدرى . هل هن شبقات ، بجانب كل هذا ؟ هل لهن وجه ثان مختلف عما يبدو فى الظاهر . أيضاً لا أدرى . ما أدريه هو أنى لا أستطيع بدء الكلام مع أى منهن . هل لم يعد أحد يفكر فى الارتباط طويل الأمد ؟ بالأمس رأيت سوسن تجلس فى المقعد الخامس بجوار روميو ، ويتسامران طوال الوقت ، بل يحيان بعضهما البعض بقبلة سريعة لدى اللقاء ولدى الافتراق ، كل ذلك بينما كما قالوا لى ، لم يعد ثم تواعد بينهما وعلاقتهم الجسدية باتت مقطوعة . كيف ؟ هل أطلب من روميو درساً خصوصياً ، يحدثنى فيه عن كيف يفكر

هذا الجيل الغامض الصامت . لماذا يمسكون عن الكلام في الحب والجنس ؟ هل التدين الذى اكتسح المجتمع لعقود زرع فيهن خجلا لم تكن تعرفه أمهاتهن ؟ أم هى طبيعة العصر ، التنافسية التى لا ترحم ، واحدة مثل منى تشتغل على دروسها ٢٠ ساعة يوميا . لو كان لديها وقت للتفكير لفكرت غالبا فى الوظيفة التى قد لا تأتى . من أين لها الوقت أصلا كى تفكر فى الجنس والحب .

ثم من هؤلاء الجولييتات اللاتى تتحدث عنهن منى ؟ هل معقول أن الثنائية الجنسية هى المتسيدة اليوم ؟ هناك إحصاءات أميركية وأوروبية كثيرة تتحدث عن هذا ، لكن هل فى مصر أيضا ؟ هل أفكار فتيات هذه الأيام تختلف عن أفكارنا لهذه الدرجة ؟ الواضح أنى لا أصلح لأيهن بالمره .

لكن أخيرا ، ماذا عن سماء ؟ أرملة ، أصغر سنا منى بقليل . هل رأيت ماذا فعلت طيلة الليل ؟ حتى ضهرى لم يعرض خدمة كهذه . لكن حتى لو عرضها ، وصرفوه مثلا لأنه ليس طبيبا مثلها ، فذلك طبيعى لأنه صديقى الذى أفضى معه الساعات الطوال يوميا . أما هى فكل ما سبق بيننا أن قالت لإدوارد أنت نصايحك فى الأسهم تودى فى داهية وأنا من هنا ورايح ها آخذ نصايح الأستاذ وحيد . دعتنى مرة لنادى هليوبوليس ، ولقسوتى لم أحرص على توطيد صداقتى بها . إنها حتى لم تستشرنى فيما يخص الأسهم سوى مرة أو مرتين . النقاش الجدى الوحيد بينى وبينها ، كان يوم عرضت أن تساعدنى فى اقتناء كلب ، فقلت لها لا أفكر فى تكرار تجربة اقتناء حيوان أليف . كان لدى قط اسمه فادو ، ويوم سافرت للكويت ، توقف عن تناول الطعام . ذهبت به أسمى لكل الأطباء بلا جدوى ، ومات بعد أسبوع ، فأضافته كحجة أخرى لتوجسها ورفضها الشديدين لسفرى لبلد عربى . قالت بإلحاحها المعتاد إن ذلك أمر مرعب ، لأنه سلوك من غير المعروف عن القطط . يا للغباوة ! سماء تريدنى اقتناء كلب ، بل وتعرض مساعدتى ، فإحدى مريضاتها ترى العشرات منهم ، ويمكن أن تأتيني بكلب كهديه . إنها أكثر من مجرد تلميحات . يا لى من مندفع ضيرير أخرق !

ثم ما كل هذا الحنو منها بالأمس ؟ شىء يصيب الرأس بالذهول . إنها إنسانة بمعنى الكلمة . لكن أليست هذه طبيعتها . حتى لو أنها لم تكن تفعل شيئا خاصا لى ، وكانت ستفعله مع أى صديق ، ألا يستحق الأمر التفكير ؟ إنها لا تعرف حتى أنها تقدم تضحية . أتذكر ماذا فعلت يوم أنبأناها بمقتل نبيل ؟ لم تنبس بكلمة ولم يقو وجهها على التعبير بأى شىء . فقط أشارت بإيماءة من أصابع أربع مضمومة أن اخرجوا . لو أن أما فقدت ابنها لما ضربتها صاعقة كهذه أبدا . بالأمس هى التى أعادت لى الحياة . لا رجاء لى إلا أن يكون هذا قد خفف عليها ما رأيناه يوما على وجهها يوم نبيل . لكن هل هذا هو كل ما تستحق من مكافأة ؟ ماذا تريد هى نفسها ؟ إنها لا تلمح لأنها تريد شىء أبدا . هى لا تريد شيئا أبدا . كانت تريدنى أن أفتنى كلبا ، كى لا أكون وحيدا . كى تتأنس مشاعرى ، كى تعالجنى . تعالجنى كما تعالج مريضاتها . تشخص المرض وتصف العلاج . قطعا لم تكن تلمح لشىء يخصها هى . هذا ليس هى . إنها تعطى وفقط تعطى . حياتها سلسلة لا نهائية من التضحية .

لا أكاد أتخيل من أين جاءت بنظرها للحياة ؟ إنها ترى توليد الأطفال فعلا مقدسا . تمارسه وكأنها فى معبد ، تتكلم عنه وكأنها تصلى . لماذا تتراوى لى دوما وكأن موائع الحياة ، أكاسير الرحم ، قد لفت جسدها البللورى الشفاف ، كما هالة سميكة من أثر سائل ، تمنعنى حتى من محاولة تجاذب أطراف الحديث معها ؟ إن هذه المرأة هى الفيلسفة الإنسانية وقد تجسدت على قدمين . إن أفلاطون نفسه لينحنى خجلا منها .

اللعة ! لماذا يضعف الإنسان حين يتقدم به العمر . تقاطع الدموع عيوننا نصف قرن ، ثم تغدق علينا كرمها الفجائى مرة واحدة . هل أتقدم لها ؟ ألا تحتاج لأنيس مثلى ؟ هل أجعل إدوارد يتلمس رد فعلها . إنها ترتاح له ، ولا بد أنها تصارحه بسهولة بكثير من الأشياء . هل أجعل الحاج هل الذى يقوم بتلك الاقتراية نيابة عنى ؟ إنه لا يتورع عن شىء ، وفى نفس الوقت كل الناس تحترمه . إنها فرصة العمر التى لا تأتى إلا مرة واحدة . الحب فعل لا عقلانى . الحب أن تمنح بلا حدود وبلا حسابات ، أن تستسلم بالكامل وأن تقدم كل شىء ، وتجد سعادتك فى هذا . إحصاءات منى وتجارب روميو تقول إنه عملة نادرة جدا . لكن ماذا لو كانت سماء هذه هى فرصة الواحد فى المليون التى ينتظرها الملايين ويموتون قبل أن تأتيمهم . السعادة التى تأتى من وراء الحب الحقيقى هى السعادة القصوى ، السعادة الغائبة ، اللانهاية . الآن سعادتك على مرمى كلمة واحدة منك . هذه إنسانة تضحى بإخلاص ، وأنت مشاعرك تقول لك إنك ستمنحها بدورك الحب والتضحية بلا حدود .

لا ! لا ! انس كل هذا . بالإنجليزية يقولون ملاحقة السعادة . ربما كذلك فى كل اللغات . ربما تواضعت كل البشرية على أن السعادة لا تدرك . فقط ' تلاحق ' . من أنا حتى أفهم أكثر منهم ؟ ! تلك كلها أحلام أجمل من أن تكون حقيقية . ألن تسليخ نفسك ببساطة هكذا من إيمانك الأزلى بمادية أرسطو ؟ هل تستسلم لتهاويم أفلاطون وتهدر كل ما أقممت عليه حياتك كلها ؟ كيف ستعيش نفسك بعد اليوم ؟ بلى ،

السعادة ليست السؤال . كيف جرؤت أصلا ؟ السؤال ليس أى من كل هذا . السؤال هل أنا استحققتها فعلا ؟ أليس ظلما لهذا الملاك الطاهر أن يقضى حياته مع آلة متوحشة مثلى ، تؤمن بأن إبادة نصف البشرية ستجعل اقتصاد الكوكب أكثر صحية ؟ أين موائع الحياة وأكاسير الرحم وهالة الأثير البللورى الشفاف ، من 'كرات دهن لزجة مقززة تقذفها الأرحام ! ' . إن محيطا كاملا يفصلنا . ما الحل إذن ؟ ماذا أفعل ؟ هل استمر وحيدا ، اسما على مسمى ؟ الإجابة غالبا ستكون هى عينها كما كانت طيلة الأربعين سنة الماضية : لا أفعل شيئا !

على أية حال ، لا بأس . روميو يقول لا حب مع النساء . منى تقول لا حب مع أحد . أنا نفسى حين أدخل فى غيبوبة الكتابة وأمسك بالكيورد أقول إنه فى عصر ما بعد-الصناعة (الذى هو نفسه على وشك الانتهاء) ، كل المشاريع باتت فردية ، ولم يعد ثمة مكان لمشاريع ثنائية أو لأسر نووية . أما هى فتعايش قوى الطبيعة فى أعنف تجلياتها ، لكنها تصر على ألا ترى إلا وجها واحدا فقط منها . ترى عنفوان الحياة والميلاد والاحتضان . هذا رائع . لكن كيف لها أن تعمى هكذا ببساطة عن الوجه الآخر الذى لا يقل عنفوانا ولا قداسة ، وجه الصراع والقتل والموت ؟ ! مع كل مشاعر الحب والاحترام منى لها ، وأيضا كل ألم الخسارة ودمع الندم منى لنفسى ، العيب ليس فى أنا ، العيب فيها هى !

كانت سماء قد استيقظت ، حيثة تحية الصباح . راحت تتطلع للأجهزة ، بينما تتحسس جبهته وقوة نبضه ، وراح هو يلح عليها بكلمات العرفان والمديح والثناء ، حاول أن يستجمع فيها كل خبرته الطويلة مع حرفة الكلمات . لكن للأسف كل هذا المجهود ذهب هباء ، لأنها -وهى المولعة دوما بالإنصات لكل حرف يقوله محدثوها ، لا تعطى نفس الاحترام لكلمات الشكر التى توجه لها .



إما أن تعطى الشطرنج عمرك ، وإما أن تحتفظ لنفسك بهذا العمر !

كان حارس غوطة صديقا جيدا لابنتيه . كان يلاعبهما الشطرنج طوال المساء ، والأم لا تجد ما تفعله سوى بعض قراءة فى وفرة المجالات ، أو إعداد الليمونادة لأربعتهم المرة تلو المرة ، بالماء الثلج الذى تنتجه ثلاثتهم التى صممها وصنعها حارس بيديه . كانتا تتسابقان على اللعب معه ، دورا بدور لكل منهما ، أو بطريقة استمرار الفائز . وظلتا لسنوات يصعب عليهما هزيمته ، إلا لو تخلى عن قطعة الوزير . حين كبرت وأصبحتا تهزمانه ، وتهزمان كل من تعرفنا عليه من المعارف والأصدقاء ، بدأ البعض يقترح عليهما الاشتراك فى مسابقات . عند هذه النقطة ، وفى يوم واحد ، بل ربما فى لحظة واحدة ، قررت الاثنتان ألا تلمسا قطعة شطرنج أخرى مرة أخرى فى حياتهما ، ولا حتى لملاعبة بعضهما البعض . قالت كل منهما لنفسها إما أن تعطى الشطرنج عمرك ، وإما أن تحتفظ لنفسك بهذا العمر !

... واختارتا المشروع الثانى .



أميركا بتقلد اليابان ؟ على أيامنا كان العكس !

يحبط أنتونيوس بلوك (روبين ويليامز) بعد أن يكتشف أنه لا توجد جنة أو جهنم بعد الموت ، وأنه أضاع حياته فى الجزء الأصلى (فيلم بيرجمان يعنى) بلا مقابل . يذهب إلى هذا المحل الذى يوفر خدمة ' سينما الحياة السابقة ' لكى يتفرج على حياته القديمة . يوجد عيب بشريط حياته السابقة فيقف التسجيل على صورة واحدة ولا يستكمل . يذهب عامل السينما لكى يحاول إصلاح الجهاز . يطلب منه أنتونيوس أن يتوقف ، فيلاحظ أن فى هذه اللقطة كان ' الموت ' يغش فى لعبة الشطرنج . يقرر روبين ويليامز أن يواجهه لكى يسترد حياته (التى أخذها ' الموت ' منه فى الفيلم الأصلى ، لأنه كسب فى لعبة الشطرنج) . يذهب إلى ' الموت ' (سنجعل كيثين سبيسى يؤدى الدور) ، فيقول له هذا الأخير أشياء بمعنى ' القانون لا يحمى المغفلين ' أو ' اشرب من البحر ' (أو بالعربى حلق له ، إنما بالإنجلىش كلام قلة أدب ما أقدرش أقوله) . يستشيط أنتونيوس غضبا ويذهب إلى بار حيث يشرب كثيرا . يتكلم مع غريب بجانبه ويحكى له القصة كاملة فيعطيه كارتا لمحامى ، ويدسه له فى جيبه فى حين يصمم أنتونيوس أنه لا فائدة من ذلك .

فى اليوم التالى بعد أن يفيق أنتونيوس من الـ ' هانج أوفر ' يجد الكارت ، ويقرر أنه لا يوجد شئ ليخسره ، فيكلم المحامى فعلا (سيقوم بالدور الجميل وأسمه دينزل واشينجتون) . يقبل المحامى القضية ويبدءون البحث عن تقوية موقفهم من القضية . يعلم ' الموت ' عن مخططات المحامى وأنتونيوس وهو لا يريد مشاكل مع القانون بالذات أنه يذهب كثيرا إلى كولومبيا وأمستردام لشراء الكوكائين والهروئين ، وحصل على حظر

التجول الثامن له (بمعنى أن اذا وجد أى مشكلة له مع القانون مرة أخرى ، فسوف ينزل الى مكانة ملاك عادى ، ويجرد من نفوذه وبريستيجه الهائل كملاك الموت . والأسوأ أنه سوف يجد نفسه طريدة لانتقام ملائكة السماء الفقيرة إذا نزل الى مستواهم ، ذلك لظلمه وسوء سمعته وشره) .
يذهب ' الموت ' الى ' ساتان ' (وده طبعاً ها نخليه الحليوة أوى إلیى بأموت فيه چوود لو) طلباً للمساعدة . يقول له ' ساتان ' أنه سوف يقدم له هذه الخدمة ، وهى إغواء المحامى الى الجانب المظلم .

تعتقد الخطة ويذهب المحامى الى ساتان لكي يطلب منه فيش وتشبيه يقدمه للمحكمة ، بما يفيد أن هذه القضية ليست مباركة من ساتان .
بينما ينتظر المحامى خارجاً يلمح امرأة تشبه زوجته الراحلة (شارون ستون إلیى زى لهطة القشطة ، طبعاً عارفينها يا كبار أنتم) . يسأل ساتان من هذه ، فيقول له إنها الحيرل فريند بتاع ' الموت ' ، ويشرح له ساتان أن الموت أخذ روحها لإعجابه الشديد بها . يستشيط المحامى غضباً ويذهب الى مواجهة الموت . فى مشهد مطاردة أكشن جامد أوى يقتل المحامى الموت ثم يموت هو أيضاً . يعين ساتان أنتويوس كملاك الموت الجديد لأنه ضعيف الشخصية وبذلك ها يكون ' خاتم فى صباعه ' . ويخلص الفيلم ! إيه رأيك يا أونكل ؟ أظن أى ستوديو ها يموت نفسه على فكرة أن روبين ويليامز ملاك موت ؟

لا يبدى وحيد رداً وتظل ابتسامته الأصلية كما هى ، فتلحق منى نفسها بصوت أقل حماساً : فهمت حاجة ؟

ضهرى يضحك ، فيجامله وحيد بما يعتقد أنه سيؤمن على سبب ضحكها : فكرة مجنونة !

- أنا عارف ، بس أنا افكرت حاجة تانى ؟ فيروس الشطرنج موش وراثة فى وفى إدوارد بس ، ده وصل لمنى ! أمى كانت فى شبابها مدمنة شطرنج واعتزلت . قال إيه عاوزه تشوف الدنيا . وبالمثل طلعت عينين عيلة أبويا ، وأبويا نفسه ، لغاية ما وافقت تحمل بالعافية ، وخلفتني بعد سنتين ونص جواز ، وبالنسبة للأرياف ده عيب كبير ، وكانت عاوازهام ٥ سنين على الأقل . قالت هى دى السنين إلیى ها أشوف فيها حياتي ونفسي ، عاوزين تحرموني منها بدرى ؟

- إيه يا أونكل ؟ ها تنتج الفيلم ، ولا خايف تلعب شطرنج مع الشيطان ؟

- أونكل وحيد يا بت حريف شطرنج ، بس ما يقدرش على إلیى الشطرنج فى چييناتهم ، زى !

كان الحوار قد بدأ بمجئى منى . جاءت تمزج بزلافة تفوق الوصف يا أونكل أحلى ناس ماتوا منتحرين ، أنا نفسي فكرت فى الانتحار ألف مرة . أنت سمعت عن كيرت كوبين طبعاً !

- كيرت مين يا بت ؟

- كوبين يا پاپا ، كيرت كوبين ! هذه هى فائدة الفنانين الذين تسموهم بالجانين ، كوبين ، موريسون ، لينون : يخوضون التجارب نيابة عنا !

- منين جات لك فكرة الانتحار يا بت ؟ أنتى إلیى كنتى عاوزه تنتحرى . قريتى أن أعلى نسبة انتحار فى أميركا فى البنات إلیى سنهم ١٧ سنة ، فقلتى لازم أجرب الانتحار ، وقبل الـ ١٧ بسنتين . فاكراه بنطلون چينز جديد ، أو مشروب جديد . أوعى تقولى الكلام ده تانى أبداً عن الأستاذ وحيد . ده حصل بالصدفة ، وغير مقصود ، وراجل زى ده موش ممكن ينهى تاريخه العظيم بانتحار وهزيمة وكلام فاضى بتاع واحدة فاشلة زيك .

- أنا فاشلة ؟

- أيوه بالنسبة لى أنتى دلوعة وتافهة وفاشلة .

- بأشغل عشرين ساعة فى اليوم وفاشلة ؟

- عشرين ساعة مع أصحابك . البنات دى موش ها تفلح أبداً !

- أصحابى دول هم المذاكرة . كل حاجة جماعية دلوقت . الظاهر أميركا بتقلد اليابان فى طرق التعليم اليومين دول . إحنا بنشتغل أكثر منكم بكثير . مع أصحابى آه ، بنضحك على طول آه ، إنما عشرين ساعة شغل فى اليوم . لو عن نفسي ، أعمل كل حاجة لوحدى ، لكن هى دى طبيعة الشغل . هو أنت شوية تشكى أنى مع أصحابى ، وشوية تشكى أنى ما بأنفسحش معاهم ؟ أنت موش عاوز تفهم ليه ؟ أنت عاوز إيه أكثر من تقديرات إيه ؟ الماستر ها أخده برضه ؟ إيه مشكلتكم بالظبط ؟ أنتم بتتضايقوا لما تشوفونا مبسوطين ؟

- أيوه إحنا وش نكد . تفتكر الماستر ده جه إزاي يا وحيد ؟ ما كانش على بالها خالص ، لولا أنا -وأعوذ بالله من قول أنا- قلت لها روى لعمتك وعمك شوق فرصتك في الوظائف إيه . رجعت مكسورة ومدللة رأسها ، تقول لي لازم آخد ماستر من إنجلترا أو أميركا ، وإما أرضي بوظيفة أي كلام .

ويشرد الحاج متذكرا كلام ابنته : أميركا بتقلد اليابان ؟ على أيامنا كان العكس ! لك حاجات يا حاج !



وكانت ابنته ' المهوشة ' تصرخ بأرجال لم يفهمها أيهما بالكامل ،

من الميغال العنيف للمغني ماريلين مانسون تتحدث عن المسيح-الضد !

هدأت مني لكنها لم تنس أصل المناقشة . لم يكن لديها من مثال تضربه للانتحار أفضل من مغني فريق الروك نيرفانا . وراحت تدخل في تفاصيل كثيرة عن كوبين وكيف مات ونص الرسالة التي تركها والتي كانت تحفظها بالحرف تقريبا . ضحك وحيد ضحكة من قلبه سعادة بهذه الفتاة الجريئة ، لكن الضحكة ألمته جدا في منطقة الحجاب الحاجز ، وحل محلها عضلات وجهه متقلصة من الألم ، لكنه حاول أن يحافظ على ابتسامة عريضة قدر الإمكان ، وسحب مني من يدها ليقبلها على جبينها . فإذا بها هي تنقلب فرفشتها أو سخرتها اللا مبالية أو ما يسمى بالإنجليزية cynicism ، تنقلب إلى دمة حارة سقطت بسرعة من عينها ، وتقول وكأنها حكيمة الزمان تروى تجربتها الخاصة في الانتحار : عارف يا أونكل الانتحار غلط ليه ؟ أنت موش ها تعرف ليه إلا بعد ما تنجى منه ؟ ها تلقى الدنيا اتصلحت ثاني ، وتقول خسارة لو كنت مت ، وفاتني الأفلام دي والاختراعات دي والرحلات دي والأحداث دي . موش كده يا بتوع السياسة أنتم ؟

بينما كان أبوها يحاول طوال الوقت بأكثر من طريقة ، أن يوقف استطرادها في كلام الانتحار ، والذي جعلها تبدو وكأنها مقتنعة فعلا بأن وحيد ارتكب محاولة انتحار ، كان وحيد غير غاضب منها ، بل غير مرتاح لنهر أبيها لها . لقد فهم من اللحظة الأولى أن هذه الفتاة لا تتحدث عنه هو ، بل تحاول التطهر من فعلتها هي نفسها الحمقاء قبل سبع سنوات ، من خلال الكلام عن الانتحار بمثل هذا الاستخفاف والسخرية . لقد كانت من خلال هذا الإسقاط تمارس نوعا من العلاج الذاتي .

كل ما فعله وحيد أن حاول أن يلتمس للانتحار عذرا لعله يهدئ روعها ، فقال بصوته المرهق : ربما مشكلة الانتحار الحقيقية ليست فيما يمكن أن تأخذي ، إنما فيما يمكن أن تعطى . أنا كاتب . لو مرضت ومت عند سن الخمسين ، سأكون قد تركت أفكار وكتابات معينة . أقول هذا تراث جيد ولا بأس به . لكن هناك حقيقة أخرى . أفكارى كل يوم تختلف عن اليوم السابق . ولو عشت حتى سن الثمانين سأترك أفكارا مختلفة ، أفكارا أنضج وأفضل . الحياة شيء رائع ، فقط المشكلة أن تأتي اللحظة التي تشعرين فيها أنك لا تملكين جديدا تقديمه . الانتحارات المنتشرة حاليا ، أغلب ضحاياها أناس لا يستطيعون تقديم شيء لأسرهم . ليس الضجر ما يدور حوله الانتحار ، إنما بالعقم . لكني أوافقك أن الظروف لا بد وأن تتحسن من جديد . كل حاجة بتلف في دورات وموجات ، وأبوكي له قول مأثور ، قول فصل كالعادة : ما الدنيا إلا بورصة كبيرة !

المفاجأة المذهلة أن هذه الكلمات التي ضرب فيها المثل بنفسه ، كانت أكثر جدية وقسوة مما تخيل . وهو الذي احتسبها تفرجيا وترويجا عنها . إذ ما حدث هو أن جعلتها تنسى ، أو بالأحرى تهرب ، من كل موضوع الانتحار ، وتفتح موضوعا مختلفا : ' بمناسبة الموت أنا عندي لك يا أونكل فكرة بـ ١٠٠ مليون دولار . أنتم شفتم ' الختم السابع ' ؟ ' .

فتدخل أبوها : ' أيوه شفته ' .

- (ترد باستنكار وشفاه ممطوطة ، وفي نفس الوقت إحباط للإجابة غير المتوقعة من أبيها بالذات :) شفته إزاي ؟ ده إنتاج ١٩٥٧ ؟ شفته بره ؟ معقول جه مصر ؟

- شفته في نادى السينما القاهرة . النادى ابتداء سنة ١٩٦٨ ، وكان في سينما أوبرا ، كنت من إल्ली اشتركوا في أول يوم ، والفيلم ده كان تقريبا ثالث أو رابع فيلم يتعرض .

- آه ! كنت فاكرك بتسمع أم كلثوم بس . ما علينا ، أنا عندى يا أونكل فكرة جزء تانى لـ The Seventh Seal ، اسمه The Eighth Deal ، وعازوة آخذ رأيك فيها . وتبدأ حكاية القصة .
- وبعد أن انتهت من رواية قصة الفيلم التى اخترعتها ، يقول لها أبوها : ' إنتى إما مجنونة وإما أعقل منى ألف مرة ' .
- تصبح مرجحة بردة الفعل : ' الاتنين يا يا يا حبيبي ! ' .
- (ويتذكر ضهرى أن لديه ثأرا :) أنتى فاهمة إيه معنى فيش وتشبيه ، ولا كلمة بتستخدمها كده وخلص ؟ (وأن لديه ثأرا آخر :) ما لها أم كلثوم يا بت ؟
- يبيخ ! يا أونكل ، ده بكتيره يسمع الأبا . تصور يا أونكل حاجات ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ راحت عليها وهو يسمع الأبا ؟ !
- (يتدخل وحيد بصوت واهن :) رأسملى بأه ، وجايز عجبته أغنية Money, Money, Money ؟
- (تضحك) صح يا أونكل ، حلوة !
- (ضهرى مغتاظا :) هئ ! أنت بتعرف تنكت أهه ! ثم ما لها الأبا يا بت إنتى ؟ مزىكا جميلة وحلوة .
- يا بابا دى حاجات اسمها پوپ ، انتهت خلاص . فيه حاجة اسمها روك ، مليون نوع من الروك ، حاجات تشغل لك مخك تهز كل حاجة جواك ، موش مزىكا ' حلوة ' أو القرف إالى بتسموه طرب .
- آه ، خبط ورزيع .
- يعود وحيد لخط الحوار مرة أخرى : ' كنت فاكرك ها تقولى راب يا منى ؟ ' .
- تقوم بغطسة عميقة سريعة لذراعيها لأسفل وقد فردت إصبعى السبابة ، قائلة كما يقول السود فى أميركا Yo, man! ، لكن سرعان ما تستدرك : ' راب إيه بس يا أونكل ؟ أنا عازوة حاجة تعمل دماغ . حاجة تشغل المخ ' .
- أنا شخصيا ممكن أسمع كل حاجة ، والپوپ جميل زى بابا ما بيقول ، بالذات لو الألحان مميزة وخالدة . حتى الغنا العربى إالى طول عمرى ما سمعته ، بقيت بأسمع شوية حاجات حديثة فيه موش بطالة ، بتحب تسمعها شغالتى رمانة . ما عدتش تشبه خالص الموسيقى العربية بتاع أيامنا ، موسيقى غربية بالكامل تقريبا . على الأقل مثلا ما عدش فيه نهائيا ربع النغمة .
- وتهتف منى مفرجة عما بدا انتقاما قديما : ' ربع تون ؟ ده جريمة ضد الإنسانية ! ' .
- ويواصل وحيد : ' إنما للسمع لفترات طويلة بأسمع الكلاسيك لو عاوز أركز مع الموسيقى ، ولو ها أركز مع حاجة تانية يبقى ما فيش أحسن من الديسكو كخلفية ، إيقاع يديكى حرارة ونشاط ' .
- ألحان وإيقاع ؟ يعنى ما تفرقش كثير عن صاحبنا إالى جنبك ده ؟ !
- تغنى Grease ، فيشكرها وحيد على لفنة الديسكو ، ويعتبرها هدية جميلة له فى مرضه . تغنى Sugar Baby Love ، فيعلق والدها : شايقة الپوپ ألحانه جميلة إزاي ؟ ولم يكتشف أنه ارتكب غلطة العمر ، إلا وهى تدق رجليها على الأرض وقبضتيها على أحد الكراسى ، وتهز رأسها بحيث يأتى شعرها ليغطى كامل وجهها ، ثم يذهب متمزقا فى كل الاتجاهات . ليست سوى لحظات وكانت ابنته ' المهبوشة ' تصرخ بأزجال لم يفهمها أيهما بالكامل ، من الميتال العنيف للمغنى ماريلين مانسون تتحدث عن المسيح-الضد ! خدعتهمما بدايتها لأنها هادئة أشبه بتراتيل الكنائس ، وتخيلها معها أنها ستحييهما بقطعة أوبرالية أو بموسيقى صوفية أو إنجيلية . ولم تفق إلا وأبوها يرجها بكل قوته : أنتى اتجننتى يا بت ! نسيقتى أنك فى مستشفى !
- آسف يا وحيد . لقد عاهدت نفسى ألا امتدحها فى شىء أبدا ، لكن نسييت ! بتلعبي بنا كورة يا بت ؟ اسمعى إالى أنتى عاوزاه ، بس بعيد عنا !
- ولا يغالب وحيد الضحك رغم ما يسببه له من ألم : ' عنيدة ! عنيدة ! عنيدة ! ' .

بعد برهة كان الصمت فيها سيد الموقف ، يكتشف أن أحدا لم يعلق على فكرة فيلمها : ' تعرفى يا منى ؟ أنا قابلت بيرجمان مرة . يمكن أكثر إنسان مهذب و رقيق شفته فى حياتى . تعرفى لو سمع الكلمتين إالى قلتيهن على فيلمه كان عمل إيه ؟ ' .

- إيه ؟

- كان قتلك !

وقبل أن تم بالرد يقاطعها أبوها مرة أخرى : ' عمو تعبان وموش ناقص وجع الدماغ بتاعك . كمان هو بطل ينتج أفلام من زمان ' . ثم فجأة يعنفها من جديد وقد تذكر ثأرا جديدا : ' أنتى طالعة كافرة لمين يا بت إنتى ؟ هم عبدة الشيطان رجعوا تانى يا بت ؟ ' .

- هم كانوا بطلوا يا بابا علشان يرجعوا ؟ أنت بتتكلم على الفيلم ولا الأغنية ؟

- يا نهارك أسود ! أنتى منضمة لهم يا بت ؟

يعبس وجهها ، وتكتسب نبرات صوتها ملامح الجدية لأول مرة : منضمة إيه يا بابا ، أنت ها تقلب الموضوع جد ولا إيه ؟ أنا ما بنضمش غير لنفسى .

وترد دفة الدفاع إلى الهجوم ، مغيرة سياق الحديث : بعدين إحنا موش اتقفنا من ١٠ سنين أن بلاش يا بت دى .

وبدوره يلجأ أبوها لذات التقتية ، الهجوم محل الدفاع : يا بت أنا موش طلبت منك فيلم أوديسا الفضاء .

- آه ، موش ها أخلص ، افكرنا ١٩٦٨ ، والذكريات ها تشتغل ، وها تقول لى الفيلم الذى خلب وخبل لنا عقولنا .

- أنا موش فاهم إيه المشكلة ؟ بتقولى عند أصحابك نسخ . كمان لو ما فيش ، اشتريه من ع الإنترنت وبيجى بالپوستة فى يومين ، أو دورى عليه فى الهايبرماركتس إالى بتروحيها .

- أنت لسه عايش فى زمن الپوستة والهايبرماركت ؟ ! تنزيل أقراص الفيلم كله من الإنترنت ما بياخدش ربع ساعة دلوقت ، وكمان بجودة ال hyper definition أون لاين ، أعلى جودة من أفلام السينما ٧٠ مم بتاع أيامكم . كل ده ما فيش مشكلة . (تأتى بحركات تأفف عصبية يرتج لها جسدها كله :) يا بابا أصل أنا ما جتتهوش !

- لآ ! أنتى ما فهمتتهوش . فيه حد ما يجبش فيلم لكوبريك ؟ أنتى متخلفة بجد !

- أنتى بالذات المفروض يعجبك يا منى . كل أفلام كيوبريك ضد الإنسان . هيتشكوك وهو ، أشهر اتنين فى كده . تحديا كل السينما ، إالى بطبيعتها لازم تنافق الزبون . هما لم ينافقا الإنسان للحظة واحدة ، إنما انمالا عليه تقريبا وسخرية ، وإهانة للمشاهد نفسه طوال الوقت !

- شفت يا بابا : اسمه كيوبريك ، موش كوبريك ، وكمان الفيلم اسمه 2001 .

وتكرر : ' A Space Odyssey — 2001 . أنا إالى ' دثئة ' موش أنت . بعدين هو ما فيتهوش حاجة تتفهم أصلا ! يتفهم إزاي إذا كان الكتالوج بتاعه بيقول لا يشاهد إلا مع الماريوانا ! ' .

يضحك وحيد وينظر للحاج : ' قصدها إالى حصل مع الفيلم فى عرضه الأول ' .

- أنا عارف . وبأحاول أفهمها أن إالى ما عاش الستينيات والسبعينيات ما عاش أصلا .

- (ببعض الأسى :) وحياتك عندى أنا مقتنعة بنظريتك دى ، بس نعمل إيه ، آدى إحنا بنحاول .

- (ساخرا :) آدى إحنا بنحاول ؟ !

تبتسم بخبث : ' قلت إيه يا بابا ؟ تحب أجيب معاى 2 joints ونشوفه سوا ؟ الماريوانا حلوة علشانك وعلشان دور البوذية إالى أنت عايش فيه ! ' .

- اتلمى شوية يا بت .

يتدخل وحيد : ' أنا للأسف كان عندى نسخة ، وأخذها منى واحد وما رجعتهاش . أنتى شفتى الفيلم أمتى ؟ ' .

يرد أبوها : ' ده من الأفلام إياها ، بتاعة أيام ما كانت فى اللفة ! ' .

- برضه ده كلام ؟ ! لازم تشوفيه تانى . جاز تشوفى حاجة مختلفة !

ينفجر زهرى ضاحكا فتستفز منى من جديد : ' ما تخافيش ! موش قصدى أنتى . قصدى واحد قرأ ٥٠ صفحة من كتاب أيام ما كان فى اللفة ، ولما كبر بقى موش عاوز يقرأهم تانى ! '

ويلتفت وحيد لمنى قائلا بنبرة جادة : ' لو سمحتى يا منى ، أنا كمان عاوز أشوف الفيلم معاكم ' .

- آه ها ! يبقى محتاجين 3 joints !

ثم تتحول للجدية : ' حاضر يا أونكل . يوم أو اتنين ويكون موجود . إيدك على ١٠٠ جنيه يا سى بابا ' .

- ال ١٠٠ جنيه نمره كام دى ، علشان أشوف فيلم ؟ السنة كلها فى نادى السينما كانت بخمسة جنيه . خمسة جنيه إيه ؟ كانت أقل . والله ما أنا فاكركانت بكام ؟ ثلاثة جنيه باين ؟ !

- أنا موش عارفة الألزهايمر ما جاش ليه فى أفلام العصر الحجرى إالى بتفتكرها لى دى ؟



الشباب شكلهم جميل ، لبسهم جميل ، كلامهم جميل ، تعليمهم جميل ،

خيالهم جميل ، أفكارهم جميلة ، حركاتهم جميلة ، روحهم جميلة ، كل حاجة فيهم جميلة .

بس دايما عبر التاريخ كان فيهم مشكلة واحدة : بيسمعو مزيكا ' موش ' جميلة !

راح الحاج يهاتف إدوارد يخبره بما جرى لوحيد ، وللاعتذار عن القدوم للشركة . سيظل اليوم كله بجوار وحيد . لا داعى أن تأتوا اليوم . للأسف أحضرت منى معى واكتشفت أنى ارتكبت غلطة كبيرة . لنتركه يرتاح اليوم . تعالوا غدا ، أعتقد أنه سيخرج صباح الغد ، وسنحضر كلنا الجنازة . لن تشيع اليوم لأنه قيل إن كثيرا من الشخصيات ورؤساء الشركات العالمية يريدون الحضور . وفى كلمات قليلة أخيرة توافقا على أن دكتور فرغلى مات كمدا مما رآه يجرى لكيوييد . حلم عمره ضاع . الملكية الواسعة للشركات سلاح ذو حدين . شركات كتير كده . السى آى بى نفسه كده ، من ساعة ما ساباه الأمريكان وابتدى البنك الأهلى يبيع فيه . أيوه شركات محترمة ومظبوبة وماشيه عشرين سنة كويس رغم الملكية الواسعة ، لكن النهارده بعد كيوييد ، كل شىء ممكن يحصل . الرعاع ستصبح لهم الكلمة العليا . على الأقل مع الشعب المصرى ، وبالذات مع وجود المال العربى ، يصعب أن ينجح هذا النوع من الشركات . أنجح الشركات فى التاريخ هى التى كان لصاحبها السيطرة عليها بنسبة ٥١ ٪ . على الأقل . لو مخاوف دكتور فرغلى ووحد صح ، وانهارت كيوييد ، ها تبقى دومينو تجر الدنيا كلها وراها . دى كيوييد ! عارف يعنى إيه كيوييد ؟ ! الاقتصاد كله ها يبقى فى خطر . خطر ؟ قول البلد كلها فى خطر !

هنا شد وحيد منى إليه ثانية ، وطبع قبله على خدها ، فذهب عنها عبوسها ، وخرجت بسرعة من الغرفة وهى تتقافز وتصيح كلاما كثيرا سريعا غير مفهوم كالعادة ، ومكثت بتوديع أبيها المنشغل بمكالمته بمجرد طريقة خفيفة بعيدة على أطراف الأصابع : باى داد ، ورايا شغل !

فى الواقع هى لا تتقافز ، إنما فقط كثيرة الحركة بحيث يبدو لك أنها تقفز من فوق الأرض . من هنا ينخرط الاثنان تعليقاً بعد انصرافها ، فيقول وحيد : ' اوعى تكبت فيها النشاط والحيوية والخيال الواسع ده . الشباب شكلهم جميل ، لبسهم جميل ، كلامهم جميل ، تعليمهم جميل ، خيالهم جميل ، أفكارهم جميلة ، حركاتهم جميلة ، روحهم جميلة ، كل حاجة فيهم جميلة . بس دايما عبر التاريخ كان فيهم مشكلة واحدة : بيسمعو مزيكا ' موش ' جميلة ! علشان كده على أية حال ما يصحش ننسى أن فريد أستير نفسه كان ضوواء عصره ! ' .

- (ضاحكا :) صح ! فكرتنى بفيلم Top Hat . لما نكلمها تجيب لنا نسخة منه هو كمان !

- (ضاحكا بدوره :) أنت الظاهر عاوز تجنننا بجد ! (ثم ساهما متأملا :) على أية حال ما تخافش ، لما ها يكبروا ها ينضجوا .

- أخاف ؟ لأ ، وأنت الصادق هم الأكبر والأنضج ، خمس سنين من عمرهم بخمسين من عمرنا إحنا . البنت دى فيها حاجات كثيرة ما قدرتش عليها فى حياتى . الشباب ده موش على بعضه بسبب الكولا إالى بيشربوها طول النهار . إحنا على أيامنا الكولا دى كانت بدل الشربات ، فى المناسبات يعنى . الناس البسيطة تبل شربات لو حد نجح أو اتجوز ، والمبسوطيين شوية يشتروا صندوقين أو ثلاثة كوكا كولا ، أو كان فيه مشروبات تانى ما عادتتش النهارده ، سيكو وسينالكو وسپاتس ، بالسین كلها . القزاة كانت بتعريفه بحالها . ولما حد يموت ما كناش نشرب

حاجة ساقعة لمدة أسبوعين أو شهر ، لأن عيب . ما كناش نفتح الراديو . أو بالكثير ساعة الأخبار ، وبعد الثالث . كنا نسيب دقونا من غير حلاقة أسبوعين وثلاثة . كنا نلبس كرافتات سودة وجزم سودة . ما حدش حتى يقرب من مراته أسابيع . كل ده حتى لو المتوفى ده مجرد جار أو معرفة . كان فيه احترام ! بلاش الموت . موش لازم يفكروا فى الموت . المرض ؟ المرض ما لهوش احترام ؟ مكان زى ده ما لهوش احترام ؟ زمان الناس كانت بتتدلل علشان تشحت شوية ششم لما تمرض عينيها ، أو حتى بصلة علشان تعصرها فيها . كان عندنا دكتور واحد ما فيش غيره فى القناطر ، راجل مسيحي طيب اسمه زخارى يوسف ، كان بيزورنا وأنا لسه صغير وكان هو كبير أوى فى السن . عارف كان بيعمل إيه لما تيجى له واحدة فلاحه بابنها عيان أو عنده رمد ؟ كان بيرجع لها فلوسها لأن موش معاها فلوس ، وما كناش بيكتب لها أدوية لأنها برضه عاوزه فلوس . عارف كان بيعمل إيه ؟ كان بينزل تلطيش على وشها بالأفلام لغاية ما ينزل دم ، كل ده من غير ولا كلمة ، وفى الآخر يديها شلوت يطردها من مكتبه ، فيأخذها التومرجى ويديها بعض النصايح عن النظافة وغسل الحاجات وجايز ' الششم ' ، وأدى كل الحكاية . الضرب كان العلاج الوحيد إالى يعرفه أغلب سكان بلدنا ! إنما بص المباني والأجهزة والأدوية والاختراعات إالى حوالينا دى كلها تساوى كام ، ولا إالى اخترعوها تعبوا فيها قد إيه ؟ والست منى بسلامتها لا أى إحساس ولا تقدير ، جاية علشان تغنى وكأفها فى قهوة أو مولد !



كل البشر يولدون بعد-حدثين .

قليلون فقط من يتقدمون لعصر الحداثة مثلك ، والبقية يستمرون بأخاخ المهلبية الأصلية !

- تصدق أن منى دى هى إالى مخلصه تارنا كلنا . أنت مطلع عينين الكل ، وقدامها بتبقى زى طفل غلبان !
ضهرى لا يستجيب للمداعبة ويبدو مهموما . ' هو إيه الموضوع يا حاج ؟ ' .
- (يصرخ بغيط لثأر لم يرد عليه فى حينه :) شوف البت بتتكلم إزاي عن الموت ؟ ما بيحترموش حاجة أبدا . على طول عاوزين يعيشوا مع بعض ، أصحابهم هم كل حياتهم ، وإحنا ولا حاجة ، لوكاندة . أنا بيتهيأ لى هم بيكرهونا ، إحنا بالنسبة لهم أوامر ونصايح وبس ، حقن وحفنيات زى ما بيسمونا ، ويتمنوا لو نريحهم ونموت .
- منى مؤمنة بالفردية ، ما بتبطلش تقول كده . لكن إالى أنا شايغه هو صداقة جامدة بينك وبينها ، ولو موش بتحبك موش ها تاخذ عليك كده !
- أنا عارف أنها بتحبني .
- ويشرد لبرهة ويتمتم : ' دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدنين ! ' .
- ثم فجأة يعتريه الغضب مرة أخرى متذكرا ثأرا ثانيا لم يستوف : ' شايغ بتتكلم ببساطة إزاي عن المخدرات ' .
- صحيح إيه حكاية كلامها الكثير ع الماريوانا ؟
- هى ما بتتعايش حاجة . أكيد ! جايز جربت مرة أو اتنين . لكن طول الوقت بتقول لما أكبر ها أخترع مخدرات ما تعملش إدمان . طب قول لى بدمتك ، واحدة بتدرس كمبيوتر تخترع كيميا إزاي ؟
- حد عارف يا حاج ؟ كل شىء جايز . أنت موش بتقول ما حدش يقدر يستمر فى تخصص واحد أكثر من عشر سنين !
- فكرتني بصدمة المستقبل ! فاكرك الحكاية إالى حكاها أنه بعث بنته تشتري له حاجة من السوبرماركت ، ولما ما عرفتش توصل ، رجعت قالت إنهم الظاهر هدموا السوبرماركت ؟
- أيوه ! أول حاجة تخطر ببال الأجيال الجديدة هى التغيير . كان بيتكلم عن حاجة أسمها الزوالية Transience .
- أنا لو بعث منى دى تشتري لى حاجة وما عرفتش توصل ، ها ترجع تقول لى إنهم الظاهر هدموا بيتنا !
- يضحك وحيد ضحكة منكسرة بينما يواصل ضهرى الجز بغيط على كل كلمة تخرج من فمه : ' زوالية ؟ ! دول ... ، دول جيل ما بعد-الزوالية أصلا ! دول ... ، دول ما يصحش تسميتهم جيل أساسا ! دول ... ، دول ثقب أسود ! ' .
- (ضاحكا :) ثقب أسود ؟ بعد-زوالية ؟

- أيوه ؛ كل البشر يولدون بعد-حداثيين . قليلون فقط من يتقدمون لعصر الحداثة مثلك ، والبقية يستمرون بأفكار المهلبية الأصلية !

- احنا لسه متفقين أنهم جيل جميل ، وأنت لسه بتقول هي ما بتتعايش حاجة ؟

- هو أنت لازم تبرشم حاجات مادية علشان تبقى مبرشم ؟

- كمان دى فيها أرسطو وأفلاطون ؟ !

- طبعا ! هو كل حاجة عندك أرسطو ويس ؟ ! (ضاحكا ناهضا :) موش وقت خناقات ! ها أسيبك ترتاح شوية ، ها أروح أدور على لقمة أكلها ، وأقعد شوية على قهوة ، وها آجى لك بعد ساعتين . حاول تنام شوية ! تحب أجيب لك إيه معاى ؟ الجرايد والمجلات الأجنبية ؟ مفتاح شقتك معاى ، ها أجيب لك غيارات وبدلة علشان بكرة .

ويشرد وحيد متذكرا عبارة منى : آدى إحنا بنحاول ؟ ! لك حاجات يا حاج !



أنتم ما تبطلوش مناقشات حتى فى غرفة الإنعاش ؟ !

يأتى زهيرى لقضاء الأمسية مع وحيد ، فيجد أن إدوارد قد جاء فوجد وحيد نائما وترك زهورا باسم ' إدوارد وكل أسرة موظفى وعملاء شركة رمسيس ' . قضيا معظم الوقت فى القراءة وتفقد قنوات التليفزيون . خف الصداق والدوار بحيث شارك وحيد فى هذا . اتصل وحيد بمالة وأخبرها بما حدث له ، وتواعدا على التقابل فى الجنازة . فى الصباح التالى يأتى زهيرى أولا ، ثم يفاجأ وحيد بكل الشركة -موظفين وعملاء- فى غرفته ، يتقدمهم إدوارد قائلا : أستاذ وحيد عيان ، ودكتور فرغلى تعيشوا أنتوا ، إمتى ها نقفل الشركة لو ما قفلناهاش فى يوم زى ده !

- أنتم قفلتم الشركة بصحيح ؟

- موش بالظبط ، بس كلنا أخذنا أجازة . يعنى ! سبنا ميننا يقابل أى حد من بقية العملاء لو جه يحاول يقدم له الخدمة إالى عاوزها ، أو يعتذر له .

يعلق سامر المكبوت دوما من هذا المينا : كالعادة !

ويعود إدوارد : جايز كمان ييجى لنا تفتيش وتبقى مصيبة .

يطمئنه الحاج : ما تخافش ، كل إالى بيفتشوا رايحين الجنازة !

ويسخر روميو : شركتكم إالى زى علبة النشوق دى طول عمر ما جالها تفتيش ، ها ييجوا لها النهارده ؟ !

ويتدخل أسد بنبرته التصالحية الطيبة : تصور يا حاج أن الأستاذ إدوارد أول مرة النهارده يقول كلام كويس عن كيوييد ؟

- ده إالى بيسموه سياسة الفرض الضائعة يا بنى . ما نعرفش قيمة الحاجة إلا لما تضيع منا ! كل شعوب المنطقة كده ، مسألة چيينات زى ما عمك وحيد بيقول !

- أنا برضه بتاع الجيينات ؟ !

- (بابتسامة متحدية :) إيه ؟ ها تتبرأ من أفكارك ولا إيه ؟

- أتبرأ ؟ ! إنها ببساطة شرف لا أستحقه !

ويبدأ الدويتو ونس-روميو فقرهما : ' أنتم ما تبطلوش مناقشات حتى فى غرفة الإنعاش ؟ ! ' ، ' لو سابوكم فى تابوتين جنب بعض ، موش ها تبطلوا خناق ! ' . وطبعا تجزرها ميرفت : ' تف من بقلك أنت وهو ، رينا يخلينا لنا الحاج زهيرى والأستاذ وحيد ! ' .

وأخذوا فى الانصراف حين دخل الطبيب ليتأكد من حالة وحيد قبل أن يسمح له بالخروج .



الخلاصة : إالى أنت بتسميهم البريت أو البريتون ، آخرهم الهنود الحمر ،

وحق في دى الصيت ولا الغنى لأن أغلب الهنود ماتوا بالأوبئة موش بالرصاص ،

وحق ما قتله البيض منهم ليس إلا عشر معشار ما كانوا يقتلونه من بعضهم البعض .

حتى يوم ما استخدمتم النووى مع اليابان كان حقنا للدماء ، وليس بهدف الإبادة !

كان الضوء ساطعا كثيرا بالنسبة لوحد الخارج للتو من المستشفى . أحس بدائرة سوداء تتوسط عينيه ، ولا يكاد يرى ما أمامه إلا بهز وجهه ، هذا قبل أن تعود البقعة المظلمة بعد ثانية أو نحوها ، للاستقرار من جديد كما السدادة في مركز الرؤية . كانت الجنازة حاشدة . تصدرها مندوب عن الرئيس ، وحضرها رئيس الوزراء ، والوزراء ومنهم مجدى المصرى . حضرها شخصيات أجنبية كثيرة . رؤساء شركات كبرى معروفة . مسئولون حكوميون من شتى البلدان . وزراء وأكاديميون واقتصاديون عالميون معروفون . يسرى المصرى التى نادرا ما تظهر في مناسبات عمومية ، كانت موجودة . وحيد كان بعد واهنا ، لذا كان الصف الأخير تماما من مسيرة الجنازة ، يضمه هو وظهرى وسماء وهالة واللواء عزمى . بعد انتهاء المراسم ، حياهم الجميع . صافحت هالة وحيد بحرارة ، واتفقا على أن لا بد من لقاء مطول بينهما في أقرب فرصة . نفس الشيء تكرر مع اللواء عزمى ، الذى شدد أكثر من مرة أنه يريد لقاء وحيد لأمر يراه مهما . عامة كل عملاء رمسيس طلبوا من وحيد أن يعاود الظهور في الشركة بانتظام . قال ظهرى سأرجع أنا سماء ووحيد كما أتيت بهم . وفى الطريق اقترحت سماء أن يتناولوا الغداء في نادى هليوبوليس .

- أنت عارف البت المهبوشة بتلح عاوزه إيه منى ؟

- غير العربية ؟

- قال إيه يا سيدى ، عاوزه كيمنو !

- (ضاحكا :) غريبة فعلا !

- برضه فكرة ، بدل ما طول عمرها لابسة بنطلون جينز مقطع ، ولولا البلوزات الغالية كانت الناس قالت عليها بنت ناس شحاتين .

- ما الكل عارف أن البنطلونات المقطعة غالية برضه !

- (مراجعا نفسه :) على الأقل الكيمنو يغطى شوية بطنها العريانة . أنا عارف يا أخويا ما بيعيش إزاي وبطنهم وظهرهم عريانين طول الوقت ؟ (ويزداد غضبه :) ثم إن الجينز موش معمول أصلا للجيل البايط ده . دى سرقة ! نسيوا أنه إالى اخترعوه ناس جد علشان يستخدموه للشغل اليدوى الشاق ، البناء وللمزارع وتربية المواشى .

ومن ثم يشرد الحاج قليلا ثم يعود ، فيما بدا لوهلة أن لا علاقة له بموضوع الكيمنو : ' شعبنا دى ما فيش أمل فيها ' .

- أظن أنت دائما بتقول العكس ؟

- قصدى أن أميركا موش ها تقدر علينا . حتى لو أميركا قرأت سورة التوبة إالى هوسنا ونس بها ، لا يمكن تكون فهمت الناس دى بتفكر إزاي . أميركا ساذجة بنضحك عليها بكلمة الحوار والحلول الدبلوماسية ، فتجرى زى الأهطل ورا حماس أو إيران أو بشار أو أى حد ، وموش عارفه أنهم مستعدين للحوار لغاية يوم القيامة العصر أو لغاية لحظة التمكين أيهما أقرب . التمكين النووى ، تمكين الانتقام ، تمكين الاسترقاق والاستحلال ، أيا ما كان ما يتخيلونه لحظة تمكين . أنت عارف ليه الأزهر يقول لا وجود للعبودية اليوم ، لكنه يرفض شطب نصوص ملكات اليمين من الكرهان والحديث ؟ لأنهم لا زالوا يحلمون بالتمكين واسترقاق شقراوات الغرب . أى أن النية ١- كانت ، ٢- لا تزال ، ٣- ستظل ، مبيتة لدى العرب على إعادة العبودية للعالم والعالم للعبودية ! الرقيق شىء يجرى فى الدم العربى والعقل العربى ولا يمكن أن تنسيه إياه حتى أبد الدهر ، فقط المهم أنه حتى يحين الحين ، فالاستراتيجية الوحيدة -والأزلية الأبدية- هى اللا سلم واللا حرب ، أو الممانعة حسب اسم الدلع الحالى ، أو الملاوعة الاسم بلا دلع . المفروض أن الهدف من أية مفاوضات فى التاريخ هو ترجمة حقائق القدرة على الأرض إلى معاهدة سلام ، لكن العرب والمسلمين لا يفهمون لغة القوة ولا يفهمون أى شىء . جينكيز خان كان آخر الرجال المحترمين فى ذلك الزمن الردىء ؛ لم يكن يريد أكثر من حرية التجارة العالمية ، لكنهم ظلوا يتهبون قوافله ويقتلون مبعوثيه . صبر وحذر طويلا ، فأولوا هذا ضعفا منه وتمادوا فى إجرامهم ، وفى النهاية لم يجد إلا أن يحوهم ويححو مدتهم من على وجه الأرض . أبا إيبان ضرب كفا بكف فى ١٩٦٧ قائلا إن هذه هى الحرب الوحيدة فى التاريخ التى

يطالب بعدها المنتصر بالسلام ، ويطالب المدحور باستسلام المنتصر بلا قيد أو شرط . الغرب الساذج لا يعتقد في المهاجر العربي أو المسلم بأكثر من أنه مجرد شخص هارب من جوعستان . هذا الغرب لا يعرف الطريقة التي يشغل بها العقل المسلم أو العربي أو الساموى أو البدوى ، أو سمه ما شئت ، ويعتقد أنهم بشر مثله (أو بالأحرى هم بشر فعلا ، إنما الغرب هو الآلات !) .

- (بوهن ضجر قليلا :) أنا عارف .

- النازية ازدهرت لعشر سنوات ، الشيوعية ازدهرت لسبعين سنة ، الإنسانية ازدهرت لمائتى سنة ، لكن الجهاد ازدهر لألف وخمسمائة سنة . نعم ، الجهاد موجات تعلقو وتقبط ، لكن ما لا يلحظه أحد أنه لم يتوقف لحظة واحدة . بعد أقل من خمس سنوات من انخيار خلافة الجهاد التي دقت أبواب فيينا شرع حسن البنا وأمين الحسينى وجمال عجمصورة فى بناء خلافة الجهاد التالية . السبب -يا صديقى المادى- أن كل تلك الأيديولوجيات الغربية هى تطورات فكر ميتافيزيائية سرعان ما أدركت شعوبها أنها أفكار خاطئة ، أو حتى لو لها بعض العمق الجيئنى فهو ضعيف ، وحتى لو قوى -وده إالى عاوز أقوله لك عن إنسانية الأنجلو-ساكسون أو بالذات الأنجلو- فيسودى به للانتحار البطئ وتنتهى القصة بهدوء ، لكن الحراية هى لب الجيئنيات العربية ، ولا سبيل لاستئصالها من العالم إلا بالاجتثاث المادى لهذا العرق من جذوره (العرق الوحيد الآخر الذى جاهد وغزا -أى الأتراك- يبدو اليوم -ولو ظاهريا ، ولو إلى حين ، أو أيا ما كان- أكثر استعدادا بكثير لنسيان القصة ، لكن مع العرب مستحيل ، ولو للحظة واحدة ، أو لو هم فى أشد لحظات الضعف والهوان ، لأنه ببساطة محضة هو المصدر الوحيد لبيولوجيا لطعامهم) . أميركا فشلت فى العراق وفى كل حطة ، لأنها موش قادرة تفهم قصة الجيئنيات ، موش قادرة تفهم أن فيه حاجات لا تغل إلا بالنووى ، النووى النووى موش النووى العبيط إالى استخدموه مع إيران . العرق الأبيض قلبهم خفيف ، وموش ها يقدرها على العرب والمسلمين ؛ إنسانويون زيادة عن اللزوم ، أبادوا الهنود الحمر بالعافية ، وخلص على كده . هل تعرف ماذا كان موقف جيفرسون حبيبك من الهنود الحمر والسود ؟ كان يتمنى السعادة والحرية لكليهما وقال وكتب ذلك مرارا ، لكن وضاعة هذه الأعراق وشرها ومقاومتها الرهيبة المستميتة للحدائى ، أدخلته التاريخ كأوسع من قام بإبادة للهنود الحمر ، وكالقائل عن السود إن وجود العرق الأبيض نفسه سيظل رهنا باستمرارهم كعبيد . الخلاصة : إالى أنت بتسميهم البريت أو البريتون ، آخرهم الهنود الحمر ، وحتى فى دى الصيت ولا الغنى لأن أغلب الهنود ماتوا بالأويفة موش بالرصاص ، وحتى ما قتله البيض منهم ليس إلا عشر معشار ما كانوا يقتلونهم من بعضهم البعض . حتى يوم ما استخدمتم النووى مع اليابان كان حقنا للدماء ، وليس بهدف الإبادة ! الحاجة الثانية إالى عاوز أقولها أن اليابانيين حاجة ثانية . فى نفس الحرب أبادوا الصينيين بالأسلحة البيولوجية ، بهدف الإبادة فى حد ذاته ، بهدف أن دى زوائد سكانية ما لهاش لازمة . الأميركيون دائما يأتون للحروب متأخرا ، اليابانيون دائما يبدؤون الحروب بأنفسهم . ناس زى دى ها بيعجى لهم يوم ويحكموا العالم ، وأميركا ها تبقى زى إنجلترا دلوقت ، الأم الحبيبة العجوز للحضارة الفتية الجديدة . موش ضرورى تحصل حرب بينهم ، وغالبا موش ها تحصل حرب ، إنما أنا متأكد أن لو شريط الحرب العالمية الثانية اتعاد تانى النهاردة ، اليابان هى إالى ها تنتصر . أنا زرت اليابان ، وفعلا هم مهذبين جدا ، لكن عندهم كل حاجة إما أبيض أو أسود ، أنا متأكد أن المستقبل لهم ! كنت هناك فى سنة ٢٠٠١ ، قبل الانتخابات إالى جه فيها كوتيزومى رئيس للحزب . اكتسح الرئيس إالى قبله كان اسمه هاشيموتو ، رغم أنه لا اشتراكى ولا حاجة ، هم تقريبا ما يعرفوش الكلمة أصلا ، إنما كله صراع جوه نفس الحزب الليبرالى اليمينى إالى له أربعين أو خمسين سنة بيعحكم .

- مضبوط ! على الأقل يستخدموا تسمية ليبرالية صح ، بينما فى أميركا الكلمة محتتلفة لحساب اليسار عدو الليبرالية . استنى ! جايى عندك حق فى حاجة ثانية أخطر : يبدو أن استخدام البريت الأميركيين للمسيحية كأداة لضبط النفس لم يكن بلا ثمن ! إنما قد تكون تراجيديا إغريقية أخرى ؛ هدف نبيل يودى للهلاك . لقد تسللت لهم الإنسانية من خلالها ، فلم يكونوا الآلات الباردة التى تصورتهم عليها .



سبق أن قلت لك إن اللجنة الوحيدة التى عرفها كوكب الأرض هى مصر الفرعونية ، ولم تفهم .

فضلت التحامى فى شكلية تعريف الحضارة أنها الثورة التقنية ، ولم تنظر للشروط المثلى لظهورها أو لاستدامتها لأطول فترة ممكنة .

مصر القديمة كانت -أيها الغي- جنة بالمفهوم الثرمودينامى للكلمة ؛ كانت الأنثروبى تكاد تلامس الصفر فيها ،

كان الاستقطاب الطبقي والمعرفى فى أقصى أقصاه ،

لم يكن للاستقرائية فقط دين مختلف إنما أيضا -صدق أو لا تصدق- لغة مختلفة .

شكل الهرم نفسه كان رمزا لهيراكليّة المجتمع المصرى عالية الاستقطاب ، بل كلما زاد حجم المجتمع كلما ارتفعت قمته .

قطعا ، لم نكن مصطبة اشتراكية ، إنما كان لنا دائما رأس واحد أعلى من كل شيء عرفه كوكب الأرض .

(وطبعا هذا الاستقطاب الحرارى كان طوال الوقت لا يعرقل بل يسهل أقوى حراك اجتماعى ممكن ،

ولدينا مئات القصص لأناس عاديين ارتقوا لأعلى المراتب بفضل مهاراتهم الهندسية أو الطبية أو الفنية أو العسكرية) .

... تعال الآن إلى عالمنا المعاصر ، وتلفت بحثا عن شعب تدين فيه مثلا الأرستقراطية بدين غير دين الشعب ،

أو تجرى فيه تلك الشروط مجرى الدم من العروق ، وقل لى أين تجده فى غير اليابان ؟ !

- أولا بالنسبة للحر والبرد ، دى بلاد جبلية شمالية وباردة جدا . ثانيا بالنسبة للأسبوية والبدائية ، هم جزر مستقلة وعبر ألفيات السنين أصبحت خصائصهم مستقلة متميزة وبلا ارتباط جينيى يذكر لهم بالقارة الأم الحارة المتخلفة . يا صديقى ، الآلات الحقيقية توجد هناك فى شوارع طوكيو . الشباب فى الشوارع كانوا يعملوا مظاهرات تطالب بالخصخصة . برضه أكيد تعرف أكثر منى أن عندهم هيئة البريد دى دولة كبيرة لوحدها ، قد اقتصاد أفريقيا مثلا ، شغالة فى كل حاجة ، ولا واحد يصدق أنها ممكن تتخصص . أنا شفت بعينى الشباب بيتظاهروا يطالب موش بس بخصخصة كل شيء ، إنما بقانون توظيف يؤدى لزيادة نسبة البطالة . الشباب فى العالم كله حتى أميركا يعمل مظاهرات يشتكى من البطالة ، ودول بيشتكوا أن البطالة أقل من اللازم ، وأن فيه ناس بتشتغل وهى تستحق تنطرد فى الشوارع . تصور ؟ شباب صغير بأقول لك ، موش ديك تشينى . أكيد طبعا كمان أنت عارف أن فائدة البنوك عندهم صفر وأحيانا سالب ، يعنى تدفع مصاريف علشان البنك يشيل لك فلوسك . عاوزين كل واحد يشتغل بنفسه ، موش يركن فى البنك . دول فاقوا أميركا فى كل حاجة تخص الاقتصاد الحر إلى أنت بتنادى به . باستثناء الهيروثين كل العقاقير مباحة ، وجايز يبيحوه قريب . لا يهمهم إن تناوله أحد . يقولون إنه سيخلصنا من ضعاف العقول . عندهم أعلى نسبة انتحار فى العالم . عادى ، إذا كانت التفاحة بـ ٢٠٠ دولار ! حتى الجنس . تصور أنهم أكثر حرية حتى من هولندا نفسها . أنا شفت هناك عرض باليه رائع جدا وفى أرقى وأعلى مكان فى طوكيو ، كلهم عريانيين وولا مؤاخذه ذكورهم واقفة . كل ده كوم وأفلام الرسوم المتحركة الجنسية وغير الجنسية إلى كسحوا بيها العالم كوم . إيه مستقبل شعب زى الصين أو الهند بيمنع كل حاجة (البوسة ممنوعة على شاشة السينما) ، بالنسبة لمستقبل الناس دول ؟ الأفضل سبيل أن دى ناس بتأكل السمك نيئ ، وبيأكلوا الفراخ نص مستوية . عارف يعنى إيه تأكل فراخ نص مستوية ؟ يعنى تيجى لك فى المطعم لون اللحم من جوه وردى زى ما هو . أنا طول حياتى عايش مع الفراخ ، ولا مرة خطر ببالى أنها ممكن تؤكل نيئة ! لو ها نقول الحياة بدأت بالنبات ، وتطورت للحيوان أكل العشب ، وتطورت للحيوان أكل اللحم ، فبقى دول نوع تانى من الإنسان ، ولا أنا غلطان ؟ صح ولا غلط يا مستر دوكنيز ؟ إيه رأيك بكرة تنغدى سوشى فى سیتی ستارز ؟ ! أهه نستفاد شوية من خبرات روميو !

- أنا بدأت أحس بالصداع تانى !

- (جزعا :) صحيح ؟ !

- كلامك فيه مشكلة ، إزاي عرق آسيوى يقود الحضارة ، وهى القارة التى احتضنت حضيض الأرض من رعاة الهلال القمح وشبه جزيرة

البحر ، إلى الصينيين والهنود ؛ نظرية الجينينات تنهار كده .

- فيه حاجة أنت ناسيها فى الجينينات : العرق الواحد ممكن يتميز لصفوة وعموم ، ويحدث انفصال جغرافى ، وبمرور الوقت يصبحان

عرقين . واضح أن الصين وكوريا واليابان كلهم عرق واحد فى الأصل ، ولا تزال حتى طريقتهم فى الكتابة متشابهة ، لكن عشرات الآلاف من

السنين من استقلالهم فى الجزر اليابانية ، وما تم خلالها من انتخاب طبيعى ، بل ومن تطورات جينية ، نكاد نكون أمام عرق جديد بالكامل .

أنت متيم بمثل الأشكيناز الذين تناسخوا فى مجرد ألفى سنة من ثانى أحط امة أخريت للناس إلى قادة العالم اليوم . اليابانيون يتجاوزون حتى هؤلاء

الأشكيناز . يكفى أن تعلم أن هزيمتهم في ١٩٤٥ قهرت كل شيء فيهم ، إلا إيمانهم بالنسل الجيد . أكبر تعبير عن الهزيمة وهو تقديم العاهرات لجيوش الاحتلال ، كان هو نفسه أكبر تعبير عن الشموخ ، لأنهم خصصوا نساء بعينهن لذلك (سمها كتيبة الكاميكاى النسائية لو شئت) ، ذلك حتى لا تختلط أنسابهن ببقية الشعب الياباني ، ولم يتوان البيان الرسمي عن التأكيد على تصميم الشعب الياباني على مواصلة الحفاظ على نقائه العرقي . إنها الدولة الوحيدة في العالم التي تحتفل سنويا بيوم لنقاء الدم Junketsu De ، والوحيدة التي لا تزال تطبق كثيرا من معايير ال eugenics حتى اليوم ، ربما ليس بنفس شدة قانون ١٩٤٠ الشهير الذي قضى بتعقيم المجرمين والمعتوهين وذوى الأمراض الوراثية ومن إليهم وظل ساريا كما هو حتى ١٩٩٦ حيث أبطلوه .

- عادى ! كل الحضارة إلى اضمحلال ، إشمعى اليابان يعنى ؟ !

- يا ربى ! هو بعينه بغاوتة ! أنت موش فاهم : الهندسة الجينية تدق الأبواب عندهم ولم يعودوا في حاجة لمثل تلك الأساليب البدائية !

- ماذا قلت ؟ !

- قلت لك أنت شخص سطحي ، وروح ادرس مصر القديمة قبل أى تتكلم في أى شيء . سبق أن قلت لك إن اللجنة الوحيدة التي عرفها كوكب الأرض هي مصر الفرعونية ، ولم تفهم . فضلت التحامى في شكلية تعريف الحضارة أنها الثورة التقنية ، ولم تنظر للشروط المثلى لظهورها أو لاستدامتها لأطول فترة ممكنة . مصر القديمة كانت -أيها الغي- جنة بالمفهوم الثرمودينامى للكلمة ؛ كانت الأنثروبى تكاد تلامس الصفر فيها ، كان الاستقطاب الطبقي والعرفى في أقصى أقصاه ، لم يكن للاستقراطية فقط دين مختلف إنما أيضا -صدق أو لا تصدق- لغة مختلفة . شكل الهرم نفسه كان رمزا لهيراكليتي المجتمع المصرى عالية الاستقطاب ، بل كلما زاد حجم المجتمع كلما ارتفعت قمته . قطعاً ، لم تكن مصطبة اشتراكية ، إنما كان لنا دائما رأس واحد أعلى من كل شيء عرفه كوكب الأرض . (وطبعاً هذا الاستقطاب الحرارى كان طوال الوقت لا يعرقل بل يسهل أقوى حراك اجتماعى ممكن ، ولدينا مئات القصص لأناس عاديين ارتقوا لأعلى المراتب بفضل مهاراتهم الهندسية أو الطبية أو الفنية أو العسكرية) تعال الآن إلى عالمنا المعاصر ، وتلفت بحثاً عن شعب تدين فيه مثلاً الأرستقراطية بدين غير دين الشعب ، أو تجرى فيه تلك الشروط مجرى الدم من العروق ، وقل لى أين تجده في غير اليابان ؟ !



أيهما أكبر : الحرية المطلقة أم الحرية القصوى ؟

لا يستمتع وحيد جيداً للوصف الذى قدمته سماء للأطعمة المختلفة ، يقول ما ستقترحه أنتى سيكون أفضل شيء بالنسبة لى . ثم يردف أنه يفضل للحظة فقط كوباً من عصير الفواكه تختاره هي ، يتوسم فيه بعض من سكريات قد تساعد على مقاومة ذلك العدو اللعين الذى لا يهدأ ولا يتوقف يحاور ويداور عينيه . يركبان رغبته في الصمت ' أنت لسه داخ شوية . ما فيش داعى للكلام . بعد الغدا لازم تروح تنام على طول ! ' . تحدثا ما شئتما . هي عن جنتها السماوية ، وهو عن جنته الأرضية . اتركاني وشأني . لما ما فيش داعى للكلام ، فيه داعى بس للمحاضرة عن اليابانيين ؟

دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين ؟ هل هناك مسخ أبشع صورة من هذا الذى اخترعه عقل زهرى المريض . لكن مهلاً ! أليست هذه حقيقة الدنيا ؟ يغزو العبيد المركز ، فيصبح لها رأسان وتفقد كل شيء . قطعاً لدى تركيباتى . لكن ما الفائدة وهي أشبه بجزر منفصلة . الاقتصاد الحر هو الحل . الشعوب غبية وجاهلة وترفض هذا . فشلها يؤدي بها للعنف والحروب الأهلية وقتل الأبرياء . الحل ديكتاتورية عسكرية يمينية . ماذا ينقص ؟ ينقص ربط كل الأشياء معاً ، وصولاً لشيء أبعد ، لتركيب واحد (جشطلتى) كبير ، حيثما يصبح الكل أكبر من مجموع الأجزاء . إنها فلسفة ككل الفلسفات ، ولطالما كان رأي أن كل فكر كبير يحتوى على وجه للحقيقة . حتى أفلاطون به بعض الحقيقة . لو كنا مجتمعاً كله من المسحاء والملائكة ، كنبيلاً النبيل وسماء السماوية ، أو حتى من طيور الحب الصغيرة أمثال سامر وميرفت ، لكان أفلاطون هذا الذى طالما ازدريته ، هو أعظم الفلاسفة إطلاقاً !

لكن عن أية أجزاء أتحدث ؟ قلنا من قبل إن لا شيء اسمه الدين + الجيين ، لأن الدين جزء من الجيين . كل شيء جزء من الجيين . أوه ! ربما الجيين ، البركة الجينية ، هو ذلك الكل الذى يفوق مجموع الأجزاء . لعل هناك فلسفة لا أعلمها تقول إن حاصل مجموع الأجزاء ليس فقط أكبر ، إنما إما يساوى الـ لا نهاية أو الصفر . حاصل جمع المكونات الجينية لأية عشيرة بيولوجية (أو جماعة منها) يساوى كل شيء أو لا

شيء ، يساوى الخلود أو الفناء ، ولا شيء فى المنتصف . فعلا ! ما أكثر المعادلات الرياضية التى يكون حاصلها إما اللانهاية وإما الصفر .
الحواشيب كلها قائمة على الواحد والصفر ، الوجود والعدم .

الحل ديكتاتورية عسكرية يمينية ؟ هل حقا ؟ من سيضمن لها أن تستمر لآلاف السنين حتى تغير الجيينات نفسها ؟ هل هناك حل أصلا ؟
هل من الصحيح أم من الخطأ أن تكون كقائد المعسكر فى ' قائمة شندلر ' ؟ ما فعلته مع رمانه من شهامة ورحمة ، وبغض النظر عما فعلته هى
بك من عجائب ، ليس هو القاعدة ، ولا يمكن أن يكون القاعدة ، ولا يجب أن يكون القاعدة . ربما رمانه لم تكن لتقتل إلا نفسها ، لكن هناك
الآلاف أو الملايين مستعدون للقتل من أجل لقمة العيش . واحد فقط منهم كان كافيا لأن نفقد نبيل للأبد . يجب أن تكون القواعد واضحة
للجميع . لا تساهل ولا شفقة حين تمس الأمور النظام الاقتصادى والسياسى ، لأن أى تحاوت فى هذه يقود لهاوية شاملة . لماذا لا يصارح أحد
الشعب بحقائق باتت الآن بديهيات عالمية ؟ يخشون غضبته ؟ ألا يخشون ما يحدث الآن ؟ لقد فقدنا أحد أعظم عقولنا بالفعل ، ووضعناه تحت
التراب اليوم ، وها هى أعظم شركاتنا تنحل بنفس السرعة التى يتحلل بها جسده . التحريض يؤدى لحروب أهلية بسهولة تفوق الوصف مع شعوب
كهذه ، لا يشغلها شيء فى حياتها ، سوى النوم ليلا نهارا ، والتهام الطعام براحة يد مكبوسة بالأرز ، والجنس ليلا نهارا ، من طرف واحد مع
' نقرة ' اسمها الحريم .

نقرة ! نعم ، بدليل أن البدوى يتزوج ' الفلاحات ' كما شاء ، ويعتبر النسل من صلبه . هو يحتقرها لدرجة أنه لا يعترف لها بأى أسهام فى
الصفات الجينية للنسل (الأشراف فقط استثناء تاريخى ولن يتكرر ، كان لا مفر من نسبتهم لامرأة) . أما ابنة القبيلة - وإن احتقرها أيضا - فلن
يزوجها ولو لبيل جيتس ولو لرئيس أميركا ، لأن هذا سيدنس العرق النقى ، العرق الذى تقبل الأرباب ذبائحه . أكبر تناقض فى ضهرى أنه
يعرف مثلا كل هذه المعلومات عن الجينات ، ولا يزال يؤمن بالإصلاح السلمى المتدرج ، ويمارسه صباحا مساء ، هو وزوجته رئيسة الجمعية
الخيرية ، دون انتظار لأية نتائج ملموسة . كل الأشياء متجاوزة فى عقله ، والمدهش فيه أنه راضى عن نفسه وعن حياته ، من خلال تلك المآثر
الفردية الصغيرة التى يأتى بها ، فوق كوبرى أكتوبر ، أو مع ابنته منى ، أو مع موظفيه ، أو أعجبها اهتمامه باللطاف التى اشتهر منها دوننا عنا جميعا
فى أول الأمر ، لكنه بعد قليل أصبح أكثرنا تسامحا واهتماما وعظما ، ودعاها إلى بيته وكأنها أحد أصدقائه مثلنا بالضبط . لم يقل السبب الحقيقى
أبدا ، لكنى شخصا أعتقد أنه استفز جدا من الممارسة المسماة إغارة الفروج التى تعرضت لها .

ها هو دماغى ينفجر من جديد ! لكن ما الجديد ؟ إنه نفس ما يحدث كلما قابلت هذا الأفاق ! لا ، هناك جديد ! لو كان أكبر إنسان
متخبط عرفته فى حياتى هو الذى يقودنى الآن ، فأنا فى مشكلة حقيقية . لكن على أية حال كم أفاق لدينا يمثل ثقافته وحنكته ومبادئه وعزمته
وقوة تأثيره على الناس (إن لم أقل أيضا يسر أحواله المعيشية ، التى تسهل له كل شيء) . الشخصية التركيبية ؟ ضهرى يركب الأفكار أو لا
يركب ، لا يهم . هذه مشكلة ثانوية . المهم أن الملايين لا يفكرون أصلا . كلمة تحريض واحدة تجرهم لتهلكات عظيمة ، تدمر فى طريقها كل
الجادين وكل البنائين . هذه الشعوب فى حاجة لحلول جذرية . ليست طيبة حلول ضهرى الفردية . لكن قطعاً ليست كلامى النظرى العام المنمق
أنا نفسى !

نعم ، ضهرى متخبط وعشوائى ، أو قل متسق واعى فى حدود طموحاته الإصلاحية الفردية المتواضعة . لكن ماذا أكون أنا ؟ ألسنت فى
داخلى نسخة منه ، مصلح متدرج رقيق القلب . أطرح النظرية ، وحين لا أجدها تطبق أقول لا بأس بما يجرى ، للسياسيين مبرراتهم ، ولن يكون
أفضل مما هو كائن . إنه أكثر لماحية منى بالتأكيد . هو أكثر وعيا بتناقضه هذا ، والأدهى أن لديه الجبروت الكافى ليتكيف ويتعايش معه ،
ويرضى بتلك الطموحات الصغيرة . هو يعلم أن لدى ذات التناقض ، ويحاول طوال الوقت أن ينبهنى إليه . يا لهول ما يتلاعب به هذا الأنيثم فى
عقلى . كلا ، لا تتسرع ! لا تكن ظالما . هو لم يدعى يوما لشيء محدد . هو فقط ينبهنى كلما لاحظ أن ثمة قطعة ناقصة فى الـ puzzle لدى .
' ارسى على بر ! ' ، لطالما سخرت منه بهذه العبارة . هو لم يكن يريد أكثر من إطلاعى على كل الضفاف ، كل الوجوه والأبعاد ، لعل أحدها
غائب عنى . هو يتركنى أستنتج بنفسى . أوه ! ربما هو كان يناقض نفسه عن عمد ، فقط كى يضع كل القطع الناقصة أمامى ؛ كى يضمن ألا
تغيب إحدى المعطيات عنى . كأنه يقول أنت أرسطو ! أنت التركيب ! أنت الممكنة !

حتى علمائيتى العلمية المسالمة التى لم تزد عن كونها تمارين عقلية ، راح يجرها لآفاق شريرة عنيفة لا أعرف لها قرار ! الدين والجيون ؟ لك
حاجات يا حاج ! ربما يدفعنى لأن أكون ذلك المصلح الجذرى العنيف ، الذى لم يقو أن يكونه هو نفسه . اكتشف أن علمائيتى علمانية تافهة ،

علمانية فئران الكتب ، ففتح بصرى على أن الدين جزء من الجيين ، ولا يصح التعامل معه بتلك السطحية ، التى لا تزيد عن كونها ألعيب لغوية أحيانا . يا للكافر ! يفعل هذا ، بينما إيمانه نفسه لا يتغير ولا يهتز . يا للفاجر ! إن هذا المجرم اللعين ينقلنى كالكرة التى يلعبها كل يوم جمعة من إحدى القدمين للقدم الأخرى ، بينما يظل هو فى المنتصف كما هو . ما هذا الذى يحدث ؟ لقد حولنى من مصلح على الورق ، إلى مصلح عنيف . حولنى من كاتب إلى وحش . إنه فرانكنشتاين وما أنا إلا المسخ !

لا ، بل هذه محض هلاوس . ها قد أصبحت أنا نفسى أخيرا بالبارانويا ، هذه التى طالما سببت بكا كل العرب . هو لا يقصد أن يدفعنى لشيء كما أتوهم . بالأكثر ، ربما يدفعنى لكن بعقله الباطن ، ودون أن يدري هو . ربما لو عرف أنه يدفعنى لربما قاطعنى . اللعنة ! ما هذا الكلام ؟ كل تلك الشهور ، وكل ما حدث فيها من تدبير عقل باطن ؟ من تدبير اللا وعى ؟ إذا كان كل ما حدث لا وعى ، فماذا يكون الوعى ؟ هل هناك لا وعى يمثل هذا الوعى ؟ كيمونو ؟ إنك حتى فى قلب هذا اليوم الحزين ، لا تزال مصرا على العبث بعقلى أيها القصير المكبر ؟ ! لقد أقسمت ألا أدعك تتذكى على ثانية بعد اليوم . وما أنت تفعلها ، ولا أجد حيلة فى مقاومتك . إنه الفصام مرة أخرى ، ضهرى هو أنا وأنا هو ضهرى . يبدو أنى بعت له روحى كما فاسيت ، ولم يعد بإمكانى التراجع !

ما مشكلة هذا الرجل ؟ هل لو لم يزر اليابان ، لكان قد قال أية كلمة من كل هذا ؟ كلها وقائع معروفة ، لكن ما السر فى أنه لا يخرج باستنتاجات إلا لو لمس الشيء بيديه ؟ يا لها من استنتاجات ! لماذا لم أخرج بها نفسى ؟ الإبادة ؟ أهذا ما تقصده حقا ؟ هل هذا ما كنت تقصده بتقليل عدد الأحزاب فى العراق ؟ هل هذا ما كنت تقصده بفشل محاولات تأديب بدو السودان ؟ يا للهول ، انظر ماذا فعلت الإمبراطورية البريطانية بعد هزيمة جوردون فى ١٨٨٥ ؟ ذهب الليبراليون وعاد المحافظون بعد قليل ، وأرسل الجبروت نفسه ، اللورد كيتشنر ، فى ١٨٩٨ فيما لا يمكن وصفه بأقل من حرب إفناء ، وطبعا انتهت الخلافة المهديّة المجرمة ، وثبت لأول مرة للعالم أن إبادة العرب ليست حلما مستحيلا . سميت معركة أم درمان ، لم تكن أول مرة أباد فيها أحد العرب ، مثلا فعلها المماليك فى أعراب مصر أكثر من مرة لعل أشهرها ما أعطى أحمد باشا الجزار لقبه ، أو فعلها إبراهيم باشا فى نجد ، لكنها كانت المرة الأولى التى يفهم فيها غريب بالكامل عن المنطقة الأساليب الأعرابية ، وأن العربى ما هو إلا غلاب البسائط ، والتقتية الحربية رقم ١ لهؤلاء البدو هى الحرب ، وأن -من- لا حل معهم إلا الحصار الشامل أولا ، ثم الإبادة بالكامل بعد ذلك ، جزارة أو جزاة أو حرازة أو الثلاثة معا ! ... يا للنكتة ! فرنسا نفسها حين سمعت بما يفعل كيتشنر فرت تاركة كل شرق أفريقيا !

ببساطة الدنيا تحتل ، يسفح دم فاتح الصين العظيم (كما فرخة حسب ضهرى) ، ويهان اسم جلالته العظيم ، حين يأتى الدهماء رغما عنها بجلا دستون للحكم . ويستقيم كل شيء ، ينضبط العالم ، وتحس فيكتوريا العظيمة بمجدها الحقيقى ، حين تأتى سعيدة بساليزيرى للحكم . معا صنعا أول شيء فى التاريخ لا تغرب عنه الشمس ، وموتهما معا فى البدايات الأولى للقرن ، يمكن القول أن الإمبراطورية بدأت لأول مرة تترأى الموت هى أيضا . بفضل ساليزيرى هذا الإمبريالى العتيد العنيد ، وبفضل كيتشنر قائده المغوار نادر الطراز ، انتهى للأبد صداع السودان من دماغ الإمبراطورية ، أو على الأقل تعلمت الحضارة الطريق الصحيحة الوحيدة للتعامل مع البدو ، مع العرق الساموى ، سمهم ما شئت . مثلا عندما قتل القائد العام (السردار كما كان يسمى محليا) وحاكم السودان العام ، السير لى ستاك فى القاهرة ، فى ١٩٢٤ ، ماذا فعلوا ؟ أمر ألبينى ، المندوب السامى والجنرال صاحب الاسم المخيف فى كل العالم (والذى يحبه أسد جدا !) ، أمر كل الجيوش المصرية الانسحاب من السودان ، لأنها باتت ولو جزئيا متواطئة مع البدو (طبعا بفضل سنوات مطولة من التحريضات التحتية لأمثال مصطفى كامل وسعد زغلول) . وأرسل حملة إبادة لا تبقى ولا تذر ، لا أسرى على وجه الإطلاق ، قتل كئلى شامل جامع لا يبقى من الذرية أحدا . وما هى إلا أسابيع قليلة وعاد السودان ، بل وظل حتى النهاية ، أهدأ مناطق الاحتلال الإنجليزي إطلاقا عبر كل العالم . نعم ، تلك كانت خطيئة جورج دبليو . بوش الكبرى فى العراق : استبعاد خيار الإبادة من الأجندة . هل أنت جاد حقا يا حاج ؟ الإبادة ؟ !

ما المناسبة أصلا للكلام عن اليابان اليوم ؟ ألم يكن من الأفضل أن كنت قد ذهبت مع إدوارد أو روميو لشرا كى أزور مستشفى كيتشنر ؟ يقولون إنها عادت رائعة بعد الخصخصة . يقولون أيضا إن محطة مترو الأنفاق القريبة تتزين حوائطها بثيمات منها . كيتشنر ؟ أهذى أنا ؟ أنا هارب من كيتشنر ، كى أذهب لكيتشنر ؟ ! ماذا تريد منى يا شيطان ؟ وسوست فى دماغ ونس بكلمة فقلبت حصيلة عمر كامل قضاه فى دراسة الدين رأسا على عقب ، وتريد أن تفعل ذات الشيء معى . هيهات ! بالفعل ! ما المناسبة أصلا للكلام عن اليابان اليوم ؟ كنا فى جنازة ، والآن يحدثنى عن القنابل النووية . أوه ! ربما الجنازة نفسها هى المناسبة . مصابنا الجلل هو المناسبة . ويا له من مصاب . أوه ، أوه ! الثعبان

الألبان يتحدث لأول مرة بدون إيجاءات ولا تلميحات ولا ألغاز . هناك أشياء لا تحل إلا بالنوى . موت فرغلي زلزل كل تحصيناته ورباطة جأشه . من ظل يتذكى على طويلا ، ويرسل لى بقطع الألغاز كى أحلها ، ها هو ينهار هو نفسه الآن ، ها هو يكشف كل ما بداخله دفعة واحدة ، 'م الآخر' كما يجب أن يقول . لم يعد ينتقى الكلمات ويميع المعاني . جابها على بلاطة ! جاب جاز ، كما يقولون عن بوابير زمان ! ربما أضيف لقلبه هذا ، المتناع اليوم ، العاطفى المندفع كل يوم ، مصيبة أصغر . إنها بالتأكيد جزعه لما جرى لى ، أو كان وشك أن يجرى . لا يجب أن تنسى أنه رآنى ميتا بالفعل أمام عينيه ! يا لها من طرق عجيبة يفصح بها هؤلاء الناس عما بداخلهم أثناء اللحظات القاسية . ابنته ظلت تتحدث عن الانتحار وتغنى وتمزج لتدارى أن ما حدث لى قد هزها ، وها هو أبوها يعبر بطريقة أخرى : يحكى عن زيارته للياپان !

لعل المشكلة أنى -أحيانا- أتذكر بعض أفكارى وأنسى الأخرى . أنا لست الشخصية التركيبية التى تخيلت . لست العقل المنظم الذى يربط الأشياء جميعا معا . دائما أنا قائد المعسكر النازى الفصامى ، يصبح وحشا حين يشتغل بعقله المجرد ، ويرق قلبه حين يلامس أرض الواقع . أرى حكومة تطبق الاقتصاد الحر بتدرج ، فأقول فلتأخذ فرصتها ووقتها وربما تنجح . أرى بعض الأصوات العلمانية ، فأقول فلتأخذ فرصتها ووقتها وربما تنجح . أرى الحرية الجنسية تنفجر ، فأقول لا شىء سيقف فى طريق الحرية . أعلم أن الشيوعية والناصرية والدين أيديولوجيات معادية للحرية ، لكن أقول إنها سوف تندثر تدريجيا بتوطد الإصلاح وتمتع الناس بطعم الحرية الاقتصادية والفردية . أعرف أن الحرية المطلقة لن تتحقق إلا باجتثاث هؤلاء ، وبوجود قوة تسهر على حماية الحرية ، لكن أقول دع الأمور تجري والشعب سيتعلم من تجربته . كل هذا خطأ . الواضح أنه لا يتعلم أبدا . جبيناته تمنعه . لكن المفروض أنه حتى هذه كنت أعرفها . ما المشكلة إذن ؟ المفروض طبقا لحقائقى النظرية أن كنت قد استنتجت أن الأمور لا يمكن أن تشتعل بهذه الطريقة . هى لم تشتعل أبدا بمثل هذه الطريقة فى أى مكان فى العالم . يا للكارثة ! حتى الإنجليز أنفسهم أقصى رمز للحرية المطلقة عندى ، كان فى ظهرايهم أعداء للحرية ، غشاشون ، بدوا أقلية لكن مع ذلك نجحوا فى نهاية المطاف فى حرف مسيرة هذا الشعب نحو الاشتراكية . أيهما أكبر : الحرية المطلقة أم الحرية القصوى ؟ كان من الواجب أن يتنبه قادتهم العظام للخيطة الرفيع بين الحرية المطلقة والحرية القصوى ، التى هى الحرية المطلقة مطروحا منها حرية أعداء الحرية ؛ أن يفهموا أن بحكم التعريف الحرية القصوى هى القصوى ، أى أكبر من الحرية المطلقة ، ذلك أن ناقص × ناقص = زائد . الحرية ليست معادلة خطية بسيطة ، بل هى أعقد قليلا ؛ قيمتها العظمى تكمن فى مكان ما قبيل النهاية ، بعده يبدأ المنحنى فى الهبوط . المفروض أنه حتى هذه كنت أعرفها ! يا لبؤس هذا العقل الغبى الذى لازمنى طيلة حياتى !

- أنا لا أفهم مشكلتك المزمعة مع أخلاقى ، ولماذا تسبب لك كل هذا التوتر والاستفزاز فى حياتك ؟ نعم ، أنا أخلاقى أفضل من كل المدعويين أنبياء أو رسلا ؛ أدناها أنى لا أكذب وهم يكذبون بحكم التعريف ذاته . أنا أفضل من يسوع نفسه ، الذى غضب عدة مرات فى أسبوعه الأخير ، بينما أنا لا أنفعل أبدا . هو أخلاقه كويسة مقارنة ببقية الأنبياء ، لكن ليس مقارنة بالناس المحترمين . أين يذهب هو فى مقارنة مع أخلاق أرسطو ؟ أنا لا أكاد أفهم سر هذا الرعب الأخلاقى الذى تعيشه ليلا نهارا شعوب الشرق الأوسط عديمة الأخلاق ؟ الأمر أبسط بكثير مما يشغل عقلك المريض ؛ أنا فعلا بلا خطيئة ، لكن لسبب غاية فى الوضوح : أنى ممكنة ! ... الخطيئة هاجس مرعب لدى شعوب الشرق التيمايوسية الثقافية الانفعالية ، أما الماكينات فلا ترتكب الخطايا أو المعاصى لسبب غاية فى البساطة هو أنها لا تتفعل !

- سأروى لك قصة عن ماكينة أخرى : تعرف بالطبع نييلز بور بتاع مناظرة النرد . ذات مرة زاره فيزيائى شاب فوجد حدوة حصان معلقة على بوابة منزله ، فدهش متسائلا : ' لا شك أنك لا تؤمن بهذه الحرافات العتيقة يا بروفيسور ؟ ' . تفكر بور قليلا ثم صاح بحماس : ' إنهم يقولون إنها تأتي مفعولها سواء أكنت تؤمن بها أم لا ! ' . أنت هو المسيح-الضد يا صديقى سواء آمنت به أم لا !

- أنت نفسك أخلاقك مثالية يا حاج !

- هذا طبيعى ، طالما لا تزال تقول عنى إني إله متجسد !

يحدثنى عن الأخلاق وهو يعلم تمام العلم أن حاسوبى هذا هو أعظمنا جميعا خلقا ؛ لا أحد يفوقه دقة ولا جدية ولا تفانيا ولا حبا ولا برا ولا أمانة ولا تضحية ولا عطاء ولا وفاء ولا إخلاصا ولا نكرانا للذات (كل هذا وهو فى نفس الوقت أكثرنا جميعا ذكاء !) . ثم Look who's talking! . إله ؟ أى إله ؟ كفانا من حدوة أنك إله يعرف كل شىء ويقدر على كل شىء ويحرك مصائرنا جميعا ! يعرف كل شىء ولا يعرف نفسه ، يقدر على كل شىء ولا يقدر على نفسه ، أليست هذه مهزلة ؟ ! بالفعل ! أنت شيطان ربما ، لكن إله لا ! نعم ، أنت الشيطان وتعرف أنك الشيطان ، وتفترض أنى قد خسرت مباراة الشطرنج معك ، وأن على أن أقدم لك روحى . لقد صدقت أمك وأختها : إما أن تعطى

الشطرنج عمرك ، وإما أن تحتفظ لنفسك بهذا العمر ! ماذا ؟ لعب الشطرنج مع الشيطان ؟ آه ! إنه فيلم منى ! ماذا ؟ منى ؟ ! يا للهول التفاهة ! منى ؟ ! أهذا معقول ؟ ! هى التى عبثت بعقلك ؟ ! موش ممكن ! بالفعل ، لقد رأيت كيف امتقع وجهك واختطفه الوجوم وهى تقول لك إن الأميركيين هم الذين يقلدون اليابانيين . ماذا ؟ ربما شيطان فاوسيت ، هو نفسه مجرد فاوسيت آخر ، وله شيطانه الأكبر منه الذى بدوره وقع عقدا معه . أمعقول هذا ؟ بلى ! لا بد أن منى متلاونة العينين هذه ، هى شيخ الشياطين ! أنا لا أذكر قصة فيلمها بالضبط . لكن أذكر أن الشياطين كانوا فيه مراتب ودرجات . ها ! كما أن أعظم الآلهة كانوا إناثا ، لا بد أن أعظم الشياطين كذلك أيضا . فعلا ! ما قيمة الذكور أصلا ؟ عند الحشرات يلتهمون بعد ممارسة الجنس . لا ! بل أثناء ممارسة الجنس . يلتهمون ليس لأنهم وجبة شهية ، إنما فقط لأن التهام المراكز العصبية فى الدماغ يزيد العضو الذكرى انتصابا . ها ! منى هى شيخ الشياطين ؟ كان على أن أعرف من البداية ! ضهرى واسع الحيلة الذى يتلاعب بالجميع يصبح بائسا ، ألعوبة مثيرة للثرثاء بين يديها !

... أوه ! يا لبؤسك يا ضهرى . الآن عليك أن تشعر نفس شعورى : شعور أن يلعب أحد فى مخك ؛ أن يتغلغله بشنيور !



هناك ما هو أفدح من هزيمة الحداثة فى بلاد العرب والمسلمين : انتصارها !

‘ قائمة شندلر ’ ؟ يا لبؤس ! كل ما فى عقلى كتب وأفلام . إنه عقل محنط ، لا أكثر . ضهرى يملك بخلاف الكتب والأفلام ، القناطر أيضا ، رحلات حول العالم ، يملك الحياة . أية ‘ مكنة ’ عجيبة تكون يا ضهرى ؟ هل لديك معدة تحضم المعلومات لا أتمتع أنا بمثلها ؟ إنك حتى تعيش فى نوع من التوهان الموسوعى . لا عقلية تركيبية لك . لا تكون رأيا فى شىء . بمصطلحات نجيب محفوظ أنت كمال عبد الجواد الشهير بعبد ربه التائه ، هذا الذى خرج ولم يعد منذ يوم عرف أنه كان يتعبد للهواء فى قبر الحسين ، أو ربما كان يتصنع هنا الدراما الفاقعة بينما كان قد وضع داروين وسبنسر بدرى بدرى ولا حاجة له بقبر الحسين ، وكان قد كتب رواياته الأولى فى الصميم بالضبط عن كفاح مصر ضد ‘ غزاة الصحراء ’ ، وكأنه تلميذ يؤدى واجبا مدرسيا كلفه به ‘ أستاذه ’ أحمد لطفى السيد . تائه ؟ كلا ، بل أنت سلطان السلاطين : سى السيد ! مضبوط ! سى السيد موسوعة المتناقضات ، ذو الألف وجه . ها ! أنا أفضل منك فى كل هذه المناحي ، (لكن مهلا :) مع ذلك لا آتى بلب القضايا كما تأتى أنت به أبدا . ماذا تكون بالضبط ؟ حكيم أم أهوج ؟ حكيم بالصدفة ؟ حكيم لبعض الوقت ؟ بلى ، أنت لك أحيانا أفكارك . أفكارك ؟ بل قل فروماناتك الفكرية التى لا تصد ولا ترد . لكن لا ! كاريزميتك المزعومة هذه تفرضها على السذج فى رمسيس ، على مينا أو على شاب حائر نفذ البنزين منه ، لكن ليس على أنا . أوه ! طبعاً أنت لست بتائه هاو ولا بتائه محترف ، وطبعاً لست بسلطان . أنت لا شىء ! قطعاً لا علاقة لك بنجيب محفوظ . مجرد تشبيهك بشخصه إساءة جسيمة للكاتب العظيم .

لكن ما هذه القدرة العجيبة على الفصام عندك ؟ كيف ؟ لماذا ؟ من أين ؟ أترى هل العلم فى حاجة لفن من أجل قراءته ؟ هل القراءة نفسها فن ؟ هل شخصنة الأفكار تفيدك على فهمها . هل رأى العين جوهرى لهذه الدرجة ؟ هل لا بد أن يفعل أحد ما فى القناطر الخيرية شيئا حتى توافق أو ترفض شيئا قاله أرسطو أو دوكينز أو التوراة ؟ لو لم يفعل أحد فى القناطر شيئا ، لظلت صامتا ، وكأنك أجهل الجهلة . آه ! الآن فهمت . القراءة لا قيمة أصلا لها عندك ! أنت تقرأ وتقرأ ، لكنك لا تعتبر القراءة شيئا بالقيمة الكافية يرتقى لأن يجعلك تقرر ، يجعلك تكون رأيا . القراءة أقرب لمجرد تسلية ، بينما رأى شىء مقدس ، شىء رفيع ، شىء لا تكونه إلا إذا خبرته بنفسك ، خبرته فى حياتك اليومية ، فى تجاربك الخاصة ، فى آلامك ، لا تكونه إلا إذا عشته ، وعانيت من أجله . ما هؤلاء الناس ؟ ونس يسب أم كلثوم ثم يغنى لها . ضهرى يقول رأى وعكسه فى نفس الجملة .

أين مكنم الفصام إذن ؟ آه ، أيها اللعين ضهرى ! أنت لا عينيك أن يكون لك رأى أصلا . إنك تزدري الآراء . إنك تجعلنى أخجل من نفسى . عندى الآراء شبه مجانية . أقرأ الشئ وأقرر ، أو على الأقل أقرر أن على أن أقرر . أقرأ أرسطو ، فأقول ها قد فهمت العالم مثله . لكن مهلا ! ربما تكون بلا رأى ، ربما تزدري كل الآراء ، لكن المذهل أنك -لهذا السبب على الأقل- أكثر مادية منى . لا شىء أكثر مادية فى الدنيا من الجيينات . فى البدء كان الجيين ، تلك الجزيئات الصغيرة التى تتوسط خلايانا ، التى نشأت أولا قبل عصور سحيقة ، ولا تزال هى الأصل وهى السلطة ، لا تزال تتحكم فى كل شىء فى هيئتنا وسلوكياتنا ، هى الحياة العاقلة ونحن المطايا الصماء التى تركبها . أرسطو ليس بأكثر منك

مادية أيها اللعين ! أرسطو لم يفهم العالم لأنه قرأ عن العالم . لم يكن هناك أصلا شيئا يقرأ . أرسطو فهم العالم لأنه عاش العالم . عاش تلك الشعوب التي وصفها بالبربرية والتخلف .

أما أنا فأكتب ببساطة مؤمنا مطلقا بالحرية ، أقول إنها ستحل كل مشاكلها نفسها بنفسها . لكن لا أعرف بالضبط ما الذى يعنيه هذا . إنه يعنى بحورا من الدماء . حروب أهلية لا قرار لها . عشتها فى لبنان بين مسيحيين ومسلمين ، بين سنة وشيعة ، بين مسيحيين ومسيحيين ، وسنة وسنة ، وشيعة وشيعة . هى تزداد استعارا بين أبناء الدين الواحد ، المذهب الواحد ، القبيلة الواحدة . مجلس التعاون الخليجي نفسه تفكك ، والحروب بين دول الخليج لا تنقطع ، بدءا من اللحظة التي وضعت أميركا قطر فيها على قائمة الدول الراعية للإرهاب وقطعت علاقاتها بها وسحبت قواعدها من أراضيها ، والآن تفكر فى فعل ذات الأشياء مع السعودية التي وضعت مسجدا جهاديا فى كل شارع من شوارع الغرب . أنا لم أشتري أبدا مقولة معسكر الملاوكة كالدماغوجى هلوكة وأمثاله ، من أنهم ينفقون كل تلك التريلونات عبثا ، وبلا هدف محدد فى ذهنهم . نعم ، أية حرية هذه التي ستحل مشاكلها نفسها ؟ الآن هى أول شىء يجب أن تكفر به . لا بأس طبعاً أن تجرى بحور من الدماء من أجل انتصار الحداثة . لكن هل ستؤدى للحداثة حقا ؟ أليست عودة للعصور الحجرية ؟ ربما نعم وربما لا . هذا يعتمد على من هو المنتصر . المؤكد أن فى كثير من تلك الصراعات يتبنى أحد الطرفين أجندة مستقبلية والآخر أجندة ماضوية . لكن أيا ما كان من شأن الحروب الأهلية تلك ، والتي يبدو أنها وصلت الآن لقلب مصر الوادعة نفسها ، ما الجديد فيها ؟ لماذا أنت مصعوق هكذا ؟ أليست من المؤمنين بأن أمنا الطبيعة عنيفة للغاية . التطور برمته فعل عنيف . هذه ليست أفكار ضهرى ، إنما أفكارك أنت ، أفكار داروين وسبنسر . أنت لم تكن يوما عدوا للعنف ، بل داعية له .

أوه ! ربما الآن فقط عرفت لماذا يسبب لى ضهرى وونس كل هذا الإزعاج . المشكلة فيما يقولونه أو يوحون به ، أنه حتى لو سالت بحور الدماء ، فلن تأتى بنتيجة ؟ إن المشكلة ليست أن أعلم أو لا أعلم . المشكلة فى أنهم ' جابوها م الآخر ' . العلم لا يفيد ! ساعتها سيتضح أن أرسطو أكثر حكمة منك . قال ما فيش فائدة فى أى فائدة . كان يعلم سقف التطور لدى تلك الشعوب . بل كان يعلم أن لدى المصريين أهراما هائلة ومعابد شاهقة ، مع ذلك ' جابها م الآخر ' هو برضه . قال : حالة ميثوس منها . ملف قد أغلق . الفارق أنه سبقتى لهذا بـ ٢٥٠٠ سنة . ما هو الضمان أن تنتصر الحداثة فى مثل ذلك الصراع ؟ الأرجح هو العكس . لا ، بل هناك ما هو أفدح من هزيمة الحداثة فى بلاد العرب والمسلمين : انتصارها ! نعم ، الحداثة التي تجرى فى دمي هى لعنة بالفعل . نعم ، الحداثة لعنة ، ومن الخطأ أن تنتصر فى بلاد كهذه . الحداثة تعزز الجهاد ، لا تضعفه . هل رأيت ماذا يحدث عندما عندما تهبط على العرب والمسلمين بعض الثروات ، أو عندما يمسكون أطراف بعض من علوم أو تقنيات (اخترعها الغير طبعاً) ؟ يستخدمونها فى شئين لا ثالث لهما : الدعوة الدينية وقتل الغير . طبقا لونس هى مسألة وقت لا أكثر ، ويتحول كل مسلمى العالم لجهاديين . الولاء والبراء قبل موقوتة داخل كل منهم ، لا بد وأن تنفجر فى وجهك يوما . بينما تعتقد أن البدوى شخص طيب ومسلم متفهم ، أو ربما قد صار صديقك ، سينتقم للقبيلة يوما طال أو قصر أجله . لو لا صديق له فى الدنيا سواك ، ويسهر معك على المقهى يوميا لمدة ٣٠ سنة ، وجاءته مكالمة من شيخ القبيلة أن يقتلك ، لن يتردد ثانية واحدة فى التنفيذ . برمجته الجينية تفرض عليه هذا . هم ببساطة جهلة يعتقدون أنهم مسلمون ، بينما فى الواقع لا يعرفون شيئا عن نصوص الكرهان ، والمؤكد أن سيأتيهم يوم يقرأون فيه سورة التوبة ، ولا أعتقد ساعتها أن جبيناتهم ستجعلهم يفضلون العلمانية على الجهاد . تخيل أكثر من بليون طالبانى انتحارى يجوبون أرض الكوكب بقنابل نووية على ظهورهم . التعليم فى حد ذاته كارثة . ليس محتوى التعليم ، التعليم مجرد التعليم . لو كان سيد قطب أو أصدقاء ونس أو أسامة بن لادن لا يعرفون القراءة والكتابة ، ألم يكن العالم سيصبح أفضل ؟ لعل التوراة كانت على حق حين قالت الجهل نعمة والعلم نقمة . أوه ! لعل من كتبها شخص حكيم حقا ، ولطالما أعظمته حقه وبخسته قدره . بل أوه ! ما هذا الذى يحدث ؟ أكفرت أيضا بالحداثة وآمنت بالخرافة ؟ ! بعد كل هذا العمر تكفر بالحرية والحداثة معا فى يوم واحد ؟ ! لماذا الويسكى ليس جيدا اليوم ؟ على الأقل هذا يثبت أن للبريتون أيضا بعض المنتجات الرديئة !

الدين + الجبين لا تساوى بالضرورة الدين + الجبين . إنها قد تساوى الخلود أو الانقراض ، تساوى حكم العالم أو الإبادة ، تساوى كل شىء أو لا شىء . بل هنا يوجد خطأ . لا شىء اسمه الدين + الجبين . الدين جزء من الجبين . ليس هناك شىء خارج الجبين . آه ! ذلك إذن هو خطأى . كنت أعلم والحقيقة أنى كنت أتوهم أنى أعلم . الجبينات ليست ' تبعات صعبة ' . إنها تبعات مستحيلة . إنها لعنة فى الدم ، لا خلاص منها لأبد الدهر ! هكذا هى هذه الشعوب ، فلا تشغل نفسك بمصائرها . بل هكذا كل الشعوب . القائد قائد والعبد عبد . والعبد حين يثور ، إما أن يباد ، وإما أن تنتهى الحضارة نفسها . حقائق لا يمكن أن تغيرها ألفيات السنين .

أما أنت يا رمانة فلست قرصانا ولا مارقة . إنك مسالمة راضية . كنتى على وشك أن تلقى بابنك فى ملجأ ، وتقتلين نفسك لو لم تجدى الطعام . لقد أنجبها والدها فى غفلة من الزمن . ولكن ألم تفعل هى ذات الشئ مع ابنها . ما هو مستقبله حقا ؟ حتى لو تعلم ذلك التعليم التافه المتاح لأمثاله ، فلن يحظ إلا بوظيفة وضيعة ، هذا إن وجدت أصلا . يا رمانة الحياة لا ترحم . الكوكب لن يتسع للجميع ، لن يتسع لمزيد من الناس إلى ما لا نهاية . هذا ما فاتك . لقد كسبتى عطفى ، لأن كان لديك شيئا تبيعينه لى . ابتسامتك الساحرة . ملايين غيرك ليس لديهم مثل هذه العطية ، أو لديهم لكن ليس لديهم الزبون . لقد حللتى مشكلتك حالا مؤقتا . لكن ابنك لن يكون لديه ذات الحل ، على الأرجح ابنك هذا لن يتزوج أو ينجب . أو ربما لا . لا أعتقد أن جبيناتك الجميلة سوف تنقرض بسهولة . سوف تجد طريقا . ربما سيتضح أن لدى ابنك عطية كبيرة مثلك . دعينا نأمل هذا !

... نعم ، يا رمانة . أشكرك !

... رمانة ! أين ذهبتى ؟ حين أخذتى رأسى بين حرك الدافئ ويدك الحنون خف عنى بعض الصداق !

... أعتقد أنك مرهقة وذهبتى لبعض النوم ، بعد هذا اليوم العصيب !

... على أية حال أنا سأذهب الآن لحمام أمل أن يزيح عنى فشل الويسكى !

... أما أنت يا ضهرى ، فقصتك معى سوف تطول . لك حاجات يا حاج !



التطهير العرقى شئ جيد ، لو قام به الطرف الصحيح ! ؛

من حيث المبدأ لا شئ معيب فى القتل :

باستثناء بيضة لفظتها دجاجة ورفضت الرقاد عليها ، كل ما نأكله من مملكة الحيوان هو قتل مع سبق الإصرار ،

وباستثناء ثمرة سقطت إلى الأرض من تلقاء نفسها ، كل ما نأكله من مملكة النبات هو قتل مع سبق الإصرار !

- التطهير العرقى شئ جيد ، لو قام به الطرف الصحيح ! ؛ من حيث المبدأ لا شئ معيب فى القتل : باستثناء بيضة لفظتها دجاجة ورفضت الرقاد عليها ، كل ما نأكله من مملكة الحيوان هو قتل مع سبق الإصرار ، وباستثناء ثمرة سقطت إلى الأرض من تلقاء نفسها ، كل ما نأكله من مملكة النبات هو قتل مع سبق الإصرار !

هناك أشياء لا تحل إلا بالنوى ! وهناك فرق بين العرق اليابانى والعرق الصينى ! وليكن ! أنا أعلم هذا . لم يحدث أن وافقت يوما على تلميحات دكتور كيسينجر أن الصين يمكن أن تصبح مستقبلا زعيمة العالم . لم يحدث أن قادت الحضارة أو صنعت ثورة تقنية أمة مكونة من بليون فرد ، ولن يحدث . لتلك متطلباتها ، وبداية من يمكن أن يقود العالم هو حتما شعب صغير نجبوى نوعى ، وليس أمة جراءة من كرات الدهن رنخت -كلها أو أغلبها- فى العبودية حتى شبعها شعيراتها . أيضا فهنا : التطهير العرقى شئ جيد ، لو قام به الطرف الصحيح ! فهنا : نحن نقتل من الكائنات فقط ما هو نبيل كالنبات ، وما هو وديع رقيق طيب ومسالم كالحمام والحملان والخنازير . لكن ماذا بعد ؟ لماذا لا نقتل لمرة -ولو على سبيل التغيير- بعضا من أشر وأخبث الكائنات التى عرفها الكوكب قاطبة : أعراق البشر قاطعة الطرق من عرب ومسلمين وروس وصينيين ؟ لأى شئ بالضبط يريد أن يقودنى هذا الماروغ ؟ أى لعب فى المخ تريد منى ؟ لقد أقسمت ولن أرجع فى كلامى . أستغل ضعفى وقلة تركيزى بعد يومين بسرير المستشفى حتى تعود لتعابثك معى ؟ ألم يكن بوسعك أن تكون جنتلمانا أكثر ، وتنتظرنى حتى أسترد عافيتى ، وأستطيع مواجهةك ؟ هل ترى نفسك إلها ، وترانى أنا The Chosen ، The One ، المصطفى ، الذى تؤهله لمهمة ما ؟ ها ! أنت نفسك تصفنى بالمسيح-الضد ؛ فهل من إله يصطفى مسيحا كذابا ؟ ها ! هل خيب ابنك الأول (بتاع الصليب) آمالك ، فبت تعول على الابن الآخر ؟ ! أنا واثق من شيئين اثنين : أنك لست إلها ، وأنى لست من مغفلى دكتور دوكنيز ولن أسمح لأحد أن يصلبنى (سأقتل نفسى أولا !) . أو لعلك صدقت حقا أن هناك أناس يعبدونك على ظهر أحد إليكترونات جسمك ؟ ! أما بالنسبة لى فكل ما فى الأمر أنى أنطق بمنطق العلم ، ولا أفهم لماذا ترج بى دوما فى خرافاتك الخرفة هذه ؟ ! لا ، بل أنا قبل هذه وتلك واثق من شئ ثالث : أنى لا شئ ، حطام لا يصلح لشئ .



إذن ذلك النموذج البيولوجي المدعو 'المغفلون - الغشاشون - الضاغنون' لم يعد صالحا أو كافيا ،

وهؤلاء أطرافه لم يعودوا دججا ؛

إنما بإدخالك ذلك الضلع الرابع الذى تقول إنه لا فكك منه لإنقاذ الحضارة من الانهيار والبشرية من الانقراض ،

هؤلاء الـ trimmers الذين يجزون الحشائش الضارة ويجهزون على اللاعبين الغشاشين ،

جعلت منه نموذجا ربما يسمى 'المغفلون - الغشاشون - الضاغنون - المشذبون' ، وجعلتنا بالتالى أمام ديكة تتقاتل حى الموت

(أو بالأحرى -باعتبار ما قاله ابن خلدون عن جن ونذالة العرب : نحتاج بعض ديكة متخصصة لقتل الدجاجات الوضيعات) !

- أنت حالتك صعبة أوى يا أستاذ وحيد . أنا موش قادرة استحمل أشوفك بالحالة دى . تحب أعمل لك قهوة . كفاية شرب من البتاع

ده . تحب آخذك تاخذ حمام ، جابر تفوق شوية ؟

يا للهول ! فكرة أن تخلفنا مؤبد بسبب جينائنا ، فكرة سوداوية للغاية ، لعل عقلى الباطن كان يطردها رغما عنى ، حتى لا أصاب باليأس . أنا لست أقل عشوائية ولا عاطفية من أى أحد . العشوائية ليست نقيصة ، إنها شىء أصيل ورثناه عن أمتنا الطبيعية ، شىء لم تخجل هى يوما منه . طبعاً ! التاريخ الطبيعى لم يكن يوما شيئاً مخططاً . لكن مهلاً ! التاريخ الطبيعى هذا بكل تحبطاته وعشوائيته ، قاد إلى التطور ، ولا شىء إلا التطور ؛ الارتقاء والاستعداد المتواصلين رغم بعض النكسات العابرة هنا وهناك . نعم ، لطالما قلت إن حتى نتقدم ، الناس تريد الأمل . إذن كل ما فى الأمر أن الشباب يريد الأمل حتى يكذب . هل كنت أقول للوليد بن طلال إن فى دمك بعض من جينيات عربية ، لا فائدة منك ، لن تصبح حدثاً حقيقياً يوماً وستنتكص حتماً لجذورك ، ومن الآن أعتريك عدوى ؟ كان بوسعى أن أهون من شأن أى أحد -مصرى ، سعودى ، عربى ، أياً ما كان- ممن راحوا ينتجون أفلاماً أو أغاني جريئة جنسياً ، أو ينشئون قنوات تنقل لنا الترفيه الغربى العصرى المتحرر ليلاً نهاراً ؟ ما هو كم الشجاعة التى تطلبها إنشاء قنوات شوتايم بالعربية أو لفافة إم بى سى أو قنوات الموسيقى والرقص أو حتى القنوات المسيحية شبه العلمانية ، أو إنشاء هالة ومثيلاتها لمواقعهم العلمانية أو الجنسية على الإنترنت ؟ بل بالأحرى فوق الجميع : ما هو كم الشجاعة التى تطلبها أن ترتدى سوسن ما ترتدى ؟

هل كنت أقول لهم جميعاً ما جدوى ما تفعلون وهذه شعوب لا أمل منها ؟ هل كان بوسعى غير تأييد هذا الجهد الإصلاحى من هذه الحكومة أو تلك ؟ هل كان بوسعى أن أشكك فى إخلاص أو جدية أى منهم فى بلوغ التحديث ؟ هل كان بوسعى أن أقول لهم كفاكم هذا العبث ، كل تعبكم سيذهب هباءً ، لأن هناك شيئاً أغفلتموه اسمه الجينيات ؟ إذن ما هذا الذى أفعله الآن ؟ أنت وصديقك اللعين الجديد تسدون كل الطرق فى وجه الجميع . مع ذلك ، هذا الملعون لا يبدو عليه أى يأس أو سوداوية . يؤمن بالإصلاح ، ويلقن الشباب درساً فى الجدية فوق كوبرى أكتوبر ، أو أسداً آداب الحديث ، ولا يشغله أن كان البشر سينقرضون يوماً أم لا ، فالمهم أن يعيشوا حياة أفضل إلى أن يأتى ذلك اليوم . تشكيلة كاملة لكل جينيات العالم تسرى فى عروقك ، من بينها الجينيات العربية التى تعرف أنها لعنة لا حل لها ، ومع ذلك لا تزال تؤمن بالغد ولديك روح القتال لإصلاح وتقويم ما حولك .

يشرد من جديد متذكراً أغنية لفريق الأبا مطلعها People need hope . لا ! بل هو برىء من تهمة إشاعة اليأس . أنا وحدى المسئول . لطالما قهرت من الكلام فى الجينيات ، وأنا الذى كنت ألاحقه ، وهو لا يكف عن تحذيرى . هو وونس كانا راضيان على أن أظل كاتباً إصلاحياً يدعو للتغيير والأمل وتثوير الاقتصاد ، بينما كنت أنا كالطفل اللوح الذى لا يطبق الانتظار قبل فتح الهدية التى بين يديه . لقد كانا يعلمان أنها صندوق پاندورا !

لكن أليست هذه سفالة ؟ يريداننى أن أظل أحرث فى البحر ، دون أن أعلم أنه بحر . سؤال آخر : ما الجديد الذى أتياك به حقاً ؟ المفروض أن كان لديك كل تلك المعرفة ، أو على الأقل معطياتها . أياً ما كان ، ليست هذه هى الأسئلة . السؤال هو محتى الحالية . لماذا أصابتك المعارف الجديدة بالدمار ، وكأنك لم تكن مدمراً من الأصل ؟ هل أنت تشبه قائد المعسكر النازى فى ' قائمة شندلر ' ، يتسلى طوال الوقت بقتل المعتقلين اليهود ببندقية القنص عن بعد ، لكن حين تأتى فتاة منهم لتخدمه فى مسكنه لا يملك إلا أن يعاملها برقة ؟ أليس هذا ما فعلته مع رمانه ؟ اشمئزت من حيها الشعبى ، ومن الفقر والإنجاب المجانى ، ولا تعرف -ولا زلت لا تعرف- له حلاً ، لكن هل يمكن أن تسمح بوضع رمانه على

قائمة الانقراض ، ألا تستحق الوضع على القائمة الأخرى ، قائمة شندلر ؟ هل تسمح لابتسامتها أن يذويها الجوع والمرض والموت ؟ أنت لم تحتمل هذا لدقيقة واحدة . أنت ترحب بالعنف حين يكون معادلات عقلية باردة تقتضيها الكتب . الآن حين يأتي تحت أنفك تجفل وتتخاذل . إذن ذلك النموذج البيولوجي المدعو ' المغفلون - الغشاشون - الضاغنون ' لم يعد صالحا أو كافيا ، وهؤلاء أطرافه لم يعودوا دجاجة ؛ إنما بإدخالك ذلك الضلع الرابع الذى تقول إنه لا فكاك منه لإنقاذ الحضارة من الانهيار والبشرية من الانقراض ، هؤلاء الـ trimmers الذين يجزون الحشائش الضارة ويجهزون على اللاعبين الغشاشين ، جعلت منه نموذجا ربما يسمى ' المغفلون - الغشاشون - الضاغنون - المشذبون ' ، وجعلتنا بالتالى أمام ديكة تتقاتل حتى الموت (أو بالأحرى - باعتبار ما قاله ابن خلدون عن جبن ونذالة العرب : نحتاج بعض ديكة متخصصة لقتل الدجاجات الوضيعات) ! ... أيضا ساعتها ستتضاعف ثروة زهرى مرات ومرات إذ سيقفز سعر سهم الدواجن إلى ما فوق الخيال !



قرارات الإبادة قد تحتاج على الأقل لقرار من مجلس ما يتشكل من نخبة قادة الكوكب .

عزيمة شخص واحد لم تعد تكفى فى هذا العالم الذى تصاعدت فيه قوى الشر لآفاق مذهلة !

لكن هل هذه مشكلتي حقا ؟ كلا ! أعتقد أنى أستطيع أن أكون أكثر ترحيبا بالعنف ، حتى لو اقترب منى . بل ربما لا أواجه هذا الموقف أبدا . الحضارة ستجد يوما طريقة لإبادة من تريد إبادته من المتخلفين العصاة قطاع الطرق بطريقة منظمة ومدروسة ، لا إسراف فيها ولا ندم . هذا حدث مع قراصنة البحار مثلا ، ولولاه لتبددت إنجازات الكشوف الجغرافية ، ولما كان هناك شىء اسمه الثورة الصناعية . الهنود الحمر أبيدوا وتأسست على أراضيهم ، أعظم الحضارات إطلاقا ، حضارة ما بعد-الصناعة . قريبا لا بد وأن تسأل الحضارة نفسها : كم سيخسر الاقتصاد العالمى لو أزيلت غرة ووزيرستان والقرن الأفريقى أو حتى معظم أفريقيا وآسيا وجنوب أميركا من على الخريطة ، وقريبا أيضا ستكتشف الإجابة المذهلة : أن الاقتصاد العالمى سوف يتحسن كثيرا ! لو لم يحدث هذا ستحل على حضارتنا نظريات جييون ويونج ، تنحل وننتهى جميعا لعصور ظلام ، لا حيلة للمثلئ أو لأحد معها .

بل مهلا ! لا تجر وراء سراب ! عد لقواعدك : الإنسان أتفه من أن تعول عليه ! ربما لا يوجد إنسان قادر بمفرده على اتخاذ قرارات تخص الإبادة كهذه . نيكسون نفسه ، أعظم من حكم أميركا والزعيم الحق بكامل معنى الكلمة ، والذى كان على وشك قصف فيتنام بالقنابل النووية ، نجحوا فى إقصائه ، لكن -حتى آخر يوم فى حياته ، ومهما طنطنوا بعكس هذا- لم ينجحوا فى حمله على الاعتراف إلا بشىء واحد : أن قلبه لم يكن قاسيا بما يكفى ؛ لم يكن قاسيا بما يكفى نحو فريقه الذى وصمه زورا زبانية الإدعاء -أكثر الناس شرها للسلطة والمناصب السياسية على وجه الأرض- بمخالفة القوانين فتأخر هو فى طردهم ، لم يكن قاسيا بما يكفى نحو إبادة شعب فيتنام المجرم ، لم يكن قاسيا بما يكفى لأن يأبى الاستقالة إذ هانت عليه تلك المعاناة التى وضعوا فيها الأمة الأميركية بتلويث يومى لسمعة قائدها ورمزها ، وهكذا . ذات الشىء : تاتشر كلية الجبروت خانها أقرب رفاقها وطردوها . ريجان العظيم صار بطة عرجاء فى نصف حكمه الثانى .

مما يزيد الطين بلة أن اكتشفت أن مقولتى القديمة ' مذبحه واحدة تكفى ' غير صحيحة ، والمطلوب إبادة كاملة شاملة لكل الأعراق قاطعة الطريق ! على كل حال أعلم الآن أن قرارات الإبادة قد تحتاج على الأقل لقرار من مجلس ما يتشكل من نخبة قادة الكوكب . عزيمة شخص واحد لم تعد تكفى فى هذا العالم الذى تصاعدت فيه قوى الشر لآفاق مذهلة ! لم يأتنى أى أحد فى رمسيس بشىء واحد لم أكن أعرفه من قبل ، بما فى هذا الحاجة لإبادة غالبية البشر . فقط كشفوا لى أن مشكلتي هى ذات مشكلة ضابط شندلر ، لا أكثر ولا أقل ؛ لم أفكر أن الزر يحتاج شخصا ما لكبسه ، ولم أفكر قط ماذا لو كنت أنا هذا الشخص ، وقطعا لم أفكر أن معتقداتى سوف تستلزم منى بالضرورة يوما أن أسحب مسدسا وأفجر به رأس رمانة عن قرب . الناس يضعفون عند نقطة ما ، بما فى هذا قائد المعسكر النازى السفاح الأثيم . ربما الأمر لا تكفيه عزيمة البشر أصلا ، لعلنا فى حاجة لعزيمة سوبرمان ، superleader لا وجود له بين البشر أصلا ؛ لعلنا فى حاجة لعزيمة الحواسيب !

لكن لماذا لا تثبت أنت نفسك على رأى ؟ هل أصبحت مثله ؟ لقد قلت لن أفهم مصر ، وكفانى ما كفانى من شغل البال بمستقبلها . لكن مرة أخرى يثبت أنى على خطأ . والواضح أنى أقسمت فى التوقيت الخاطئ . ما قيمة مصر أصلا ؟ أليس هذا كلامك ؟ الفرد والعالم ، ولا شىء فى المنتصف . سواء ذهبت مصر للجنة أو احترقت فى أتون النار ، الآن تذكرنى بأنه لا يزال هناك عالم يتحتم إنقاذه . إنقاذه من المصير الذى حذر منه أرسطو وجييون ويونج ، المصير الذى حذر منه القانون الثانى للديناميات الحرارية . عالم سوف ينقذ ، سواء جلست أزجى الوقت فى

مناقرات مع ذلك الشيطان الرجيم المسمى زهري ، في تلك ' الغرزة ' الموحلة المسماة رمسيس ، أو سواء قاطعنا بعضنا ، أو سواء لم نعرف بعضنا من البداية ، أو حتى سواء لم نولد أصلا !

إنه طوال الوقت يقول الشيء وعكسه ؟ ما الفارق بينه وبين زوجة إدوارد التي تعارض باستماتة ليس لأنها ضد الشيء ، إنما لمجرد أنها لا تعرف الصواب ؟ ماذا نال إدوارد من زيجته ؟ يكاد ينتحر بغيوبة السكر . ماذا أنال من زواجي الأثيم هذا ؟ الجنون هو أخف الأقدار . أيهما أسوأ زوجة إدوارد أم زهري ؟ كلاهما مصر الملعونة الملعونة .



مصر هي مصر ، والأهم من كل شيء -وفي حدود علمي ما لم يسأله أحد لنفسه قط-

لماذا كانت مصر أطول حضارة دامت بين كل الحضارات ؟

التفسير هو آلية قهر الأنثروبى المتضمنة في جيناتها ، وفي كل مرة شارفت فيها على الموت بعثت من جديد أقوى مما كانت :

من كان يتخيل بعد تدنيس الهكسوس لمصر أن يظهر تحتتمس ليؤسس أول إمبراطورية في تاريخ الأرض ؟ !

من كان يتخيل أنه بعد الفوضى العارمة التي صاحبت بدعة أخناتون التوحيدية الآسيوية أن يظهر الرعامسة أعظم ملوك مصر إطلاقا ؟ !

من كان يتخيل أن بعد كل النجاسة العربية أن تظهر مصر الحديثة ، ونصل الآن لما نحن فيه من قوة ونهضة اقتصادية ؟ !

الإجابة أنها كلها بالفعل لم تكن إلا تدنيسا أو تنجسيا للتراب لا أكثر ، إما الإرضاخ فلا يتم إلا بإبادة آخر جين مميز لشعب مصر .

... بل دعك من كل هذا : من كان يتخيل نظرية تقول إن النجوم الملتهبة تتوالد طوال الوقت في الكون ،

تجمعا من الغبار الأسود البارد ، وفقط بفضل ذلك الشيء المبتذل جدا لكن السحري حقا المسمى الجاذبية ؟

... صديقي ، لا تنس أبدا درس البورصة الكبير : الأمور يجب أن تسوء قبل أن تتحسن ، وساعتها ستتتحسن أفضل من كل ذى قبل ؛

ثاتشر وريجان لا يظهران إلا عندما تصل الشيوعية إلى ذروة تنقطعها !

ما كل هذا الهراء الذى تقول ؟ يرن صوت زهري في دماغ وحيد ، دون أن يعرف مصدره : ما لنا ومال العرب ، يتطورون أو يبادون ، سرىعا أم بعد آلاف السنين ؟ مصر هي مصر ، والأهم من كل شيء -وفي حدود علمي ما لم يسأله أحد لنفسه قط- لماذا كانت مصر أطول حضارة دامت بين كل الحضارات ؟ التفسير هو آلية قهر الأنثروبى المتضمنة في جيناتها ، وفي كل مرة شارفت فيها على الموت بعثت من جديد أقوى مما كانت : من كان يتخيل بعد تدنيس الهكسوس لمصر أن يظهر تحتتمس ليؤسس أول إمبراطورية في تاريخ الأرض ؟ ! من كان يتخيل أنه بعد الفوضى العارمة التي صاحبت بدعة أخناتون التوحيدية الآسيوية أن يظهر الرعامسة أعظم ملوك مصر إطلاقا ؟ ! من كان يتخيل أن بعد كل النجاسة العربية أن تظهر مصر الحديثة ، ونصل الآن لما نحن فيه من قوة ونهضة اقتصادية ؟ ! الإجابة أنها كلها بالفعل لم تكن إلا تدنيسا أو تنجسيا للتراب لا أكثر ، إما الإرضاخ فلا يتم إلا بإبادة آخر جين مميز لشعب مصر بل دعك من كل هذا : من كان يتخيل نظرية تقول إن النجوم الملتهبة تتوالد طوال الوقت في الكون ، تجمعا من الغبار الأسود البارد ، وفقط بفضل ذلك الشيء المبتذل جدا لكن السحري حقا المسمى الجاذبية ؟ ... صديقي ، لا تنس أبدا درس البورصة الكبير : الأمور يجب أن تسوء قبل أن تتحسن ، وساعتها ستتتحسن أفضل من كل ذى قبل ؛ ثاتشر وريجان لا يظهران إلا عندما تصل الشيوعية إلى ذروة تنقطعها !

مصر ؟ مصر ، مصر دائما مصر ! هكذا علمتنا أغاني ونس . دائما ماذا ؟ دائما مأساة ؟ دائما لغز ؟ دائما رى حياض ؟ ثم ما سر هذا الإصرار العجيب على أن المصريين ليسوا بدوا جانچاويد ككل المحيط العربى المحيق بهم ؟ لماذا التعلق بأمل واه كهذا ؟ لا أرى الفارق يستحق أن يفعل زهري من أجله كل ذلك الانفعال ! ماذا يريد القول ؟ المصريون ليسوا حالة ميثوس منها . طبعا هذا موقفه ، والدليل مآثره الإصلاحية التي تتناثر من حوله .

مهلا ! مصر ، مصر دائما مصر ! بل دائما ضحية . الآن تتعرض لاجتياح عربى شامل ، مالى عبر الاستثمارات الوهمية ، وحتى عسكري عبر هجمات القبائل ، وطبعا دعك من طابور السياسيين العملاء والإعلاميين السفلة .



هل من سبب يمنعنا أن نحبي اليوم دور مصر التحضرى التاريخى المقدس ،

الذى من أجله حارب إبراهيم باشا العرب الوهابيين فى نجد ،

أو إسماعيل باشا العرب جلايى العبيد فى السودان ، أو أنور السادات العرب قطاع الطرق فى ليبيا ،

فحارب كل العرب أيا من كانوا وأينما وجدوا ونخلص البشرية من شرورهم ؟

... أوه ! ذلك اللعين سيحدثنى عن أحسن وتحمس أيضا !

بل مهلا ! مصر ، مصر دائما مصر ! ربما يقصد طموحات أبعد : يقصد أن تتصدى ، أن تدافع ، بل أن تهاجم ! حقا ! لماذا نغفل دوما هذه اللحظات المشرقة من التاريخ ؟ حقا ، هل من سبب يمنعنا أن نحبي اليوم دور مصر التحضرى التاريخى المقدس ، الذى من أجله حارب إبراهيم باشا العرب الوهابيين فى نجد ، أو إسماعيل باشا العرب جلايى العبيد فى السودان ، أو أنور السادات العرب قطاع الطرق فى ليبيا ، فحارب كل العرب أيا من كانوا وأينما وجدوا ونخلص البشرية من شرورهم ؟ ... أوه ! ذلك اللعين سيحدثنى عن أحسن وتحمس أيضا ! مصر لم تشأ يوما أن تكون دولة إمبريالية ولا حتى فى أيام تحتمس ؛ هى لا تحب احتلال أحد ، لكن -رغم هذا- طالما كانت لها يد طويلة تقطع دابر أولئك اللصوص المحيطين بها كلما احتاج الأمر . إن اللعين يدفعنى طوال الوقت . أراهن أنه كالعادة لا يعرف إلى ماذا يدفعنى بالضبط . كل مآثره عشوائية وكيفما اتفق . هل يعرف أنه لا يدفعنى إلا لشيء واحد ، الجنون !

لكن مهلا . ضهرى ليس جاهلا كزوجة إدوارد . هو فقط مثلها فى التهرب من تحمل المسؤولية .

إنه حتى يحمل نفس شعارى : أرمى إلى فى مخى وأمشى . لكن لماذا يلقى عندى أنا ؟ لماذا لا يلقى فى مكان آخر ؟

آه ! ربما فهمت الآن . يا للغباوة ! كل هذه الشهور ، ولم أفهم اللعبة ! أمعقول هذا ؟ ! العبة هى التهرب من المسؤولية !

يا للخبث : إنه يدفعنى بذات القدر الذى يخلى فيه مسؤوليته . طوال الوقت يدفع لى بالقطعة الناقصة من اللغز الذى أمامى ، ثم يقول فى صمت : أنت أرسطو ! أنت التركيب ! أنت المكنة ! القرار لن يأتى إلا منك ! إنه لا يريد أن أصل لنقطة أن أنفض يدي من الإصلاح . ألا يكفيه ما يقوم هو به من وظيفة المصلح طوال الوقت ؟ ما له ومالى ؟ إنه لا يدفعنى لأن أحاكى فى أفعاله الخيرية . رغم كل عبثه المجرم وغير المسئول بعلمائى الطبية ، لا يتخلى للحظة عن تدبنيه وإيمانه . كيف ؟ بل لماذا ؟ إنه يدفعنى لشيء ما . لشيء مختلف . أى شيء ؟ كل شيء يدفعنى فيه للتطرف . سواء أيدى أو عارضتى ، هو يقودنى لمزيد من الحدة . هل أنا كنت معتدلا أصلا حتى يجعلنى متطرفا . لطالما كنت أكثر المتطرفين تطرفا . ماذا يريد بالضبط ؟ ها ! ربما يريد أن ' يمط دماغى ' أنا أيضا ! أفكارى ليست عنيفة بالقدر الذى يرضيه ! هل اقتنع بكلامى عن النهضة التى لا تأتى إلا قسرا ؟ أيدفعنى لهذه ؟ لكن ألا يعرف قبل أى أحد أن لا شيء بيدى ؟ أنا تقريبا مجرد حطام بشرى . ولت أيامى ولم تثمر شجرتها . إنه يستخدمنى كدرع بشرى لجنته الأرضية ، لحربه ضد التخلف التى فشل أبدا فى كسبها . آسف ، أنت لست فاشلا حقا . على الأقل لو قورنت بى . أنت تستطيع الإمساك بقاتل نبيل ، بينما يكن بوسع أمثالى شيئا ، بل لم أكن لأحرك ساكنا أصلا . الحكومة نفسها كانت ستعدم نصر الله بضمير مستريح . طبعاً المقارنة غير واردة : أنت شخصية عريضة أفسح من الحياة يستلذ الجميع كلامها ، وأنا شخص dull كتيب ثقيل لا يهتم به أحد . يا لحزنى المخزى كلما نظرت لهالة . لقد ناطحتنى وناطحت شركتى ، أنا الذى تعلمت على يديه ألف باء الكتابة . بل هى مستعدة لمناطحة العالم كله من أجل ما تراه حقيقة . يا لعارى الجبان وقد تركتها تناطح محمد حسنين هلوكة ، بينما كل ما فعلته أن قلت لها باستعلاء ليس لدى تيونرا فى تلفازى . ماذا تريد منى بالضبط ؟ أجننت يا ضهرى ، وتريد أن تصيبنى بالجنون مثلك ؟

جنة أرضية ؟ أية جنة ؟ أوه ! يا لهول الحقيقة ! إن السفنكس يعرف أن دنياه مقلب زبالة ، لكنه لا يتحمل مسؤولية إصلاحها بنفسه . يقول عنى لست صاحب قضية ، ولا أعرف شيئا اسمه الكفاح . ماذا عن نفسه هو ؟ عليه أن يبدأ بنفسه . حتى هذه أجاب عليها . لا يقوى ! هو لا يقوى إلا على شاب تافه فوق كوبرى أكتوبر . حتى ابنته منى لا يعرف إذا كان يؤثر فيها أم هى التى تؤثر فيه . هو يصلح قدر ما يستطيع . السفنكس اختلطت به كل چيبنات الأرض ، بحيث لم يعد ذا شخصية أو إرادة . لقد اعترف لى بهذا صراحة بنفسه ذات مرة .

مهلا ! على الأقل هو يفعل ما يستطيع . ماذا فعلت أنت ؟ يا للهول ! أممكن هذا ؟ ! ضهرى أكثر منك مادية ؟ هو يفعل . أنا أتكلم . فقط أتكلم . أنا عار على أرسطو ، وعلى المادية ، وعلى التركيب ، وعلى كل شيء !

إذن على نحو ما ، هو ليس شيطانا كزوجة إدوارد . أوه ! هو ربما ملاك حارس . هو مرسل لى من مزامير داود كى يرعانى !

كلا ، ليس ملاكا بل شيطان ! نعم ، إنه يريد الإصلاح ، لكن أكثر منه لا يريد المشاكل . لو أدى الأمر لنيران عكسية ، سيتبرأ منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب . يا لها من فهلوة أم كل الفهلوات . هو يعلم أن بعض جبيناته ستجلده ، ستلقى خطبا تتهمه فيها بالخيانة والعمالة والكفر والتنازل عن العزة والكرامة والتاريخ التليد الذى لم يكن .

أين العدل ؟ ماذا تطلب منه أكثر مما فعل ؟ هذه أقصى قدراته . هذه حيلته الوحيدة للتحيز ، تقانة الـ survival الوحيدة التى يعرفها ، آلية التكيف الوحيدة التى أبقتها له أمنا الطبيعة ، كى يخوض بها معركته الأخيرة اليائسة ضد الفناء والإبادة .

بل لنكن أكثر إنصافا . هو ليس كغيره . هو يعي مشاكله حق الوعى . بل على نحو ما هو شجاع ، حى ، متوقد فى داخله بإرادة ما ! نعم ! لماذا أذهب للجنون ؟ بل ربما ما ذنب السفنكس ؟ إنه ليس تمثالا أصم . إنه ليس تماما معدوم الشخصية . ليس جثة . ليس دراكيولا . فرانكنشتاين ربما ، لكن دراكيولا لا .

نعم ! ما ذنب السفنكس ؟ هذه قدراته . هذه أقداره . هذه جبيناته . يعرفها حق المعرفة . لذا يدفعك ويخلي مسؤوليته . أنت الممكنة . القرار قرارك أنت !

... الرجل صريح مع نفسه ، وأمين معى . علام ألومه إذن ؟

... القرار قرارك أنت ! إنه يحزننى ! يا للنكتة ! حتى تحريرى من القمقم تم بإرادتك أنت يا أيها المغرور الوقح .

... لا بأس ! من يمكن أن يكون ضد الحرية ؟ سأسمحك على العبث بعقلى هذه المرة . لكنها ستكون الأخيرة . آسف لأنى سأقسم على هذا من جديد الآن . لا مزيد من العبث بعد اليوم . كفى تعنى كفى !

... شكرا يا زهرى الحبيب . لقد أنقذتنى من عذاب عمرى الأكبر !

... لقد قبلت منك هذا التعايب الأخير : من الآن فصاعدا ، القرار قرارى أنا !

... لكن حتى الآن لم أقرر إن كنت تستحق العيش أم سوف أقتلك بنفسى .

... قرار كهذا ليس قرارى أنا ... إنه قرار شخص واحد ... أمنا الطبيعة !

... المهم أن الصداق قد اختفى !



الساموراي ينتحرون لو فشلوا مرة واحدة ، وجيراننا العرب يهزمون ألف مرة ولا يستسلمون أبدا .

شعب ينتحر فيه المهزوم وصاحب أعلى نسبة انتحار عالميا حتى اليوم ،

هو شعب مبرمج جينيا على إعلاء شأن الانتخاب الطبيعى ؛ شعب نخبوى بالفطرة ! أولئك حواسيب وليسوا بشرا ! آلات خالصة حقا !

يا للهول ! لا غرابة أن يكون لليابانيين اليوم قصب السبق فى الهندسة الجينية ، فى الهندسة النانوية ،

فى الذكاء الآلى (الاصطناعى سابقا) ، فى الجيل الخامس للحاسوب ، فى الروبوتيات ؛ فى كل تقنيات الغد !

لو ها نقول الحياة بدأت بالنبات ، وتطورت للحيوان آكل العشب ، وتطورت للحيوان آكل اللحم ، فيبقى دول نوع تانى من الإنسان . شايف التطور رايح إلى فين ؟ ! يتذكر وحيد أفلام كوروساوا التى عشقها ، ويكتشف فى لحظة تلك إساءة الظن الكبيرة التى لازمته لعقود ممثلة فى الانطباع الذى كونه منها عن كون اليابانيين قوما انفعاليين . فعلا ! الأب لا يثور على ابنه ولا على زوجته انفعالا لنفسه أو للأسرة أو للشرف . هم ينفعلون فقط من أجل فعل الشئ الصواب ولو ضد القبيلة ، ضد الأسرة ، ضد النفس ، يثورون فقط من أجل الحقيقة الموضوعية . بين يوم وليلة استقبلت بناهم الأعداء بالورود وبالساكى بدلا من الكاميكازى ، وأصبحوا تابعين لأميركا ككلب مخلص ، لمجرد أن عرفوا أن أميركا أحسن وأنها المنتصرة ، فعندهم الانتصار لا يأتى من فراغ ، ولا تجده على ناصية بيتك ذات صباح . ' أهلا بالمنتصرين ! ' ، قالها إمبراطورهم . لو عرب كانوا فضلوا يحاربوا أميركا مليون سنة تانى قدام . شعوب ذات مكون ثقافى عال ؟ يا للغو المقارنة ؟ !

الساموراي ينتحرون لو فشلوا مرة واحدة ، وجيراننا العرب يهزمون ألف مرة ولا يستسلمون أبدا . شعب ينتحر فيه المهزوم وصاحب أعلى نسبة انتحار عالميا حتى اليوم ، هو شعب مبرمج جينيا على إعلاء شأن الانتخاب الطبيعى ؛ شعب نخبوى بالفطرة ! أولئك حواسيب وليسوا

بشرا ! آلات خالصة حقا ! يا للهول ! لا غرابة أن يكون لليابانيين اليوم قصب السبق في الهندسة الجينية ، في الهندسة النانوية ، في الذكاء الآلى (الاصطناعى سابقا) ، في الجيل الخامس للحاسوب ، في الروبوتيات ؛ في كل تقنيات الغد !

أيضا يكتشف وحيد سوء فهم كبير آخر ، هو ما يخص توقيير اليابانيين للأكبر سنا ، الذى يبدو فى نظرنا نوعا من القبلية المموجة التى ضفنا ذرعا بها فى منطقتنا ، وجمودا لا يتمشى مع روح الحداثة والشبابية والتطور . الفصيل مرة أخرى هو عينه الفارق بين الموضوعى والذاتى ، توقيير الكبير هو توقيير لعلمه لا لشخصه ، موقف عقلانى بارد وليس ولاء قبليا غريزيا انفعاليا أعمى . بل أبعد من هذا بات وحيد أكثر استعدادا لفهم موقف التعالى النسبى لديهم على المرأة ، فقال لنفسه كيف يأتى لمحارب يغرس سيفا فى بطنه لمجرد غلطة ارتكبها ألا يزدري ضعف المرأة ، من ثم فبال تأكيد لو حدث أثبتت قوتها وكفاءتها لكان أول من يحتزمها . إنها مرة أخرى ذات الموضوعية والتنافسية ؛ القيمتان الكبيرتان اللتان تجربان فى دماء هذا العرق الفريد .

لكن لماذا وهم يمينيون حقيقيون هكذا ، ضرائبهم هى الأعلى بين الدول الصناعية ؟ أوه ! هل قررت أن تسىء الظن بهم مرة ثانية ؟ بل قل : ماذا سيكون حجم اقتصادهم ولو استيقظوا غدا وقرروا فجأة نفس تلك الضرائب للربع أو حتى للنصف ؟ ! الأرجح ، أنهم أناس يؤمنون بأن للحظات التاريخ الكبرى توقيتاتها التى لا يجب أبدا تعجلها !

العرب ٣٠٠ مليون حزب ، بريطانيا ٣ أحزاب ، أميركا حزبان ، اليابان حزب واحد . شايف التطور رايح إلى فين ؟ ! مضبوط ، لحد اللعنة ! أولا وأهم كل شىء ، واضح أن الثورة التقنية القادمة ها تيجى من اليابان ، وكما أقول كل يوم منذ ولدت : الحضارة ثورة تقنية . أولا أميركا من حقها حكم العالم ، دون مرافضة أو مقاومة أو ممانعة أو نقاش أو حتى اقتراح مقترحات ، من حقها أن ترسل قواتها لأى مكان فى الأرض وليس من حق أحد مجرد السؤال عن السبب ، كل ذلك فقط بفضل ما قدمته من ثورة تقنية ، وما تحقق لها من جرائها من ثراء وقدرة . ثانيا أن تسعى الصين أو إيران أو فرنسا أو روسيا أو الجامعة العربية أو أى أحد آخر للهيمنة إقليميا أو عالميا ، فلهذا مسمى آخر : مثلا البلطجة أو القرصنة أو قطع الطريق . ثالثا الطامة الأهم : أميركا دى موش عارفة تحكم العالم . عملت عصر المعلومات والاتصالات والساتلايت والإنترنت وكل الجلوبة ، لكن موش عارفة تسيطر على قطاع الطرق . البريتون أطيب من أن ينجحوا فى هذا ، ' آخرهم الهنود الحمر ' زى ما قال ضهرى ، وموش مستعدين يبيدوا حد تانى . أميركا مخترفة من الداخل . العبيد ملأوها بالهجرة والتكاثر ، ليس الكاثوليك فقط ، إنما المسلمين أيضا ، والأهم من كل شىء : الصينيون قادمون ! البيض وأيديولوجيتهم وجذوتهم الحضارية بقوا أقلية ، والحزب الديموقراطى الناطق باسم كل العبيد وكل الأقليات والطابور الخامس لكل قوى التخلف فى العالم ، أصبح أغلبية . دائما ما آمنت أن أكثر من يتحدثون عن نظرية المؤامرة هم أكثر من يحيك المؤامرات فى الواقع (فى الواقع لجبنى لم أجرؤ على قول هذا علنا فى رمسيس حتى لا أسىء لونس) ، لكن اليوم لم تعد هناك حاجة لمؤامرات : تسابق خادم القرفين وأمير قطر على تمويل الجناح المسلم للحزب الديموقراطى هائل النفوذ بات أمرا معروفا للجميع ، وصراعهما على أيهما سيحكم العالم قبل الآخر بات صراعا على المكشوف . حتى يواصل الغرب قيادة العالم عليه أن يطرد كل المهاجرين وذريتهم رجوعا على الأقل للحرب العالمية الثانية . منح الجنسية للأجانب خط أحمر . من تتزوج مهاجرا تنزع عنها الجنسية . التى تنجب طفلا من أجنبى متخلف ترحل بطفلها أو يقتل . الحضارة عاززة نخبة تحميها . دى موش مثالية أو أيديولوجية . دى حتمية طبيعية اسمها التقنية ، ودول ناس طبيعتهم كده يحموها . حملة صولجان روما إلى اسمهم الفاشيين . فرسان المائدة المستديرة ، يدافعوا عن الحرية للجميع ، وبس . لا نظريات ولا أيديولوجيات ، لا محاباة لغنى على حساب فقير ، ولا العكس ، فقط لا أحد يتعدى على حرية أحد . مائدة مستديرة ؟ أوه ! هذه الكلمة تتردد كثيرا على الأيام الأخيرة . لو ذكرتها أمام ضهرى لبدأ كلاما لعشر ساعات من قصص التاريخ وحيا من ترايزة تادرس هذه التى أحضرها إدوارد لنا . ترى من يجلس عليها معه الآن ؟



خمسون عاما مدة طويلة جدا ! لن تستمر أميركا سيدة العالم كل هذه الفترة إلا في حالة واحدة :
أن تتحرك الشركات وتعلن رفضها دفع الضرائب فوق نسبة كذا أو رفض دفع أية ضرائب مطلقا ،
أو -وهو الأفضل- أن يتحرك الجيش ويحشر دبابة في بوابة مبنى الكونغرس ،
ثم يبدأ في ترحيل كل من أتى لأميركا منذ الحرب العالمية الثانية
-أو على الأقل منذ اغتصب العبد الكاثوليكي جون كينيدي السلطة- إلى من حيث أتوا !

أنا أكتب ببساطة مؤمنا بالاقتصاد الحر وبأنه الطريق المثالي للرخاء . ها قد جئتمكم بالحل السحري الذى كان غائبا عنكم ، وهيا بنا لنطبقه أيها الأغبياء الجهلة . ولا أدري أن غباءكم وجهلكم أقوى منى ، بل أقوى منكم أنتم أنفسكم . جينيات . شفرات كيميائية . Everything is gened! حسب صيغتي القديمة التى كنت أقولها بسذاجة دون أن أعرف متضمناتها الحقيقية أبدا ، أو All in the genes! زى ما كل الدنيا بقت بتقول كالبيغاوات دلوقت . لم أكن أعلم أنى أنا وحدى الغبي الجاهل . وصل بى الأمر أن جعلت نفسى محل سخرية حين دعوت ضهرى لقراءة الجينين الأثنى ، بينما المؤكد أنه قرأه عشر مرات من قبلى ، وتوصل لأشياء أفظع مائة مرة ، قد لا أتوصل أنا لها أبدا . إنها على أية حال طريقة هذا اللعين دوما ، إدعاء البلاهة ! فى كل مرة يبدأ النقاشات من نقطة سبق ومحصناها كلنا واعتقدنا أننا تجاوزناها ، لنكتشف بعد قليل أنه ليس بالتخبط الذى يبدو عليه ، بل يخطط للقفز بنا لشيء آخر .

أرسطو لم يدعكم أبدا للحضارة ، أقصد للتحضر . لقد حكم عليكم بالتخلف للأبد . حالة ميثوس منها . ملف قد أغلق . أى أمل لكم سوى الانقراض . بل الإبادة . فقد فات أوان أن تكون النهاية انقراضا كريما (بإدخالكم لمطحنة الاقتصاد التنافسى الحر مثلا !) ، ذلك بعد كل تلك المواجهات الدامية التى وضعت أنفسكم فيها مع الحضارة . اقتصاد الكوكب يقارب الآن الأربعين تريليون دولار سنويا . بيزنس بهذا الحجم يحتاج لجهاز أمن أو ما يسمى ترتيبا عالميا جديدا . ذلك الاستثمار الهائل ، ومن ثم مستقبل الكوكب برمته ، بات مهددا من قبل قطاع الطرق الفاشلين فى المشاركة فيه ، العربية والمسلمة منها ، والأسوأ غير العربية وغير المسلمة منها . هذه وتلك التى استشرت الآن وملاّت كامل خريطة العالم بالهجرة والإنجاب والإرهاب ، وراحت تفرض إرادتها على بقية العالم .

الإمبراطورية البريطانية انهارت بنفس الطريقة التى قهرت بها روما ، انهارت حين نخرت من الداخل ، انهارت بسيطرة نقابات الشغيلة وحزبها على الحكم بعد الحرب العالمية الأولى . لا بل بدأ التداعى قبل ذلك بنصف قرن على الأقل . إن أميركا وحزبيها ، هى عينها حرفيا قصة جلادستون وساليزبرى . حقا ما أتفه إشفاقى على مصر وعلى ما ناضلت من أجله لثلاثة عقود من الزمان ، وها هو يتبخر الآن بمجرد فعله خسيصة من نقابات الإسمنت . إن النقابات تستطيع هدم إمبراطوريات وحضارات ، لا مجرد مصر الغلابة التى تتحسس بالكاد فكرة الرأسمالية التنافسية . البعض يجفل عن التوسع الإمبريالى لجبن أو لتواطؤ أو لمفاهيم ساذجة عن الإنسانية تحتضنها قلوب واهنة ، والبعض يضع قلبه الصخرى على كفه ويحمل الراية والرمح لتحديث العالم المتخلف العائش فى قبور الماضى . لو القياس صحيح ، فليس أمام أميركا سوى ٥٠ سنة حتى تتداعى إمبراطوريتها ! هذه بعض النتائج الكارثية لووصول كاثوليكي لحكم أميركا : فى ١٩٦٤ لم يكتف اليسار عندهم بإصدار قانون الحقوق المدنية الذى أعطى العبيد ليس المساواة إنما السيادة على الأسياد ، بل كانت الطامة الكبرى فى العام التالى : قانون الهجرة الكارثى بكامل معنى الكلمة ، الضمان المطلق تدفق للعبيد بلا أية عوائق ، مع التقييد التام على هجرة البيض لأميركا .

الإمبراطورية البريطانية كانت أضخم من الإمبراطورية الرومانية بمراحل ، والمنطقى كان أن تصل الإمبراطورية الأميركية لآفاق أوسع وأعلى بمراحل ومراحل (ليس بالضرورة فى مجرد حدود الكوكب) ، لولا أن كتب هذا القانون شهادة وفاتها قبل الوصول لليفوق حتى ! چون إف . كينيدي لم يكن فقط يريد بناء الشيوعية داخل أميركا من خلال قراره هائل الشذوذ يجعل الحكومة الجهة التى تصدر النقود (المؤامرة التى لحسن الحظ لم يكتب لها النجاح طويلا) ، بل أعلنها صريحة أنه يريد تقويض أميركا من جذورها ، سوف يغرقها فى طوفان من العبيد الكاثوليك والصفير والمسلمين والسود (ولسوء الحظ نجح فى هذا) . أنا لم أر فى حياتى أحدا أغبى من الروس . لو كانوا قد تركوه فى شأنه ولم يتحدوه بتلك الصواريخ البلهاء وحاولوا إذلاله أمام شعبه ، لكان قد حول أميركا للشيوعية وسلمها لهم على طبق من فضة ، أقصد من صفيح . شىء رائع أنهم أصبحوا يقتلون إخوته قبل أن يصلوا للبيت الأبيض ، إذ لا سبيل لحماية العالم الحر سوى هذا . أين أنت يا جيبون كى ترى ؟ ! قبل قانونهم الفاجر كانوا يدققون فى الصفات الجينية للمهاجر ، يحللون قسمات وجهه ليعرفوا انتماءه العرقى ، ويجرون له اختبارات الذكاء وكل الاختبارات ، وبعده لم يعودوا

يهتمون حتى إن كان يحمل أمراضا معدية . فتحوا الباب على مصراعيه ، ومن ثم وضعوا المسمار الأول في نعش الحضارة الأميركية . نعم ، ذاك القانون كان الإرهاصة الأولى لحالة الانبطاح الكامل الحالية للغرب أمام العرب والمسلمين وغيرهم من قوى التخلف عبر العالم !

لا مهلا ، القياس ليس طبق الأصل ! لأكن أكثر دقة : لا بريطانيا هي روما ، ولا أميركا هي بريطانيا . أوه ، ربما أميركا أسوأ ! في بريطانيا لم يكن بالمرستون وجلادستون أو حزبهما الليبرالي ، أو حتى ما هو أدهى بعدها ، حزب الكدح ، لم يكونوا غزوا لعبيد من الخارج . دزرائيللي المحافظ نفسه وافق على ، بل تبني بنفسه وهو في السلطة ، التعديلات التي تعطي البرلمان سلطات أوسع ، وهذا منذ ١٨٦٧ ، حيث لعل من هنا بدأت الكوارث جميعا . كان النقطة السوداء في تاريخ على العكس ككل عظيم . اعتقد أنه سوف dish the Whigs ، لكنه لم يحطم أحدا بل وضع أيضا المسمار الأول في نعش أعظم إمبراطورية ، فما تمنحه للشعب لا يمكن أن تسترده منه ثانية أبدا . الحزب الديمقراطي الأميركي المجرم لا يقوم فقط على عبادة الهجرة ، بل على بلطجية النقابات أيضا . نعم القياس ليس صحيحا . يا للهول ! اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الأميركية قد يكون أكثر درامية بكثير . إنها ليست نسخة طبق الأصل من الإمبراطورية الرومانية التي نخرت بالكامل بسبب سماحها بأن يقصف مركزها بهجرة العبيد ، أن تقصف بالتكاثر والهجرة ، فبالهجرة والتكاثر ، فبالعدوى السيكيولوجية كما يسميها المذهل يونج ، وليست نسخة طبق الأصل من بريطانيا التي استولى فيها بلطجية النقابات على الحكم بالقوة عبر تلك الأداة المضحكة المسماة صناديق الاقتراع ؛ إنها الاثنان معا ! يبقى خلاص ! كل الأمور محسومة وواضحة : خمسون عاما مدة طويلة جدا ! لن تستمر أميركا سيدة العالم كل هذه الفترة إلا في حالة واحدة : أن تتحرك الشركات وتعلن رفضها دفع الضرائب فوق نسبة كذا أو رفض دفع أية ضرائب مطلقا ، أو -وهو الأفضل- أن يتحرك الجيش ويحشر دبابة في بوابة مبنى الكونغرس ، ثم يبدأ في ترحيل كل من أتى لأميركا منذ الحرب العالمية الثانية -أو على الأقل منذ اغتصب العبد الكاثوليكي جون كينيدي السلطة- إلى من حيث أتوا !



بلى ، أمنا الطبيعة تقدمية ، وبلى ، الكلمة سرقها اليسار منا ، لكنه -كالعادة- لم يسرقها وحسب ، بل تلاعب في تعريفها . إن تقدمية الطبيعة بطيئة للغاية . ولأنها بطيئة للغاية فإن بالتالي أقصى ما يمكننا فعله بكل غرورنا البشري هو جعلها بطيئة فقط .

أما لو حاولنا جعل التقدم سريعا نكون قد انقلبنا على القانون الطبيعي ؛ وما أدراك ما القانون الطبيعي ،

إنه القانون الذي يجب كافة القوانين الوضعية الوضعية ، دينية كانت أم مدنية ؛

قانون الدغل والصراع والانتخاب الطبيعي والتحيؤ للأليق !

... إذن التؤدة Unhurriedness (التي جاءت منها تسميتنا بالمحافظين) ، هي ناوسيا ؛

قانون طبيعي أيضا ، ولو حاولنا معاندتها ستقابلنا أمنا الطبيعة ساعتها بالبطش ،

وهو ما نراه يحدث طوال الوقت منذ فجر التاريخ لكل المثاليين والعقلانيين والإنسانيين ،

أتباع السافل الأصلي منفوخ الأوداج المدعو أفلاطون !

بلى ، النمو الزائد هو مشكلة المشاكل . لقد نجحتم أيها الأوغاد الوافدين بأموال نفطكم الساخنة في تحويل السوق المصرية إلى فقاعة ، وها هو كل شيء إلى انهيار الآن . لكن أليست هكذا الحال دوما ؟ أليس هذا بالضبط هو سبب ازدياد أرسطو المبرر جدا أرسطو لطبقة التجار ورجال المال ؟ تتحاجج الإمبراطورية بأنها كى تنمو يجب أن تستجلب العبيد كى تعهد لهم بالأشغال الدنيا ، لكنها لا تعرف أن هذا قصر نظر بل انتحار محتوم ، وأن الأفضل دائما السعى لنمو أبدا لكن مستدام .

بلى ، أمنا الطبيعة تقدمية ، وبلى ، الكلمة سرقها اليسار منا ، لكنه -كالعادة- لم يسرقها وحسب ، بل تلاعب في تعريفها . إن تقدمية الطبيعة بطيئة للغاية . ولأنها بطيئة للغاية فإن بالتالي أقصى ما يمكننا فعله بكل غرورنا البشري هو جعلها بطيئة فقط . أما لو حاولنا جعل التقدم سريعا نكون قد انقلبنا على القانون الطبيعي ؛ وما أدراك ما القانون الطبيعي ، إنه القانون الذي يجب كافة القوانين الوضعية الوضعية ، دينية كانت أم مدنية ؛ قانون الدغل والصراع والانتخاب الطبيعي والتحيؤ للأليق ! ... إذن التؤدة Unhurriedness (التي جاءت منها تسميتنا بالمحافظين) ، هي ناوسيا ؛ قانون طبيعي أيضا ، ولو حاولنا معاندتها ستقابلنا أمنا الطبيعة ساعتها بالبطش ، وهو ما نراه يحدث طوال الوقت منذ فجر التاريخ لكل المثاليين والعقلانيين والإنسانيين ، أتباع السافل الأصلي منفوخ الأوداج المدعو أفلاطون !



المطلوب إذن تنمية نخوية بطيئة هادئة ناعمة ومن ثم مستدامة ، تعتمد على الجديدين بها فقط ، ولا تعنى كثيرا بشأن الفقراء ، ليس لشر فينا أو كرها لهم ، إنما لسبب غاية في البساطة أن الاهتمام الخاص بهم هو كسولة الموت القاضية على الجميع .

الفقاعات تنشأ حين يبدأ أحدهم التفكير في تنمية واسعة للطبقات أو الشعوب الفقيرة ، حبا فيهم أو تربحا منهم .

إنه طعم اشتراكي ابتلعه الرأسمالية ، وهو التعريف الوحيد للجشع فيها

(الجشع بمعناه السيئ لأن كل ما عدا تلك هو جشع حميد ، ولأنها تاريخيا قامت على هذا الجشع الحميد) .

إن انعدام فرص الكسالى أو الفاشلين في التحيؤ ليس سببه مشكلة في الرأسمالية أو الاشتراكية ، إنما هو فرمان أزل من أمنا الطبيعة !

المطلوب إذن تنمية نخوية بطيئة هادئة ناعمة ومن ثم مستدامة ، تعتمد على الجديدين بها فقط ، ولا تعنى كثيرا بشأن الفقراء ، ليس لشر فينا أو كرها لهم ، إنما لسبب غاية في البساطة أن الاهتمام الخاص بهم هو كسولة الموت القاضية على الجميع . الفقاعات تنشأ حين يبدأ أحدهم التفكير في تنمية واسعة للطبقات أو الشعوب الفقيرة ، حبا فيهم أو تربحا منهم . إنه طعم اشتراكي ابتلعه الرأسمالية ، وهو التعريف الوحيد للجشع فيها . الحقد الطبقي هو الجشع الشيطاني الوحيد ، وكل ما عداه هو جشع حميد ، والرأسمالية قامت تاريخيا على ذلك الجشع الحميد . إن انعدام فرص الكسالى أو الفاشلين في التحيؤ ليس سببه مشكلة في الرأسمالية أو الاشتراكية ، إنما هو فرمان أزل من أمنا الطبيعة !

كلا ، بل -بالأحرى- ذلك لا يزيد شيئا عن كلام أرسطو عن أن الديمقراطية هي حكم الفقراء (الرعاع) ؛ الديمقراطية تعنى الانتخابات ، والانتخابات تعنى المزايدات والهبات والتسهيلات وقروض العقارات وقروض السيارات وقروض التعليم وقروض الملابس وقروض تناول العشاء وقروض كل شيء لكل من هب ودب ، والنتيجة ليست مجرد نخب واسع لأموال الشركات تحت مسمى الضرائب لتمويل كل هذا ، بل فقاعة اقتصادية تتفاقم في متواليه هندسية : كى ينجحوا في الانتخابات يحتاجون للنقابات البلطجية ، وكى يكسبوا يعدون برفع الأجور ، ترتفع الأجور فترتفع الأسعار ، يقولون ما لناش دعوة ، لا حل إلا رفع الضرائب كمان مرة ، يزيد من جديد حجم الحكومة ، يقنعون الجوعى بأن لا أمل لهم إلا المزيد من الاعتماد على جمعيتهم الخيرية الكبرى هذه ، يعاد انتخابهم من جديد ... وهلم جرا ، إلى تنتهى العجلة الجهنمية بانتهاء شامل : بنوك خاوية قد نهبها الفقراء كعادتهم ، وشركات مفلسة لا تجد مبررا لاستمرارها أصلا . أنا لا أفهم من أين أتوا بالربط بين الرأسمالية والديمقراطية ، لا أرى أية علاقة عضوية بينهما بل أرى أنهما نقيضتان جذريا ، واحدة تبنى وتعلو وتقاوم تفشى الأنثروبى ، والثانية تذيب الأولى في بركة ضحلة من الوسطية والبدائية والتخلف يتشارك فيها الجميع .

المفارقة أن فرييدمان صاحب عصا الساحر تلك ، تحول شيئا فشيئا نحو المدرسة النمساوية -مدرسة فون هايك وزملائه- وبات من المطالبين بإلغاء نظام الاحتياطي الفيدرالى أصلا ، قائلا نحن لا نحتاج لبنوك مركزية من الأصل ، ذلك أن بما إصبعها حكوميا (رغم كونها أموالا غير حكومية) ، والإصبع الحكومى اشتراكي بطبعه ، يميل للسياسات التضخمية ، ومن ثم يساعد على خلق الفقاعات . لا شيء أفضل من ترك كل شيء -بما فيه سعر الفائدة- لقوى السوق ؛ البنك الذى يطلب سعر فائدة أكثر مما يجب ، أو يعرض سعرا أقل مما يجب ، سيصححه الباقون ويتحمل هو وحده الخسارة . كلام المدرستين -فيينا وشيكاجو- صحيح ، فذلك ما حدث فعلا : دور حكومى واسع في العشرينيات هو الذى أفضى لفقاعة انفجرت بالكساد العظيم في وجه العالم كله ، ولم ينقذه منه إلا قراره -أى العالم- الدخول لحرب عالمية دورت عجلة المصانع وسرعت التقنية وقللت عدد السكان .

للدقة ، الفضل لا يرجع كله للستين مليون الضحايا ، بقدر ما يرجع لواحد فقط بعينه . كلا ، ليس هتلر ، إنما رويسقيلت ! كان ذلك الشيوعى المجرم يجثم على صدر الشعب الأمريكى ، وقد أعلنها صريحة أنه سيستمر حاكما للأبد ، لا ٤ ولا ٨ ولا ١٢ سنة ، ذلك كى يتسنى له -هو أركان حربه من بلطجية النقابات- تأييد سياسات اشتراكية الفقر للجميع التى تفتق ذهنه القعيد عنها . وقد نجح في هذا فعلا ، ولم ينقذ البشرية منه سوى أتم ملاك الموت جهده الجبار في تلك الحرب ، بزيارة أخيرة صغيرة للبيت الأبيض . ساعتها -وساعتها فقط- دب الأمل من جديد في مجتمع البيزنس وبدأت عجلة الاقتصاد تعاود الدوران !

... وهلم جرا : بالمثل سياسات الستينيات الاشتراكية هي السبب في تضخم السبعينيات المدمر المولم . وأخيرا سياسات تسعينيات كليبتون التي انفجرت بعض فقاعاتها ولا يزال البعض ينمو حتى اللحظة في وول ستريت ، وربما توشك العجلة أن تدور هنا أيضا في شركة كيوبيد ، ولا أحد يدري ماذا بعد !

... آه ! تضخم السبعينيات ! ... الاتفاقات المجنونة لـجونسون على 'مجتمعه العظيم' الوهمي ، التي ورطت وأرغمت نيكسون في ١٩٧١ على إلغاء الـ gold standard في خرق صريح لنصوص الدستور الذي يقول إن العملة إما أن تكون ذهباً أو فضة ... لو كنت أعرف أن النمو الزائد غير المسئول شيء رعاي شيطاني لهذه الدرجة ، لربما كرسيت كل حياتي للنضال ضد قرار التخلي عن الذهب كقياس للعملة !



الاقتصاد نوعان لا ثالث لهما : الاقتصاد الوحشي التنافسي الطاهر ، والاقتصاد الإنساني التنافسي النجس !
كل الأموال السهلة أموال قدرة : أموال البترول قدرة ، أموال الإرث العائلي قدرة إلا ما طهرته بنفسك منها .
كلها قدرة وقس عليها (طبعا مع تنحية أموال الاسترقاق والاستحلال والغنائم والسرقة والنصب جانبا) ،
وأقدر الكل أموال الوظائف الحكومية ، الفلوس المطبوعة على طريقة المافون كينز ،
هات الناس ليحفروا حفرة واعطهم أجرهم ، ثم هاتهم في اليوم التالي ليردموها واعطهم أجرا آخر ،
ويقولون لك تشجيع الاستهلاك يحرك الاقتصاد ، ولماذا لا تقول تشجيع الإنتاج ،
بل لماذا لا تقول عدم تشجيع أى شيء ، وترك الإنتاج والاستهلاك هما بدورهما يتنافسان تبعا للعرض والطلب .
... المال النظيف الوحيد هو الكسب الذي خرج مصطليا بنيران السوق التنافسية !

هم على حق : الرأسمالية ليست في حاجة لأى تدخل حكومي كي تصلح من نفسها وتفرض وتعدم البيض الفاسد أو ما يسمى بلغة السوق القمامة junk التي يعشقها ونس ولا تساوى ثمن الورق الذي طبعت عليه ، الموجودة دائما أبدا كأسهل وسندات ورهونات وكل شيء لكن يتم إفرازها طوال الوقت كما يقوم أى جسم حي بإخراج الفضلات . العكس هو الصحيح ، التدخل الحكومي هو المصدر الوحيد للكوارث . كل مال يأتي من ريع الأرض (أو ما تحت الأرض) ، أو عن طريق جمع الضرائب ، هو مال قدر . هذا هو تعريفى للفساد : ليس الرشوة كما تعرفها فرنسا أو روسيا أو مصر ، إنما كل محاولة للاستدارة على المنافسة . الاقتصاد نوعان لا ثالث لهما : الاقتصاد الوحشي التنافسي الطاهر ، والاقتصاد الإنساني التنافسي النجس ! كل الأموال السهلة أموال قدرة : أموال البترول قدرة ، أموال الإرث العائلي قدرة إلا ما طهرته بنفسك منها . كلها قدرة وقس عليها (طبعا مع تنحية أموال الاسترقاق والاستحلال والغنائم والسرقة والنصب جانبا) ، وأقدر الكل أموال الوظائف الحكومية ، الفلوس المطبوعة على طريقة المافون كينز ، هات الناس ليحفروا حفرة واعطهم أجرهم ، ثم هاتهم في اليوم التالي ليردموها واعطهم أجرا آخر ، ويقولون لك تشجيع الاستهلاك يحرك الاقتصاد ، ولماذا لا تقول تشجيع الإنتاج ، بل لماذا لا تقول عدم تشجيع أى شيء ، وترك الإنتاج والاستهلاك هما بدورهما يتنافسان تبعا للعرض والطلب المال النظيف الوحيد هو الكسب الذي خرج مصطليا بنيران السوق التنافسية ! وأقصّد بالنيران السعير الحقيقي ؛ المال الطاهر حقا هو الذى تبعد من أجله ما لم يسبقك إليه أحد من قبلك . تبقى مكاسب الناس البسطاء العادية ، هي مال عادى ؛ لا هو طاهر ولا هو نجس ، مال أنتروبي لو شئت !

دعنى أصيغ تعريف التنمية النخبوية البطيئة بطريقة أخرى : أن تفلس الشركات ببساطة وصمت يوميا ، لأنه ولو حدث هذا لما وصلنا قط لنقطة الكساد . ما الذى أبقي ديناصورات مثل جنرال موتورز وشبيهاها حتى اليوم ، بينما كان المفروض إطلاق رصاصة الرحمة عليها منذ ظهور تويوتا في الستينيات ؟ الإجابة هي الحكومة ، ذلك الكيان السعيد دوما بالتخلف المسمى الصناعات كثيفة العمالة ، المبتهج بنهب بلطجية النقابات لكل مشروع عملاق مهما كانت ريادته وعظمة مؤسسيه . أنا شخصا أخجل حين أرى سيارة كتب عليها صنعت في أميركا أو اليابان ، بينما المفروض على مثل هذه الأمم أن تصنع لنا المستقبل ، تنتج فقط ما لم تسمع عنه البشرية أصلا . الستينيات ؟ الاشتراكية ؟ السؤال أصلا يجيب عن نفسه ! الحالة الوحيدة التي قد أقبل فيها أن تتدخل الحكومة لحماية صناعة ما ، هي حماية صناعة غير موجودة أصلا ، صناعة مستقبلية وليدة ويتخوف الجميع من المغامرة فيها ، وهى أمثلة قليلة جدا على أية حال ، ولعل أشهرها تبني الحكومة اليابانية لمشروع جيل خامس للحاسوب . لم أقل أقبل إنما قلت قد أقبل ، ذلك لأنك لو شئت رأيي بالضبط ، فهو أنه لو حدث وسمحنا بتدخل حكومي وحيد ، فلا يجب إلا

أن يكون لزيادة وطأة التنافس والإسراع بالإجهاز على الضعفاء والفاشلين ، وطاب مساؤك يا جنرال بينوتشيت ! (أما لو شئت رأيي بالضبط بالضبط ، وليس بالضبط نص نص ، فهو أن تزول الحكومات أصلا !) .



الفقاعة التي لا يتحدث عنها أحد هي فقاعة الجلوبة !

... المشكلة ليست في وجود غزو ثقافي ضدنا ، المشكلة عدم وجوده أصلا !

... المشكلة ليست في وجود مؤامرة إمبريالية-صهيونية ضدنا ، المشكلة عدم وجودها أصلا !

نعم ، bigger is better ، لكن هذا لا يعنى باللون الضخما من الهواء ، أو محشوا بالخراء المسمى شعوب العالم الثالث !

... يا للهول ! ربما كان اليهود أكثر حكمة من أرسطو يوم قالوا ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب !

ماذا لو كان الغزو العربى لكيوييد وما تبعه من فقاعة فى سوق الأسهم سوف تؤدى لتضخم واختيار اقتصادى ولأشياء أخرى لا أحب التفكير فيها ، ماذا لو كان البداية لكارثة اقتصادية عالمية ؟ ألى نضرب ساعتها أيدنا كفا بكف ونقول إنه مجرد التاريخ يعيد نفسه بمناسبة الذكرى المعوية للكساد العالمى المخيف الذى بدأ بإفلاس أحد بنوك الأسكندرية ؟ !

يا للهول ! إنها تلك ذات المأساة بالنسبة للجلوبة : الفقاعة التي لا يتحدث عنها أحد هي فقاعة الجلوبة ! ... المشكلة ليست في وجود غزو ثقافى ضدنا ، المشكلة عدم وجوده أصلا ! ... المشكلة ليست في وجود مؤامرة إمبريالية-صهيونية ضدنا ، المشكلة عدم وجودها أصلا ! نعم ، bigger is better ، لكن هذا لا يعنى باللون الضخما من الهواء ، أو محشوا بالخراء المسمى شعوب العالم الثالث ! ... يا للهول ! ربما كان اليهود أكثر حكمة من أرسطو يوم قالوا ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين وي طرح للكلاب ! ... الإمبراطوريات الرومانية والبريطانية بنيت فى قرون ، أى على نار هادئة كما يقولون ، لكن انظر ماذا جرى لمحمد على عندما تعجل -فى جميع اتجاهات البوصلة الأربعة بما فيها تركيا- تحديث البرابرة المحيطين بمصر فى بضعة سنوات ؟ ثمجد على هذا نفسه -فى لحظة مراهقة أخرى نسى فيها الفارق بين الحضارة والتحضّر- تحدى إنجلترا تلك بجلال قدرها ، وطعنها بمذبحة حرب عصابات رخيصة عديمة الشرف فى رشيد ودحرها خارجا فى سبتمبر ١٨٠٧ ، فماذا فعلت ؟ هل نسيت مصر ؟ كلا ، بل عادوا إليها ، وأيضا فى سبتمبر . الفارق أن ليس سبتمبر العام التالى أو بعد التالى ، إنما بالضبط فى اليوبيل الماسى : بعد ٧٥ عاما باليوم والساعة ! ... أليس هذا الاستثمار بعيد المدى الذى يكرهه إدوارد ؟ !

لقد تم التوسع فى الجلوبة لكن عبر سلسلة تنازلات ضخمة تجاه القيم الأوروبية والصينية والروسية والسعودية ... إلخ (ناهيك عن الأفريقية) ، حتى وصلنا أخيرا بمنظمة التداول العالمية ليس فقط للشلل التام ، بل إلى أنها أصبحت -شأنها شأن أية فقاعة !- تنادى بعكس ما نشأت من أجله (الآن فقط لاحظت أن موت هذه المنظمة الذى تم تحديدا فى قطر -أحد معاقل الاسترقاق والاستحلال العربى المسلم ، لم يكن أمرا من قبيل الصدفة عديمة المغزى) . لم تصبح الجلوبة غزوا اقتصاديا وثقافيا من طرف واحد كما تصور البعض من أصحاب الصوت العالى ، إنما تحولت باسم الديمقراطية والتساوى بين الشعوب والدول ، إلى نوع من اشتراكية عالمية للمذاهب والأفكار ، أى لنوع كارثى من الوسطية والانحطاط والموات الأنتروپى هو أقصى ما يربى الآن . الكل تحاشى السؤال المهم : هل الجلوبة هى الغربية أم الأسلمة ، هل هى الأمركة أم الصينية ؟ يهتمون ' بهوية ' كل شىء إلا هو هوية الكوكب . يا لهول هراء الكارثة ! الجلوبة لم ترتق بشعوب التخلف ، بل أحالت الكوكب كله لروما جديدة تحتق بعبيدها !

لطالما أيدت تعملق الشركات ونمو الاقتصادات وجلوبة العالم ، لكن أحيانا ينسينا هذا الحكمة الأصلية منه ومن الرأسمالية : التنافسية والصراع المفضى للارتقاء ، أقصد لا تنازل قط عن الكيف على حساب الكم . الإندماج أو التنمية أو الجلوبة التى تتنازل عن معايير الرأسمالية العليا أو تصنع لهدف آخر غير زيادة حدة التنافسية والكفاءة ، ليست إلا نوعا من اشتراكية البداءة . انجرافنا وراء الجلوبة أنسانا أنه لا يوجد أصلا شىء اسمه اشتراكية الرأسمالية . لن يصبح العالم كله رأسماليا يوما ، ولذا فالحل الوحيد هو الإبادة . إنه شىء آخر لا يجب أن ننساه بخصوص الفكرة الأصلية للرأسمالية ، أقصد لأمننا الطبيعة : إن الصراع لا بد وأن يفضى بطبعه لتخفيض عدد السكان . بحكم التعريف النخبوية تعنى تقليص طوفان الكائنات عديمة القديمة .

آه ! آآآآآه ! التنمية الهوجاء . مرارا وتكرارا حاول الإنجليز تعليمنا الدرس هنا في مصر ، لكننا لم نفهمه بما فيه ذات مرة ' الأستاذ ' نفسه . لم يفهمه الخديوى إسماعيل حين قالوا له أجل إلغاء السخرة . لم يفهمه طلعت حرب أو غيره حين قالوا له أنتم تصلحون الآن مزرعة قطن فقط ، والتصنيع يأتي لاحقا ، ثم أنتم تصلحون الآن صناع غزل فقط ، والنسيج يأتي لاحقا ... إلخ . أحمد لطفى السيد لم يفهم لماذا عارضوا إنشاء جامعة القاهرة . هل لأنهم يريدوننا جهلة كما يطنطن الناصريون والشيوعيون ؟ الإجابة هي لا ، إنما لأن كلمة جامعة تعنى فى مخيلتهم شيئا معينا جدا ، لم ينضج له بعد الإنسان المصرى والمجتمع المصرى ، والمطلوب كان ساعتها الارتقاء أكثر بما هو دون التعليم الجامعى وجهودهم فيه لا ينكرها إلا وقح ، وبالفعل نرى صواب تفكيرهم حين نرى جامعة انحدرت للا شىء ، لأنها أصلا بنيت كنصف شىء . الأمثلة لا تحاية لها ، ولو لا تفهم كيف يشتغل العقل البريى لأدنتها على الفور . عندهم لكل شىء أوان ، والشىء حتى يتم بصواب لا بد أن يدرس جيدا أولا وتنضج له كامل الظروف اللازمة لإنجازه على أفضل نحو ممكن ، لكن للأسف لا يوجد ما يتمتع بالبرود فى هذا العالم سوى عرق واحد .

كان يجب أن يكون مفهوما أن ثورة الاتصالات وتحرير التداول وغيرها من مكونات البنية الأساسية للجلوبة صنعت من أجل تسريع انقراض الشعوب المتخلفة وليس لخلق اشتراكية عالمية للتخلف ؛ صنعت من أجل توحيد العالم على أساس أفضل قيم ونظم معروفة فيه ، وليس على أساس المتوسط الحسابى لأمزجة الشعوب (نفس السبب الذى يجعل الديمقراطية نظاما فاشلا ، هو كونها تعطينا المتوسط الحسابى لميول المجتمع وليس أفضلها) . هكذا كان الواجب أن تكون الجلوبة ، أداة قسرية لصفونة العالم ، لتقليص الأنتروپى منه ، لا لإطلاق عنان السيجان والغناء والوسطية وسيطرة سيكولوجية العبيد . يخطئ من فهم أن الرأسمالية أداة لتنمية كل العالم ، هي ليست تنمية عشوائية من أجل العشوائيين ، بل أداة لصفونته .



يمكنك التحايل على شرائع الله ما شئت ، لكن أحدا لا يستطيع إطلاقا الالتفاف على نوااميس أمناء الطبيعة ؛

ولعل هذه أبسط طريقة لتمييز الإله المزيف من الإله الحقيقى !

قد تردون بأن أقصى ما نبحث فيه الرأسمالية هو تخفيف وطأة فترات الركود وتقصير مدتها ، لكن لم نقض عليها . إجابتي قد تكون مفاجئة بعض الشىء : أنا لا أخجل أصلا من دورات الركود ! إنما -على العكس- إكليل غار على رأس الرأسمالية ، يثبت قدرتها المتواصلة على فرز البيض الفاسد -أنتم وأموالكم الساخنة القدرة أو الأيديولوجية أو الحكومية- ثم سحقه تحت أقدامها . كل ركود يخرج بعده الاقتصاد صحيا رشيقا منطلقا ، ذلك أنه تخلص من الحمولة الزائدة : العمالة الزائدة والصناعات المنقرضة . مهما حاول رويسيفيلت أو إله رويسيفيلت ، لا بد أن تتم أمناء الطبيعة دورتها وتقضى على من عفا عليهم الزمن . يمكنك التحايل على شرائع الله ما شئت ، لكن أحدا لا يستطيع إطلاقا الالتفاف على نوااميس أمناء الطبيعة ؛ ولعل هذه أبسط طريقة لتمييز الإله المزيف من الإله الحقيقى !

أوه ! اليوم أكتشف أن الآلهة فراخ أيضا كفراخ زهرى بالضبط : إله المسيحية ' المغفل ' الذى يحب كل الناس ، وإله الإسلام ' الغشاش ' الذى يستبعد الإنسان والجن ، وأمناء الطبيعة ' الضاغنة ' -الإله الوحيد الرحمن الرحوم صادق الوعد مطلق العدل ، يرفعك لأعلى مكانة لو أنت جدير بها ، ويسارع لقتلك لو لا تستحق العيش أو لو وجده صعبا عليك (الرحوم هذه ليست غلطة مطبعية ، فالرحيم تلك كارثة كرتاء كروث ، فحسب تفسير صديقى الإمام القرطبي لفاتحة الكتاب هي وصف لمحمد لأنه لا يوجد إله رحيم) !



أنا لم أفهم قط مصطلح العقد الضائع ، أى عقد ضائع ودائما أبدا اليابان عظيمة التماسك راسخة الاقتصاد ورائدة تقنيا ؟

... هل هي جريمة ذلك النمو الهادئ الذى يعرف طريقه جيدا دون سعى لفرقعات أو فقاعات أو دراميات أو مانشيتات ،

النمو ' الحرج ' الذى لا هو Under-damped ولا Over-damped ، النمو الذى يعتمد النوعية لا الكم قانونا له ،

النمو الرصين الذى جاء ليبقى ، لا ليعكس اتجاهه بعد قليل بآثار عكسية كان الأفضل منها أن لم يكن قد حدث أصلا ؟

هل ما أظاظكم مثلا حرصها على نقائها العرقى ، أنتم الذين جعلتم غربكم سدا مديحا لكل حثالات الأرض ؟

المشكلة فى كل الحالات أنكم لا تعرفون أصل المشكلة : إنه الإنسان ! لا شىء يثير الخجل فى دورات الركود ؛ ما يثير الخجل هو المتسبب فيها : الإنسان . ونس الذى طالما دأب زهرى على وصفه بالجاهل والراسب والبليد والتافه أتى لى بشىء آخر من الهندسة لا يقل فلسفية عن القانون الثانى للديناميات الحرارية أو شرط الحالة الثابتة steady state condition . نعم كان مملا قليلا ، وهو يشرح لى بطريقته التدريسية

المتعجرفة ، لكن النتيجة التي أراها كانت عميقة جدا ، بل يعتبرها هو فلسفته في الحياة ، وهي السر وراء إدمانه المضاربة ، أو بمصطلحاتي أنا هو يؤمن بالدورانية كناوسيا . تحدث عن ثلاثة منحنيات معروفة جدا في علوم هندسة الاهتزاز سواء الميكانيكية أو الكهربائية منها . أخذ يشرح قائلا تخيل بندولا يهتز في الهواء ، إنه يتحرك جيئة وذهابا حول نقطة إترانه إلى أن يستقر في نقطة المنتصف في النهاية . الإزاحة عن هذه النقطة تشبه أسعار البورصة في بداية كل جلسة ، ترتفع سريعا عاليا ثم ترتد بقوة لأسفل وإن ليس بذات القدر السابق ، ثم لأعلى أقل مرة أخرى ، وهكذا حتى تستقر عند سعر وسيط معين ، انتظارا لبداية حركة عنيفة أخرى . ثم قال تخيل أنك غمرت هذا البندول في سائل على اللزوجة كزيت محركات السيارات الكثيف ، ثم أبعده عن نقطة إترانه . ما سيحدث أنه سيتحرك ببطء شديد ، ولا يصل بالضبط لنقطة الإتران إلا بعد فترة . يسمى النظام الأول Under-damped Vibration System ، والنظام الثاني Over-damped Vibration System . ولا شك أن بين النظامين يقع نظام ثالث وسيط ، لا تكون فيه اللزوجة متناهية في الصغر كما الهواء ، ولا متناهية الضخامة كزيت المحركات ، ولتكن مثلا سائل خفيف متوسط اللزوجة كالماء أو الكحول أو زيت الطعام . في هذه الحالة سيتحرك البندول تجاه نقطة إترانه بسرعة أكبر كثيرا من الحالة الثانية ، لكن دون أن يتجاوزها ليصنع ذبذبة في الإتجاهين ، هذا المنحنى الناعم السريع شبه الرأسى يسمى في هندسة الاهتزاز Critical-damped Vibration System . هو يؤمن أن الحياة الإنسانية تتبع المنحنى الأول . هو على حق ؛ لأنه بما أن الإنسان كائن غير عاقل فهو محدود الكبح Under-damped يتصرف بعشوائية وانفعال وتخط ، لا يذهب من النقطة أ إلى النقطة ب إلا عن طريق التفاف عجيبي يسمونه حلزون الديالكتيك ، أو على الأقل عبر تكسرات لا نهائية في منحنيات البورصة المشرشرة ، أو عبر أن تتركوا الشيء يزيد عن حده حتى تلاحظونه فتقبلونه لضده ، وكلا الأمرين خطأ وعار . أما الحاسوب فيذهب بنا من أ إلى ب مباشرة عبر خط مستقيم بلا عك أو لغوصة ، إلا أننا ننسى -أو نتناسى- أن النموذج المثالي الصعب الراقى لدى أمتنا الطبيعية هو النموذج الحرج Critical-damped . ولا غرابة أنه النموذج المتفرد الوحيد من نوعه ، لأنه بينما يوجد بليون طريق للعك ما بين أ وب ، لا يوجد سوى أسرع طريق واحد !

أنا لم أفهم قط مصطلح العقد الضائع ، أى عقد ضائع ودائما أبدا اليابان عظمة التماسك راسخة الاقتصاد ورائدة تقنيا ؟ ... هل هي جريمة ذلك النمو الهادئ الذى يعرف طريقه جيدا دون سعى لفرقات أو فقاعات أو دراميات أو مانشيتات ، النمو ' الحرج ' الذى لا هو Under-damped ولا Over-damped ، النمو الذى يعتمد النوعية لا الكم قانونا له ، النمو الرصين الذى جاء ليبقى ، لا ليعكس اتجاهه بعد قليل بآثار عكسية كان الأفضل منها أن لم يكن قد حدث أصلا ؟ هل ما أعاظكم مثلا حرصها على نقائها العرقى ، أتم الذين جعلتم غريكم سداحا مداحا لكل حثالات الأرض ؟



لطالما كتبت أن الاشتراكية لا تلائم الطبيعة البشرية الميالة للكسل والجشع ... إلخ .

اليوم اكتشفت أن الرأسمالية أيضا لا تناسب الطبيعة البشرية ، ولذات الأسباب بالضبط .

... على أنه يظل بعد هذا ثمة فارق كبير يميز الرأسمالية عن الاشتراكية : أنها تناسب أمتنا الطبيعية !

الإنسان هو الذى يمنع الجسد الاقتصادى من طرد الخلايا الميتة في هدوء ، ولا بد من استخدام العنف لطرده هؤلاء الفاشلين ، عناد من جانبهم لا بد وأن نرد عليه بقسوة من جانبنا ، فنضطر للوصول لنقطة الركود حتى نفرز الخلايا التى ماتت من الخلايا التى ستعود حية . لطالما كتبت أن الاشتراكية لا تلائم الطبيعة البشرية الميالة للكسل والجشع ... إلخ . اليوم اكتشفت أن الرأسمالية أيضا لا تناسب الطبيعة البشرية ، ولذات الأسباب بالضبط على أنه يظل بعد هذا ثمة فارق كبير يميز الرأسمالية عن الاشتراكية : أنها تناسب أمتنا الطبيعية ! ... لو أن كل فرد يميل للكسل القبيح وحده أو للجشع الجميل وحده لكانت الرأسمالية حلا مثاليا ، ستتصير بوضوح للجشعين وتبتطش ببساطة بالكسالى ، لكن للأسف معدن الإنسان ردىء ويحوى النقيضين معا ، وبالتالي فالغالبية تريد بكل الوسائل التحايل على قوانين الرأسمالية . الرأسمالية ليست مكعبات في الهواء ، ليست أيديولوجيا ، ليست ميتافيزياء ، من هنا فرأى أمتنا الطبيعية لا بد وأن يكون البطش بكل تلك الغالبية ، أو حتى بجميع البشر لو تطلب الأمر !

ذات مرة استظرف ضهرى السخيف بأن الفارق بين الحاسوب والإنسان أن الأول يجاوب بنعم ولا ، والثانى يجاوب بنعم وإن شاء الله . لا ، ليس هذا هو الفارق ؛ الفارق أن الإنسان قصير النظر ، بينما الحاسوب يدرس كل الاحتمالات ، صغيرها وكبيرها ، قريبها وبعيدها . ذلك هو تراث البيولوجيا الكربونية الذى نشأت جينياتنا منه ، وذاك هو مستقبلنا السيليكونى الذى لا سقف له !

الحواسيب ! يا للمصيبة ! الآن إليك التناقض الأكبر : إن ما سبب فقاعة الجلوبة هو ثورة تقنية ، فهل يمكن أن تصنع التقنية حبلا يقتلها ؟ هل حدث أن فعلت هذا يوما ، فلماذا تفعله الآن ؟ دماغى ينفجر !

التقنية قررت الانتحار ؟ يا له من خاطر أخرق ! هذا مستحيل ! أمنا الطبيعة اخترعت العقل الإنسانى كى يدفعها قدما للأمام لا كى يقتلها أو يصيبها بالشلل ويأتى بقوانينه الرجعية هو . لن يقضى من يسمون بفلاسفة الثورة الفرنسية على أمنا الطبيعة ، بينما هى التى خلقتهم وكانت وستظل أقوى منهم ببلابين بلايين المرات . إما أن تركب الحصان ووجهك للأمام كى ترشده كيف يجرى أسرع ، أما أن تحاول أن تحيله لجحش فهو ليس فقط ضربا تحت الحزام ، لكن أمر مستحيل أصلا . هل نسيت الفيديو الشهير لأنثى الأسد التى فاض بها الكيل ، فتركت الوجبة العائلية الشهية ، وانطلقت تفترس الضباع التى كانت تحوم حولهم وتنغص عليهم متعتهم ؟ دونا عن كل الأسرة بكبارها وصغارها ، اختارت هذه اللبوة وظيفة المشذب نيابة عن الجماعة . هل تسمح خلية النحل بإيواء متطفلين ؟ هل يسمح أى مجتمع بيولوجى بإيواء متطفلين ؟ الفلاحون (المشذبون حرفيا) حين يقتلعون الحشائش ويبعدون الهوام والقوارض لا يتحدون الطبيعة وقوانينها ، إنما بالعكس لمساقم الصغيرة هذه هى تفعيل لروحها التطورية والنمائية . أليست الحمامة الوديدة واحدة من أشرس المشدبين حين تظهر عشها من الديدان والحشرات ، ولا تغفل أبدا وإلا خطفت الحداة أفرأخها ؟ أساسا ، الطبيعة برمتها ما إلا صراع ، والمشدبون -أى الساهرون كالجيش والشرطة مثلا- هم سنام هذا الصراع وأبطاله ورمزه الكبير . الإنسان ما هو إلا أداة فى يد أمنا الطبيعة . نعم هى أمه ، إن تصرف بحكمة وبوعى بمقاصدها وبمتطلبات وظيفته عاش وازدهر ، لكن إن تملكه الغباء أو الغرور قتلته بيديها !

بالضبط ! التقنية لا تنتحر أبدا ! ماركس تحدث كثيرا عن التراكم الرأسمالى ، ورأى أنه غير مشروع وأن الحق فيه أنه ثروة على المشاع . كيف هذا ؟ كيف لم ير أن أى تراكم هائل للثروة يأتى تحديدا فى حال ظهور ثورة تقنية جديدة ، ولأن أحدا ما قد سبق الجميع لرؤية الذهب فى التلال البعيدة . هل هى جريمة أن تكون صاحب بصيرة نافذة ؟ أليست هذه البصيرة قيمة مضافة يا رفيق ماركس ، يا صديقى الاسترقاقى الاستحلالى العظيم الذى لا يختلف شيئا عن بحر الجزيرة أن كلما رأيتم ثروة فى مكان ما ، قلتم لقد ذهب هؤلاء بطريق الخطأ وعلينا تصحيح هذا بأخذها لأنفسنا ؟ يا سيدى ساكن الكوخ الحقير (التعبير ليس لى للأسف إنما سبقنى إليه وينستون تشرتشل) ، لقد تكونت الإقطاعيات بفضل الثورة الزراعية ، والتراكم الرأسمالى بفضل الثورة الصناعية ، هكذا ببساطة ! أين المشكلة ؟ حتى لو رأيت مشكلة فى الأمر ، فاذهب لأمنا الطبيعة لتسألها رأى ، قبل أن تفرمك وتلقى بك لمزبلة التاريخ ! أميركا تتحلل الآن لأن العبيد باتوا يشاركون فى الثروة الجديدة أكثر مما يجب ، ويجب أن تنشأ الحضارة التالية فى مكان جديد ، حيث توجد قلة بصيرة جديدة تخلق استقطابا جديدا للثروة ومن ثم حضارة جديدة .



أمننا الطبيعية لا يعينها الكم في كثير أو قليل ولا تفكر فيه أساسا ؛

هي لديها بالفعل مائة بليون مجرة وعشرة سيكستيليون (العدد التالى للبلون والتريليون والكوادريليون والكوينتيليون) نجم ،

وقرابة السيتيليون (واحد بجواره ٢٤ صفرا) كوكب وقمر

(ولا تحاول أنت حساب عدد ما تحتويه هذه الأشياء من إلكترونيات وپروتونات وجسيمات أخرى ،

لأنك لن تجد مسميات لهذه الأعداد . وطبعا لا تحاول عد عدد الأكوان لأنك لن تستطيع أبدا لأن فارق الأحجام يمنعك .

ما يمكنك هو فقط قسمة السيتيليون على مائة أو بالأكثر ألف لتعرف عدد الكواكب الآهلة بالحياة التى لديها ،

والتي من المؤكد أن لا حياة واحدة فيها تشبه الأخرى ، والمؤكد أكثر أن لا واحدة منها أشد تخلفا وبداءة من بنى البشر) !

ما يهمها فقط هو النوعية ؛ إنها الشئ الوحيد الذى تناضل من أجله وكرست كل لحظة فى عمرها البالغ ١٤ بليون سنة للانتصار له .

بالنسبة لها كوكب الأرض قد طفح حاليا بالجرثومة المسماة البشر ممن باتوا عائقا أمام التقدم ودفع التقنية وارتقاء نوعية الحياة ،

وها قد حان الوقت للقيام بعملية تطهير واسعة !

لا يجب أن ننسى للحظة أن الفكرة الأصلية فى الرأسمالية لا تريد شيئا ولا تنقص عن القانون البسيط والأسمى لأمننا الطبيعية والذى أوصلنا عبر ١٤ بليون سنة إلى ما نحن فيه من تقدم : الصراع المفضى للنخبوية elitism والاستعداد sophistication والتطور evolution ، وليس التوسع فى تنمية الدماء أو العطف على الغلبة والمساكين والفاشلين . لا بأس بنمو الطبقات والشعوب الفقيرة والمتخلفة ، لكن فقط بشرط إذا ما حدث وارتقوا من تلقاء أنفسهم لما يؤهلهم دخول حلبة التنافس مع الكبار وبنفس ساطرات لعبتهم ، وليس بتخفيف وطأة الصراع رحمة بهم أو مساعدة لهم . دورات الكساد تقع لأن أمننا الطبيعية تسخط على كل توسع كمى ، نمو من أجل النمو ، وتريد فقط ارتقاء النوعية . لا يجب أن ننسى أن تعريف النمو هو النمو الرأسى لا التنمية الأفقية (ربما بدانة ونس شر ، فقط لأنها نمو أفقى !) . التنمية شر بالأساس ، إلا ما كان منها على المستقبلية على التنافسية على المخاطرة entrepreneurial . أمننا الطبيعية لا يعينها الكم فى كثير أو قليل ولا تفكر فيه أساسا ؛ هي لديها بالفعل مائة بليون مجرة وعشرة سيكستيليون (العدد التالى للبلون والتريليون والكوادريليون والكوينتيليون) نجم ، وقرابة السيتيليون (واحد بجواره ٢٤ صفرا) كوكب وقمر (ولا تحاول أنت حساب عدد ما تحتويه هذه الأشياء من إلكترونيات وپروتونات وجسيمات أخرى ، لأنك لن تجد مسميات لهذه الأعداد . وطبعا لا تحاول عد عدد الأكوان لأنك لن تستطيع أبدا لأن فارق الأحجام يمنعك . ما يمكنك هو فقط قسمة السيتيليون على مائة أو بالأكثر ألف لتعرف عدد الكواكب الآهلة بالحياة التى لديها ، والتي من المؤكد أن لا حياة واحدة فيها تشبه الأخرى ، والمؤكد أكثر أن لا واحدة منها أشد تخلفا وبداءة من بنى البشر) ! ما يهمها فقط هو النوعية ؛ إنها الشئ الوحيد الذى تناضل من أجله وكرست كل لحظة فى عمرها البالغ ١٤ بليون سنة للانتصار له . بالنسبة لها كوكب الأرض قد طفح حاليا بالجرثومة المسماة البشر ممن باتوا عائقا أمام التقدم ودفع التقنية وارتقاء نوعية الحياة ، وها قد حان الوقت للقيام بعملية تطهير واسعة !

الكارثة الحقة أن كل تنمية من ذلك النوع قد لا تفضى فقط لفقاعة كارثية بسبب تنمية كل من هب ودب ، بل ربما لانهيار مبرم ونهائى للحضارة ككل ، تماما كما تسبب فى هذا غزو العبيد السيكلوجى والمادى معا لروما ، ثم بلطجة وابتزاز طبقة الشغيلة للثورة الصناعية الإنجليزية ، وها هو الدور قد حان اليوم باستخدام نفس الاستراتيجية على الحضارة الثالثة الأمريكية . إن كعب أخيل الوحيد للرأسمالية هو سماحها بتسلسل النصابين الاشتراكيين (كالعصابة الكليتونية) لداخلها ، بل الأسوأ أنها تسمح أيضا باختراق الاستحلاليين الإسلاميين لها ، وأنا شخصا كلفنى حياتى المهنية مقال كتبته فى هذا . قامت الدنيا ولم تقعد تستهجن وتسخر من معنى كلامى أن وول ستريت المعاصرة باتت نوعا من الاقتصادى الإسلامى القذر ، ولم يستمع أحد لقولى إن لا تهمتموا بالمسميات أو لون البشرة بل اهتموا بالجواهر والمحتوى ، ذلك رغم أنى لم أقف عند هذا الحد ، بل قدمت رابطة عينية مباشرة بين ما حدث وبين شخص نصف عربى أو ربع عربى اسمه الوليد بن طلال . للحق لم يخطر بكواييسى أبدا السؤال ماذا كان سيفعل لو كان عربيا بالكامل ، إلا أن ما فشلت فى التنبؤ به كلية ، أنهم سيأتون بفقاعاتهم إلى هنا ، ويقتلون الدكتور فرغلى ، ويصرعون رمز الحب كيوييد ، ثم طبعا سيتهموننى أنا بنشر الكراهية !



اليوتوبيا بحكم التعريف تقريبا هي البركة الجينية التي تكافئ الكسل ، وهذا مما لا تقبل به أبدا ساطرات البيولوجيا .
أفلاطون ويسوع وتوماس موور وماركس وأى جربوع -بريثا كان أم شيطانا- ممكن يؤلف يوتوبيات وخرافات زى ما هو عاوز ،
بس يتفضل يموها من جيبه ، وإلا فليخرس للأبد بطلقة رصاص فى رأسه .

نعم ، رصاصة ! لأن أصحاب اليوتوبيات هم أخطر الكائنات فى التاريخ على وجه الإطلاق !

... الفكر ما إلا إفراز بيولوجى شديد السمية يفوق كل إفرازات ثعابين وعقارب الحجر .

واو ! لا شك أن أرسطو كان سيرت على كنفى لو سمعنى أقول هذا .

... أوه ! بل بالأحرى هي أشياء لا وجود لها أساسا .

أوه ، هوه ! هذه كانت ستجعل هال ٩٠٠٠ يشد على يدى بقوة لسماعها !

فعلا ، العقل والوعى والفكر والذكاء ما إلا مصطلحات سياسية ،

خلقها التيمايوس الاغترارى التؤلى لذلك الكائن الحقيق المدعو الإنسان .

... أجزم أن النمل يحدث بعضه البعض أن عقوله هي نقلة نوعية فى التاريخ الطبيعى ،

لكنى أشك أنه يريد نفى أن تلك العقول تمتلك قوة تجب ولو ذرة واحدة من حقيقة أن كوننا مادة خالصة .

... وأن سيظل هكذا لأبد الأبدى !

آه من أحصنة طروادة ، بالذات الاقتصادية منها ! ... اليوتوبيات ! لو أمنا الطبيعة مستعدة للتسامح مع كل أنواع الفشل فمستحيل تتحمل
الفشل الاقتصادى تحديدا ، لأن ببساطة ده معنى المادية . المادية تفترض الكفاءة والتحيؤ للأليق . الكفاءة هي معيار الحكم على النظريات
واليوتوبيات وكل شىء ، دى م الهندسة ؛ كلام ونس بتاع محطات القوى الكهربائية ، مفهوم الكفاءة ، إالى أنا مبرمج عليه أحسن منه . تمام !
ادفع عجز الموازنة وسنفذ لك أية يوتوبيا تريد . كل المطلوب تتفضل بس تقول لنا الاستدامة ها تيجى منين ، ولا بس تسرقوا فلوس الأغنياء
وتتنغنوا بها كام سنة ، وتقولوا انظروا إحنا بتوع المدن الفاضلة ، إحنا إالى دهنا الهوا يوتوبيا !

اليوتوبيا بحكم التعريف تقريبا هي البركة الجينية التي تكافئ الكسل ، وهذا مما لا تقبل به أبدا ساطرات البيولوجيا . أفلاطون ويسوع وتوماس
موور وماركس وأى جربوع -بريثا كان أم شيطانا- ممكن يؤلف يوتوبيات وخرافات زى ما هو عاوز ، بس يتفضل يموها من جيبه ، وإلا فليخرس
للأبد بطلقة رصاص فى رأسه . نعم ، رصاصة ! لأن أصحاب اليوتوبيات هم أخطر الكائنات فى التاريخ على وجه الإطلاق ! ... الفكر ما إلا
إفراز بيولوجى شديد السمية يفوق كل إفرازات ثعابين وعقارب الحجر . واو ! لا شك أن أرسطو كان سيرت على كنفى لو سمعنى أقول هذا .
... أوه ! بل بالأحرى هي أشياء لا وجود لها أساسا . أوه ، هوه ! هذه كانت ستجعل هال ٩٠٠٠ يشد على يدى بقوة لسماعها ! فعلا ،
العقل والوعى والفكر والذكاء ما إلا مصطلحات سياسية ، خلقها التيمايوس الاغترارى التؤلى لذلك الكائن الحقيق المدعو الإنسان .
... أجزم أن النمل يحدث بعضه البعض أن عقوله هي نقلة نوعية فى التاريخ الطبيعى ، لكنى أشك أنه يريد نفى أن تلك العقول تمتلك قوة تجب
ولو ذرة واحدة من حقيقة أن كوننا مادة خالصة وأن سيظل هكذا لأبد الأبدى !



... بلى ! جلى جدا إلى أين تسير الحياة : من القبيلة للأسرة الكبيرة للأسرة النووية للفردانية !

... بلى ! جلى جدا إلى أين تسير الحياة : من ٣٠٠ مليون حزب إلى ٣ إلى ٢ إلى ١ !

... بلى ! الخطوة التالية تكاد تنطق عن نفسها : الصفرائية !

يا جدتى ! ما أحوجنا لميلتون فريدمان للحضارة نفسها ، يأتى بالعبيد حينما ويطردهم حينما آخر حسب إيقاع النمو ، تشجع المتخلفين حينما
ثم تبيدهم حينما عندما يثبت أنهم ليسوا عند حسن الظن . طبعاً هذا كله فى مستويات قريبة لمعدل الفائدة الصفرى ، ولم يحدث يوماً أن طالبت
بمعدل فائدة صفرى مطلق وإلا سمحنا للتضخم بتدميرنا ؛ أنا مع أكبر إطلاق ممكن للحرية ، أبعد نقطة يمكن أن تصل إليها دون أن تتحول لآلية
للتدمير الذاتى ؛ هذا دوما ما قصده بمفهوم الحرية القصوى . فى المثالين الأمر أشبه بأن تقود سيارة على منحدر ؛ إما أن تترك لها العنان وتفرح
بالسرعة الهائلة ، وبعدها ترتطم وتموت ، وإما أن تكبح تسارعها بحرص وحكمة فتصل إلى مبتغاك ! لقد تكرر الاندفاع الأخرق ثلاث مرات : مرة

روما كلاسية كلاسيات الاستجلاب الجشع للعبيد ، الثانية بريطانية بالتمسح لعبيد بنى الجلدة أنفسهم ، والثالثة أميركا : صورة طبق الأصل من حسن الطوية الغبي للكلاسية الأولى !

... بلى ! فى العامية يقال الثالثة ثابتة ، أى لن تكون هناك رابعة !

... بلى ! إن دورات الحضارة ليست قدرا مأساويا لا فكاك منه !

... بلى ! اللهات الأعمى وراء النمو يقتل ، ما يأتى سريعا يذهب سريعا ، النمو الحثيث البطيء هو وحده المستدام ، هو ما يبقى فى الأرض .

... بلى ! لو أردت طلاء معادن يدوم للأبد ، عليك أن تخفض الفولت وتجعله بطيئا جدا ، وإلا كان تراكم الثروة مجرد قشور هششة سرعان ما تسقط .

... بلى ! التنمية تعنى رفع النوعية ، النوعية فقط ، توسع رأسى لا أفقى ، ولا تعريف آخر لها ، ورفع ستالين لعدد الجرارات أمر يخص البرابرة ، الكائنات الأفقية ، ولا يخصنا أبناء الهرم والمسلة .

... بلى ! يمكن أن يكون نمو الحضارة خطيا لا تقلبات فيه ، Critical-damped مثالى ، لا فلتان ارتجالي ولا مكبوت زائد البطء !
... بلى ! الدورانية فى الكون ودورات النجوم وكل ما شابهه هى ناوسيا ؛ لكن فيما يخصنا نحن هى فقط خاصية بشرية ، خاصية شائنة كما كل خواص الإنسان ، خاصية لا يمكن القبول بها !

... بلى ! جلى جدا إلى أين تسير الحياة : من القبيلة للأسرة الكبيرة للأسرة النووية للفردانية !

... بلى ! جلى جدا إلى أين تسير الحياة : من ٣٠٠ مليون حزب إلى ٣ إلى ٢ إلى ١ !

... بلى ! الخطوة التالية تكاد تنطق عن نفسها : الصفرائية !

... بلى ! الصفرائية ! ... حضارة ما بعد-الإنسان ، حيث عدد الأحزاب صفر وحجم المجتمعات صفر وقيمة الإنسان صفر ، وكل شىء يمت لهذه العشيرة البيولوجية الوضيعة هو صفر !

... بلى ! فى المسافة الصغيرة بين الأمرين -الدورانية كناوسيا والدورانية كعار بشرى- يأتى دورنا نحن ؛ حملة صولجان الإمبراطورية !

... بلى ! أدفع نص عمرى (إلى فاضل) ، وأعرف ماذا كان سيقول أرسطو عن اليابانيين !

... لك حاجات يا حاج !

... شكرا مدام سماء لقد أكلت ما يكفينى !

... كلا ! كلا ! الأكل فى هذا النادى جميل !

... تضخم ؟ أى تضخم ؟ لو النمو بالنوعية لا بالفقاعة لما خشينا التضخم قط ، ولما زاد معدل الفائدة عن الصفر أبدا .

... نعم ، نعم ، بالتأكيد أقبل دعوتك لى مرة ثانية !

... لقد تأخر بنا الوقت هيا ننصرف !

... الوداع ، يا دكتور فرغلى !



أنا أعرف أن فيه حاجة اسمها عمى ألوان ،

لكن الشباب دول عندهم مرض طول عمرى ما سمعت عنه اسمه عمى الأبيض والأسود !

الجيل الرمادى ده ، بدلا من أن يجتهد للخروج من الضياع والتخبط الذين هم عليه ،

راحوا ينظرون له ويفلسفونه بما يسمونه ما بعد-الحدائة !

- إيبسييه ، على الشباب الضائع !

- أنت لسه شاب يا حاج نايكى !

- هو بعينه بغاوته ! أنا لا أتكلم عن نفسى ، أنا أتكلم عن منى . على فكرة ، ربما ابنتى ليست بالشيطانية التى تعتقدها عليها ! لن تصدق أن هذه مناقشتى شبه اليومية معها ، المصابة ككل جيل الشباب بمرض -أعرف أنك كتبت عنه كثيرا- اسمه ما بعد-الحدائة ، يريحون عقولهم من التفكير بفضل : طالما فيه فى العلم حاجة اسمها الفوضى وحاجة اسمها اللا يقين ، يبقى كله محصل كله وكله سايح فى كله : الفراشة لها نفس قوة الإعصار ، البعوضة لها نفس جبروت الإنسان (وربما أكثر) ، قبيتنام لها نفس صواب أميركا (حتى لو بعد عقود لم تتحول الأخيرة للشيوعية وتحولوا هم للرأسمالية) ، صدام له نفس مصداقية بوش ، إيران لها نفس حقوق أميركا ، العرب لهم نفس مقومات اليهود ، الوحدة العربية لن تفرق عن الوحدة الأوروبية ، لا فرق بين وحدة التخلف والشر ووحدة التقدم والخير ، المستعمر الذى جاء ليعمر ويبنى لا يفرق عن المحتل الذى جاء لينهب وينزح ، المارينز يقتلون الفيتكونج أو الجهاديين هى عينها أشباح الظلام يقتلون المارينز (فمنذ الحرب العالمية الأولى الإنسان مجرد كائن يعشق القتل المجانى لا أكثر ، وكل القتل فى التاريخ هو أيضا مجانى وبلا مغزى) ، الفوضى لها نفس مميزات النظام ، قوة البرابرة هجمي القيم لها نفس قدسية قوة روما رفيعة القيم المحروسة بفاشية حملة الصولجان ، العبد له نفس قيمة السيد ، العمال لهم نفس أهمية الرأسماليين ، فلاسفة فرنسا يمكن أخذهم على محمل الجد تماما كما أرسطو ، العلمانية زى المسيحية زى الإسلام - إلى فى عيب قيراط زى إلى كله زفت وقطران ٢٤ ، التخلف له نفس فرصة التقدم ، التنجيم والطب البديل والپاراسايكولوجى لها نفس مصداقية الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، الروحانيات والمعنويات والخرافات لها نفس سطوة الماديات ، ... وهلم جرا ، أى شىء لا يختلف عن أى شىء ! النسيان والتوهان والضياع مكونات أصيلة لما بعد-الحدائة ؛ فقط منى أفضل من غيرها لأنها تتعاطى الفوضى واللا يقين -وليس الحشيش والهروئين- بحثا عن التوهان ! ... جيل ما بعد-الزوالية ! ها ! ها ! ها ! أنت لسه فاكرك حكاية بيتنا إلى اختفى ! ... أنا أعرف أن فيه حاجة اسمها عمى ألوان ، لكن الشباب دول عندهم مرض طول عمرى ما سمعت عنه اسمه عمى الأبيض والأسود ! نعم ، ربما ليس هناك بياض نقى وسواد خالص ، لكن الحق بين والباطل بين ، التقدم بين والتخلف بين ، الأمام بين والخلف بين ، والدنيا أغلبها إما رمادى فاتح جدا أو رمادى غامق جدا . الجيل الرمادى ده ، بدلا من أن يجتهد للخروج من الضياع والتخبط وعدم الثقة فى أى شىء أو أى أحد (بما فيه أنفسهم) ، التى هم عليها ، راحوا ينظرون له ويفلسفونه بما يسمونه ما بعد-الحدائة ! ... ما اسمهموش الرمد ، اسمه الرمادى ! ها ! ها ! ها ! هو بعينه بغاوته ! ها ! ها ! ها ! ... لازم أقول أنتروبي ثقافية علشان تفهم ؟ ! الأدهى من كل شىء ، أن لما أختلف معاها لا تعترض أبدا على محتوى الكلام ، إنما تسهب فى الاحتجاج على الطريقة التى أقوله بها . مثلا دائما ما تقول نحن فى حاجة للديموقراطية ، فأسألها لماذا تريدن الديموقراطية ، قولى لنا ما هو أفضل حزب ونضعه لك فى السلطة ، فلا تجيب . يعنى باختصار ما بعد-الحدائة هى النقيض الدقيق لعبارتك المشهورة ' المهم المحتوى ' ! ... يا حبيبي ، الشباب موش جميل أوى زى ما أنت فاكرك ؛ هم حلوين فقط لو ها تعاملهم من بعيد لبعيد زى ما أنت بتعمل !



صديقتك بتاعة الإنترنت استفزتني النهارده أن أشارت للجثمان وقالت إن

أخلاق القوة التى تطنطنون بها كالبيغاوات خلف نجيب محفوظ ما أسهل أن تقهرها قوة بدائية منحطة عديمة الأخلاق .

لكنى تكفلت بما قائلا إن القوة ذات القيم النبيلة ليست قرارا أخلاقيا تتخذه هى أو أنت أو كيبلينج أو نجيب محفوظ ،

ولا حتى عن فى لحظة ما لأمنا الطبيعة فاستحسنته ثم فرضته علينا .

... أخلاقيات القوة تفترض ضمنا النظرة طويلة المدى الجبرى والحرص على الاستدامة ،

وعديمو الأخلاق (سمهم الغشاشون ، سمهم المسلمون ، سمهم نقابات الإسمنت ، سمهم ما شئت)

قد ينتصرون مؤقتا لكن من المنظور التطورى يستحيل أن يفوزوا أبدا ،

لأن باختصار لو كانت المادة التى صنع منها هذا الكون غير ذات طبيعة تطويرية فى جوهرها ،

لانكفا على ذاته من اللحظة الأولى ، ولما استمرت من الأساس حتى وصلتنا فى يومنا هذا !

- الواضح بعد كل هذا الذى جرى أننا لسنا أفضل منهم كثيرا . عيونهم لا ترى إلا الرمادى ، لكن ماذا فعلنا نحن بعيوننا التى تميز الأبيض من الأسود ؟ يبدو أننا جميعا فى حاجة لبعض ' الششم ' !

- (بصرامة تناقض الفكاهية السابقة ، التي في الواقع كانت قليلة الذوق وغير مفهومة في هذا اليوم بالذات :) لا ! قف عندك ! على الأقل لدينا ما نرد به عليهم ، ويجب أن نستمر في الرد عليهم ولا نياس أبدا . أنا لا أكل من الشرح لها أنهم أشبه بمن يحول صورة إلكترونية على شاشة الحاسوب إلى درجة التباين صفر فتبدو كلها كما صفحة رمادية باهتة ، (وطبعا ترد على بذات منطقها أن لا فارق بين تباين صفر وتباين مائة !) ، فأقول حين ترى سلوكا متخلفا -مثلا كالاهتمام بالمظهريات الدينية أو تجاهل الجوهر المهترئ- في شعب ما بنسبة ٩٥ : ٥ لا يجب أن تراه ٥٠ : ٥٠ ، ناهيك عن أن تساويه بنسبة ٩٥ : ٥ لدى شعب آخر ، وقس على هذا كل القضايا . نعم ليس في البيولوجيا شيء اسمه ١٠٠ : صفر ، لكن ليس البديل التلقائي هو ٥٠ : ٥٠ ، إنما في أغلب الحالات عادة ما تكون الحقيقة هي ٩٥ : ٥ !

- (ربما لأول مرة يكون الحاج هو الجاد ووحيد هو المتهم ، أو كأن وهنه قد حرره من بعض أشياء ! :) إذن ما تقوله الخرافات الدينية عن سحرية العدد ١٩ صحيح ! ... خذ هذه أيضا : نحن تربكنا ٥ .٪ من نصوص المسيحية لأنهم لا يستطيعون الوصول إلى ١٠٠ .٪ تجانس ، في الإسلام تربكنا ٩٥ .٪ من النصوص لأنهم لا يستطيعون الوصول إلى ١٠٠ .٪ تناقض ! ها ! ها !

- ربما النقاء المطلق ليس ميزة كبرى ، بدليل أن التاريخ الطبيعي ما هو حرفيا إلا قصة تلك السلسلة من التطفرات والتشذذات المتوالية الصغيرة التافهة ، والتي لولاها لما تطورت البكتيريا قيد أمثلة ، بل لما وجدت أصلا . بل خذ أنت هذه : أليست الشوائب هي التي تصنع لأشباه الموصلات قيمة ؟ أليس كذلك يا عبدة السيليكون ؟ !

- بصفتي كائنا سيليكونيا لا علاقة لي بكل هذا ؛ لم أكن أحصل على ٩٥ .٪ في امتحاناتي الجامعية . كنت أحصل على أكثر من ١٠٠ .٪ بكثير . عندنا كان الأمر مختلفا ؛ كانت تأتينا الأسئلة تبدأ بعبارة ' أجب قدر ما تستطيع ' ، والدرجات موزعة بحيث يكون مجموعها ١٢٠ درجة مثلا ، لأن الوقت المطلوب لإجابتها كلها أكبر بكثير من وقت الامتحان !

- ها أنت تعترف بنفسك : كنت تحصل على أكثر من ١٠٠ لكنك لم تحصل أبدا على ال ١٢٠ ، يعني نرجع لحكاية ٩٥ .٪ ثاني !

- عندك حق ! أنا ٩٥ .٪ سيليكون والباقي كربون . أنت الإله ، ولا غرابة أن كنت تحصل على ١٠٠ .٪ في امتحانات كلية الزراعة .

- لنعد إلى منى وجيلها الهلامي الضائع : في كل مرة ، أقول لها إن الواجب أن نراها -أى الصورة- أولا كما هي ، ثم -وهو الأهم وهو واجبنا في الحياة- أن نوجه كل جهودنا لتمييز ما هي الأجزاء الأكثر إشراقا وتقدمية فيها والأخرى الأكثر ظلاما وماضوية . يجب علينا التخلص من تلك الوسطية ، ذلك الكرش الفكرى الهائل الذى يملأ منطقة الوسط ، فالجسد السليم قوى البنية لا بد وأن يكون دقيق الخصر . هذا لا يعنى أن نذهب تلقائيا لرؤية كل شيء كأبيض وأسود ، إنما على الأقل السعى المتواصل للفرز والاستقطاب بينهما كنوع من قهر الأنثروبى في حياتنا ، وقهر الأنثروبى لا يمكن أن يساوى زيادة الأنثروبى لأنه ببساطة الفارق بين الحياة والموت ، بين الوجود والعدم . أنا لا أمل من محاولة إقناعها أن الكون مضبوط أكثر مما تتخيل ، وأن فراشة الأمازون لا تثير إعصارا في شمال أميركا إلا مرة كل ألف سنة ، ولا تستطيع أن تفعله عمدا لو أرادت ولو في بليون سنة ، وأنا نستطيع أن نعرف كل هذا ونتحكم فيه لو لدينا نموذج محاكاة ضخم بالقدر الكافى كى يعبر بدقة عن جو الأرض (بالمناسبة ، اليابانيون اقتربوا كثيرا من هذا) ، وأحاول إقناعها أن أينستين رد على هايزنبرج وبور بأن الحقيقة الموضوعية موجودة وقائمة حتى لو لم نستطع الوصول إليها ، وأقول لها إنه نعم ربما الكون ليس منضبطا بنسبة ١٠٠ .٪ كما أوحى يوما الحداثة النيوتونية ، وإنه نعم ربما هناك مغصات وقوى تخلف تفلح في تسديد بعض اللكمات للحضارة أحيانا ، لكن يظل الكون منظما ومعروف القوانين على الأقل بنسبة ٩٨ أو ٩٩ .٪ ، والأهم من هذه وتلك أن الاتجاه العام له معروف ، وإن التاريخ الطبيعى يلعب حتما لصالح التطور والحداثة مهما بدا العكس في لحظات معينة . صديقتك بتاعة الإنترنت استفزتني النهارده أن أشارت للجثمان وقالت إن أخلاق القوة التي تظنطنون بها كالبغاوات خلف نجيب محفوظ ما أسهل أن تقهرها قوة بدائية منحطة عديمة الأخلاق . لكنى تكفلت بها قائلا إن القوة ذات القيم النبيلة ليست قرارا أخلاقيا تتخذها هي أو أنت أو كيبلينج أو نجيب محفوظ ، ولا حتى عن في لحظة ما لأمنا الطبيعة فاستحسنته ثم فرضته علينا أخلاقيات القوة تفترض ضمنا النظرة طويلة المدى والمجرى والحرص على الاستدامة ، وعديمو الأخلاق (سمهم الغشاشون ، سمهم المسلمون ، سمهم نقابات الإسمت ، سمهم ما شئت) قد ينتصرون مؤقتا لكن من المنظور التطورى يستحيل أن يفوزوا أبدا ، لأن باختصار لو كانت المادة التي صنع منها هذا الكون غير ذات طبيعة تطورية في جوهرها ، لما استمرت من الأساس حتى وصلتنا في يومنا هذا ! البقاء لا يتحقق أصلا بدون تلك القيم ؛ هي جزء أصيل من طبيعة المادة ، ونتيجة بديهية مباشرة لقانون الانتخاب الطبيعى ، الذى بحكم التعريف لا يمكن أن يلعب لحساب قوة طفيلية متخلفة مدمرة ذلك أنها بعد أن تنتصر لن

تعمر طويلا ، وفى المقابل يلعب لصالح القوة -أو الديكتاتورية لو شئى- ذات القيم (والرؤية الشاملة ، والبعيدة ... إلخ ، ... إلخ) ، لأنها تنتج بركة جينية أكثر استقرارا ومن ثم ديمومة . لهذا فقط ، تنقضى على المجرى الطويل القوة -أو الديكتاتورية- غير ذات القيم ويعيش نموذج أسود وغزلان كييلينج وفتوات وحرافيش نجيب محفوظ على فكرة ، هالة صاحبك شخصية لطيفة جدا ، شراسة كتاباتها لم تعطينى هذا الانطباع بالجمال والرفقة !

- أهذا كلامك أم كلام سبق وكتبته أنا ؟

- وما الفارق ؟

- الفارق أن سخيقة هى مسالك الرب ، وكمان مفضوحة . صور هالة تملأ الإنترنت وجاى تقول لى أنك فوجئت أنها جميلة . الأدهى أنك يوم كلمتها وجها لوجه لأول مرة قالت لك أشياء غير جميلة بالمرّة ؟ !

- لا تنس أن ٩٥ ٪ أفضل من ١٠٠ ٪ .

- ومن أدراك أنى لم أحصل بالفعل على تلك الـ ٥ ٪ ؟ !



فى تلك الأيام البكر ، أيام كانت الأجواء نقية والحياة رحبة والأذهان صافية ،

أيام ترف الانطباعات الأولى التى لا تتكرر ، ماذا كان أول ما رآه الإنسان المصرى فى الهواء ؟

ماذا كان الانطباع القاعدى الكبير الذى استحوز عليه بصره لدرجة أن رأى فيه آلهة الكون ؟ إنه ثنائية الاستقرار والفوضى !

ثم ألم تصبح هذه الثنائية هى لبنة كل الفلسفة ، بل وأصل كل ثنائيات الوجود ، ومحور كل ما نعانیه إلى اليوم :

الخير والشر ، الحضارى والبربرى ، البناء والطفيلى ، السيد والوضيع ؟

... إن نظرية مصر القديمة تختلف قليلا عن نظرية وحدة الوجود الرومانسية الساذجة التقليدية الشهيرة ؛

هى وحدة الوجود الخير ، الخير فقط ، وحدته معا ، ووحدته ضد كل بقية الوجود الخارج عن الحضارة .

... ها ! صاحبنا لا يعرف أنه مصرى أصيل للغاية حين يفكر فى الإبادة !

بينما يواصل ثلاثتهم السير مقترنين من بوابة النادى راح ضهرى يعد شيئا على أصابعه ، فتسأله سماء عما يفعل ، فيبتسم : ' أريد أن أغبط صديقنا بشيء ! أحصى عدد آلهة قدماء المصريين ، ربما كان عددهم ١٩ فى مقابل إله شر واحد ، وهنا تكون نظرية العدد ١٩ التى يعاملها كخرافة بدائية ، جزءا من نظرية وحدة الوجود المصرية القديمة ! ' ، وهل توجد حقا وحدة وجود ، إنها آخر شيء يمكن أن نتحدث عنه فى هذه الأيام الشريرة ؟ ! ' ، ' كلامك سليم ! فى تلك الأيام البكر ، أيام كانت الأجواء نقية والحياة رحبة والأذهان صافية ، أيام ترف الانطباعات الأولى التى لا تتكرر ، ماذا كان أول ما رآه الإنسان المصرى فى الهواء ؟ ماذا كان الانطباع القاعدى الكبير الذى استحوز عليه بصره لدرجة أن رأى فيه آلهة الكون ؟ إنه ثنائية الاستقرار والفوضى ! ثم ألم تصبح هذه الثنائية هى لبنة كل الفلسفة ، بل وأصل كل ثنائيات الوجود ، ومحور كل ما نعانیه إلى اليوم : الخير والشر ، الحضارى والبربرى ، البناء والطفيلى ، السيد والوضيع ؟ ... إن نظرية مصر القديمة تختلف قليلا عن نظرية وحدة الوجود الرومانسية الساذجة التقليدية الشهيرة ؛ هى وحدة الوجود الخير ، الخير فقط ، وحدته معا ، ووحدته ضد كل بقية الوجود الخارج عن الحضارة ها ! صاحبنا لا يعرف أنه مصرى أصيل للغاية حين يفكر فى الإبادة ! ' .

... وتنتقل عدوى الهذيان لسماء : ' رومانسية ساذجة ؟ ! رومانسية ساذجة ؟ ! ' .



العالم بلا إبادة أشبه بكائن تعطلت أجهزة إخراجها excretion systems ،

سيظل ينتفخ وينتفخ حتى ينفجر من خرائه ويموت .

سؤال عمري كيف نؤسس نظام صرف صحي كفاء للحضارة ؟

... حتى أنت يا جيون لم تعطني الإجابة الشافية !

يا لهول الاكتشاف ! الحضارة القادمة لن تكون على المريخ كما سبق وتخيلت دوما . لا يزال هناك مكان ما يمكن أن تحرب له الحضارة في فرارها التاريخي أمام جحافل العرق الساموي ، هربا منه كما هروب الشمس نفسها ، إلى الغرب فالغرب فالغرب ، من مصر إلى اليونان إلى روما إلى إنجلترا إلى ما وراء الأطلنطي . بلى ، لا يزال هناك ملاذ أرضي أخير لرحلة الشمس : ما وراء الپاسيفيك ! الحضارة تنتصر دائما . رغم كل التحديات والصراع مع قوى الماضي ، التقنية تتقدم . التقنية هي الخير الغائي ، هي الكائن الحي لهذا الكون ، ما كلنا إلا مطايا تستخدمنا من أجل غايتها . أليس هذا إيمانك دائما ؟ لماذا تفقده فجأة ، لمجرد حرب طائفية في أسويوط ، أو لمجرد بعض الغزوات القبلية على أطراف مصر ، أو لصرة من المال العربي أرخت ظلامها على كيوييد فقتلت دكتور فرغلي ؟ هل مقتل فرغلي هو نهاية التاريخ ؟ مهما كان يمثل لك شخص مثله في حياتك ، هل يصح أن ندع موته يصبح كذلك ؟ لقد قاموا بغزونا مرة ، وهذا يكفي . كما يقولون : لا بلدغ ملحد من جحر مرتين !

المصارحة حتمية ، لكن هناك ما هو أهم بعدها . البطش ! البطش هو اسم اللعبة . حين تبيد الصراصير أنت لا تصنفهم ما بين معتدلين ومتطرفين ، ولا تجرى تحقيقا معها ، لتعرف من فعل ماذا ومن يريد ماذا ، أو هل بينهم صراصير طيبة لا تستحق الموت ، أو ربما تكون ثمة صرصارا تعاني من التمييز ضد الأنثى ، أو صرصار رضيع (مشروع إرهابي نعم) لكنه بعد برىء لم يرتكب أى جرم ، أو أن المتهم عامة برىء حتى يحاكم وتثبت إدانته ، إلى آخر كل هذا الهراء من الإعلانات الدولية لحقوق الصراصير . أنت فقط تشتري قنينة مبيد حشري وترشها جميعا . نعم ، كلنا يحلم بعالم جميل نظيف هادئ ، لكن بيتك لا يمكن أن يظل جميلا نظيفا هادئا ، بدون تلك المهمة القبيحة التي يجب أن تتم كل صباح : التنظيف ! العالم بلا إبادة أشبه بكائن تعطلت أجهزة إخراجها excretion systems ، سيظل ينتفخ وينتفخ حتى ينفجر من خرائه ويموت . سؤال عمري كيف نؤسس نظام صرف صحي كفاء للحضارة ؟ ... حتى أنت يا جيون لم تعطني الإجابة الشافية !

أنت لا تستطيع التفاهم مع شعوب التخلف ، شعوب المكون الثقافي العالي ، شعوب السمو . هم لا يفهمون لغة خد وهات ، لغة البيزنس ، لغة التحضر ، لغة المنفعة المتبادلة ، لغة الكل كسبان . قطاع الطرق يعرفون الابتزاز ، يعرفون فقط خد وطالب ، خد التي لا تنتهي أبدا ، وطالب التي لا يملونها ما حيوا . لا يعرفون الكدح ، ولا البناء ، ولا تشغيل العقول . جبيناتهم تمنعهم . لقد لقتهم شيئا واحدا ، النهب المجاني . الاستلقاء على الظهر ، وقتل كل من يأتي للشكوى من أن الغنم ترعى في أرض الغير . كل شيء لديهم شماعة جاهزة له . شماعة اسمها الغير . الكل يتآمر عليهم . القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمونها .

خطأ ! هم لا يفهمون حتى هذه . هم لا يفهمون أى شيء . لو يفهمونها حقا لكانوا قد استسلموا أمام إسرائيل منذ ١٩٤٨ ، كما استسلمت اليابان أمام أميركا في لحظة . خرجت الفتيات بالساكي والورود يستقبلون المارينز . قد تقول هذا ما حدث في العراق أيضا . الفتيات تلوح بالورود ، والرجال يقبلون أيدي المارينز ، وما أدراك ما تقبيل اليد في الثقافة العربية وفي غطرستها اللا نهائية . ببساطة العراقيون ليسوا اليابانيين . هناك هوة جيينية . حين استخدمت أميركا الصدمة والروع مع اليابانيين ، خلعوا بذلات الحرب ، وارتدوا بذلات البنائين والمخترعين . حسن استخدمتها مع العراقيين لوحوا بالورود وقبلوا الأيادي . هذا صحيح ، لكن ما أن تفوهت بكلمة دستور وانتخابات ، حتى اعتبروها علامة ضعف ، وبدءوا يقتلون جنودها . هم لا يفهمون لغة القوة . هم يفهمون لغة القوة الباطشة فقط . مضبوط ! إحساس رائع ! الصداغ اختفى فعلا !

ذات مرة كتبت أقول لا أعرف لماذا يعارض أى أحد استخدام السلاح النووي ، إذا كانت المرة الوحيدة التي استخدم فيها ، أعطانا اليابان العظيمة . الآن ، بفضلك يا زهري الأثيم ، اكتشفت كم كنت سادجا . ها هو السلاح النووي يستخدم للمرة الثانية في التاريخ . ضربت به إيران ، لكننا لم نر يابانا ثانية . لماذا ؟ ربما لأنهم ضربوا فقط المنشآت النووية ، ولم يضربوا طهران وقم . لا ، بل لأن الفرس هم دراسة الحالة الدراسية لدى أرسطو لطبائع وخصائص ما كان يسميه تارة بالعبيد وتارة بالبرابرة (وأرسل تلميذه الأسكندر لفتحها ومحاوله نقلها للحضارة بناء على هذه الدراسة) . ومنذ كتب أرسطو ما كتب لم يقع شيء ينم عن أن قد جد جديد ، شيء قد يزحج استنتاجاته قيد أمثلة . في الجيينات لا

يجد جديد . طالما هكذا جبيناتكم ونهائيا لا أمل في إصلاحهم ، فالإبادة هي الخلاص الوحيد للبشرية من ويلاتهم ، وفي نفس هي الخلاص والرحمة والراحة الأبدية لهم هم أنفسهم . مع شعوب التخلف ، ليست القوة هي الحل . خطأ ، مرة أخرى ! أرسطو لن يساعني مع قول كهذا . قطعا القوة هي الحل ، لكن إن فشلت القوة ، فالحل هو المزيد من القوة . إذن مع العرب وأمثالهم البطش هو اسم اللعبة ، هكذا قال ابن خلدون نفسه . الفارق الشاسع في القوة ، تصعيد مستويات الإبادة للدرجة التي تقع القلة العاقلة بأن تناضل التخلف الجموعى المؤيد ، تناضل الجبينات نفسها . أى شيء آخر أقل من البطش المطلق ، سيعتبره حسنين هلوكة ضعفا ، ويقترح نشل قناة أو مضائق جديدة . إن قنابل الـ ٦١ ليست حلا بالمره . إنها خفيضة الإشعاع ! نحن لا نريد قنابل نووية تنفجر تحت الأرض كى تصنع زلازل صغيرة تخدم قصرا هنا أو مفاعلا هناك . نريد إبادة كتلية . نريد محو الجبينات من الوجود ، من سطح الأرض ؛ في باطن الأرض لا توجد جبينات . حتى بضع قنابل عالية الإشعاع كما هيروشيما وناجازاكي لن تحل شيئا ! حتى لو ضربت بها طهران وقم ودمشق والخرطوم والدوحة ، لن يحدث شيئا . ونحن صغار كنا نتناقش في المدرسة لأى مدى سيصبح العالم أجمل وتختفى منه معظم الحروب والمشاكل والتفجيرات والاغتيالات وخطف الطائرات ، لو أيد الفلسطينيون بالكامل منه . أنا شخصا كتبت أيام حادثة ميونيخ موضوع إنشاء في مادتي العربى والإنجلش بهذا المعنى ، ولم يعلق عليه المدرسان بكلمة واحدة . الأول وضع خطأ تحت عبارة ' الأعمار ليست بيد الله ، الأعمار بيدنا نحن ' ، والثانية نظرت لى نظرة لم أفهمها حتى اليوم .

يا للعجب ، الإبادة ليست بالشىء الذى لم يخطر لى ببال ، بل فكرت فيها وأنا بعد طفلا . إذن لماذا أرتجف من مجرد ذكر الكلمة الآن ؟ ألم تنهر كل الحضارات لأن أت لحظة قلب ماركوس أوريليوس ضعف ، لأن أت لحظة اليد الواقفة على الزناد ارتجفت . ماذا كان سيصبح عليه شكل الدنيا اليوم لو لم يجد نيكسون إلى جانبه مستشارا يهوديا رقيق المشاعر رعيدا اسمه هنرى كيسينجر ، ونفذ ما عزم عليه هو من قصف فيتنام نوويا وتركيع كل المعسكر الشيوعى مرة واحدة وللأبد ؟ على الأقل لم تكن لتظهر لدينا مشكلة إسلامي ونس أو قم أو أفغانستان أو مركز التداول العالمى ، أو لما تحولت لندن أو أمستردام لمرتع للعرب والمسلمين بحيث يهاجر منها أهلها الأصليون ! ثم إن الإبادة نفسها رحمة في حد ذاتها : إذا كانت هذه جبينات العرب كما وصفها ابن خلدون ، بل وتزداد سوءا بفضل الانتخاب الطبيعى ، فأى أمل لهم في حياة محترمة يوما ؟ تاريخيا وظيفتهم الوحيدة في هذا الكوكب هي قتل من عداهم . يوم لا يجدون أحدا يقتلونه يقتلون أنفسهم ، عصرا كاملا -الخلفاء غير الراشدين والدولة الأموية- لم يكن لهم من شاغل فيهما إلا قتل بعضهم البعض . الأدهى : حين يزول شظف حياة الصحراء الذى كنا نعتقد أنه سبب وحشيتهم ، هل يتحولون للاستمتاع بالحياة ؟ كلا ، بل يهجمون على كل من تطاله يداهم ، وحين لا تطال أحدا يهجمون على بعضهم البعض لاحتلال آبار النفط !

ما الجديد فيما يحاول زهرى المتباحج تلقيني إياه ؟ كلا ، بل هناك من الجديد الكثير . الواضح أن شيئا كذلك الذى كتبت لم يعد يكفى اليوم . لو حلت القضية الفلسطينية بهذه الطريقة أو بأية طريقة ، لن ينتهى شىء ، بل ستظل كل الأمور تسير من أسوأ لأسوأ . ليست المشكلة يتحول كل مسلمى العالم للجهاديين . ثم ما قيمة كل هؤلاء لو قورنوا بالخطر الصينى وحده ؟ ما مصير حضارة ما بعد-الصناعة حينئذ ، إلا التركيع الأخير ؟



لماذا نهرب للمريخ ، ولدنيا القنابل النووية ؟ !

لكن مهلا ! القنابل النووية عالية الإشعاع لم تجرب أصلا مع أى من هؤلاء حتى نحكم على نتائجها . في كل الأحوال هي مفيدة ليس فقط لكونها تقتل ، إنما أيضا لأنها قد تساعد الشعوب المترددة على حسم أمرها . بعد القنبلة الأولى التى تطيح بقصر الحاكم أو الرئيس أو المرشد أو أيا ما كان اسمه ، سيستولى الجيش طبعا على السلطة في البلاد (من غيره ؟) . لو كانت النتيجة حكما حداثيا مستعدا للانخراط بلا تحفظ أو تمتنع في الاقتصاد العالمى ، فلا بأس . عدا ذلك عليك أن تظل تقصف وتقصف ، حتى يظهر هذا الحكم الحداثى ، أو تتأكد أنك تخلصت من جبينات (أصبحت تعرف ببال مستريح) لن تعانق الحداثة أبدا ولو بعد مليون سنة .

... نعم ، نحن نحتاج لأكثر من ' بضع ' قنابل تلك .

... نعم ، هكذا إذن المعادلة : البطش المطلق هو اسم اللعبة ! قنابل كثيرة الإشعاع كثيرة العدد !

... إنها الحل الذى قد يوفر علينا الهجرة للمريخ !

... على أية حال أنا لم أكن متحمسا جدا يوما لزيارة الفضاء ، فهو واسع جدا مخيف جدا ، وإما ساخن جدا أو بارد جدا ؛ فقط أحب التأمل فيه عن بعد ، وتحديدًا للبحث هل ثمة مضادات للأنثروبي ، إن كان يوجد حقا شيء بهذا الوصف !

- إيه مالك ؟ رحت فين ؟ حزنك كده ليه ؟ ما تخافش ! اليابانيون موش ها يبيدونا إحنا ، ها يبيدوا بتوع الجهاد والإرهاب والقومية العربية بس . كمان لسه الناتج بتاع أميركا ٣ أضعاف الناتج بتاعهم . لسه شويتين على أميركا لغاية ما تبقى ست عجوزة . ثم لاحظ أن ما فيش حضارة استلمت القيادة من الحضارة السابقة عليها بقوة السلاح (جازر شوية ألعاب نارية فوق المياه لكن ليس صراعا حقيقيا) . هذا مستحيل أن يحصل ربما بحكم التعريف ؛ صاحب الثورة التقنية يحترم جدا سواء من سبقوه أو من لحقوه ، يعرف قدرهم الحقيقي ولا يمكن يحاربهم أبدا . الحضارة الجديدة تنتظر بكل الأدب والاحترام حتى تجد أمها عاجزة عن تسيير دفة العالم فتتقدم هي وتتسلم المقود . كل مرة ده إلی حصل في التاريخ ، الثورة الصناعية مثلا ... (لا يكمل :) مالك يا جدع أنت ؟ فيه إيه ؟ (ثم بعد برهة تفكير طالت قليلا بحثا عن شيء يخرج وحيد من صمته :) عارف أنت محتاج تضيف إيه للوحة القوانين إلی أنت معلقها في البيت ؟

- إيه ؟

$E = mc^2$! (ثم يستطرد مناجيا نفسه :) بس يا خوفي تكون كل السنين دى من ساعة الحرب العالمية الثانية أنست اليابانيين طباعهم وطريقتهم القديمة . (لكنه يصحح نفسه بسرعة :) كلا ! بالقطع لا ، ما هو في الجينيات لا ينمحي أبدا !

طبعًا ما هو في الجينيات لا ينمحي أبدا ، لكن أليست القبائلية الشرية المتخلفة (العربية وما شابهها) ، نتاجا منطقيا لأنما الطبيعة . لماذا نستمتع بحروب الجاموس واللبؤات على الناشيونال جيوجرافي وديسكفري ، وننكره على قبائل رواندا ونجد ؟ ثم أن شينجلر يقول إن الغلبة دوما للمتخلفين . ألا يقهر الجاموس البدائي الأسود النبيلة ؟ أليست الفيلة الوديعه آكلة العشب منيعه على هجوم النمر الشرسة ؟ ألا يمكن أن يكون شينجلر على صواب وداروين على خطأ ؟ ألا يحتمل أن الصحيح هو التحيؤ للأسوأ ، أو لو صغناها بمفردات دكتور دوكينز : النصر للغاششين في جميع الحالات !

لا ، بل مهلا سيدى ! الجاموس يقهر الأسود ، هذا يحدث مرة أو اثنتين ، أما ما يحدث كل يوم فهو أن الأسود تأكل الجاموس . لا بأس أن تكون الفيلة منيعه ، هذا حقها ، لكن لو كل الأشياء منيعه لماتت كل الأشياء . ثم هل هذه الأسود والنمر نفسها منيعه على ذاك الكائن الضئيل المسمى الإنسان الذى لا يملك عشر أسنانه أو عضلاتها ؟ نعم ، ربما تتسبب خفقة جناح فراشة في البرازيل في إعصار في تكساس ، لكنها لن تتسبب في إعصار شمسي أو في انطواء المجرة على نفسها ، وعلى الأقل لن تجعل البرازيل متقدمة وتكساس متخلفة . إنه فارق الأحجام مرة أخرى . ما يتجاهله جيل ما بعد-الحدائة الضائع ، ذلك الشرط الذى يقول إن خفقة جناح الفراشة تفعل ما تفعل بعد شهور طويلة . فكم فراشة وكم نفائة تحركت طيلة كل هذه الشهور ؟ الفراشات تحقق أجنتها كل يوم كما يشاء ، لكن أحوال الطقس دورية معروفة وثابتة لحد كبير جدا ، ومن النظرى جدا أن تعصف بها خفقة جناح فراشة . ببساطة بوسعك تقسيم غازات الطائرة الثفائة الهادرة إلى تريليونات من خفقات الفراشة المستقلة ، وكل منها يمكنه أن يسبب بمفرده إعصارا في تكساس . ساعتها ستعود ترى الكون أكثر منطقية ، وترى أن الفراشة ليست إلا فراشة !

سيدى ، أنت تنظر لحظيا حولك لا أكثر ، يزعجك أن رصاصة واحدة تسبب في حرب عالمية قتلت ١٠ مليون إنسان ، بينما البعد الرابع هو كلمة السر . لا شيء أقوى من الزمن . أنا أبحث في القوانين الأكثر قاعدية ، تلك التى أسميها ناوسيات ، وكان يذهلنى أحيانا تعريفى العبقري جدا لها أنها القوانين التى عاشت لأطول فترة ممكنة من عمر الزمان . الأدهى أنى اكتشفت اليوم ما هو أبعد ؛ اكتشفت أن ثمة شيء بدونيه ما وجدت النواوسيات ، بل ما وجد الزمن أصلا ، اكتشفت كلمة السر الكبرى : إنها الترتيب order !

... باختصار : الفوضى نظرية لكن الترتيب قانون ! نعم ، الكون أعقد بكثير وأصعب توقعا مما رآه نيوتون ومعادلاته ، لكنه ليس فوضويا بحال . نعم ، لا يمكننا التحكم كليا فيه ، لكن هذا ليس عيبا فيه هو إنما فينا نحن ، أو ربما ليس عيبا من الأصل . الفوضى قد تستوطن كثيرا شاشات البورصة ، لكن قوانين الطبيعة لا مجال يذكر للفوضى فيها ، ولو كانت الفوضى أكبر مما يجب لما ظل هذا الكون قائما إلى اليوم . نعم ، هناك بعض التشذذات anomalies هنا وهناك ، لكن قطعا الكون ليس فوضويا بحال ؛ تحكمه قوانينه ولو بنسبة ٩٩ .٪ على الأقل ، وال ١ .٪ أغلبه قوانين لم نكتشفها بعد ، أو لن نقدر على اكتشافها أبدا ، أما سماح قوانين الطبيعة بالفوضى فلا يزيد عن أجزاء من المليون أو من البليون أو مما لا أعلم ! بالأساس الفوضى ظاهرة بشرية (لنقل كالدالكتيك وألف شيء آخر تخيلوه ظاهرة طبيعية بينما ما هو إلا نقيصة

بشرية) . هذا يبدو لى نوعا من الاستدلال الدائرى العبثى أو الإسقاط النفسى المريض : خفقة فراشة تسبب إعصارا ، إذن الكون ما هو إلا فوضى ، إذن أنت بوسعك أن تصنع من الأعاصير ما شئت (أو تتلقى منها ما لا شئت) . أنا يكفينى التنبؤ بجياتى والتحكم بها بنسبة ٩٥ ٪ . السحرية التى يروج لها ضهرى ، ووصلت به الوقاحة أنه يريد منى أن أضيفها للناوسيات . الرئيس ريجان قال ذات مرة أنت صديقى لو وافقتنى على ٨٠ ٪ من أفكارى ، أما أمانة الطبيعة التى توافقنى فى ٩٥ ٪ من توقعاتى هى بالتالى : أكثر من مجرد صديق !

لكن مهلا ! (لا أقصدك أنت سيدى ، إنما أقصد ضهرى !) . يا للهول ! هل يعقل أن أمانة الطبيعة لا تعترف بالتشذذات فقط ، بل تحبها ؟ ! هى تعودت أن تستوعب تلك النسب الضئيلة جدا من الفوضى ، وربما المذهل ليس فقط أنها قد تكون جزءا أصيلا من طبيعة المادة ، بل ربما هى سر التطور الدائم . لماذا الحرية القصوى أكبر من الحرية المطلقة ؟ لأنها ٩٥ ٪ والأخيرة ١٠٠ ٪ ! لماذا لا تشغل الفردانية الخاصة pure individualism التى أصف بها فلسفة آين راند ، فترى الهجرة والعبيد والضعف والغناء يجتاحون أميركا ؟ لأنها ١٠٠ ٪ حرية ! التطورات المناخية التى قد تسببها أشياء صغيرة ، كلها تطورات غير قابلة للعكس . لو رقت ثقب الأوزون أو خفضت نسبة ثانى أكسيد الكربون (المزعومة) ، أو لو عادت الأسواط الشمسية الحارقة لما كانت عليه ، لن تعود الأرض أبدا لتوازنها السابق . ساعتها سيكون الأوان قد فات ، وعليك أن تبحث عما عساه يكون التوازن التالى ؛ ال Steady State Condition التالية . عليك أن تنفب عما عساه التوازن الجديد تماما الذى قد يعيد الأرض لأيام الزمن الجميل الخوالى فى العصور الثلجية . أو هل هذا يختلف كثيرا عن تعريف التطور ؟ !

فى الواقع ، سيدى الهر شينيجلر ، الفوضى مصطلح مضخم للغاية ، وما نراه فى الكون ليس فوضى ، إنما مجرد تشذذات ثانوية جدا ، أشبه بتلك الشوائب التى تصنع لأشباه الموصلات قيمة ، أشبه بجنون الفنون أو شطحات المصريين ، أو بذلك ' التلوث ' المسيحى أو الإنسانوى ، بكل تلك التوابل التى تطعم مجتمعا ، مجتمع جبال الثلج الضاغنة ، تطعمه ببعض من المغفلين فتضفى عليه شيئا من السمو والجمال والطراوة والدفء والتسامح (التسامح لا السماح ، فهذه تخص الغشاشين ، وهؤلاء اتفقنا أن لا مفر من استئصالهم جذريا) . الكون نفسه -سيدى- لم يكن لينشأ أساسا لولا ال anomalies . لولا وجود فارق طفيف بين المادة والمادة النقيضة المتولدتين من الانفجار الكبير لأبادا بعضيهما تماما ولما وجدت مادة لصنع الكون أساسا . بدورها لو كانت هذه الشظايا الصغيرة المتبقية تتكون من جسيمات مطلقة التطابق لاستمرت سديما للأبد . فلولا تفاوت تافه للغاية فى الكتلة لدى بعض قليل منها ما كان لهذا البعض أن يجذب أو يبدأ فى جذب الآخرين ، ولولاها ما أدى هذا فى نهاية المطاف لتكون النجوم والمجرات وكل شئ ! هذا جميل ، لكنها -أى جميع الشوائب- لا يمكن -سيدى- أن تزيد أبدا عن وضعية الشوائب ، وإلا انهار ترتيب الكون أصلا . إله المسيحيين نفسه قال لهم أنتم ملح الأرض ، وهم لا يجب عليهم أن يزيدوا عن وضعية الملح وإلا فسد الطعام !

... مهلا سيدى ! بالنسبة لك أنا أعترض بشدة : تقولون إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة ، كلنا يعرف أن العملة الرديئة موجودة فى كل مكان ، لكن أحدا لم يسأل نفسه من أين تأتى العملات الجيدة ، وأنه لا بد وأن سيظل هناك للأبد من يصنعها ويصنعها . هناك روما العسكرية الشاحخة ذات القيم والمبادئ وشعلة الحضارة والتعمير والرؤى النافذة لعمق الأفق ، وروما المنحطة ، روما مؤامرات الساسة والتكالب على أتفه المكاسب وتسلييات السيرك وحلبات المجالدة . هناك روما الناطقة بلسان إرادة أمانة الطبيعة ، وروما الغناء والملاذات الوقتية واستمراء عقلية العبيد . ذهبت روما ، لكن ولدت روما أخرى أعظم وأعظم فى مكان آخر بعد قليل . بعد كل نوبة اشتراكية بلهاء تحتاج بلد وتعيد توزيع ثروته توزيعا أنتروپيا ، سرعان ما تزول تلك الطغمة ويعود استقطاب الفوارق بين الطبقات أشد بكثير مما كان عليه من قبل . ظاهريا الرأسمالية توزع الثروة على الناس باليد اليمنى ، ترفع أجورهم ويقال أيضا أنها تشجعهم على الانفاق والاستهلاك ، لكن باليد اليسرى تعيد تركيزها من جديد على نحو أقوى فى يد الإصلاح والأقدر من الشركات ذات المنتجات الأفضل ، بل لا يقف الأمر عند هذا بل تبدأ هذه الشركات فى الاستحواذ على من هى أصغر وأضعف منها وتتواصل الاندماجات والعملاقة . أمانة الطبيعة ترسل لنا فى اللحظة المناسبة رياح ثورة تقنية جديدة تلهب جذوة الحضارة الكامنة تحت الرماد من جديد ، تقهر الأنتروپى ، وتعيد الاستقطاب الحرارى لاشتعال جديد . فى كل لحظة تمر علينا تخلق المفاعلات النووية استقطابا حراريا جديدا من العدم تقريبا ، بل ثمة نظريات تقول بتخلق النجوم طوال الوقت فى الكون من مواد باردة أو من طاقة يصفونها بالداكنة .

... مهلا سيدى ! لا أعتقد أن الوصول لنقطة المساواة والموات والوسطية حتمية طبيعية ، بل ربما أرى أنه ليس حتى حتمية إنسانية . سيدى ، هذا هو قانون إيمانى : ما دامت أمانة الطبيعة معنا فمن علينا ؟ ليس من واجبنا أن نستسلم لغباوة العرق البشرى وتخبطه ، بالذات بعد

لدغتنا العملة الرديئة أكثر من مرة ، وأصبحنا نعرف الآلية التي تتسلل بها إلينا ، بل وأصبح لدينا آلات عاقلة بمعنى الكلمة لأول مرة على هذا الكوكب ، ذكاء آلى -والأرجح أيضا آخر بيولوجى- لا يتخبطان ولا يخفقان ، ولو تحبطا أو أخفقا فلا يقارنان قط بتخططات وإخفاقات العشيرة البيولوجية المسماة الهومو سيپينز ، العملة الرديئة حقا لعالمنا المعاصر . الأنثروبى الجينية نفسها قابلة أيضا للقهر ، ولم لا ؟ حتى لو اختلطت كل جينيات البشر وأصبح الجميع نسخة وسطية واحدة ، ثمة هندسة جينية ستعيد عما قريب الاستقطاب الحاد وتنتصر لقبيلة المتفوقين ولجينيئات التفوق مرة أخرى .

... مهلا سيدى ! معادلة طور دوكنيز لا تحتل الخطأ والصواب ؛ إنها معادلة رياضية صارمة صحيحة تحت كل الظروف ، وعليك أنت أن تعيد حساباتك . الغشاشون انتصروا داخل العرق الإنجليزي لأنهم أغلبية ، وليس لأن النصر محتوم دوما للغشاشين . لو كانوا قد اتخذوا من البداية إجراءات صارمة لانتخاب السلالات -انتخابا قسريا مباشرا بحظر الإنجاب على فئات بعينها ، أو غير مباشر عن طريق فرض التنافسية كقانون أقدس للدولة لا يقبل الاستثناءات أو التعديل- لما حدث ما حدث . المشذبون أو الفاشيون يا سيدى ليسوا أيديولوجية وليسوا شيئا مزاجيا مقحما منا على الطبيعة ، هم نموذج مغرق فى الطبيعة لكن ثم من يحاولون طوال الوقت صرف أبصارنا عنه باسم الإنسانية وقداسة النفس البشرية وما شابه . انظر لأى حقل وكيف يكد الفلاح فى اجتثاث الحشائش والديدان والفئران ، إنه يبيد الطفيليات بلا هوادة أو رحمة ، هو لا يقبل أبدا أن يرتزق الغشاشون تحت سمعه وبصره . أنت ترصد فقط لحظات الضعف الحضارى ، ولا ترى خريطة التاريخ كاملة ، خريطة سيرة حياة أمى الطبيعة . نعم الحضارة تركز أمام المتخلفين ، هذا حدث تأكيدا مع روما وبريطانيا وأميركا ، لكنها فى كل مرة تنهض أقوى وأعلى مما سبق .

... مهلا سيدى ! مشكلتك هى عينها مشكلة ثلاثة أرباع الفلاسفة : الولع بالميتافيزياء على حساب المادية . نعم ، أنت مفكر متوقد ، تزدري الديمقراطية ، وتعتبر صراع الأعراق هو الصراع الحقيقى ، وما عداه صراعات ثانوية بما فى ذلك الصراع الطبقي . اعتبرك النازيون أباهم الروحى ، لكنك صفتهم قائلا إنهم عرقية ' بيولوجية ' ، وليست عرقية ' الثقافة ' و ' روح الأمة ' ، إلى آخر هذه الميتافيزيائيات التى تمجدها وأجملها من قبلك المصطلح الأفلاطونى ' التيمايوس ' . أنا لا أقول أن النازيين كانوا على حق ، لكن حجتى هى العكس بالضبط مما تعتقده : إنهم لم يكونوا بيولوجيين بالقدر الكافى . غضبهم وحماسهم وكرهيتهم ، هى أيضا ميتافيزيائيات ، تنتقص من ماديتهم ومن بيولوجية عرقيتهم . يا ليتك تقابل صديقا لى اسمه ضهرى ، يرى كل الأشياء جينية خالصة ، بيولوجية خالصة ، بما فى ذلك ' الثقافة ' التى تؤلفها (حسنا ! هو لا يفعل هذا دائما ، إنما فقط معظم الوقت ، فهو شخص له عيوبه هو أيضا ؛ أنه متقلب !) .

... مهلا سيدى ! يبدو أنك قد ولدت فى المكان الخطأ ، الجرمان -ولهذا احترمتهم جدا- ليسوا شعبا تيمايوسيا ، وهتلر الأهوج هو الاستثناء ، بل إحساسى الشخصى الآن أنه ألف كتابه Mein Jihad متأثرا بالكرهان الكريه . ليس إحساسا ، بل يبدو أن للأمر شواهد التاريخية . أغلب قادة النازية ومنظريها بدأوا حياتهم العسكرية أو المدنية بالخدمة فى تركيا ، ومعظمهم عاين مذبحه المليون ونصف أرمنى وبث فى خيال هتلر أن من الممكن تكرارها ببساطة ودونما مساءلة تذكر ، والأهم أن أقنعوه أن أسهل وأرخص طريق موثوق سريع وفعال عرفه التاريخ لبناء الإمبراطوريات هو قتل بنى قريظة والاستيلاء على بنوكهم ، هذه وتلك بحيث يمكن القول إن النازية أتت بجذورها مباشرة وصراحة من الإسلام وتعاليمه (فقط لى رجاء واحد سيدى ، ألا تعطى لأمين الحسينى ولنصائحه هتلر التى وصلت لحد وصفه بمهندس الهولوكوست والمشرف على تنفيذها وزنا أكثر مما يستحق ، فهو جرد بكل المقاييس ولا شك أنكم كنتم تزدرونه أما ازدراء ! ... أيضا لى رجاء آخر ، ألا تقارن ما بين فشل هتلر وبين نجاح عمر بن الخطاب والخطابة ، فمشكلة هتلر التى لم يلحظها قط : أنه ليس عربيا حقيقيا ، وأن قلبه الجيرمانى أقل دموية من أن كان ينجح فى شىء كهذا . ملحوظة : على الأقل حين كرر عبمعصورة تجربة إبادة ونهب بنى قريظة المصريين نجح بعض الشىء ، لأنه عرباوى أصيل !) .

... إذن استسمحك سيدى ، أن تقبل دعوتى وتأتى إلى أرض شعلة التيمايوس الخالدة التى لا تلوثها المادية أبدا ، وسينصبونك هنا إلها مدى الحياة ، صدقتى ! فى أرض ابن الشداد وابن الخطاب وناصر وهلوكة والأسد أنت فى مملكة الكلام الأبدى ، وأعدك أنك ستصبح فى لحظة الفيلسوف الأوحى والمعبود الأول والأخير . هم -طبقا لمعاييرك- لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ هم ليسوا حتى مجوسا كما اعتدت وصفهم ، بل هم أفضل بكثير : هم التيمايوس الخالص ، المنزلة إطلاقا عن كل مادية وضعية . إنهم بالفعل -طبقا لمعاييرك- خير أمة أخرجت للناس ، حتى وإن لم تلحظ ذلك فى كتبك وليتكت تغفر لى أن نبهتك إليه ؛ هم -طالما التعريفات هى تعريفاتك والمعايير هى معاييرك- هم ' الثقافة ' و ' الحضارة ' التى

لا تموت أبدا . لا أشك أنه سوف يسعدك أن تجد أسانيد جديدة ليس فقط على اضمحلال الغرب أمام صعود العرب ، بل ستكتشف -وعلى عكس توقعاتك- مفاجأة أعظم بكثير : أنه صعود مستحق ، حضارى جدا وثقافى جدا ! طبقا لمعاييرك -التي لم تطبقها جيدا- هم أبعد ما يكونون عن الهمجية ، بل هم جذوة ثقافية لا تموت أبدا ، بل لعله قد فاتك أنهم الأمة الوحيدة التى جمدت وصنمت ثقافتها للأبد فى كتابها المقدس ، وسامحني إن قلت لك إن هذا يفوق كل أحلامك بثقافة لا 'تضمحل' أبدا ، ناهيك عن أنك فى الواقع لم تتخيل أنها قد توجد أبدا من الأصل .

... مهلا سيدى ! أنا لا أملك مثلك شجاعة التشاؤم ، فقط -وحسب مصطلحاتك- أنا متفائل جبان (وطبعا مادى وضع !) . حقا ، لا شيء يجب أن يثير اليأس . يثير الخزع نعم ، لكن القنوط لا . هكذا كان دوما منحني الحضارة ، إنها كأي سهم جيد على شاشة البورصة ، يصعد درجتين ويهبط درجة ، ثم يصعد درجتين ويهبط درجة ، هكذا إلى ما لا نهاية !

... مهلا سيدى ! التطور نفسه ليس قرارا أخلاقيا لأحد ، ولا حتى لأمننا الطبيعة ، لأنه لو كانت المادة التى صنع منها هذا الكون غير ذات طبيعة تطورية فى جوهرها ، لما استمرت من الأساس حتى وصلتنا فى يومنا هذا ، حكمة قالها لى ذات يوم صديق اسمه زهرى . يتذبذب نعم ، يتعرق أحيانا ، تلكمه روسيا أو الدين أو الإنسان أحيانا ، لكن الاتجاه العام له هو الصعود المستمر ، ولو لم يكن هذا فى طبيعة المادة لما وجدنا أنا وأنت كى نتحدث معا الآن ، ولما وجدت أمننا الطبيعة أصلا !

... مهلا سيدى ! بلى ، فى قوانين أمننا الطبيعة الصعود المجلد محتوم . هكذا اكتشف داروين الرهيب ، 'التحيؤ للأليق' هكذا صاغه هربرت سبنسر ، معبودى الأصغر -تاليا مباشرة لمعلمى الأكبر- فى ملكوت الفلسفة . المشكلة هى لحظات الألم كالتى نعيشها الآن ، لحظات أن نرى حضارتنا تتداعى ، قبل أن نراها تحرم أمرا من جديد وتنهض أعلى وأعظم من كل ما سبق !

... مهلا سيدى ! بالنسبة لى -ولمعلمى المتواضع أرسطو- كل تلك الأمور تختلف عما لديك مائة وثمانين درجة : جينيات التقنية هى أعظم الجينيات ، والثورة التقنية هى المعيار الوحيد للحضارة ، وحتى لا أدخل معك فى معركة حول التعريف ، أقصد أنها المعيار الوحيد لكل شيء : للخير !

... مهلا سيدى ! إن انتصار التقنية هو الحتمية التاريخية الوحيدة !

... مهلا سيدى ! دائما أبدا : المادة خير والفكر شر !

... مهلا سيدى ! حتى يأتى يوم يبدأ فيه الكون الانهيار على نفسه ، أو تتساوى فيه الحرارة ويموت ، يوم تذوب فيه كل القوانين ، ستظل اليد العليا طيلة كل هذه العشرات من بلايين السنين لا لنظرياتك أنت ومكعبات الميتافيزياء التى ترسمها مع بقية السلالة الأفلاطونية فى الهواء ، إنما لقانوننا نحن : قانون التقدم والرقى والاستعداد المضطرب !

... مهلا سيدى ! أنت الأب غير المتوج لما بعد-الحداثة ، أسوأ سيحان فكرى عرفه التاريخ !

- فعلا ، عندك حق ! لماذا نهرب للمريخ ، ولدينا القنابل النووية ؟ ! البريتون آخرهم الهنود الحمر ؟ ! لك حاجات يا حاج !



نحن فى حاجة لصبي عريق المنقب نقى القلب كى ينزع السيف من الصخرة ويجرر العالم !

- المريخ ؟ أنت قلت المريخ ؟ (ضاحكا :) المريخ موش بعيد أوى زى ما أنت فاهم ؛ دلوقت بقى مسيرة شهر ، ونجّده قال : ' نصرت بالرعب مسيرة شهر ' ، يعنى إحنا نقول اسم نجّده هنا وأنتم تشخو على روحكم هناك . (ملاحظا أن الكلام لم يسرى عن وحيد :) مالك ؟ فيه إيه ؟

- (شاردا :) نحن فى حاجة لصبي عريق المنقب نقى القلب كى ينزع السيف من الصخرة ويجرر العالم !

- ماذا قلت ؟

- ما فيش ! افكرت حاجة .

- إيه ؟

- لغز . puzzle اشترته لى ماما وأنا صغير . خريطة العالم مقسمة لحتت صغيرة ، ومطلوب أنى أرتبها . طول عمرى ما قدرت أحل اللغز .
- ليه ؟
- لأنه جه من المكتبة فيه عيب . فيه حنة ناقصة .
- وإيه إالى فكرك به النهارده ؟
- النهارده لقيت الحنة الناقصة !
- إزاي ؟
- حضارة ' ما بعد ما بعد-الصناعة ' ستكون يابانية .
- ماذا ؟

- أقصد حضارة ما بعد-الإنسان ستكون يابانية ؛ الحضارة الرابعة ستكون طوكيو ! ربما لم تكن بيرل هاربور بالسوء الذى سبق وتخيلتها به . أنت تتحدث عن الحريات فى اليابان فى وقت وصلت فيه أميركا لدرك تحريم الخمر (بالأصل فرضه الكونجرس قسرا رغم فيتو الرئيس ويلسون ، وطبعا لا بأس عند اليسار النقابى والسياسى اللذين هما بالأساس أجنحة من عصابات الجريمة المنظمة ، من إرضاء المتدينين طالما أن ذلك سيؤدى لضم نشاط جديد لتجاراقتهم هم التحية هو الكحول !) . إذن ، لولا بيرل هاربور لاستمرت أميركا مجرد نسخة باهتة من السوفييتات الروسية ، ولما تخلصت من رومسيفيلت أبدا ، وطبعا لما أصبحت قدرة عظمى قط . طيلة حياتى يا ضهرى أقول إن كل موجات الغزو الكبرى من الغرب للشرق كانت حملات حضارة وتحديث ، وكل موجات الغزو الكبرى من الشرق للغرب كانت غارات نهب وسلب . اليوم فقط أتنبه لأول مرة أن بيرل هاربور جاءت من الغرب !

- أنت سخن ؟ !

- بالعكس ، أجمال شعور فى الدنيا أن يكون عندك صداع ويختفى فجأة !

- أنا بأقولها على فك زنقة البول !

- ربما يؤخر وجود ما يسمى باليمين الجديد (إالى هو لا يمين ولا حاجة) ، فى الحكم فى فرنسا ، دخولها للحرب . هكذا ستكون الحرب القادمة مع الصين وروسيا على الأقل ، القوتين الكبار إالى ييعارضوا صراحة توحيد العالم وأن تكون له رأس واحدة . وبما أن الصين بدأت بالفعل إنشاء نظام حروب النجوم الهجومى الفضائى ، زائد دعوتها لبناء حلف عسكرى مع روسيا والهند ، الذى قطعاً سيكون أكبر محور لقطاع الطرق بلا منازع (بالذات لو انضمت له الدول الإسلامية فى آسيا حسب توقعاتها) ، تحالف لكل أصحاب عقدة الرجل الثانى بتاع مينا ، إمبراطورية شر ستضم لأول مرة فى التاريخ أكثر من نصف سكان العالم (وطبعا أميركا كالعادة نائمة فى عسل العبيد الذين احتلوها وحكموها) ، فإن اليابان بحكم الجيرة ، وبحكم زى ما بتقول -وأؤيدك جدا ، وأضيف أن هذا هو أهم مفتاح لكل شىء- بحكم أنها الأكثر اندفاعا لفكر الاقتصاد الحر ، ها تكون ضرورى طرف أساس فى الحرب ضدهم . هى دى الحنة إالى كانت ناقصة فى صورة الخريطة . أنا عارف أن فيه حرب كبيرة محتومة جاية ، وعارف أنها ها تكون مع الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، فرنسا والصين وروسيا ، وعارف أن ما فيش حل غير الإبادة الكتلية . الحاجة الوحيدة إالى ما كنتش شايفها هو مين إالى ها يعمل كل ده . (ثم شاردا فى ابتهاج كمن تعاطى للتو جرعة من الهيرئوين الجيد :) وأنت حليتها لى ، يا حاج كيتشينر . ألف ألف شكر . هناك فارق بين الكراهية الهوجاء وبين العقل البارد ؛ دنكر كخطيئة ، لكن بيرل هاربور ليست إلا سوء تقدير . اليابان التى طالما أغمضت الطرف عنها ، باعتبارها نفسها من الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، استنرت الآن أنها ليست من الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، إنما من الشعوب ذات المكون الثقافى ' المادى ' العالى . ألف مليون شكر . بكده الصورة بقت كاملة : لازم طبعا الحرب الجاية ها تبقى فيها يابان نووية وقنابل نووية بلا عد أو حصر ، معمعة كبرى ، وها تخرج هى فعلا سيدة العالم . أنت ما رحتش الصين ، علشان كده موش حاسس بها كخطر . أنت خايف م العرب لأنك عاشرتهم . صح ؟ أنت ما بتحكمش على حد من غير ما تعاشره . فيه مثل مصرى على الحكاية دى . صح ؟ أدفع نص عمرى (إالى فاضل) ، وأعرف ماذا ستقول عن الصينيين . لأ ، بلاش نص عمرى ، أنا وعدت به أرسطو خلاص !

- فكرتني بكرة پاپا اشترى لى جورب طلع مسدود من الناحيتين ! أنت سخن ؟ لأ ، موش سخن . صحيح ! أنت فعلا من زمان بتقول ووترلوو ٢ ها تكون مع الصين وروسيا وفرنسا .

- (مستدركا :) لااااا ! هؤلاء ليسوا الخطر نفسه لو شئت الحقيقة . الخطر المباشر هو انعدام الإرادة فى مركز الحضارة . ماذا لو عندك كل المقومات المادية ، لكن ليس لديك قادة يقودون ؟ فى السودان ، كيتشينر كان فئة قليلة هزمت فئة كثيرة بإذن فيكتوريا . نعم متقدم ومسلح ، لكن جوردون قبل ١٣ سنة كان كذلك ، فيكتوريا نفسها قبل ١٣ سنة كانت كذلك . ما اختلف هذه المرة هو الإرادة ، هذه المرة ذهبوا بنية الإبادة . ليس بضمير مضطرب ، وليس برجل قدام ورجل ورا . لا تخف يا صديقى ! ؛ من يستطيعون توظيف معدل الفائدة الصفري دون أن يحدث تضخم هم قطعاً آلات وليسوا بشرا . لا تخف يا صديقى ! ؛ أراهن بكل تاريخي فى دراسة المستقبل على أنهم سيضبطون إيقاع الحضارة أمثل ما يكون الضبط ! لا تخف يا صديقى ! ؛ ما هو فى الجينيات لا ينمحي أبدا !

- إيه ؟ ناوى تحول ولاءك من أميركا لليابان ؟

- ولاء ؟ أنا ما ليش ولاء لحد . ولائى للتقنية . رأيى لم يتغير : الإنسانية ككل شر . الكائنات الحية كلها إلى زوال . التقنية هى الخير الأسمى فى الكون !



باختصار ، إن الذى انتصر فى الحرب العالمية الثانية هو الطرف الخطأ ،

وها قد حان الآن وقت تصحيح الخطأ !

- بص يا بتاع هتلر المجنون أبو غلطتين ، أوشويتز ودنكرك ، الحرب العالمية الثانية ليست هتلر فقط . إنها أيضا موسولبنى بتاع فاشية حملة الصولجان والقيم العليا للإمبراطورية ، وما يذكره عنه الإيطاليون هو الطفرة الاقتصادية العظمى ، وأظن أنه بلا أخطاء . وأيضا هى اليابان الإيوجينية ذات الشموخ السامورائى النقى الذى لا يمس ، والتي حتى استبقت الحرب العالمية ، بحرب إبادة منهجية بالأسلحة البيولوجية للصين المكتظة البربرية . معهم كذلك إسبانيا التى تخلصت للتو من كل شيوعيينها ، ودشنت نخضة اقتصادية عظمى . حتى تركيا العثمانية على كل همجيتها وتخلفها انضمت لهم . ما الذى يجمع كل هؤلاء ، ويجمعهم دون سواهم ؟ إنه ببساطة شىء واحد : رفضهم لتصاعد ذلك الغناء المسمى الديمقراطية ؛ حكم الرعاع بتعريف أرسطو بتاعك ؛ رفضهم لانسحاق كل أمم الغرب وراء هزات رعاى الباستيل عن المساواة والإخاء ، وكل الهبل ده المعادى لجميع قوانين الطبيعة . إنها الإمبراطوريات التى ساءها أن ترى شقيقتها الكبرى البريطانية ، وهى تنخر خطوة خطوة من الداخل ، دون أن تعي درس الإمبراطورية الرومانية المميت ، الخاص بالتهاون أمام تنامى سطوة العبيد . بل وترى أميركا التى استقلت عنها فى ضربة غباء يصعب تخيلها ، كى تصنع جمهورية ، سرعان ما تحولت لديموقراطية ، بل وأصبحت عمليا دولة اشتراكية مع قدوم تيودور روزفيلت بانتهاء الحرب العالمية الأولى وانتصار البلشفية فى الشرق ، وسياساته التى قادت للكساد العظيم ، إلى آخر الدوامة التى تعرفها ، والتى نعيشها حتى اليوم ، ربما باستثناء حقبة الثورة الريجانية-الثاتشرية .

- موش فاهم ؟ هل تريد تصويرها كحرب بين استقطابين كارهين للأنتروى أنصار للحياة والنوعية والتفوق ، ضد أنتروبيين مدمنين للرمادية والموات ؟

- بالظبط ! ... أشرحها لك بطريقة تانى : من الذى أمر بإلقاء القنابل النووية على اليابان ؟ أليس ترومان هذا ، هو نفسه الذى عزل الجنرال ماكارثر ، حين أراد قصف كوريا الشمالية بالسلح النووى ؟ ما هو تفسيرك ؟ هل لأنه يسارى إنسانوى أراد حقن الدماء فى المرتين ؟ هل لأنه فى المرة الأولى كان ضعيفا ومنصاعا لأوامر العسكريين ؟ إطلاقا ، هو كان مبتهجا فى المرتين : شخص وضع جاء من قاع المجتمع ، أشبع أمراضه النفسية مرة بكسر أنف الآلهة المتشاحنة قاهرة الأنتروى ، ومرة بانقاذ الحفالات إلى زيه المستضعفين فى الأرض رفاقه الشيوعيين . باختصار ، إن الذى انتصر فى الحرب العالمية الثانية هو الطرف الخطأ ، وها قد حان الآن وقت تصحيح الخطأ !



دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين

- (يتحسس جبهته مرة أخرى :) موش سخن ولا حاجة ؟ مالك ؟ فيه إيه ؟ هيهه دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين !
- قلت لك ما فيش حاجة . (ثم ضاحكا لأول مرة :) سؤال محيرني من زمان : قصدك إيه بالكلمة دى ؟ الدنيا كلها شىء مشوه وأعرج وغير مستقر ، وأن الكلام والتلاسن كثير لكن لا شىء ينفذ ؟ صح ؟
- (يضحك هو أيضا :) قصدى أغبط أرسطو بتاعك . مؤكد كان سيجن من مسخ كهذا ، لإيمانه بالمادية والقيادة والبناء وليس الكلام و' القدرة الطرية ' .
- سؤال تانى بأسأله لنفسى طول الوقت : قصدك مين الرأسين بالضبط ؟ أميركا والاتحاد السوفييتى ، ولا أميركا وأوروبا ، ولا أميركا والصين ؟ ولا جاييز نصيف النهارده اليابان والصين ؟
- لا وإلهى ، موش قصدى سياسة خالص ! علشان تنبسط جاييز قصدى فعلا أفلاطون ؛ أصل كل الشرور . الفكر طول عمره بغاء ، بل البغاء فى أنقى صوره . بطبيعتها أغلب الأفكار أشياء ضد العلم . العلم والفكر لا يلتقيان ؛ أحدهما ينتمى لمملكة المادة والطبيعة ، والثانى لمملكة الهجص والكلام أبو بلاش المادة خير ، والمثالية شر ، وبالتالى أفلاطون أس كل مصائب هذا العالم طيلة الـ ٢٥٠٠ سنة الماضية ، وكان واجب أرسطو أن يقتله لا أن يحاوره ! ... إزاي ما وصلش لك المعنى ده ... يا أرسطو !
- ثم يفكر لبرهة : قصدى كل حاجة ! كل حاجة برأسين ! أو جاييز أنا وحدى إالى برأسين ! موش كده يا دكتور ؟ !
- أنتم كل كلامكم كده ؟ ملايين يبادوا ؟ !
- تفكر يا وحيد إمتى اليابان ها تبتدى تبنى القنبلة النووية ؟



- لو كنا قد فعلنا ذلك من البداية مع العرب أو مع الأفارقة ، أو تركنا اليابان تواصل ما كانت تفعله من إبادة مع الصينيين ،

لما وصل العالم لما هو عليه الآن .

هل تعرف أن السلع الرخيصة التى تنتجها الصين لا تهدف لرفع نوعية حياة الفقراء وإتاحة وسائل الرفاهية المحرومون منها لهم ؟

إنها ببساطة استغلال لعوزهم ومص لدمائهم . يشترونها فتتلف خلال فترة وجيزة ،

ولو اشتروا -ولو بضعف الثمن- التليفزيون أو السيارة اليابانية أو الألمانية مثلا ، لعاشت مدى الحياة ،

فأيهما أرخص ، وأيهما الأكثر أمانة واحتراما للفقير ؟ !

- منصة فضائية لأشعة جاما ؟ ستكون هناك مشكلة كبيرة : سوف تموت البكتيريا أيضا ، ولن تتعفن الجثث أبدا ، حتى بعد دفنها !

- هي دى الطريقة إالى بتفتحوا بها نفسكم للأكل كل يوم ؟ ! ... أنا شخصيا ما عدتش عاوزه آكل !

- (وكأنه اكتشف قطعة ناقصة أخرى :) نووية مين يا حاج ؟ ! اليابان بتاع الكلام الفاضى ، الاندماجى والانشطارى ، عديم الفاعلية ده ، وإلى على الأقل عاوز صواريخ أو إرهابيين لتوصيله ! اليابان لو ها تبنى ، ها تبنى مسدس أشعة جاما فضائى . محطة نووية عملاقة فى الفضاء ، تحول طاقتها لـ beam أشعة جاما يوصل للهدف فى أقل من ثانية . يقتل البشر ويسبب كل حاجة تانى زى ما هى ، وحتى بعد فترة صغيرة يزول أثر الإشعاع نفسه ، ويمكن دخول المنطقة بأمان . هذا هو الشئ الصواب : عند ظهور موارد طبيعية فى أى مكان لا تنتظر حتى يقتل السكان الأصليين بعضهم البعض من أجلها ، عليك أن تتدخل وتبيدهم فورا قبل أن يفسدوها أو يحاولوا استخدامها لابتزازك . أى حاسوب مبرمج برمجة منطقية بسيطة كان سيطعيك حتما هذه الإجابة : كل المتقدمين بناءون ، وكل المتخلفين محتلون . غباء ما بعده غباء ترك موارد ومصابر الكوكب بين أيدي حفنة من القبائل البدائية المتخلفة تتقاتل لألفيات كاملة من السنين على أى من الجواد أو الفرس سيفوز ، داحس أم الغبراء ؟
- قلت مين ؟

- لو كنا قد فعلنا ذلك من البداية مع العرب أو مع الأفارقة ، أو تركنا اليابان تواصل ما كانت تفعله من إبادة مع الصينيين ، لما وصل العالم لما هو عليه الآن . هل تعرف أن السلع الرخيصة التى تنتجها الصين لا تهدف لرفع نوعية حياة الفقراء وإتاحة وسائل الرفاهية المحرومون منها لهم ؟ إنها

ببساطة استغلال لعوزهم ومص لدمائهم . يشترونها فتتلف خلال فترة وجيزة ، ولو اشتروا -ولو بضعف الثمن- التليفزيون أو السيارة اليابانية أو الألمانية مثلا ، لعاشت مدى الحياة ، فأيهما أرخص ، وأيهما الأكثر أمانة واحتراما للفقير ؟ !

- منصة فضائية لأشعة جاما ؟ ستكون هناك مشكلة كبيرة : سوف تموت البكتيريا أيضا ، ولن تتعفن الجثث أبدا ، حتى بعد دفنها !

- هي دى الطريقة إلى بتفتحوها بها نفسكم للأكل كل يوم ؟ ! ... أنا شخصا ما عدتش عاوزه أكل !

- على فكرة أنا موش متأكد جدا أن الصين والهند هما يبقوا جزء في محور الشر بتاعك ده . جايز آه ، وجايز لأ ، تبعنا لمتى ستقوم الحرب . نعم ، هم لا يصلحون كقيادة لمن حولهم ، لكنهم تاريخيا وچينييا ليسوا هجامة إمبرياليين كالروس أو الفرنسيين . ونعم الصين دولة شيطانية شريرة ، لكن الشعب الصينى ليس كله كذلك بالضرورة . الأمر يعتمد على من يقودهم ، ومن الوارد للغاية أن يثوروا على قادتهم الحاليين ، تماما كما أعاد السادات مصر لصوابها الجينيى ! لا تقلل للحظة من حقيقة أن مصر سرها باتع !

بنوا سورا حول أنفسهم ؟ أى شعب هذا ؟ ألا يشبهون المصريين فى عزلتهم التاريخية ؟ ليسوا إمبرياليين ، إذن ليسوا أشرارا . وإذا كانوا شعبا طيبا بالفعل ، ألا يشبهون على الأقل مصر تحت حكم عبمعصور ؟ حزب شيوعى يمسك بتلابيب شعب مغلوب على أمره ، ليستخدمه فى غارة هجامية ضخمة تتسع كل الخريطة ضد حضارة الكوكب ؟ الواقع يقول إن الحزب الشيوعى الصينى هو أكبر قوة للشر على وجه الأرض الآن ، والچينيئات تقول إن الصينيين لا يغزون أحدا ولا ينهبون أحدا ، أيهما أصدق ؟ رأسى يكاد ينشطر !

على الأقل تعلمت مصطلحا جديدا اليوم : الصواب الجينيى ! السادات اكتشف أنه كان بيدقا فى أكبر عملية إعادة اغتصاب واحتلال أعرابية لمصر فى التاريخ الحديث ، فقرر أن يتوقف لبرهة ؛ يجلس على طين مصر تحت إحدى أشجارها ، ويبدأ رحلة ' البحث عن الذات ' .
يا للهول ! لم يشتهر السادات يوما بالتواضع ، لكن هل لاحظ أحد قدر إقراره بضلاله السابق الذى يعترف به فى عنوان سيرته الذاتية ؟ !

- دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين ؟ ! لك حاجات يا حاج !





في التوظيف نفسه ، الشركات لن تطلب منك شهادتك ، ولن تطلب مقابلتك ، ولن تطلب حتى صورة شخصية لك ،

سيطلبون فقط خريطتك الجيبية وهي ستقول لهم كل شيء !

هذا هو العالم الجديد المقدام الذي يرتاح فيه الإنسان للأبد من دوامات الحيرة ؛

عالم تتخذ لك فيه قراراتك عقول أقوى من عقلك مليون مرة ؛ عالم بلا أخطاء ولا خطايا !

يا جماعة الشيخ حجاب ببسلم عليكم كلكم . كنت معدى قدام الجامع لقيت زحمة ؛ شباب حلوة ، ولا كأهم ميليشيات إيران ، وهو بينادى على من وسطهم بالجلابية القصيرة ، ولا كأنه الجنرال باتون . إيه أخبارك يا أخ رامي ؟ لماذا لا تأتى للمسجد ؟ هل تزوجت أم لا ؟ أوصانى بالإسراع بالزواج ، وخالاني أكتب الدعاء إالى ها أقوله ليلة ما أتجوز . (يقرأ من ورقة :) ' اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ' . قال لى ده دعاء طيب ومأثور عن الرسول الكريم ، وحسب السنة ينفعك كمان لو اشتريت جارية أو بهيمة . بأقول إيه يا حاج ، أنا لا ها أشتري زوجة ولا جارية ، إيه رأيك تأخذ أنت الورقة جايز تنفعك لما تشتري بهيمة للمزرعة أو ع العيد ؟ !
ونس ضاحكا : ' أو لما تعزمنا تانى ! ' .

- اوصف لى يا روميو إالى شفته .

- عاملين ميليشيات يا حاج ، ويقول إنهم ناويين يحاربوا الفسق والفجور فى مصر الجديدة . إالى شاغلنى أنه سألنى عن السبق وإنى لازم أشارك فى الجهاد فى سبيل الله ، حسيت زى ما يكون عاوز يكلفنى أحط قبلة فيه ولا أولع فيه ، وطبعا خفت أقول له أن السبق ده اتلغى من زمان ، أحسن يولع فى أنا !

مر الآن شهران على جنازة دكتور فرغلي ، أى نحو شهرين ونصف على انقطاع علاقة روميو بسوسن . ونس لا يفوت يوما واحدا دون أن يداعبه ' فين الهندسة الجينية ؟ ' . رد أنه يبحث عن شريكة جديدة طوال الوقت ، وأضاف : ' كل فتيات هذه الأيام قصيرات ومثلثات قليلا ، ملفوفات القوام ' زى الأفلام القديمة ما بتقول . كلهن طول ميرثت كده ، بس مليونين عنها شوية . كله بسبب الفاست فودز ، والبقاء فى أماكن مغلقة حيث لا تسلية إلا الأكل . فى السيتى ستارز سترهن أفواجا تخرج وتدخل ، وكلهن بذات المقياس ، وكأنحن صبين فى قالب واحد ' .

- لكن تظل الموديلات وملكات الجمال جمعاوات من مقاس ستة أقدام ؟ (خافضا صوته :) كمان شفت مرأة زهرى شكلها إيه ؟ طول عمرى بأسأل ليه ما يخترعوش صابون نستخدمه فى البانيو يشفط الدهون من تحت الجلد ، زى ما الصابون العادى بيدويها من فوق الجلد ؟

- حلوة فكرة الاختراع ده . أنا عندي اختراع نفذته فعلا . أنا أحب لون شعرى أفتح قليلا ، وكذا لو ظهرت به شعيرات بيضاء أريدها أغمق قليلا أى أقل ظهورا . أرفض صبغ الشعر لأن كل الناس تلحظه ، لذلك أخلط الصبغة بالشامپوو ، فيتغير لونه تغييرا خفيفا وتدرجيا . تفتكر حاجة زى دى تنجح تجارى ؟ (ثم متنهذا :) هؤلاء الفتيات لسن قبيحات . بالعكس ، أجسادهن كالساعة الزجاجية مثيرة متناسقة ، لا كالجيتار متدلية مترهلة ، لكن تظل سوسن الفارهة ومثيلاهما هن الاستثناء . ما أعرفش ليه هم قصيرين أوى كده اليومين دول ، إنما الأكيد النهارده أن التخن بقى القاعدة ، عمليات التجميل موش نافعة ، الصابون بتاعك لسه قدامه كثير ، أسرع حاجة لازم يلقوا حل بالجيينات . الست تنام تحت مكينة الأشعة ، بعد ثوانى تطلع من الناحية الثانية جيين التخن اتقتل ، تانى يوم تصحى تلقى كل الدهون راحت . إنما يقولوا للناس بطلوا أكل ، والعابوا رياضة ، موش ها يحصل ، ولا يوم القيامة المغرب . (ثم ينتهد وهو يضع كفيه حول عينيه كما يفعل مصورو السينما ، صانعا فتحة مستطيلة ضيقة تحاكي النقاب الإسلامى :) عقبال ما يكتشفوا الأشعة إالى تعالج التخلف العقلى العربى . الواحد يطلع من العيادة يقول أنا كنت عربى واتعالجت . (ثم يستدرك :) بس برضه لازم ييطلوا خلفه ، علشان عم زهرى وصاحبه إالى فص ملح وداب ييطلوا يهددونا بالإبادة . (ثم بيتسم :) تعرف أنى أنا إالى اخترعت كلمة ' أنا كنت صعيدى واتعالجت ' ، إالى كل الناس بتقولها النهارده !

ويزيده زهرى علما وإن بلهجة التأنيب المعتادة : ' المكينة إالى بتتكلم عليها باستهتار دى ممكن تعمل كل حاجة ، وموش لازم تانى يوم الصبح . تحويل البشرة للون الأبيض أو الشعر للون الأصفر أو العينين للون الأزرق ، موش محتاج أكثر من ثوانى . بالمناسبة ، أنا عندي لك نظرية مؤامرة بمليون جنيه يا ونس : اليهود عرفوا الهندسة الجينية فى السر قبل العالم بعدة عقود ، بدليل اختفاء أنوفهم الضخمة فجأة ! إيه رأيك ؟ ! ' .

لا بيدى ونس رأيا لأن شيئا لمع فجأة فى رأس روميو : ' ده أنا إالى عندي فكرة بمليون جنيه ، ومليون جنيه تانى لأنى ها أثبت أن كلام عم زهرى غلط . إيه المشكلة أنى موش بأحب القصيرين ؟ ! ' ؛ ويلتفت لميرثت : ' يلعن أبوكم كلكم ! قومى صفى لى حسابى وإدينى فلوسى . أنا ها أرجع للسياحة تانى . ها أكسب أحسن ألف مرة من القعدة عندكم هنا . ها أنظم مسابقة ملكة جمال القصيرات ! ' ... كلمات أثارت تعليقات أوسع مما توقع روميو :

ها هو ونس يقهقه : ' يعنى ها تسيب الشورت سيل وها تشتغل فى الشورت بيوتى ؟ ! ' .

وها هو عارف الذى كان يجلس فى مكان وحيد يسخر : ' ساعتها أنت موش محتاج ترغمهم ييطلوا إنجاب ، لو ألغيت جيين التخلف العقلى موش ها يخلفوا من تلقاء أنفسهم ! ' .

وها هو زهرى يتحدى : ' مستحيل تقدر تثبت أن كلامى غلط . أراهن أن مشروعك ها يفشل ! لازم تكون بتحب البنات دول بجد وبيحركوك بجد ، علشان تفهم فين جمالهم وتعمل له مسابقة ناجحة ' .

ويؤمن عارف على كلامه : ' حاسب يا روميو وأنت بتتكلم فى موضوع الجيينات . كل الدنيا مزغللة فى عينين الحاج ، حتى ربنا بيزغلل أحيانا . إنما الجيينات وحدها ما فيش غيرها ، هى الحاجة إالى ' راسى على بر ' فيها مية مية ، ويهلب أتقل من الباشمهندس ونس نفسه ! ' .

والحاج يدقق ما قيل : ' فيه حاجة اسمها تصاحبات جينية ، لو شلت جيين الغباء ويس ، موش معناه أنك شلت بالضرورة جيين حب الخلفة الكثير . ها يطلع لك كائن غريب بتصرفات لم نتعود عليها . العملية موش لعب عيال . لازم تشيل الجيينين سوا وكمان كل التصاحبات إالى معاهم ! ' .

ويستدرك روميو في نبرة أسي خفيفة ، لكن لا تزال غير معتادة منه : ' كل الستات حلوين . كلنا بنقول كده . إنما عارفين جوانا أن الطويلة البيضاء الشقراء هي وحدها الجمال الحقيقي ! إنما إزاي ده يا حاج ؟ موش يقولوا الجمال نسبي ؟ ' .

- كلام فاضى ! شوف أشهر مغنية في الصين أو أشهر ممثلة في الهند أو أشهر عارضة في البرازيل ، كلهن غريبات الملامح ، وجهها طويلا وبشرة بيضاء وشعرا أشقر وقواما ممشوقا . حتى جميلات السود لهن بالضبط نفس ملامح الوجه القوقازي الدقيقة ، ولا يجمعهن بالعرف الأفريقي إلا قليل من لون البشرة ، راحوا يتحايلون عليه هو أيضا ويجعلونه فاتحا أكثر وأكثر . معايير الجمال مطلقة وهي جزء من جينيات البشر ، موجودة حتى من قبل نحت تمثال أفرودايت ، ومن الخطأ تخيل أن نحاتا ما هو الذي زرعها بمفرده في جينياتنا .

ولا يصبر أسد حتى يبدأ في إمطار الأسئلة : ' هو الشورت سيل نظامه إيه يا عم ونس ؟ منين بالضبط بنستلف الأسهم ؟ أنتم ليه ما بتحبوش تشتغلوا فيه ؟ ' . ويشرع ونس في إلقاء محاضرة بلهجة الملقن الخبير ، إلى أن يقاطعه أسد وكأن مزاجه قد صد فجأة عن تلقى المحاضرة : ' بس أرجوك يا أستاذ رامى ، بلاش كل شوية تقول صفوا لى الحساب وأمشى . كفاية إالى مشيوا . ما فيش أحلى من صحبة جميلة مع ناس حلوة . وأنا بيقطع في قلبي سيرة أى حد يغيب أو يمشى . وزاد وكمل الأستاذ وحيد إالى من يوم جنازة الدكتور فرغلى ما حدش عارف يتصل به ! ' .

المفاجأة الأكبر التي أذهلت كل الصف الخلفي والقريبين منه أن قال روميو : ' عندك حق ! بلاش سيرة الفراق . أنا عندي إحساس أن أنا وسوسن ها نرجع لبعض تانى ! ' .

ويأتى الحاج بالحل : ' بسيطة ! روحوا اعملوا تحليل الـ DNA الجديد ، وهو ها يحدد لكم هل تناسبوا بعض أو لا . صحيح ها يكلفكم شوية ، إنما شامل جامع بيحط كل الحاجات في الاعتبار ، بدنية ونفسية ومزاجية . بما أن كل شىء مكتوب في الجينيات ، فهو بيقرأها ويديها نسب وأرقام معينة ، وفي الآخر يقول لكم أنتم تناسبوا بعض بنسبة كذا . لو فوق ٨٥ أو ٩٠ ٪ . ارتبطوا وأنتم مطمئنين . التحاليل الجينية تحدد لك في لحظة أنسب امرأة لك في العالم ، يدلك عليها حتى لو كانت في غابات الأمازون ، والنتيجة مضمونة ١٠٠ ٪ . أو على الأقل لا يوجد على وجه الأرض -حاليا أو مستقبلا- أى شىء يمكن أن يعطيك نتيجة أفضل . إنما الحل الغائى لكل مشاكل الزواج والطلاق سوا ! ' .

- الظاهر دى آخر الأيام فعلا يا حاج : الحب بقى بالتحاليل !

- لأ وأنت الصادق : الظاهر أن فيلم ' عودة ألطاف ' هو إالى غير كتير في أفكارك ؟

- جازر !

- (مدركا أنه ناقض نفسه للتو :) يا حبيبى موش الحب وحده إالى بالجينيات ؛ التحاليل الجينية هي التي ستختار لك الكلية الأفضل لدراستك ، والمسكن الأنسب ذوقك ، والطعام الأنسب للسانك ، حتى لو لم تكن سمعت بأى منها أو عرفته من قبل . في التوظيف نفسه ، الشركات لن تطلب منك شهادتك ، ولن تطلب مقابلتك ، ولن تطلب حتى صورة شخصية لك ، سيطلبون فقط خريطتك الجينية وهي ستقول لهم كل شىء ! هذا هو العالم الجديد المقدم الذى يرتاح فيه الإنسان للأبد من دوامات الحيرة ؛ عالم تتخذ لك فيه قراراتك عقول أقوى من عقلك مليون مرة ؛ عالم بلا أخطاء ولا خطايا ! (ويتندد :) يا أولاد ، قطع بينا غياب الواد مستر مكنة !

- إنما تفتكر إيه هو معنى الحياة يا حاج ؟

ويتدخل إدوارد : ' المسيح قال بماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر حبيبته ؟ ! ' .

- (براءة :) هو قال كده ؟

ويتدخل ونس : ' بس ما تنساش أنه قال كمان ليس بالحب وحده يحيا الإنسان ! ' . ثم يصرخ بذات الطريقة التي يسجل بها دائما صحة نبوءة له عن البورصة : ' ها ! أنا كنت عارف كده ! فيه حد برضه بيتدى علاقة يوم الثلاتين ؟ السهم صاب يا حبيبى . الأسهم إالى ع الشاشة دى كلها مقدور عليها ، إنما السهم ده هو الوحيد إالى ما لهوش حل . على رأى الأغنية ... ' .

ولا يكمل لأن نصر الله صاح هنا بأعلى صوته : ' هيببييه ! الظاهر البطل وقع يا رجالة ! ' .

- أنت واقف هنا بتعمل إيه وسط الناس المحترمة يا حتة ساعى ؟ غور اجرى يا حسن نصر الله يا خو... هات القهوة وأنت ساكت !



فى الاجتماع التالى لمجلس الوزراء قال وزير الصناعة والتجارة لزميله وزير الاتصالات : قريب ها يوسع الكلام عن اندماج شبكات المحمول ، وعندى إحساس أن واحد ها يتصل بك خلال أسبوع أو اثنين ، ما تحاولش تعرف جاب نمرك منين . ها يقول لك أنه ساعدك فى الانتخابات إلى فاتت ، وجاء بوظيفة لابنه بشركة محمول ، والولد رافض ، بس هو عاوز يؤكد له أن شبكتين ها يندمجوا ، والمرتباه ها تزيد . عملها معاه وفوتها له . لو ها يكررها مع حد تانى ، موش ها نسييه . لو ده حصل قول له ابعت لى ابنك المكتب وأنا ها أقعده مع واحد من مكاتبى يشرح له كل حاجة .

بالفعل حجزوا تجمد ، ذهبوا به لمكتب أمن المعلومات فى رئاسة مجلس الوزراء ، ليس للقبو السفلى ، إنما فى غرفة خاصة بالتحقيقات . وطلبوا من أبيه الحضور . واضطر ونس لترك جلسة البورصة ، وهو شىء لم يفعله إلا يوم وصول خبر موت أمه . هناك قال عن الخليوى المسروق إن ابنه وجده بالصدفة وأعاداه للمطعم . وكذب أكثر قليلا بشأن حاسوب وحيد ، وقال إنه كان يتصفح الجهاز ككل أصدقاء وحيد . تلقى درسا قاسيا فى شىء اسمه أمن المعلومات ، أو ' كما تسمونه أنتم بتوع البورصة بالشفافية وحق معرفة الجميع للمعلومة فى نفس الوقت وبالتساوى ' . وأنها الآن جزء من وظيفة الأمن فى الشركات والوزارات . تباجح قائلا : يعنى ما فيش محاسب بيعرفوا المعلومات قبل غيرهم .

- أنت شفت الأسعار بتتحرك قبل الأخبار .

- أيوه كثير .

- اتحركت فى أسهم بنها إلى أنت حطيت كل فلوسك فيها ؟

- لآ !

- الكلام ده موش فى الشركات المحترمة ، أو فى البنوك ، بتحصل بس فى الشركات إلى أصحابها نفسهم بيضاربوا فى أسعارها ، زى الإسكان وبعض النسيج . هم إلى بيطلعوا الإشاعات ويكسبوا ببيع الأسهم . ودى موش وظيفة حد يراقبها . ولا نقدر حتى نثبتها إلا فيما ندر .

- تقصد الشركات إلى اتباعت للعرب ؟

- ما أقصدش حد . أقصد وظيفة كل مستثمر صغير أنه يبقى حريص . وأقصد أنك تبطل شغل الفهلوة والخلنجية ده ، وتستثمر كآى واحد محترم من غير مضاربة وجرى ورا الإشاعات . وعاوز أفهك حاجة ، الإشاعة ما يستفادش منها غير إلى طلعتها ؟

- إزاي ؟

- أقول لك إزاي . تسوية الأسهم يومين . صح ؟

- أيوه صح ، وكانت ثلاثة قبل كده .

- أنت وغيرك بيعجروا يشتروا لما بيسمعوا الإشاعة . السعر بيزيد بسرعة . الإشاعة بتتكشف خلال يوم أو يوم ونص بالكثير . السعر بيرجع . تيجى تببيع ، تببيع بالخسارة . إلى استفاد هو إلى اشترى اشترى بكميات كبيرة من غير ما يشعر به حد ، وهو نفسه بعد كده يطلع الإشاعة ، ويتبدى ببيع للى زيك ، ويخلص كل أسهمه خلال يوم أو يومين ، وتكون أنت إلى لبستهم بسعر على .

- أنت ليه سيادتك ما تسيبش وظيفة الأمن وتشتغل فى البورصة ؟ دى خبرتك عن البورصة أكثر منى ، وأكيد ها تكسب دهب .

- (صارخا :) إحنا ها نخرز .

انتفض جسد ونس الضخم من الخضة . وعاد المسئول الأمنى ليوصل : لعلمك أنا لى فعلا أسهم فى البورصة ، بس موش بأبيع وأشترى فيها . ابتسم بخبث وقال : أقدر أعرف أسهم إيه ؟

صرخ مرة أخرى : إحنا ها نخرز . ولم ينتفض الجسد الذى توقع الأمر هذه المرة .

- إحنا ها نحفظ ملف اختراق المعلومات المرة دى .

أحس ونس بالاطمئنان فعاد لطبيعته المرحه ، وفكر أن الفرصة قد تكون قائمة لتوطيد العلاقة مع شخصية جديدة قد تكون ذات شأن عند الحاجة : مكالمه عملتها تهمه ؟

نظر المسئول لبرهه لصفحة الملف التي أمامها ، وقال ببطء متقطع : لأ ... وأنت الصادق ... دول ... ٨ تم .

ثم أردف بسرعة : تحب نوديتها النيابة ونجرب ؟

- لأ ، ما فيش داعي ؟

- بس يا ريت تسبب لي مُجْد ٥ دقائق أنا عاوزه في كلمتين ، احتمال يحموه من الناس إلى جايز يضيعوا له مستقبله .

- أنا ومُجْد تحت أمرك يا فندم . بس أنا لي طلب صغير . بلاش تقول للأستاذ وحيد الديب . أوعدك أني ها أمشي مضبوط جدا من هنا وطالع . إلى حصل ده موش طبعي ، وما كنتش متخيل أن فيه ضرر أو أنه ضد القانون . أنا عملت إلى عملته في لحظة شيطان ، وأهم حاجة عندي النهارده أن الراجل ما يزعش مني . إحنا أصدقاء وعشرة طويلة ووشنا في وش بعض كل يوم ، أو كان كده لفترة قريبة .

- ماشي ! بس برضه ها أكتب إلى أنت قلته ده في الملف !

- إلى تشوفه سعادتك .

حتى آخر يوم في عطلة مُجْد القاهرية ، حاول عبثا أن يقنع أباه : يا بابا لازم تبطل حركاتك دي . تعال نرجع دمياط سوا ، وتشتغل في الأسهم من خلال الإنترنت . سهلة وها تتعلمها بسرعة . يا بابا تقريبا ما حدش بيشتغل من شركات سمسة النهارده !

ولأول مرة لا يرد ونس . لم يعد قاذفة نصائح ، لم يعد صندوق أغاني ! لم يعد حقنة أو حنفية بمصطلحات مني . أطرق ووضع يديه الضخمتين على رأسه الأضخم . بعد قليل قال بانكسار : كنت مضطر يا بني ! كان لازم أعمل أى حاجة تخطر ببالي . ما كانش فيه طريق تاني . أنت بتطلع مصاريك ، إنما أختك وأخوك لسه ما خلصوش . أمك سابت الشغل ، معاشها ملاليم ، أنا ما ليش معاش ، وما فيش غير الأسهم . والخسارة أكثر من المكسب . كل ملليم بأطلعك لكم أو أطلعك لنفسى بأخده من لحم الحى ، من أصل رأس المال . الشهر إلى بعده الفلوس إلى بأشغلها أقل ، والمصرف بتاعنا لازم يكون أقل .



‘ لقد انفجرت فقاعة الغزو العربي الثالث لمصر ، الغزو المالى ، والنتيجة أن تبخرت كل مدخراتنا ! ’

‘ بل قل كل اقتصادنا صار في مهب الريح ! ’

‘ بل السؤال : هل سيتوقف الأمر عند حدود مصر ؟ ! ’ .

الحريات الديمقراطية والتعديلات الدستورية و ‘ المصالحة الوطنية ’ وإطلاق سراح المعتقلين الإسلاميين ، هذه التي توالى في السنوات الأخيرة ، والتي قال وحيد إنه لم يأخذها على محمل الجد في برنامج الحكومة ، اتضح يوما بعد يوم أنها شيء جدى بأكثر مما تخيل أحد . لقد فتحت مجال التحريض والانفلات الأمنى في البلاد على أشده . المفروض أن هذا الوقت من نوفمبر ٢٠١٠ هو الوقت الذى يجب أن تجرى فيه انتخابات مجلس الشعب ، لكن التوترات المتزايدة جعلت الحكومة تؤجلها لستة شهور .

تخوفات وحيد كانت في محلها . أصبحت مصر أشبه ببركان يغلى تحت السطح ، وفي حاجة فقط لشرارة كى تفجره . كل فئة اعتبرت نفسها مظلومة وراحت تجرب المرة تلو المرة الإضرابات والتظاهر وتحدى الأمن . عدم الحزم مع التيارات الدينية أظهر تيارات دينية مضادة من شتى الأديان والمذاهب ، الاحتقان الطائفى في تزايد ، والكل يلوح بالعنف أو يظهره فعلا . بعض الشركات الأجنبية التي اشترت مصانع مهمة بدأت تبيعها ، لأن بلطجة العمال وتراخى الحكومة في قمعها ، كان شيئا يفوق الاحتمال . الصحفيون حصلوا على حصانة شبه مقننة أباحت لهم قول كل ما يعن لهم دونما محاسبة ، الحبس لستة شهور ليس بالعقوبة التي تردع أحدا ، ونقابتهم تحميهم بحكم انتماءاتها الفكرية وإعلانها أنها في حالة حرب صريحة مع الحكومة . حتى القضاة عادوا للشوارع مطالبين بسلطات أوسع ترتفع فوق كل السلطات الدستورية الأخرى . خطأ الحكومة في الوعد بحل مشكلة البطالة بدلا من مواجهة جدية منها لمشكلة الزيادة السكانية ، ألقى بزاز كبير لجيوش البلطجة شبه المنظمة ، تفوق في حجمها البلطجة المنظمة ، أى البلطجة النقاوية والطلاوية والفئوية . الصراعات الطائفية لا تنتهى هي الأخرى . كما السرطان ما أن تقتلها من مكان

حتى تظهر في مكان آخر . بابا الأقباط الجديد خرج بعريضة هائلة من المطالبات من الدولة ، عليها أن تحقق للأقباط وجودا في السلطة لا يساوى فقط نسبتهم العددية إنما وزعم الاقتصادى ، قائلا إن هذا هو العدل والمنطق طبقا لأية شريعة أرضية أو سماوية بما أدنى قدر من العدل والمنطق . الأخ الأكبر في عائلة مرقس (اليسارى) ، الذى اشترى مؤخرا أحد أحزاب المعارضة ، زاد على هذا بأن أعلن أنه ينتوى ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ، عملا بمبدأ الحق الطبيعى والتاريخى فى أن من يملك يحكم . لم يقف العرب مكتوفى الأيدي وصرخوا لأول مرة بأن سيطرتهم على مصر باتت فى خطر حقيقى لأول مرة منذ ١٩٥٢ ، وراح الكل -فى الصحافة والأحزاب- يعلن صراحة عن تعهداته وأجنداته الخارجية ، لصالح ما سقط وما لم يسقط من ريجيمات جبهة الرفض العربية-الإيرانية ، كما كان يسميها الرئيس السادات ، أو كما باتت تسمى فى السنوات الأخيرة بجبهة الملاوغة ، التى أصبحت متواجدة تواجدا مباشرا على التربة المصرية من خلال التنظيمات المسلحة السرية المتحالفة مع قوى محلية ، أو من خلال غارات النهب والسلب القبلية . للحق هم ظلوا يشعرون بغبن هائل منذ صدور قانون قنن ما يسمى بوضع اليد ، حيث كانوا يعتبرون صحارى مصر (٩٣ ٪ من مساحتها) ملكا لهم هم ، وليست أرضا للدولة يحق لها التصرف فيها ما شاءت . حدثت مناوشات كثيرة ، لكن عمليا لم يحسوا بتغيير كبير ، إذ كان من يحصلون على الأرض يتقون شهرهم وتخريبهم بأن يكلفوهم بحراستها مقابل أجر . على أن الطامة الحقيقية أتت مع قانون إباحة الحشيش والبانجو ، زراعة وتجارة . لم يفهموا أبدا أن هذا القانون نقلة حضارية كبرى لمصر ، وضعها فى مصاف الأمم الناضجة التى شطبت كلمة محرمات من قواميسها . فقط رأوا فيه نكاية متعمدة بهم تحديدا ، جردتهم بين عشية وضحاها من مصدر ثروتهم الحقيقى ، بأن جعلت العقاقير المخدرة تباع بأسعار زهيدة على أرصف الصيديات والسوبرماركت . اعتبروه إعلان حرب عليهم ، ومسألة حياة أو موت ، وصاروا الآن يفجرون ويغيرون ويقاثلون الحكومة ، جنبا إلى جنب صراحة وعلنا مع أبناء عمومتهم الفلسطينيين . بعد ذلك بقليل دشن بدو مطروح ، المضارون ذات الضرر ، مبادرة مشاهجة بالتمسك مع أبناء عمومتهم الليبيين ، وهكذا أصبحت مصر مسرحا من جديد لحروب الصحراء ، على نحو لم تشهده منذ أيام روميل ومونتجومرى . أغاروا على كل منتجعات الساحل الشمالى لمصر ، نهبوا محتوياتها واغتصبوا الكثير من الفتيات والنساء ، وها هم الآن يتجمعون استعدادا لغزو الأسكندرية .

تلك الشرارة التى كان ينتظرها المشيم فى الداخل كان من الممكن أن تأتى من أى مكان ، وبالفعل جاءت من أقل الأماكن احتمالية : البورصة ! قرار هيئة سوق المال برفض اعتماد قرارات الجمعية العمومية لكيوييد الخاصة ببيعها لشركة سعودية ، وإحالتها للوزير لاستطلاع رأى الوزارة ، ثم قرار مجدى المصرى بإحالة صفقة بيع كيوييد للسعوديين لتحقيق مهنى يبحث جدواها الاستثمارية ، أدت كلها لأن هوت كامل أسعار الأسهم للحضيض . هذا رغم حرص وزير الاستثمار أن يؤكد فى بيانه ، أنه لا يعنى أى تراجع عن حرية السوق وفتح أبواب الاستثمار ، وأن الحكومة لا تفكر فى اتخاذ إجراء إدارى من أى نوع تجاه هذه الصفقة أو تجاه غيرها . هذه كانت سياسات عصور مضت ، وقد ولت بلا رجعة . كل ما هناك أنها ستمارس دورها فى ترسيخ الشفافية ، وهى لا تمنع -بل تشجع- أية مؤسسة خصوصية متخصصة -محلية أو أجنبية- من إجراء تقييماتها الخاصة للصفقة وإعلانها للجمهور . فقط ستشكل الوزارة لجنة خبراء لدراسة الجدوى الاستثمارية الحقيقية لها ، وتضع كافة النتائج أمام حملة الأسهم وأمام رأى العمومى ، ليتخذوا قرارهم بناء على تلك النتائج .

ما حدث أن هؤلاء حملة الأسهم والرأى العمومى لم ينتظروا أية نتائج . صنعوها بأنفسهم . هرولوا للبيع ، ليس أسهم كيوييد فقط ، إنما كل الأسهم . خبرتهم كانت تقول لهم هذا . المستثمرون الغربيون (غير المباشرين ، بمعنى من يستثمرون من خلال البورصة ، وأغلبهم موظفون بالشركات الكبرى مقيمون بمصر) ، يعتصمون بأسهم الشركات الرصينة ، وهم بطبعهم خارج مثل هذه الألعاب . دائما أبدا المضاربون العرب هم من يرفعون أسعار الأسهم . المستثمرون المصريون -الكتلة الأكبر من الاستثمارات- هم قطيع يجرى وراءهم ، لا أكثر . هذا شئ جميل ومريح ويحبه المصريون طوال الوقت . إنه أمل الربح السريع بالنسبة لهم . لا يفهمون أن البورصة لا تطبع نقودا ، وأن ثمة قيمة حقيقية ستعود لها الأسهم يوما ، ومن كسب جنبها ، معناه أن أحدا آخر قد خسره . من هنا فإن خروج أى أحد للتحدث فى الاستثمار الجاد ، كمجدى المصرى ، هو نذير شؤم كبير . إنه يشبه كشاف نور تهرب معه الفئران للجحور ، يعتقدون أن التمحيص سوف يطال أشغالهم . يبدأون البيع ، ويلحق بهم المصريون ، ويقع الاختيار . سهم كيوييد الذى تضاعف لأربعة أضعاف سعره فى أيام قليلة بدأ يهوى بسرعة أكبر ، ولقاع أبعد ، وأغلب الأسهم الأخرى تجرى فى أثره !

النتائج امتدت للشارع هذه المرة . مظاهرات أمام مقر البورصة التقليدى بوسط القاهرة ، وأخرى أمام وزارة الاستثمار قطعت طريق المطار وشلت حركة المرور منه وإليه . كان ونس أحد زعماء التظاهر وبدا ضهري حانقا جدا منه ، حين رأى وجهه على شاشة قناة ' الجعيرة ' وهو

يهتف مع الهاتفين : ' يسقط المصري ! يعيش الشبكجي ! ' ، ولم يملك عارف سوى التعليق : ' هذا الذى طالما هاجم الإسلام بشراسة ها هو الآن يهتف باسم عمرو بن العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر الجديد ؟ ! ' ، ولم يملك زهيرى إلا التصحيح : ' لا تنس أنه هتف أيضا لغزو عمرو بن العاهر والعاهرة الثانى : جمال عبمعصور ! ' ، على ما يبدو الخيانة الأرثوذكسية المقوقسية جزء يسرى فى جيينات المصريين ! ' ، ' من قال لك أن من يخون مصرى أصلا ؟ إنهم طوال الوقت الطابور الخامس الآسيوى ! ' ، ويرد عارف بأسى : ' المهم ، لقد انفجرت فقاعة الغزو العربى الثالث لمصر ، الغزو المالى ، والنتيجة أن تبخرت كل مدخراتنا ! ' ، بل قل كل اقتصادنا صار فى مهب الريح ! ' ، بل السؤال : هل سيتوقف الأمر عند حدود مصر ؟ ! ' ، ' خائف كلامك يكون صح يا عارف يابنى ، وكأنك وحيد نفسه إالى بيتكلم . '



إن الارتداد واسع النطاق عن الإسلام - إلى المسيحية وليس إلى العلمانية- يعنى لا محالة الحرب الأهلية ، ولا حل إلا استئصال الدين نفسه من الحياة المصرية !

يبدو أنه حين يتعلق الأمر بالاقتصاد ، فإنه لا يقف عند حدود الاقتصاد . كما يندلع النار فى صندوق بارود ، خرجت كل النقابات تطرح مطالبها الخاصة . مصر الجديدة لم تكن استثناء . ظهرت تجمعات حاشدة فى المسجد الذى يديره الشيخ حجاب ، ولوحظ تكاثف الأمن فى المنطقة . معظم السيدات والفتيات لم يعدن يأتين لرئيس بسبب فتاوى ' التعزير ' . التعزير يختلف عن الحد . إنه العقوبة المتركة لتقدير أولى أمر الإسلام والمسلمين . لأن الله رحيم فإن لعقوباته ' حدودا ' ، أما نواب الله فى الأرض فليسوا مثله تحدهم حدود أو يوجد ما يلزمهم بالرحمة أو بغيرها ، ومن ثم لهم حق وضع أو تغليظ العقوبات بلا حدود أو نصوص ، حسبما تلوح الحاجة لحماية المجتمع . على سبيل المثال لا يوجد ' حد ' يخص التبرج . من هنا تعودوا فى السنوات الأخيرة مثلا أن يلقوا ' المتبرجات الفاجرات ' بماء النار فى وجوههن ، أو يشجوا صدورهن أو بطونهن العارية ، بمطواة . توالى الفتاوى تقول إن المتبرجات الفاجرات هن أعداء للإسلام ، صريحات الكفر أعلن الحرب على العقيدة فى عقر دارها . من هنا فتعزيرهن هو واجب على المؤمنين جميعا درءا للضرر . تكليف كل الناس بإقامة التعزير كان أمرا جديدا ، لكن الجديد حقا هو أسلوب التعزير نفسه الذى راحت تقترحه هذه المرة : الاغتصاب ! الخطف ثم الاغتصاب ، أو -لن استطاع إليه سبيلا ، وهو الأفضل لأنه يحقق حقا العبرة لأولى الألباب كما يجب : الاغتصاب العلنى على قارعة الطريق !

لم تمر ثلاثة أيام على قرار مجدى المصرى المشنوم ، حتى عمت الاضطرابات كل البلاد ! اضطرابات طائفية وعمالية ونقابية وقضائية وصحافية ومساجدية وطلائية ، كل أرجاء مصر ، وراحت تتصاعد يوما بعد يوم . أغلب ما تطالب به تلك المظاهرات لم يكن له علاقة مباشرة أو حتى غير مباشرة بالبورصة . فقط كانت فرصة انتهزها الجميع ، ولعلها كانت بالفعل فرصة مثالية ، إذ مس تهاوى الأسعار قطاعا عريضا من الشعب الذى تعود وضع مدخراته فى أسهم الشركات . اختلط الحديث عن البطالة ، بالحديث عن الانحلال الأخلاقى ، بخطب المعارضة البرلمانية عن فساد يثبت دليل أو لا يثبت شئ ، بتهيج الصحافة حول كل شئ ، كل شئ وعكسه حتى فى الصفحة نفسها . ظهر كلام عن أن تمويل الاضطرابات يأتى من إيران . ميليشيات الجانجاويد باتت أشد شراسة فى الإغارة على قرى صعيد مصر ونهب ممتلكات فلاحيتها . كذا كثر الحديث عن فرق اغتالات أرسلتها تنظيمات ' الممانعة ' فى البلدان المجاورة ، من لا يزال فى السلطة منهم ومن طرد وأصبح سريا . أرسلتها الفصائل الفلسطينية وحزب الجماهيرية الليبى ، لقتل المسئولين المصريين ولتفجيرات انتحارية . كما لم تعد هذه قاصرة على الهجمات البرية ، بل استخدم فيها البحر لأول مرة ، هذا من خلال إرسال حزب البعث السورى لمغتاليه وفرقه الاستخباراتية عن طريق القوارب ، فبشار الأسد لا يزال فى السلطة حتى اللحظة ، رغم إدانته شخصا من قبل محكمة دولية بقتل رفيق الحريري ونحو مائتين آخرين على امتداد خريطة العالم ، لكن أميركا الحكومة طوال الوقت إما بجمهوريين ضعفاء أو بديمقراطيين خونة ، لم تقم أبدا بواجبها المنزلى فى إسقاطه أو قتله . أيضا بالمثل لكن فقط بهدف نهب السفن المصرية أو القادمة لمصر ، ظهر قراصنة بحار ليبىون فى محيط ميناء الأسكندرية فأضحت بين فكى كماشة من البر والبحر ، وأيضا لم يحدث أن حاول أحد ردع ريجيم الحكم فى ليبيا .

البعد الطائفى كان أسوأ الأشياء جميعا رغم أنه أبعد ما يكون عن علاقة مباشرة بالبورصة أو قرارات وزير الاستثمار . رغم أن حركة الارتداد كانت سلمية ومحض إرادة أصحابها ومبنية فقط على الجدليات العقلية ولم ترصد أية ضغوط مسيحية وراها ، إلا أن التحرشات والاغتيالات تصاعدت ضد أولئك المرتدين من ميليشيات الجماعات والإخوان الشهيرة ، والى طالما اعتادت التباهى بنفسها فى الانتخابات والجماعات

والشوارع . كان رد فعل أهالى تلك البلدات أن أعلنوا أنها باتت الآن مناطق ' محررة ' ، ولم تعد جزءا من ' المستعمرات العربية ' (أو ' الاحتلال العربى ' لدى من يرفضون منهم إطلاق لفظة استعمار على الغزو العربى) . رغم أن هذا لم يكن إلا طنطنة ابتهاجية لا أكثر ، ولم يمثل عمليا أى واقع قانونى على الأرض أو خروجا على سلطة الدولة ، كذا لم يكن هناك أحد ممن يدعون أنفسهم بالأشراف فى تلك البلدات كى يجرى أحد على طردهم أو قتلهم ، ولم يحدث بعد أن تقدموا نحو القرى محدودة العدد التى تعج بالقبائل العربية فى صعيد مصر ، إلا أن الإسلاميين اعتبروا ما حدث إهانة لا تغتفر لهم ، ولا رد عليه إلا إعلان حرب شاملة . تلك القبائل العربية -بالذات المتمركزة فى محيط مدينة أسيوط شمالا وشرقا- هى التى هبت هبة رجل واحد للإغارة على القرى المسيحية ، وبالأخص شمالا إلى المنيا لا سيما قرى أبى قرقاص ، إلا أنه فيما جرى حتى الآن من معارك أبلت الميليشيات المسيحية الوليدة بلاء حسنا فوق المتوقع . وحيد نفسه استغرب لحد كبير ، فهو كان صاحب رأى أن ' المسيحيين مطرح ما تحطهم مطرح ما تلقاهم ' ، واستبدل به رأيا جديدا أفضى به لظهورى فى المرة الوحيدة التى هاتفه فيها مؤخرا ، فحواه أنه بما أن الأمر لم يعد مجرد حالات فردية أو محصورة فى هذه القرية أو تلك ، وبما أننا لا نعدم عددا كافيا من المتعصبين المسلمين لن يترك هؤلاء على حالهم الجديدة فى هدوء ، فإن كل الحسابات اختلفت : إن الارتداد واسع النطاق عن الإسلام -إلى المسيحية وليس إلى العلمانية- يعنى لا محالة الحرب الأهلية ، ولا حل إلا استئصال الدين نفسه من الحياة المصرية !



المكتوب ع الجيين لازم تشوفه العين !

هنا -ولأول مرة- يبدى ظهري توجسا من قضية الارتداد : ' فى البدء أنا كنت متفائلا بالأمر لأن من الجيد دائما أن يستمع الإنسان بحرص لصوت جيبناته ، أو كما يقولها الأمريكان 'Be Yourself' ، أو كما يقولها المصريون ' المكتوب ع الجيين لازم تشوفه العين ! ' ، ومن ثم يعيش حسبا تمليه عليه طبيعته الداخلية ، لكن ما يحدث الآن هو أن اختلط الحابل بالنابل . فى ظل هذا التوتر والتخبط والعصبية تعم الفوضى والعشوائية والارتجال ، ولا يستمع الإنسان لأى شىء ؛ فقط تجرفه الأهواء مع أو ضد ، أو يذهب ثم يغير رأيه ، وغير ذلك من السلوكيات العشوائية . عامة أيضا التطرف من غشاشين إلى مغفلين يؤدى لاستقرار البركة الجيبية ، لكن ماذا لو كان هؤلاء مغفلين غير حقيقين إنما بتطفر وقتى غير أصيل أو غير عميق جيبينا ورفضوا التعرض للافتراء ؟ الأسوأ ماذا لو كان الغشاشون أنفسهم من ذوى المكون الثقافى العالى ويقدمون ما لديهم من أفكار ومعتقدات لدرجة الموت فى سبيلها ، ويرون كل خروج عنها بدعا وضلالات تستحق الموت بدورها . لا أعتقد أن أحدا درس وضعنا كهذا من قبل ؛ فقط المؤكد أن اضطرابا هائلا سيعم الآن البركة الجيبية ، وعلى أقل تقدير لا حل إلا بتدخل طرف ثالث ! ' . ويستطرد بذات الجدبة ، رغم أنه فى السابق كان ذات الكلام يستخدم للفكاهة : ' هو بعينه بغبوته ! للمرة المليون حاولت أفهامه أن استئصال الدين لن يقدم ولن يؤخر ؛ ما لم تذهبوا للب الأشياء لن تحققوا شيئا ! ' .

روميو كان الوحيد المبادر للتهدة من روعه : ' خذ الأمور ببساطة يا حاج ، القلق بتاعك موش ها يزود ولا ينقص ، طالما زى طول عمرك ما علمتنا : ' المكتوب ع الجيين لازم تشوفه العين ! ' ' .

- عندك حق يا ابني !



ما فائدة الديمقراطية

إذا كان كل المعروض فى البازار هو ديكتاتوريات ؟

على أنه فجأة ودون سابق انذار لأحد فى شركة رمسيس أو فى كل مصر ، يظهر وحيد -الذى افتقدوا وجوده بينهم منذ جنازة دكتور فرغلى- يظهر ذات مساء ضيفا على شاشة التليفزيون ، المرة الأولى له منذ اعتزاله الكتابة . حين أعيد بث البرنامج فى الصباح التالى ، تجمع الكل فى حجرة إدوارد لمشاهدته ، لسبب واحد على الأقل ، هو أنهم فوجئوا بعد وصولهم بقرار يوقف التداول فى البورصة لأجل غير مسمى . القرار الذى احتجوا عليه فى البداية ، ثم سرعان ما توافقوا على إنه القرار السليم لحماية البورصة من مزيد من الانهيار .

رحبت المضيفة بوحيد كرائد الصحافة الاقتصادية الناطقة بالعربية ، وبدأت تسأله فى تصوراتيه حول وضع الاقتصاد المصرى ، فى ضوء اللفظ الواسع الذى ساد مؤخرا الحياة الاقتصادية فى مصر ، لا سيما ملابسات صفقة كيوييد وقرار الحكومة بمراجعتها . شرع وحيد فى وصف عام لمعالم

الاقتصادات المتقدمة القائمة على التنافسية والشغل الشاق والتخطيط بعيد المدى . نوه إيجايا بالمشوار الكبير الذى قطعته مصر على مدى العقود الأخيرة فى الانفتاح على العالم وتحرير الاقتصاد ، ثم توقف بسلسلة من العبارات القاسية عن طريقة التفكير العربية فى الاقتصاد القائمة على المضاربة والربح السريع دونما بناء حقيقى . ثم قال بوضوح لا يقبل اللبس إنه لو تواصل تدفق المال العربى على مصر ، فإن مصير الاقتصاد المصرى هو الخراب المطلق لا محالة !

لحد واضح بدت المضيفة مأخوذة بالرؤية الواضحة الصارمة التى طرحها وحيد بإيجاز أقرب للطلقات ، فما كان منها لا شعوريا إلا أن تعجلت بطرح آخر سؤال كان قد أعدته لحتم اللقاء ، ألا وهو ما هو الحل أو ما رؤيته للمستقبل ؟ بنفس الإيجاز والوضوح تحدث وحيد عما أسماه تجارب النهضة فقال : ' أقصد بالنهضة طفرة ١- سريعة ٢- مستدامة ، للارتقاء بشعوب بدائية تقنيا لمستوى مقارب لجهة التقنية الأكثر تقدما فى العالم ' . ثم حدد قائلا : ' النهضة على سبيل الحصر : ألمانيا بسمارك ، يابان الميجى ، دول الساحل الجنوبى لأوروبا تركيا أتاتورك وإيطاليا الدوتشى وإسبانيا فرانكو وبرتجال سالازار ويونان جنرالات فيلم ' زد ' ، النمر الآسيوية وبالأخص كوريا وتايوان وسنجاورة التى يقبع حاليا أغلب الجنرالات التى صنعوها كى يتعفنوا فى صمت فى السجون بتهمة انتهاك حقوق الإنسان ، وأخيرا تشيلى الجنرال بينوتشيت ' .

وعن هذه الأخيرة استرسل على نحو مطول ، وكأنه يوفى موضوع هذا البرنامج الخاص ' النهضة ' . قال إن ما فعله بينوتشيت أن استقدم اثنى عشر خريجا من مدرسة شيكاغو التى تؤمن بالحرية الاقتصادية الكاملة أى الليبرالية بمعناها الداروينى المطلق ، وعينهم وزراء مطلقى الصلاحيات فى تطبيق ما يقول الكتاب . بعد ذلك يبدأ دوره هو فى حماية هذه الليبرالية بمنهج استئصالى extirpationist لا يعرف الهوادة . الآن ، أقصد فى خلال ثلاث سنوات فقط من قتل سلفه أيندى فى انقلاب ١١ سبتمبر ١٩٧٣ ، ما هى النتيجة : فقر أضعف اقتصاد فى أمريكا الجنوبية ليصبح أقوى اقتصاد فيها إطلاقا ، بما فى ذلك تقزيمه لاقتصاد البلدين الكبيرين البرازيل والأرجنتين . فى الاقتصاد اللغة الوحيدة هى الأرقام . لا مجال للشعارات !

هل تعلمون ماذا كانت هدية كندا لبيوتشيت المعتزل فى عيد ميلاده الثمانين يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٩٥ ؟ إنها ترشيح تشيلى لعضوية اتفاقية التداول الحر لأمريكا الشمالية (نافتا) التى لا تضم سوى الولايات المتحدة وكندا والمكسيك .

هل تعرفون ماذا كانت تفعل الولايات المتحدة نفسها فى تلك الأثناء ؟ كانت ترسل الخبراء لسانتياجو فيما يشبه بعثات الحج ، لاستطلاع كيف نجح بحق الجحيم أول نظام للضمان الاجتماعى من تنفيذ وتمويل القطاع الخصوصى فى التاريخ الإنسانى .

هل تعرفون ماذا قال قبلها الرئيس الأمريكى جورج بوش حين زار تشيلى فى يوم ٦ ديسمبر ١٩٩٠ ؟ قال عنه إنه ملهم لنصف الكرة الغربى وللعلم . (وأخذ يقرأ النص :) You deserve your reputation as an economic model for other countries in the

! region and in the world. Your commitment to market-based solutions inspires the hemisphere.

بل هل تعرفون بماذا كان يحاج أصلا مؤسس مدرسة شيكاغو (أو ما تسمى أحيانا بحكم محورها حول السياسات النقدية مدرسة النقوديين Chicago School of Monetarists ، أى التى تحصر وظيفة الدولة ، أو بالأحرى البنك المركزى المستقل عن الدولة ، فى رسم السياسة النقدية ، أى تحديد معدل الفائدة ومحاولة كبح التضخم ، وما إلى هذا) ، بماذا كان يحاج ميلتون فريدمان علمها الأشهر ، ومتوج نوبل ١٩٧٦ ؟ لقد طالب فى كتابه الأشهر (بالاشتراك مع زوجته روز) ' الرأسمالية والانعقاد ' Capitalism and Freedom ١٩٦٢ ، بضرائب سالبة على الدخل . نعم سالبة ، من يربح أكثر يأخذ مكافأة من ميزانية الحكومة ، ومن خلالها اقترح حلوله الشهيرة لمعضلة الضمان الاجتماعى . هذا ناهيك عن فكرة أنه حين تتداعى إحدى الصناعات لا يجب أن تقف الدولة مكتوفة اليدين ، بل تتدخل و... (نعم !) تقضى عليها ، وأن ذلك هو دور الدولة الوحيد المنشود فى دنيا الاقتصاد ، ما سواه هو أن تتلاشى من الوجود ! هكذا وصلت الجرأة والخيال بمذه المدرسة . ولا شك أن نجاحات تشيلى المذهلة لم تجعل كل هذه حسابات نظرية ، بل واقعا ملموسا باهر الروعة ، وستظل بلا شك مصدر فخر للأبد للمدرسة التى أسس جامعتها روكيفيللر العظيم (وأسست بدورها -أى الجامعة- من بين ما أسست أول قسم لعلم الاجتماع فى العالم) ، ومصدر فخر لمنظريها العظام ولكل أصحاب القلب المرموق Chicago Boys ، والأهم مصدر إلهام للمحتمعات البشرية جمعاء التواقة لاقتصاد عفى تنافسى ومستدام الازدهار .

أما عن صبية شيكاجو التشيليين فعاد وحيد ليذكر أبرز الأسماء . أشهرهم إطلاقا عالميا هو خوسيه بينيرا ، مهندس بل قل المخترع من الخدش لشيء دخل التاريخ الإنساني لأول مرة ، شيء اسمه ضمان اجتماعي قطاع خصوصي ! كما لعلكم تعلمون هذا الرجل استدعته لاحقا عشرات (نعم عشرات بلا مبالغة) الدول بعد ذلك للاشتغال كمستشار لها ، ولا تزال الولايات المتحدة نفسها -أم الرأسمالية التنافسية في كوكبنا- ترسل الموظفين لستتياجو أملا في تطبيق هذا النظام عندها ، لكنها -ويا للمفارقة- لم تفلح حتى اللحظة . طبعاً بسبب عنت اليسار مثلاً في الحزب الديمقراطي ومن لف لفه من نقابات وتنظيمات ... إلخ ، أو حتى بسبب عدم تقبل الشعب ككل للفكرة بما في ذلك خلال فترات حكم الحزب الجمهوري !

ثم قال كموجز : ' إنها قصة النهضة التي انتشرت -وفي ملح البصر تقريباً- تشبلي من التحول لدولة اشتراكية فقيرة على الطريقة الكوبية وجعلت منها بدلاً من ذلك أقوى اقتصاد في أميركا الجنوبية . القبيح فيها هو فقط حكاية دعاوى حقوق الإنسان اللزجة التي لا تكفل في الواقع سوى حق واحد هو حق الفقر . لماذا لا يتحرك هؤلاء عندما يقود طاغية ديماجوجي شعبه لحروب يموت فيها الملايين باسم الوطنية أو غيرها ، بينما يملأون الدنيا صراخاً عندما يضطر مصلح اقتصادي للتخلص من القوى التي تعرق ازدهار شعبه ؟ ' .

بدا وحيد مرتاحاً جداً منطلقاً جداً حين كان الكلام عن الاقتصاد ، تخصصه . لكن حين التقطت المديعة من لسانه كلمة الحرية ، بدا بعض التقلص على عضلات وجهه وبعض التهدج في صوته ، وإن حاول مداراته قدر الإمكان . سألت ' ولكن كل ما يقال هذه الأيام في الإعلام ويحدث في الشارع والمصانع أليس جزءاً من ممارسة الحرية ؟ ' . ويثور وحيد ثورة مكتومة : ما هو تعريف الحرية أصلاً ؟ الديمقراطية قد تكون العدو الأول للحرية . الاشتراكيون يريدون أموالك لينفقوها كما يحلو لهم ، يقولون إنهم يفهمون أفضل منك كيف تنفقها ، ويأخذونها تحت مسمى الضرائب والمجتمع . الإسلاميون يريدون الإشراف على كل كبيرة وصغيرة في حياتك ، إنهم حتى يذهبون معك للفراش ولدورة المياه ، وفي النهاية يقتلونك لو شئت ترك الإسلام . الناصريون يريدون حياتك من البداية ليحاربوا بها أميركا وإسرائيل حروباً لا تنتهي إلا يوم القيامة العشا (وليحاربوا بها بعضهم البعض في أوقات فراغهم !) . الديمقراطية تفهم في منطقتنا على أنها صناديق انتخاب تتسابق عليها ميليشيات مسلحة كي تحصل على رخصة من الشعب باسم الشعب ومن أجل الشعب لتصفيه كل مخالفيها في الرأي جسدياً . هذا بينما على الأقل الديمقراطية كما تطبق في بقية العالم تفترض بداهة أن يجمع الجميع على الحريات الفردية والاقتصادية كخطوط حمراء لا يفكر أي حزب في المساس بها ، ورغم ذلك فشلت في منع البعض من سرقة صناديق الانتخاب ' الحرة ' لحساب ديكتاتورياته الاجتماعية أو الاقتصادية ، كما في حالتي أدولف هتلر وسلفادور ألييندي بالترتيب .

... أين الحرية في كل هذا ؟ ما فائدة الديمقراطية إذا كان كل المعروض في البازار هو ديكتاتوريات ؟



مصائر الشعوب أهم من أن يكون للشعوب رأى فيها !

حتى عموم الناس يستخدمون كلمة ديمقراطية كنوع من العلكة أو الشماعة . أنا أعرف بعض الشباب ممن يتحدثون بحماس عن أن ما لدينا من ديمقراطية هو أقل مما يجب ، لكن حين نسألهم لا يعرفون بالضبط ماذا يريدون من الديمقراطية بالضبط ، بمعنى أي حزب يريدون ، لا يجيبون . هم فقط يريدون أن يريحوا دماغهم من التفكير . هنا أريد أن أميز بين الحرية الاقتصادية باعتبارها الأصل الذي تنبثق منه كل الحريات ، وبين الحرية السياسية التي -على العكس من كل الجمال الظاهري للكلمة- قد تكون استلاباً غير منظور لكل الحريات . ليس لدى مثال أعظم من يوليوس قيصر : حاكم فرد ملك طاغية في مواجهة برلمان ديمقراطي يؤمن بالجمهورية والحريات السياسية للشعب . هذا هو الظاهر ، أما الجوهر فشئ آخر : الرجل كان يسعى لحرية اقتصادية للغنى والفقير ، للروماني وللأجنبي ، إن لم نقل أيضاً للسيد وللعبد ، هذا كي يحصل كل إنسان على ثمرة عرقه . أما السيناتوريات التحريضيون -كاسيوس وغيره- الناطقون باسم الجمهورية والديمقراطية والمملكون لغرائز الشعب فقد كان لهم هدف آخر : الاستيلاء لأنفسهم على عرق هذا الشعب والشعوب الأخرى من خلال التشريعات والضرائب والجمارك والمصادرات التي تعارض القوانين الطبيعية ومبدأ التنافسية وحرية الاقتصاد ، التي يسنونها باسم الشعب من الشعب إلى الشعب ومن أجل (نهب) الشعب . وبقية القصة معروفة : قتل هؤلاء الأثرياء الفاسدون قيصر ، واستجلبوا العبيد والمرتقة لحمايتهم ، ودخلت روما في حرب أهلية ، وكادت كل الإمبراطورية تنهار ، لولا أن نجح حملة الصولجان (الفاشيون ، وهم ظاهرياً الحرس الشخصي لقيصر لكنهم في الجوهر جماعة منظمة شبه سرية كرسست نفسها

للسهر على حراسة القيم السامية لروما) ، نجحوا في تنصيب الوريث الشرعى الذى اختاره يوليوس ، أوكتيفيوس -أو أغسطس كما عرف لاحقا- وأعاد الحلم الرومانى القديم ، الذى هو بالأحرى مجرد امتداد لحلم أرسطو والأسكندر : الذهاب بالحضارة إلى شعوب العالم حيث هى ، وطبعاً ليس إحضارها هى إلى مركز الحضارة (وتلك قصة أخرى) .

إذن لا حل لما نحن فيه إلا تجفيف منابع الديكتاتورية الحقيقية لا الظاهرية . أى إجراء حيال هؤلاء أقل من الاستئصال هو بمثابة انتحار جماعى . هم ناجحون جداً فى تحريضاتهم التى تستغل العاطفية الزائدة لدى شعوبنا . هم يفوزون دوماً ، بينما من يتحدث بلغة العقل والمنطق يجد نفسه معزولاً متهماً ومكروها . الحرية الحقيقية تفترض ضمناً عدم إعطاء الحرية لأى من كل هؤلاء . حين يبدأ السياسيون الضرب تحت الحزام فيما يسمى لعبة السياسة ، بأن يبدأوا فى مخاطبة عواطف وغرائز الشعوب لا عقولها ، يجب أن نتوقف لنقول إن هذه مصائر شعوب ، وإن مصائر الشعوب أهم من أن يكون للشعوب رأى فيها !

... إن الديمقراطية فى رأى لا تصلح لأى شعب !



لو تخيلنا النظريات المختلفة لنظم الحكم ملاكمين يتصارعون فى حلبة ، فإن الديمقراطية هى الفوطة !

وتسأل المذيعة على عجل ساذج بكاد يصل لدرجة الهلع : ' ولا لأميركا ؟ ' .

- ولا لإنجلترا ، ولا حتى لأثينا إلى اختراعها . شوفى الفلاسفة بتوعها قالوا إيه عنها . لو تخيلنا النظريات المختلفة لنظم الحكم ملاكمين يتصارعون فى حلبة ، فإن الديمقراطية هى الفوطة ! إنها الاستسلام وتسليم كل شىء لدهماء الشوارع لإراحة الدماغ ! أنت فشلت فى التوصل لنظام جيد للحكم ، فتقول : ' خلاص ! نخليها ديمقراطية ! ' .

هنا أريد أن أكون واضحاً . مرجعى ليس تلك الحقيقة العيانية البسيطة التى يعرفها الصغير قبل الكبير ، من أن تطبيق الديمقراطية لدى الشعوب المختلفة يؤدى بالضرورة لحروب أهلية (تماماً كما أن ظهور أى مورد طبيعى يؤدى لنفس الشئ) . كلامى لا علاقة له بالتقدم أو التخلف لهذا الشعب أو ذاك . أنا عاوز أقول إن الشعوب مهما ارتقت أو نضجت ، فستظل دوماً ثمة فجوة كبرى بينها وبين المعرفة العلمية والتقنية لذات العصر . من هنا لن تثمر الديمقراطية فى أى مكان أو زمان ، إلا شد المجتمع للوراء . ظاهرياً أنت تأتى بالناس لصناديق الاقتراع لتسألهم عن أيهما أفضل هذا الشخص أم ذاك ، أو هذا الحزب أو ذاك . لكن فى الحقيقة أنت تسألهم ما هو أفضل نظام اقتصادى ، ما هى كيفية التعامل مع تقنيات المستقبل ، ما هى أنسب علاقات دولية للبلد ، ما هو الأفضل لمستقبل العالم ككل ، ولاتقتصاد العالم ككل . أشياء يفهمها فقط الخبراء المتخصصون جداً ، بل ربما يختلفون فيها فيما بينهم . هذه شئون تفوق فهم السياسيين الذين عامة لا يجيدون سوى التحريض والخطابة ، فما بالك بفهم عموم الشعب . إنها -أى الديمقراطية- شىء لا يجب السماح به أبداً فيما هو فوق مستوى البلديات . يحملوا الميادين إزاي ، يلموا الزباله إزاي ، هم أدرى بمدىنتهم . أقصى مدى للديمقراطية أنها مثلاً شىء جيد للقرى . الكل مزارعون يعرفون نفس الأشياء واكتسبوا ذات القدرات ، والديمقراطية لا تسألهم الرأى فى أشياء لا يعلمونها . هكذا نشأت فى أميركا مثلاً . عدا ذلك يجب أن تكون السلطة مطلقة للعلماء وللشركات والآلات الذكية . المشكلة أننا نرفض الديكتاتورية حين يتطلبها قدوم المهندس الزراعى . أما بالنسبة للحريات الشخصية ، فالمطلوب قمة الديمقراطية ، أو بالأحرى المفروض ما فيش رأى للشعب أصلاً . الواحد يتفرج على أفلام إيه ، أو الواحدة تلبس إيه ، كل فرد أدرى بنفسه ، حق مطلق ولا ديمقراطية فى هذا .

إن الديمقراطية ليست سوى فكرة إنسانية مثالية ساذجة أخرى ، مثلها مثل التسامح المسيحى أو الاشتراكية أو استقلال الشعوب ، وأنا لا أرفضها لأيدولوجية عندى أو لمزاج شخصى ، إنما لأنها جميعاً أخذت فرصها كاملة على أرض الواقع وثبت فشلها . التسامح المسيحى تسبب فى أكبر بحور للدم فى تاريخ أوروبا ، الشيوعية امتلكت القنابل النووية وسفن الفضاء لكنها اتخارت من جوع البطون ، كل الشعوب أصبحت تحكم نفسها فلم ترث سوى الفقر والفساد والمزيد من التخلف . الأسوأ ، أنه حتى لو رضينا بما كتصويتات متساوية لعقول غير متساوية وجيوب غير متساوية ، فالمفروض أن تظل سباقاً بين مصالح وبرامج ورؤى ، أى نقاشاً فكرياً عقلياً بالأساس ، لكن ما يحدث الآن أنها باتت سباقاً انفعالياً بالكامل ، مداعبة لغرائز الناس ، إبهارهم بالخطابة أو بوسامة المرشح أو بأى شىء إلا محتوى ما يريد ، فهو غالباً لا يريد سوى السلطة ، ويبدو أن

الكل بات يعرف هذا ويسلم به ولا يرى به مشكلة ، ويبحث فقط عن الإثارة الكامنة في ' لعبة ' الديمقراطية هذه ، وكأنها سباق لاختيار المواهب الغنائية الجديدة !

الديمقراطية يا أستاذة تصلح فقط في المجتمعات الريفية المغلقة ، حيث الكل أصحاب مزارع صغيرة وحيث العقول متساوية والجيوب متساوية ، ومن هم أغراب أو دون ذلك لا يحضر أساسا للتاون هول . ورغم كل هذا احتاج هذا النموذج الرائع للبلدات الأميركية الباكورة لوظيفة يتناساها الجميع حين يتكلمون عن الديمقراطية والمساواة ، وظيفة المأمور ! عندنا في مصر الكل يهوى القول إن الحكومة ماما الشعب التي لا يعيش بدونها . هذا قول حق يراد به باطل . مما لا شك فيه هي أقوى وأقدم حكومة في التاريخ ، لكني حين محصت ذلك التاريخ مؤخرا ، اكتشفت أن الفرعون لم يكن يطعم أحدا ولم يكن ينكر على أحد أفكاره أو سلوكياته ؛ وكان ينأى بنفسه عن عقائد الناس وعن أنشطتهم الاقتصادية والتجارية ، وفقط يتدخل حين يرى تلك الأفكار والممارسات تهدد الحرية التي يقوم عليها المجتمع . بعبارة أخرى ، هو المأمور الأميركي الذي يسهر حين ينام الجميع ، يحصر وظيفته في حماية الوطن من الأخطار الخارجية والداخلية . كان يحصل الضريبة فقط لتمويل هذا الغرض ، زائد ربما بعض المشروعات المستقبلية التي قد لا يراها الأفراد مجدية . وعامة إلى يتولى القطاع الخصوصي كل الأنشطة إطلاقا مستقبلا ، أقول إن الحكومة الصغيرة محدودة وحددة المهام ، ستكون شيئا كفتا وشفافا . الحكومة -على الأقل في المجرى المنظور- شيء لا مفر منه ، بشرط أن تنحصر وظيفته في القمع داخليا وشن الحروب خارجيا ، السهر على حراسة حريات الناس الطبيعية ، الاقتصادية والشخصية ، وليست الوضعية ، دينية كانت أو مدنية ، كالديمقراطية والمشاركة السياسية وكل هذا الهراء . بعبارة أخرى وظيفتها اجتثاث أعداء الحرية .



ليس بوسع الغرب -رغم كل تقدمه التقني- حكم العالم وهو نفسه محكوم بالديمقراطية ،

والأسوأ أن من المستحيل عليه حكم العالم وهو يسمح بهجرته إليه ، لأن السؤال سيصبح ساعتها من الذي يحكم من ؟ !

بعد أن انتهى وحيد من تصوراتهِ لشكل الحكم الأمثل في رايهِ لمصر ، عاد ليفاجئ المضيفة بأنه لا يفرق في كلامهِ بين أمة متقدمة وأخرى أقل تقدما . قال إنه ليس بوسع الغرب -رغم كل تقدمه التقني- حكم العالم وهو نفسه محكوم بالديمقراطية ، والأسوأ أن من المستحيل عليه حكم العالم وهو يسمح بهجرته إليه ، لأن السؤال سيصبح ساعتها من الذي يحكم من ؟ ! تلك وهذه -الديمقراطية والهجرة- تجعله مفتقدا للرؤية الجلوبية أو حتى مجرد تقدير المخاطر التي تأتيهِ من العالم الثالث ، ذلك لأن حكوماتهِ نفسها تنتخبها شعوب عاطفية قصيرة النظر مهما قلنا في رقيها وتحضرها ، وتلك قصة أخرى يطول شرحها وتحوى عشرات الكوارث الكبرى منذ تركهم إمبراطورية روما تضمحل وتسقط تحت قصف استجلاب العبيد لمركزها وتأثر السادة بسيكولوجية العبيد (الحاقدة وضيقة النظر ... إلخ) . الأسوأ أن هذا لا يزال مستمرا ومتصاعدا إلى اليوم ، وتلك نفسها قد تكون أسباب استهانتهم بخاطر أمثال لينين وجاندى وناصر والهومينى وماندولا وعدم قتلهم لهم في مهدهم ، ومن ثم طالما كبدا أولئك الحكام مسيرة الحضارة الإنسانية أثمانا باهظة نتيجة سوء تقديرهم ، ذلك لأنهم منتخبون ليس فقط من قبل العبيد إنما من قبل سادة متأثرين بالعبيد إن لم يكن سيكولوجيا فتوهُما في أفكار رومانسية كتفاعل الثقافات وتساوى البشر وما شابه ، وإن لم يكن هذا أو ذاك فتسليما ببساطة بوجودهم كأمر واقع .

أشار وحيد لحرص بعض الأمم على المتقدمة على حماية نفسها من الهجرة وضرب المثل باليابان ، كما أشار لتشدد إسرائيل المتنامي في حماية ديموجرافياتها ، وأعزى بدرجة كبيرة لهذا القفزات السريع لهذين البلدين في التقنيات المستقبلية مقارنة ببلدين كأميركا وبريطانيا ، المفتوحتين ع البحر حسب تعبيرهِ . عند هذه المرحلة بدأ يصبح أقل ارتياحا وراوده شيء من العصبية ، بالأخص حين عاد ليكون أكثر تفصيلا فيما يخص الإسلاميين وما تشهده البلاد من بوادر حرب أهلية ، وراح يتمهل أو ربما يتلعثم وهو ينتقى الكلمات : الإسلام الذي ينادون به هو من ألفه إلى يائه برنامج مصادرة للحريات لا أكثر ولا أقل . ومن يطرح برنامجا لمصادرة الحريات ، من حق المجتمع عليه أن يسلبه حريته بل ويسلبه حياته لو لزم الأمر . هنا لا يوجد شيء اسمه ديمقراطية أو حرية تعبير أو انتخابات أو تداول سلطة . لا حرية لأحد في سلب حريات الآخرين ، لأن ببساطة حريتي خط أحمر دون الموت . ليست هي فقط بل حقى وحق كل أحد في اكتشاف واختراع حريات جديدة كل يوم ، بلا أية حدود أو محظورات أو سقف ، إلا سقف قوانين أمننا الطبيعة . عدا ذلك لا سلطان على حرياتنا لأى الإنسان ولا حتى للإنسانية كلها . أقصى ما تريده الاشتراكية بكل بشاعتها ، أن تسلبك بعض أموالك باسم الضرائب . الإسلام الذى يريدونه لنا يسلبنا كل شيء ، لا روحنا ولا أفكارنا ولا أموالنا ولا أطفالنا ولا

أحلامنا فقط ، بل حتى أجسادنا . نعم ، الإسلاميون يعتقدون أن حتى أجسادنا ملك لهم ، يحددون لها ماذا تأكل وماذا لا تأكل ، ماذا تشرب وماذا لا تشرب ، ماذا ترتدى وماذا لا ترتدى ، ماذا ترى وماذا لا ترى ، ماذا تسمع وماذا لا تسمع ، يحددون لها أين تنام ، لا يسمحون لها بممارسة الجنس إلا بتصريح كتابي مسبق منهم ، ويرجمونها حتى الموت لو نامت في السرير الخطأ . ماذا تركوا لنا ؟

الحريات القاعدية ثلاث : أكبرها وأهمها وأكثرها قاعدية وأم كل الحريات هي الحرية الاقتصادية ، أن لا يدعى أحد أنه يفهم أفضل منك كيف تنفق نقودك . الحرية الثانية هي حرية الحراك الاجتماعي ، حرية الارتقاء الطبقي ، أن تنال نصيب اجتهادك ارتقاء في الثروة والمكانة وكل شيء (وطبعاً أن تهبط لو ثبت عدم أحقيتك) . الشرط الوحيد أن يكون هذا ارتقاء فردياً محضاً ، لا جماعية ولا بلطجة فيه ، ليس أنت وأقاربك ، ليس أنت وبني لونك أو عرقك أو دينك ، ليس أنت وزملاءك في النقابة . الحرية الثالثة هي الحرية الشخصية ، كل ما يمت لحرية الفرد بصلة ، المأكل الملبس المشرب الجنس الاعتقاد حرية الرأي ، أى شيء بشرط ألا ينطوى على محاولة لتقييد حرية أحد .

ثم أضاف : ' عند هذه النقطة أريد أيضاً أن أكون واضحاً جداً في شيئين : أولاً أريد أن أكون واضحاً جداً في أن سندی فيما يخص الإسلاميين ، ليس ما يقوله الدستور المصرى أو القانون المصرى من حظر الأحزاب على أسس دينية . أنا لا ضير لدى كمواطن أن يكون هناك حزب يرفع شعار ' من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر ' . هذا حزب لن يضر سوى أصحابه . أوروبا بها أحزاب كثيرة تحمل كلمة مسيحي ، لكنها جميعاً تؤمن باقتصاد السوق وبحرية الفرد . ما قد أعارضه هو حزب مسيحي ينادى مثلاً بإغلاق الملاهى الليلية أو تحريم العقاقير (المخدرات) أو تجارة الجنس . أنا ليس لى موقف خاص من الدين ، أكثر من كونه أيديولوجية معادية للحرية ؛ أناس يظهرون فيسلبوننا حرياتنا ويسببوننا لحسابهم الشخصى ، ويقولون لنا إن الذى سلبها هو إله مجهول خفى يسكن السماء لم يحدث أن رآه أى منا . لو ظهر علمانيون لا يؤمنون بأى دين ، وقالوا نحن محافظون ونريد وضع ضوابط على سلوكيات الأفراد ، لوجدتني أقول ذات الكلام بالضبط . من حق -بل من واجب- كل إنسان أن يضبط سلوكه ما شاء ، لكن أن يمتد برأيه هذا لبقية أفراد أسرته أو للمجتمع ، فهذا اعتداء صريح على حريات الآخرين ، ومن الواجب حماية المجتمع والأفراد منه . من الآن فصاعداً يجب أن نتجاوز ما نأخذة حالياً على أنه واحدة من الحقوق المسلم بها ، ألا وهو حرية اعتناق الأديان ، ذلك بأن نبدأ مرحلة جديدة هي تمحيص محتوى معتقدات تلك الأديان نفسه ، لنقرر كمجتمع ما هى الأديان التى يمكن السماح بها ، وما هى التى تعد اعتداء على الغير ويستوجب اعتناقها التجريم ' .

- لعلنى فهمت من مجمل كلامك أنك تقصد أن الدين حرية شخصية ، بشرط ألا يكون فيه انتقاص من الحرية الشخصية لغير معتنقه ، بما فى هذا أبنائنا وبناته ؟
- بالضبط .

تسترجع المضيفة الإشارة لتجارة الجنس فتسأل : ' أستاذ وحيد ، أنت أشرت لتجارة الجنس ، لكن ألا تعتبر الدعارة عاراً على أى بلد ؟ ! ' ، فيرد بحزم قائلاً : ' بل شرطة الآداب هى العار ! هى العار الحقيقى الوحيد ! ما يجرمه العالمان الحضارى والمتحضر ليس تجارة الجنس ، إنما القوادة ، أى المتاجرة بالإنسان ، أى عبوديته واستلاب حريته ، واليوم فى عصر الإنترنت لا تحتاج امرأة (أو رجل) ، تسعى (أو يسعى) للتكسب من جسدها (أو جسده) ، لقواد ؛ بل يقوم المرء بالمهمة بنفسه وبمحض إرادته من الألف إلى الياء . إن تأجير الجسد من أجل المتعة الجنسية لا يختلف بالمرّة عن تأجير لمتعة الناس بالاستماع لصوته الجميل أو بالفرجة على هيئته الرائعة مثلاً على المسرح أو فى السينما أو التليفزيون أو صور المجلات والإنترنت ، وبالأحرى لا شيء فى كل هذا يختلف عن تأجير اليومى المعتاد من أجل القدرة العضلية أو القدرة العقلية ، الأشياء التى يفعلها كل الناس طوال الوقت فى أشغالهم دون أن يحسوا فيها بالمهانة أو الإذلال ، بل ييجلون من يصبح نجماً ويكسب أكثر من تأجير جسده أو عقله . من أجل هذا تصبح شرطة الآداب تدخلاً فى العلاقات حرة الإرادة بين الناس ، وانتقاصاً باسم المجتمع لحق الإنسان فى التملك على جسده ، وهذا هو العار الحقيقى الذى يجب أن نمحوه من مجتمعنا . الأبعد من هذا أن شغالة الجنس المعاصرة تقوم فى الواقع بالكثير من المهام الراقية عالية المعرفة والتخصص ، منها أخصائى العلاج الطبيعى والتدليك والطبيب النفسى وغيرها ، وليست مجرد ذلك الجسد السلبي البليد الذى يتلقى شهوة الرجل . إن شغيلة الجنس -نساء ورجالاً- هم ثروة قومية وسياحية يتباهى بها أى بلد يحترم نفسه ، وعليه أن ينميها بالتدريب والعلم والثقافة وكل ما يؤدى لتعظيم القيمة المضافة ، ذلك كآى بيزنس جدى معروف . وأنا لا أريد الخوض فى مقارنة يعرفها كل أحد بين استقلالية وقوة شخصية وإرادة ومعارف هؤلاء النسوة عندنا ، حين أقارنهن بأولئك الإماء الجاهلات ممسوحات الشخصية الذليلات الطيعات اللاتى يدجنهن

الشيوخ في المنازل باسم الزواج الشرعى وكرامة المرأة ... إلخ . ثم راح يتحدث عن أن أغلب نهضات العالم الثالث بدأت عادة بالتركيز على منتج واحد تحظى فيه تلك البلد بميزة نسبية ، ثم بمجرد تراكم الثروة تبدأ مسيرة اكتساب التقنيات المتقدمة في شتى المجالات . المنتج ذى الميزة النسبية الذى صنع الأسس الأولى نهضة تايلاند المميزة هو مهارة نسائها في الفراش !

يعود وحيد ليستطرد قائلا إن مشكلة الحرية في الإسلام مشكلة أكثر جذرية من هذه الجزئية أو تلك ، لأنه من شبه المستحيل طبقا لتركيبته البنوية أن يسمح حزبيا بأقل من المصادرة الكاملة لكل الحريات ، سواء كان ذلك الحزب في تركيا أو غزة أو حتى أميركا . ما يجب تجربته في لعبة الديمقراطية ، ليس الدين كدين ، إنما الدين كأيدولوجية مصادرة ، أيدولوجية معادية للحرية . كل برنامج سياسى -دينى أو غير دينى- يدعو لأن يتخلى الأفراد عن حرياتهم الاقتصادية والشخصية لحساب فئة حاكمة ، يجب شطبه أصلا قبل الدخول للمعتكك السياسى . المسألة ببساطة : عن أية حرية نتحدث ، إذا أصبحت الديمقراطية مجرد حاضنة كبرى للاستلاب ؟ الحرية أحد قوانين الكون القاعدية ، أو ما أسميه أنا ' نأوسيا ' . بل ربما تكون أهم القوانين إطلاقا . باختصار ما نريده هو ديمقراطية الحرية !

ثانيا أريد أن أكون واضحا جدا في أنى لست ضد الديمقراطية لأنها سوف تأتينا بحكم الإسلاميين . قد تأتينا بحكم الإخوان أو الناصريين أو الشيوعيين ، قد تأتينا حتى بحكم الحزب الحاكم بالفعل ، أو بحكم أعظم كحكم أوجيستو بينوتشيت أو كونيتشيرو كوتيزومى . ليس هذا المهم ، المهم أنما في كل الأحوال ستأتينا بشيء واحد : حكم الشعب . وهذا آخر ما نريده لبلادنا ولشعبنا ، أو بالأحرى ما نريده لبلادنا وشعبنا منا . شعبنا يريد أن يحكم بالعلم والعقل والخطوات المدروسة . لكنك في صناديق الاقتراع تسأله بمن تنفق أكثر بهؤلاء الرأسماليين ذوى الحياة المترفة الشاذة ، أم بالغلبة أبناء طبقتك ، فيجيبك بالطبع أثق بالاشتراكية . تسأله هل مصلحتك مع إسرائيل أم مع الوحدة العربية ، فيجيبك بالقطع الوحدة العربية . تسأله هل تفضل العلمانية أم الإسلام ، فيجيبك الإسلام طبعاً . تسأله هل لقمة العيش أهم أم الكرامة ، سيجيبك الكرامة بالتأكيد . السبب هو هؤلاء المحرضين الذين يلعبون بغرائزه ، ويطرحون عليه الأسئلة الخطأ ، التى تشل عليه تفكيره وتوجهه قسرا لإجابة واضحة سلفا ، وكلها بعض من أرخص تقانات التحريض والبروباغاندا المعروفة تاريخيا ، والفعالة جدا مع مثل هذه الشعوب الانفعالية . قادة الجيوش ليسوا منتخبين ، رؤساء الشركات ليسوا منتخبين ، مديرو المصانع ليسوا منتخبين ، وهذه أكفا الكيانات إطلاقا فيما عرفته البشرية . فلماذا إذن الاصرار على أن يدار المجتمع نفسه ككل بذاك المنهج البائس هائل الفوائد المسمى الديمقراطية ؟ هذا يسمى اغتصاب السلطة بواسطة صناديق الانتخاب ، وبصراحة ، المستقبل شيء أهم من أن يعهد به للشعوب ، والمهم دائما أبدا هو ببساطة إخراج الجهلة من أنشطة صنع القرار !

إذن الثروة هى لب الأمر ، لذا الشعوب لم تكن تلزم الملوك بشيء لأنهم ملوك . هذه الملكيات تحولت لدستوريات وديمقراطيات حين بدأت ثروات الملوك تنقلص ، وديمقراطية الغرب نشأت بنشوء الطبقة الوسطى أى لا زالت تمثل انسجاما مع ذات قانون أمنا الطبيعة من يملك يحكم . هؤلاء هم يحول الدولة بالضرائب والمنطقى أن يفرض عليها رأيهم . لكن ما نراه الآن من كتلة تصويتية للمعدمين والكسالة والعاطلين وقطاع الطرق والمحرضين وعالي الصوت فهو بالضبط ما حذر منه أرسطو إن لم يكن قراءة لواقع منه رؤية لمستقبل استشرفه : الديمقراطية هى حكم الرعاع ! أما الدفع بأن تجارب النهضة كشيلى وكوريا الجنوبية ... إلخ ، فهى ليست ديمقراطية بالمعنى الممجى الدارج هذا ، بل تم اجتثاث اليسار والتحريض عامة أولا ، فأصبحت أيضا ديمقراطية طبقى وسطى ، أشبه بديمقراطية القرية الأميركية الباكرا ، وليست حتى الديمقراطية المدنية الأثينية الأوسع . وهذه الشعوب المتحضرة ستختار الديكتاتورية من جديد حين يستجد خطر ما .

إن ما نتمناه ، ويتمناه الشعب في قرارة نفسه ، ليس حكم الشعب ، ليس حكم أى أحد ، فقط حكم العلم ، العلم المجرد في كل شيء ، بما في ذلك القول بحزم كفى لا نريد إنجاب المزيد من البشر ، قبل أن نرتفع بمستوى البشر الحاليين . القول بأن كرامتنا الحقيقية هى في لقمة العيش الرغدة وليست في الشعارات . بأن صداقاتنا الحقيقية تكون حيث تكون منافعنا . بأن لا عيب في التعامل بتواضع وعرفان وولاء لمن يعلموننا شيئا مما اكتشفوه من العلم الحديث أو مما اخترعوه من تقنيات . إن شرعية أى حكم لا تعتمد على الشكليات التى جاء بها ، ولا تعتمد حتى على الشعب الذى يحكمه ، ولا بالضرورة على رأيه فيها . قد تكون شرعية داخلية نعم ، لكن يجب أن تكون خارجية أيضا ، ولو لزم الأمر تكون خارجية بالكامل ، تعتمد -وتعتمد فقط- على محتوى هذا الحكم وتوجهاته ، على مدى مجاراته لما بات متوافقا عليه لدى العالم المتقدم من معايير للاقتصاد الحداثى والإدارة العصرية والعلاقات الدولية المتعارف عليها ... إلخ . باختصار فيما يخص الشرعية : المهم المحتوى . ما نريده باختصار

هو ديكتاتورية العلم ، ديكتاتورية الحداثة ! فحتمية التطور والاستعداد أيضا أحد قوانين أمننا الطبيعية الأزلية ، رأسا برأس ونتيجة بنتيجة ، مع ديكتاتورية الحرية !

أخذت المضيفة تسأله عن الاضطرابات ، وعن اختيار البورصة ، وعن إشاعات هرب المستثمرين الأجانب . وفوجئت كما المشاهدين بالإجابات تحول تحول مجرى الحوار لسياق غير اقتصادى بالمرّة ، وبلهجة التلخيص لما ذكر جاءت الإجابة تقول : هذه كلها تنضوى حتى عنوان عام ، اعتادوا على تسميته الأمن القومى ، وإن كنت أشك أن لا زال للكلمة معنى أصلا فى عصر الجلوبة . علينا أن نعلن بوضوح تعريفنا لهذا 'الأمن القومى' . هو البناء الاقتصادى . هو ربط عجلتنا بالعالم المتقدم . هنا يكمن أمننا القومى الحقيقى . أن نكون جزءا من العالم المنتج الفاعل ، جزءا صغيرا أو كبيرا ، بقدر إنتاجنا وقدرتنا على الفعل ، بقدر اقتصادنا ، وليس أى شىء آخر . لا عيب فى الارتباط بالمقدم . العيب فى بلطجة التخلف والمروق أو ما يسمونه 'الممانعة' . ممانعة من أجل ماذا ؟ ولأين ستصل بنا الممانعة فى آخر المطاف ؟ لن تذهب بنا لأى مكان . للخراب والدمار . كل يوم الهوة التقنية تزداد وتتسارع ، والشعارات تفاقم الفجوة ، ولا حل إلا التلمذ النجيب على يد من سبقونا . باختصار ، لو جاز تلخيص ما يسمى بالأمن القومى فى كلمة واحدة ، فهى التبعية . أنا شخصا لا أرى أى ضير فى الكلمة . إما أن نكون جزءا من منظومة الاقتصاد العالمى أو لا نكون ، نكون مارقين وقطاع طريق . ذلك هو المهم ، بغض النظر عن التسمية .

ووسط ذهول الجميع -المذبة نفسها زائد المشاهدين المكدرين فى مكتب إدوارد- أنهى وحيد خطبته الحماسية التى كشفت بوضوح عن بركان ظل يغلى فى داخله منذ يوم اعتزل الصحافة ولم يعد مهتما بالتعبير عن آرائه علنا ، أهماها بالرد على السؤال التقليدى إيه الرسالة إالى تحب توجهها للمشاهدين ، واعتقد أن كل الشعب المصرى بيشفوننا دلوقت : 'أقول إن ديكتاتورية الحرية وديكتاتورية الحداثة ، ليستا فى الحقيقة إلا وجهين لعملة واحدة . العملة التى يجب أن نتمناها لبلدنا وشعبنا : عملة الحرية المطلقة !' .

ثم استوقفها دون أن تنهى اللقاء قبل أن يسجل ما يلى : 'أؤكد لكى أنى لا أقول أيا من كل هذا من منطلق أيديولوجيا أو نظرية أو فكرة اسمها الحرية تسيطر على ، أو لأن لى ولاءات لأى أحد أو أية دولة أو أمة أكثر من الحى أو المحيط الصغير الذى أعيش فيه ، إنما حصريا لسبب مادى للغاية ومباشر للغاية وشخصى للغاية هو مصلحتى الاقتصادية . أنا مجرد فرد ، فقط مواطن عالمى يهمله أمرين : ١- كل ما يهمله هو تسارع مسيرة التقنية والحداثة لأنها الرهان الوحيد المؤكد لارتقاء وازدهار العالم ومن ثم وطنى ومدينتى ، ومن ثم أنا ، ٢- يهمله إطلاق المنافسة على مصارعها لأنها السبيل الوحيد لحصولى على حقى الذى استحق ، قليلا كان أم كثيرا لا أعرف ، لكن أعرف أنه نصيبى العادل . أولئك ضيعوا على البلد فرصا لا نهاية لها للتكامل والاستثمار واكتساب التقنية والمنفعة التبادلة مع العالم المتقدم سواء الغرب البعيد أو جارتنا القريبة إسرائيل ، ذلك بدعاوى مثل الاستقلال الاقتصادى والمقاومة والممانعة ومقاطعة السلع ورفض الجلوبة والغزو الثقافى وغير الثقافى ، أو لأنهم جعلوا الانطباع العام عن مصر ومستقبلها مقلقا وسيئا لدى الشركات العالمية ، أو لأنهم يحاربون كل نجاح بفزاعات الاحتكار والفساد وبيتزونه ويلهبون ظهره بالضرائب ، أو لأن عامل الدين والقبلية وما شابه يتدخل فى التوظيف والفرص من أبسطها حتى كادرات الجامعات ، ولأنهم باسم الفضيلة المزعومة يناهضون الحرية الجنسية ويخرضون على الزواج والإنجاب بلا ضابط ولا رابط فيظل اقتصادنا مشدودا طوال الوقت نحو المراحل البدائية كثيفة العمالة للاقتصادات ، وطبعا دعى جانبنا الحروب التى يلمون بجرنا إليها . لذلك السبب وحده أقول : كفانا خرابا وتخريبا أيها السادة ، كفانا جوعا وفاقة ، لقد حان الوقت لنغلق بازار الديمقراطية الكارثى ، الذى لم ولن تعرض فيه سوى سلعة واحدة هى مصادرة الحرية ، فقط بتسميات وتغلبات مختلفة ، ولا شىء أكثر . كل البلاد حولنا تحولت لساحات للحروب الأهلية بسبب بدعة الديمقراطية ، وها قد حان الدور علينا فيما يبدو' .



جرأة لا يقوى عليها رئيس الجمهورية نفسه !

راح إدوارد يجزم بجذبة شديدة وعلى نحو بدا مقنعا للجميع ، أن الحكومة هى التى دعت وحيد للعودة للحياة العمومية . هذا ليس مجرد كلام واحد مثقف كبقية المثقفين . إن شيئا كبيرا يدبر تحت السطح طالما ظهر وحيد بهذه الصورة التى 'بروزوه' فيها ، ليقول كل هذا الكلام وبكل هذا الوضوح وتلك الجرأة . وعند كلمة الجرأة يؤمن روميو على كلامه بأنها جرأة لا يقوى عليها رئيس الجمهورية نفسه ! ويردف 'أقطع يدي إن تمت الانتخابات السنة الجاية !' ، وطبعا لولا هيبة الموقف لتعهد بقطع شىء آخر .

‘ السنة الجاية ؟ وأنا أقطع دراعى إن كان صبح بكرة ها يطلع زى صبح النهارده ! ’ قلها زهرى بينه وبين نفسه .

كعادة الشعب المصرى مع كل كارثة أو حدث جلل ، يصاب بالجزع الهائل للتو واللحظة . بعد قليل يحول الأمر لمادة للتهكم ، وبعد قليل آخر ينسى الموضوع برمته وكأنه لم يكن . التهكم بدأ بأسرع مما تخيل أحد . أما روميو فقال ‘ اختراع حريات جديدة ’ دى فكرتى أنا ! ’ . وحاول أسد مداعبة زهرى قائلاً ‘ شفت قال إيه عن المهندسين الزراعيين يا عم الحاج ؟ قال لازم أنتم إالى تحكموا البلد ! ’ . ويتذكرون ونس الغائب : ‘ طبعاً البازار وكل الكلام إالى قاله عن الإسلاميين ده بتاع عم ونس ! ’ . وكالعادة لا تطيق ميرفت شيئاً تراه إجحافاً أو ظلماً : ‘ يعنى ما جابش حاجة من عنده خالص ، كله منكم أنتم ؟ ! ’ .

فى القناطر تجمعت فى ذات الوقت ماريلىن وإجلال وألطف ، أيضاً يعيدون مشاهدة البرنامج . تعلق ماريلىن ‘ الولد ده أفكاره حلوة . من يوم ما شفته وحسيت أن أفكاره حلوة . ابن أمه بصحيح . من زمان ما حدش فكرنى بزمان وجمال أيام زمان ! ’ . إجلال تمنى السلامة للجميع ، وحيد الذى وضع نفسه فى هذا الموقف ، زهرى الغائب ، يسرى ومجدى ذوى المناصب الحرجة ، كل المصريين . ويتحول هذا لهلع بتذكرها منى التى لم تعد تتحرك الآن دون صحبة والدها ، وتشير للجزء الذى أعجب ابنتها فى حديث وحيد عندما شاهده بالمساء السابق ، وهو أن الفرد هو كل شىء ، وأن لا انتماء لأسرة ولا لقبيلة ولا لنقابة ولا لوطن ، أو هكذا كانت منى قد فسرت الجزء الخاص بحرية الصعود الطبقي من كلام وحيد وعلقت عليه أكثر من مرة ‘ أخيراً ابتدى يفهم ! ’ . أما ألطف فقد ظلت صامتة وسطهم طوال الوقت ، وإن راحت تردد بينها وبين نفسها ‘ الله يجرب بخاطرك يا أستاذ وحيد . أول واحد أسمعته فى حياتى يتكلم باحترام عن إالى زى . سماهم إيه ؟ تجارة الجنس ؟ ثروة قومية ؟ أكيد كل البنات صاحباتى بيدعوا لك دلوقت ! ’ .

فى إمبابه كانت مظاهر الهذيان العقلى واضحة تماماً على وجه رمانة . ما عدتش بأشوفه . كل يوم بره البيت م الصبح بدرى . إن ما كنتش أنا إالى أروح بدرى أوى أصحيه ما أقدرش أشوفه ، أو آخذ منه بوسة . بدت كالمخبولة ، وهى تستدعى جاراتها الواحدة تلو الأخرى ، كى يشاهدن البرنامج . ها هى كل مصر تشاهد الآن رضيعها ، رضيعها هى ، هى وحدها . كل دقيقة تشير للتليفزيون وتقول ‘ يا بنات ! هو ده سى وحيد ! ’ ، ثم تلتفت للخلف بسرعة كى تضيف : ‘ حبيبى ! ’ .

... كلمة فشلت فى أن تنطقها سرا ، وتعتقد أن بالتفاتتها هذه لن يسمعها أحد .

... أملى فى الحياة يا بنات حاجة واحدة ، حاجة تريخنى من العذاب إالى أنا فيه : أنه يطردنى !

... يطردنى لأ !

... أموت نفسى لأ !

... شغالة غيرى لأ !

... أنا عاوزة أفضل مطمئنة عليه . يفضل قدامى على طول . أفضل أخدeme كل عمرى !

... نفسى أشوفه مرتاح وسعيد مع واحدة من مقامه يجيها وتجه .

... يا بنات قولوا لى إزاي أقول له كل إالى فى نفسى ده ؟

... لا أقدر أقول له ما تلمسنيش لأن من حقه يلمسنى زى ما هو عاوز ، ولا أقدر أقول له إنى عاوزاه يلمسنى .

... ولا أقدر حتى أسأله ما بتفكرش فى الزواج ليه ؛ لو افكرنى عاوزة أسبيه تبقى مصيبة ، ولو افكرنى عاوزة أتجوزه تبقى مصيبة أكبر .

... يا ترى سى وحيد يا أبو العلم والذكاء كله ، فاهم إالى جواى ده ؟ !



شيماء ارتدت النقاب

زهرى الذى تبدى الهم بشدة على وجهه ، لبث فى مكانه لبرهة ، ثم توجه للطريقة المؤدية للباب الخارجى . اتصل هاتفياً أولاً بوحيد ، ثم بأخيه مجدى ، لكن أى من الهاتفين لم يرد . إن لدى وحيد هاتفاً خليوياً الآن ، فى حاسوبه الذى لا يفارق جيبه ، لكنه أيضاً مفصول عن الشبكة . اتصل بأخته فوجد هواتفها مشغولة لفترة طويلة ، وكل ما ناله منها بعدها كلمة مقتضبة ‘ جازى نسمع حاجات مهمة النهارده ! ’ .

عاد قليلا للوراء إلى القاعة شبه الخاوية ، ووقف قرب مكتب خدمة العملاء ، حيث جلس سامر وميرفت يتهامسان في هذا اليوم الخالي من الشغل ، آملا أن يؤنس نفسه بهما . كان بعد حانقا على ونس الذى كان قبل يومين فقط يهتف بسقوط أخيه . لم يكن ينوى سوى تجاهله تجاهلا مطلقا . تذكره فجأة حين وجد روميو يتحدث ولم يكن ونس هناك ليكمل الدويتو . متى جاء وسوى حساباته ؟ هل شعر بالخجل منى ؟ هل تسلل مبكرا جدا أو متأخرا جدا ليأخذ التشيك ويرحل ؟ إنه باع أسهمه ، وقطعا كان له تشيك . ربما لم يكن من بأس لو ألقى تحية الوداع . لم أكن لأفعل له شيئا .

والآن ها هو سامر يكشف اللغز : ‘ الظاهر رجع دمياط ! ... أستاذ إدوارد بس هو إلى قابله ... إمبراح الصبح بدرى ... يقول جه لقاء مستنيه ! ’ . ويتدخل عارف مضيفا بعض التفاصيل السابقة : ‘ بصراحة ، وسامحوني ، أنا افكرت أنه انتحر . آخر كلمة قالها قبل ما يختفى إن السوق وقعت وكل الناس ها ييجي لها اكتتاب ، نصيحتي لكم جميعا اشتروا أسهم إيلي ليللى بتاع البروزاك . وأنا ضحكت معاه وقلت له إيلي ليللى اتلغت من زمان ، اندججت في شركات تاني . كنت آخر واحد اتكلم معاه . نزل بعدها وما شفنا هوش تاني ، والظاهر كمان غير غمرة تليفونه . أول إمبراح بصيت في المكتب لقيت النفير ، قلت ده موت نفسه . أول مرة أعرف منك دلوقت أنه جه وقابل الأستاذ إدوارد ’ . وتعلق ميرفت : ‘ والله وخسرناك يا عم ونس ! الغنا والنفير ها يوحشونا . حتى السجائر اتعودنا عليها . كان عندك حق ! كام ألف واحد انتحروا من ساعة البورصة ما انهارت ؟ الجرايد ما لهاش سيرة غير كده . الظاهر خسروا كل حاجة ، وما فضلش لهم حتى تمن البروزاك ! ’ .

ونس قرر العودة لدمياط ، لكن السبب الحقيقي ليس تداعى أسعار البورصة ، وليس خجله من زهرى ، وليس خوفه من انكشاف فعلته الوضيعة ذات يوم من وراء ظهر وحيد ، وليس حتى تحذير ابنه القديم ، إنما هو سبب جديد بالكامل . لقد التحقت ابنته طالبة كلية العلوم بتنظيم إسلامي . لا يعرف التفاصيل بعد ، أمها لا تعرف ، ولم تخبره بأكثر من أن شيماء ارتدت النقاب وترفض الحديث معها أو مع أى أحد . هل الإخوان المسلمون أم جماعة جهادية ؟ هل سيدفعونها لعملية انتحارية في شرى لانكا أم ناميبيا أم أوروغواي ؟ الأرجح أنها ستكون في فنزويلا ، هذه التي في أيام شافيز فتحت صدرها لكل الجهاديين الإسلاميين ولكل عدو أميركا ، وها هي الآن تكتوى بنارهم . ماذا لو كانوا سلفيين ؟ كيف سأعيش بقية عمري وأنا أعلم أن ابنتي تعيش في خيمة في الصحراء وتقضى حاجتها بمساعدة ثلاثة حجارة ؟ يا للبؤس الذى لا يريد أن يفارقني ، كل الدنيا تخلع الحجاب ، وابنتي ترتدى النقاب . قرر العودة ، وحزم أمره من كافة النواحي ، رغم علمه أن البنات أو الشبان يصبحون في مثل هذه الحالة أذانا مطلقة الصمم ، لا تستمع سوى لما يأتى إليها من تكليفات من السماء ، في الصحو وفي المنام ، وطبعا من تكليفات من الأمير . وربما لو حدث وضغطت عليهم أكثر مما يجب يأتونك بفتوى من الأمير يقتلونك بناء عليها . قال إنه واجب على أن أؤديه ، ولن أسامح نفسى بقية عمري لو تقاعست عنه . ثم ربما لا تزال لدى فرصة للنجاح . ربما يشفع لى عندها أن كنت يوما صديقا شخصيا لعاصم عبد الماجد وعصام دربالة .

عاد الحاج من سرحانه على صوت ميرفت الحائرة من تلاحق الأحداث تقول : ‘ أكيد الرئيس ها يخطب النهارده ’ .

يمد سامر رقبته القصيرة بحيث جعل عينيه في مواجهة عينيه وقال بلهجة غزل ناعمة لا تخطئها الأذن : وما قالوش ها يتجوز إمتي ؟

- يا سم !

- طب خليه اتنين ، وبيقى افتح يا سمسم .

- (يذهب تجهمها وتسايه المزاح :) الشىء إالى أنا متأكدة منه أنك ها تفضل قفل طول عمرك !

- (مهللا :) هيببييه ! يا ملين كل عسير يا رب ! فاضل ع الحلو دقة ! إنما أنت بصراحة إيه رأيك في ؟ ولا مرة قلتي لى إيه رأيك في ؟

- لطيف !

- لطيف ؟ دى كلمة عادية ؟ !

- لطيف جدا !

- لطيف جدا ؟ دى كلمة عادية جدا !

وأخيرا تضحك ميرفت ، أما الحاج فيمضى في طريقه إلى الخارج ، ساهما ، ودون أن يجي أحدا ، على العكس من عادته .

على الأرجح لن يذكر التاريخ كثيرا المهندس عبد النبي مُجد الشهير بين من يعرفونه باسم ونس ، رغم أن أثره عليه أكبر من أن يتخيل هو أو يتخيل التاريخ نفسه . على غير قصد منه ، أدت مجادلاته الانتقادية مع رموز الجماعة الإسلامية في أسيوط ١٩٧٥ ، لصياغة بعض أهم توجهات وملامح ومسار ما سمي لاحقا بالصحو الإسلامية ؛ ثم على غير قصد منه ، كانت قيادته للمظاهرات الخاصة ببيع شركة كيوييد بعد ٣٥ عاما ، سببا مباشرا للضربة الأخيرة التي قضت نهائيا على تلك ' الهوجة ' التي طالما طبقت آفاق العالم طيلة كل تلك السنين . الآن ها هو يقرر قضاء بقية حياته منزويا في دمياط تستغرقه مشاكل أسرته ، هذه التي لم تكن قد شغلت حيزا يذكر من حياته حتى اللحظة .



أعلنها كلها أيديولوجيات معادية للحرية

في المساء ، في نفس توقيت البث الأول لبرنامج وحيد ، يظهر على نفس شاشة التليفزيون ، الرئيس الشاب للجنة المستقبليات في الحزب الحاكم . يظهر وقد عاد لزيه العسكري كضابط احتياط ، وإن بدون علامات نحاسية على الكتف تنبئ بالهوة بينها وبين ما وضعه الوجهان المؤلفان الواقفان إلى يمينه ويساره -وزيرا الدفاع والداخلية- على كتفیهما . يصف ما آل إليه حال البلد من انفلات أمني وبلطجة ونزول للشارع بدون التزام بالقانون أو النظام ، وكذا عرقلة لشغل الشركات والمصانع ، وفوق الكل اضطرابات طائفية وقبلية أسقطت الكثير من الضحايا . تحدث طويلا عن الحاجة لأخذ كل إخلال بالأمن بمنتهى القوة والشدة ، متحدثا عن مختلف أشكال التجاوزات في مختلف التنظيمات الحزبية والنقابية ، التي أدت لشل عجلة الاقتصاد وتهديد حياة المواطنين . ثم أسهب بعض الشيء في مثال بعينه . قال إن ليس كل قضية مصر منحازين أو أعداء للحريات ، لكن نادى القضاء ككيان تنظيمي يتم اختياره عن طريق الانتخابات بلا أية شروط تضمن التزامه برسائله الأصلية ، ثبت بالتحقيق أنه لم يكن إلا أحد أذرع ما يسمى بمكتب الإرشاد لإحدى الجماعات المحظورة . وهنا أعلن قرار الرئيس بحله تمهيدا لإعادته إلى صورته الأصلية كما نص عليها مرسوم إنشائه الأصلي ، نادى ترفيحي وظيفته الرئيسة هي تقديم الشاي والقهوة ، هذا حسبما قال في حق واضح ، يتناقض بعض الشيء مع الهدوء العام لشخصيته . توالى بعد ذلك إعلاناته لتصفية الحساب مع كل مؤسسات الماضي . تلا قرارات السيد الرئيس بوقف العمل بالدستور وبجل المجلس النيابي وكل النقابات وجميع الأحزاب ، باستثناء الحزب الحاكم وثلاثة أحزاب أخرى صغيرة (أبرزها حزب الجبهة الليبرالية الذي كانت هالة قد سخرت منه على موقعها لدى تأسيسه ووصفته بكلمات من قبيل الليبرالية الرومانسية والديموقراطية الملائكية واليوتوبية الناعسة . ورغم أنه حزب علماني صريح راقى ومخلص ، إلا أنه بملائكيته تلك كان في رأيها يصب في مياه أعداء الحرية من التيارات الدينية . أما وحيد فقد وجد فيه خلال إحدى المناقشات مؤخرا مع ضهرى ، تطبيقا لشعار من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر) .

بعد ذلك ثم راح هذا المتحدث الشاب بعد أن فرغ فيما يبدو من تصفية الحساب مع الماضي ومخلفاته ، يعلن ملامح المستقبل : قرار السيد الرئيس تأسيس مجلس للأمن القومي ، وتعيينه هو رئيسا له ، ورئيس الوزراء نائبا أول ، ووزيري الدفاع والداخلية نائبين ، وأن يصبح هذا المجلس صاحب المرجعية العليا في البلاد . البدء في تشكيل مجلس تشريعي مؤقت من ممثلين للشركات الكبرى يضاف إليهم بعض ذوى الخبرة والاختصاص ، على أن يتحول لمجلس دائم بعد تقنين معايير العضوية دستوريا وقانونيا . البدء في صياغة دستور جديد ، قائم على مبادئ الحرية المطلقة ، اقتصادية وشخصية ، وتجريم كل مناداة بأى انتقاص منها ، وينص على أن وظيفة الدولة الرئيسة هي السهر على تلك الحريات لا أكثر ، وإناطة هذه المهمة تحديدا بمجلس الأمن القومي .

عند هذه النقطة أصبح الرجل أكثر تحديدا . قال باسم المجلس الجديد إن أول قراراته أن أعلننا الاشتراكية بكافة تنويعاتها السياسية والاجتماعية ، والعروبة بكافة تنويعاتها السياسية والاجتماعية ، والأديان بكافة تنويعاتها السياسية والاجتماعية (فيما عدا ما هو كونه ممارسة روحية فردية تنضوى تحت إطار الحرية الشخصية والتي من واجبنا كدولة أن نحجبها من كل تحرش أو تهديد أيا ما كان) ، أعلنها كلها أيديولوجيات معادية للحرية ، ومن ثم سوف تحظر الدعوة لها علنا . برامج هؤلاء موجودة -إما صراحة وإما ضمنا- في أدبياتهم ، ويعرفها كل من يريد القراءة . وسنعاملهم بناء على المحتوى الحقيقي لأيديولوجياتهم ، وليس بناء على أى خطاب معسول أو مزدوج المعاني منهم بعد اليوم . أيضا أعلن قرارا آخر بفرض الرقابة على الصحف والإعلام ، التي سيصبح لها الحرية كل الحرية في أن تقول ما تشاء ، باستثناء الترويج لأفكار معادية للحرية كالمذكورة . ثم قال إن المبدأ هو أن الحرية الحقيقية تفترض بالضرورة اجتثاث أعداء الحرية ، وهذا ما سيكون عليه موقف الدولة من الآن فصاعدا .

بالنسبة للمخاطر الخارجية ، قال إن مصر لن تقف مكتوفة الأيدي أمام غارات عصابات النهب والسلب وقطع الطريق ، التي تأتيها من الجنوب والغرب والشرق ، جميعا . ليس دول الجوار فقط ، إنما عن طريق البحر من دول كسوريا مثلا . في كل مكان نعرف أنه مصدر للتهديد ، سوف ندك كل بلدة يثبت أن العصابات تأتي منها . لن نفرق بين مدنيين ومسلحين . سنستخدم أسلحة تقليدية وغير تقليدية . سنثبت لهم أن لمصر ذراعا طويلة تصل لأبعد مما يصل خيالهم . الشعوب التي تنجب قطاع طرق وإرهابيين يمثل هذه الوفرة ، ناهيك عن أن تنتخبهم للحكم ، يجب أن تكون شريكة جماعيا في المسؤولية . نحن لا نتحدث هنا عن حفنة أفراد يمكن استئصالها ، إنما عن شعوب أغلبها متواطئ إن لم يكن مشجع . حين تكون العصابات يمثل هذه الوفرة ، يصبح من الصعب علينا التمييز بين المدني والمسلح . ويصبح الأبرياء حقا نسبة ضئيلة بحيث يمكن تجاهلها . هذا إنذار أخير ، إما أن تظهر نفسها من تلك العصابات وتعاقبها بنفسها ، وإما سيحل بها العقاب الجماعي !

بالنسبة للاستثمارات الأجنبية سوف نكون أكثر حرصا في استقبال استثمارات الدول التي طالما مالت للاشتراكية في اقتصاداتها ، كفرنسا وروسيا والصين والهند ، أيضا سوف نغلق الباب تماما أمام الأموال الساخنة ، وبالأخص جدا منها جميع الاستثمارات العربية . في المقابل سنسعى بكافة السبل لاستقطاب أكبر قدر ممكن من الاستثمارات الأنجلو-ساكسونية ، أى من أميركا وبريطانيا وألمانيا ، وبالمثل طبع الاستثمارات اليابانية والإسرائيلية . في هذا وذاك لا نعتبر أنفسنا انتقائيين أو مزاجيين نحب أناسا ونكره آخرين ، إنما فقط نعتد معيارا واضحا ومحددا وعلميا ، هو عينه معيار الحرية . نرى أن هذه الطريقة الوحيدة لإطلاق طاقات شعبنا المصرى ، كى يثبت للعالم المتقدم جدارته أنه يستطيع العيش وسطه بنفس قيمه وقوانينه دون عطف أو تدليل ودون ازدياء وتعالى . من الآن فصاعدا ، وبعد المارّة الهائلة التي عاينناها مع الأموال الساعية للربح السريع والفساد والإفساد ، لن نقبل إلا أموالا تؤمن بالتنافسية القصوى وبالاقتصاد الحر الحقيقي ، استثمارات عالية التقنية طويلة المدى تفكر في بناء حضارة تقنية تدوم مئات السنوات ، لا في ' اخطف واجرى ' كما يسمونها .

أخيرا ، سوف نشكل لجنة من خبراء الاقتصاد بالأساس ، لدراسة مدى جدوى عضويتنا في المنظمات الإقليمية والدولية ، بدءا من جامعة الدول العربية حتى الأمم المتحدة . ما لن تثبت جدوى عضويتنا فيه ، سوف ننسحب منه ونطرد مقاره من أراضيها إن وجدت . حتى منظمة التداول الدولية سنعيد النظر في عضويتنا فيها ، بعد ما حدث من طوفان الدول التي دخلت في عضويتها وحولتها باسم الأغلبية لعكس أهدافها الأصلية في ترويج حرية التجارة . ولو حدث هذا وانسحبنا فسوف نسعى في المقابل لاتفاقات تداول حر ثنائية ، فقط مع الدول التي تؤمن بإمنا حقيقيا باقتصاد السوق .



وراحت الدبابات تجوب شوارع القاهرة

لم تنته تلاوة هذه الكلمة ، إلا وراحت الدبابات تجوب شوارع القاهرة ، ثم تتخذ مواقع معينة محددة سلفا بطبيعة الحال . مقارنة بالمحافظات الأخرى ، لم تكن الأعداد قليلة في القاهرة . من بينها وقفت دبابتان ظهرا لظهر ، واحدة في أول الشارع الذى تقع به البورصة ، وواحدة في آخره . من بين ما اعتبر ' أماكن حساسة ' أيضا ، الميدان الذى يتوسط مصر الجديدة ، والذى لا يبعد كثيرا عن الجامع الذى كان يلقي فيه الشيخ حجاب خطبه النارية حتى أيام قليلة مضت . في وسط الميدان الخاوى تقريبا من البشر ومن السيارات ، إن لم يكن بسبب قرارات حظر التجول ، فبسبب شدة البرد غير المعتادة في تلك السنة ، وقفت إحدى الدبابات . بدت لوهلة للناس وكأنها لا تفعل شيئا سوى حراسة عربة مترو أثرية يرجع عمرها لأكثر من قرن مضى ، كتب عليها أنها من الرعيل الأول لعربات الخط الكهربى لشركة The Cairo Electric Railways and Heliopolis Oases Company .

كل ذلك حدث في عشية الكريسماس ، حتى لا تجد أميركا -التي كان قد ذهب إليها الزعيم الجديد بنفسه قبل أيام كى يخبرها بخططه- لا تجد نفسها في حرج التعليق على ما حدث لمدة أسبوع على الأقل ، أسبوع العطلات . مجدى ووحيد كانا منذ الصباح المرسلين الآخرين للإنباء بانقلاب القصر المزعم ، لكن لإسرائيل ، كى ينزعا مسبقا فتيل أى توجس من ناحيتها تجاه نوايا الحكم الجديد .



يصيح الحاج عبر الهاتف بأخيه مجدى فى سيارته الحكومية هو ووحيد عائدين من المطار بعد رحلة إسرائيل : ' عديه أنت أو خللى السوق يعديه علينا هنا فى شبرا عند إدوارد . بعد الشطرنج ها أوصله أنا مصر الجديدة ' . لم يكن هناك لعب شطرنج حقيقى ، وكان كل الكلام فى السياسة . وحين حل المساء : يا لالا بينا ، علشان لازم أوصل ووحيد البيت ؟

يواصل زهيرى الحديث وهم يعبران بوابة البيت القديم الذى تفوح منه رائحة الجدران والأخشاب الرطبة حين تدخله وبعد قليل تنساها إلى يذكرك بها من جديد هواء الخارج المتجدد المتجمد ما دون حرارة الصفر : ' ما لك حزين وما بتكلمش . أقطع دراعى إن ما كنت ها تموت م الفرح أن كل نظرياتك ها تتطبق ؟ ' .

- مين قال لك أنى فرحان ؟ كل ده اتطبق قبل كده . طبقه الخديوى إسماعيل وطرده الشعب . قاله أحمد لطفى السيد وطبقه حسين رشدى وعدلى يكن ، وطردهم الشعب فى مظاهرات زعيم الأمة . قاله وحاول يطبقه أنور السادات ، والنهية انطرد م الدنيا كلها . المسألة مسألة جبينات . الاقتصاد الحر ما ينفعش هنا . أى إصلاح ما ينفعش .

- بس المرة دى أنا شايف جدية كبيرة . أول مرة الجيش فى مصر يتدخل لحماية الإصلاح الاقتصادى ، وتطبيق اقتصاد السوق . فعلا كل حاجة جربتتها مصر فى تاريخها ، إلا دى ، الديكتاتورية العسكرية اليمينية ، إلى طول عمرك بتحلم بيها .

- إلى ما تعرفهوش أن دول نفسهم بيقولوا عشر سنين حكم كفاية ، ونرجع بعدها الحكم المدنى . إيه الفائدة ؟ حتى أتاتورك فرض الحداثة وعين الجيش حارس عليها من بعده ، حصل إيه بعد ٨٠ سنة ؟ رجع يحكم تركيا الإسلاميين . تغيير الجبينات محتاج ألفيات ، حتى القرون ما تكفيش . ها أقول إيه ؟ أنا زى زى الناس دول ، وزى ناس كثير مستنيرة مخلصه فى البلاد العربية والمسلمة حوالينا ، بنعمل إلى علينا ، لا أكثر ولا أقل ، لكن الأمل الحقيقى ضعيف جدا . إن كنت اتعلمت حاجة فى حياتى فهى دى . طبعاً لازم نحاول ، وأنا لست ضد أى أحد يسعى للحداثة ، أو يعتقد أنه يسعى للحداثة . الفارق الوحيد بينهم وبينى ، أنى سبقتهم بخطوة فى التفكير ، أرى ما لا يرونه : أن ما فيش فائدة . هذه الشعوب لا تصلح لشيء !

- يخرب بيت أهلك . أنت ليه كده نكد على طول ؟ أنا كنت فاكه ها أشوفك النهارده فى أسعد أيام حياتك . (ثم يتنهى مبطناً من سرعة حديثه ومن سرعة السيارة معا :) قول يا رب !

وطبعاً لم يرد ووحيد ، فيربت الحاج على ركبته ويهزها بقوة : لازم يكون فيه أمل . ليه دائماً تنسى أن أحمد لطفى السيد إلى بتكلم عنه هو إلى اختار اسم الست والدتك ؟ كمان ما تنساش أنك بقيت أحد أعمدة الدولة دلوقت !

- (بيتسم مستنكراً ويقول بلهجة جادة :) أنا ما عملتش حاجة . أنا كنت مترجم وبس . رغم أن مجدى يملك هو وأخته معظم أرض الشريط الحدودى ، إلا أنه لم يقابل فى حياته إسرائيلياً واحداً ، ولا يعرف من العبرية أكثر من كلمة شالوم .

يضغط الحاج دواسة وقود السيارة وهو يقول : ياه ! الوقت اتأخر أوى !

- قصدك حظر التجول ؟ ما تخافش ! أنا معاى تصريح . تصريح كان مستنينا فى المطار !



الربيع — أو : نيرثانا المسيح-الضد



بيقولوا ها يلغوا كل حاجة من بطاقة التموين ، وها يخلوا عليها بيبي واحد !

‘رجعنا لقعدة المطلقة تاني !’ ، قالتها ميرفت بضجر . ‘أنا موش واحدة على كده . موش عارفة ها أعمل إيه لو ما لقيتش شغل تاني بسرعة !’ .

يجذبها سامر من يدها ويأخذها لمكتب إدوارد ، حيث يقول له بلهجة الأمر ‘اطلع بره !’ ، فينفذ بانصياع . يجلس إلى مكتبه ، كل هذا بالطبع وسط ذهول ميرفت .

- إيه إالى عملته ده ؟ الشركة ها تقفل صحيح ، بس موش أنت إالى ها تورثها .

- اخرسی يا بت !

يخرج من درج إدوارد ثلاثة ملفات بأرقام كبيرة بخط اليد ١ ، ٢ ، ٣ : ملف رقم واحد : أنا موش المدير الجديد ، أنا مقدم استقالتي ، وده طلب الاستقالة . ملف رقم ٢ : خطاب من شركة كيوييد للسيد المحترم سامر على السيد بالحضور لاستلام وظيفة منفذ أوامر .

تشهق ميرفت : مبروك ! إمتى حصل يا ندل ؟

- ملف رقم ٣ : فاتورة بعدد واحد سهم كيوييد ، مهر الأنسة ميرفت جميل أنور !

- (تميل لتنظر في الورقة وهي تقول بدلال :) مكتوب كده ؟

- (عندما يصبح خدها أمام وجهه يقبلها :) موافقة ولا لأ !

- (بحزم مصطنع :) لأ ، موش موافقة !

يرن الجرس بطريقة إدوارد بالميل بشدة بالكُرسى للوراء مع حشر ساقيه بسقف المكتب . تصرخ ميرفت : بتعمل إيه يا قزعة أنت ، ها تقع ، أستاذ إدوارد طولك مرت... !

ويقع فعلا قبل أن تتم الجملة ، في نفس اللحظة التي يدخل فيها الجميع لمجرد سماع صوت الجرس . يعلقون كثيرا على منظر سامر على الأرض وميرفت منكبة فوقه : ' أنتم بتعملوا إيه بالظبط ع الأرض ! ' ، ' مستعجلين قوى ! ' ، ' من دلوقت ها تنام ع الأرض ؟ ' ، ' آمال ها تعمل إيه لما تخلف ! ' ، ' يقولوا ها يلغوا كل حاجة من بطاقة التموين ، وها يخلوا عليها بيبي واحد ! ' ، ' أيوه ! حاولوا تنسوا بقى أيام المشاوخ إلى بيتجوزوا أربعة ويخلفوا عشرين وبعدين يطلعوهم مظاهرات يقولوا عاوزين عيش مدعوم ! ' ، ' فيه سن معين نجيب فيه الطفل يا أستاذ رامى ، ولا نجيبه بمزاجنا ؟ ' ، ' أنا عاوز أقول لك حاجة ... ' ، ' أنا عاوزة أقول لكى حاجة ... ' ، لكن أَلطاف تقطع كل هذا بزغودة طويلة مجلجلة .

تدريجيا ينسلون واحدا تلو الآخر للخارج . أسد وعارف ورزق يسألون أَلطاف عن سبب قدومها اليوم ، فتحديثهم عن أن ابنتها على وشك دخول الحضانة بعد شهر ، وجاءت من أجل إيداع بعض النقود الإضافية في حسابها ، لأنها تخطط أن تشتري لها أشياء كثيرة حين يأتي وقت المدرسة . أسد يسألها هل شاهدت فيلم ' اللمى ' ، ' طبعاً ! مين ما شافهوش ؟ ' ، ' لازم جميلة تشوفه . هو الكمبيوتر بتاعها شغال كويس ؟ ' ، ' أيوه ، البركة في الأستاذ رامى الله يستره ' ، ' ها أبعت لك مع عم ضهرى نسخة هدية منى للبنوتة ' ، ويناغصه عارف ورزق قائلين لها : ' الفيلم ده دستوره في الحياة ! ' ، ' زمان كان بيتعاطى بانجو ، دلوقت بيتعاطى فيلم اللمى ' ، ' خدى بالك ، أسد ده لاسع ! يا ريت دستوره كان حاجة نظيفة ، كتاب السياسة بتاع أرسطو مثلا ، زى الأستاذ وحيد ! ' ، ' الفيلم كويس وكل حاجة ، بس هو إلى فاهمه معوج . مهتم بآخر دقيقة بتاع الكتابة الإنجلش ، وموش واخد باله أن أهم دقيقة هي أول دقيقة بتاع ' وقف الخلق ' ، إلى بتلخص كل فضيحة مصر وكل تاريخها ! ' ، ويسكتنهما أسد : ' هش هش يا ديك ، الفرخة دى موش ليك ! ' ، ' ويعارض عارف : ' أحسن مشهد سينما لخص المصريين في ثواني قليلة ، مشهد الراجل إلى فضل يطوح السيف ويصرخ في وش إنديانا جونز ، لغاية لما زهق من أنه طول في تطويح السيف والصراخ ، طلع المسدس وإدى له رصاصة نزلته ساكت ! لا توجد لحظة عبقرية في تاريخ السينما أكثر من هذه ' . عاصفة الردود لا تنتهى : ' ليه بس كده يا جدد أنت ؟ عاوزهم يعملوا كده معنا ؟ ' ، ' بس ده كان لابس بدوى ؟ ! ' ، ' صح ! المصريين ما طومش في السيوف ، لهم في التحطيب ! ' ، ' وإنديانا جونز قصده إيه غير كده : أنتم بتوع زعيق وبس ؟ ! ' ، ' بص يا حاج ، إحنا تلامذتك وتعلمنا منك أن الخطابة والجمععة والتهديد بالسيف دى صفات عربية . يعنى فيلم إنديانا جونز خلط بين المصريين والعرب ! موش يبقى اللمى أحسن ؟ ! ' ، ' عندك حق يا بنى ، وإن كان برضه اللمى وقع لحد ما في نفس الغلطة . موش هو ده لب الشخصية المصرية ؟ أنا نفسى حد يخترع مشهد صغير عبقرى زى دول يلخص طبيعتها واثكاليته وذكاءها وفهلويتها وتفرداها وانبهار العالم بها رغم كل عيوبها ' .

بعد دقيقتين أو نحوهما تخلو حجرة إدوارد تماما . حتى ميرفت وسامر خرجا كى يطلبوا من نصر الله إحضار فطائر وعصائر ومكسرات تحية للحاضرين . لم يكن ونس هناك حتى يبتزها أو يجرهما ، إنما فعلا ذلك من تلقاء نفسيهما . حين يسمع إدوارد ذلك منهما ينهرهما ويقول ' الحساب عندى ! ' .

لم يبق في الحجرة سوى سماء . إذ ظلت متسمة أمام مشهد الكُرسى الملقى على الأرض ، هذا الذى ذكرها بأول يوم أنت فيه إلى الشركة !



أنتم عاملينها جنازة كده ليه ؟

- الشركة بتصفى وها تقفل قريب . الشركات إلى زينا ما لهاش مستقبل . إلى بيتوسعوا دلوقت ناس زى كيوييد والسى آى بى . بالذات بعد إلى حصل في البلد ، ومناخ الاستثمار الجديد ، فلوس كتيرة دخلت ، بالذات استثمار ، صناديق ومحافظ ، موش مضاربة . هم يفتحوا فروع وطالبين موظفين ، وإحنا ما فيش غير نقول عمر إلى فات ما ها يرجع تانى . كمان الإنترنت أخذت معظم الشغل منا . سماء بتقول ها تعمل كل حاجة وهى قاعدة في النادي ، من غير حتى ما تاخد كمبيوتر معاها . البورصة ها تبقى زى كباين التليفونات في الشارع . ها تبقى في كل ماكينات الصرافة الآلية بتاع البنوك ، تشتري وتبيع وتسحب الفلوس وأنت واقف . كمان ممكن كمان تشتري وتبيع من الخليوى بتاعك ، وبس تروح جنب أى ATM لأى بنك لو عاوز تسحب فلوس نقدى ، في ثانية ها تاخد منك التحويل بالبلوتوث وتطلع لك الفلوس . كل المطلوب

منك أنك تمشى في جيبك الصغير بتوكين التوقيع الإلكتروني زى الختم النحاس إلى كان بيمشى به جدى زمان ؛ فاكرو يا زهرى ؟ تقريبا موش ها يفضل لشركات السمسرة وظيفة إلا الاكتتابات ، وجايز دى كمان يلحقوا لها طريقة بعد شوية ، تنفذها من غير ما تقوم م السرير ! أنا ومينا ها نشترى معرض السيارات إلى كنت بأفكر فيه في سفير جنب المدرسة الإنجليزية . معرض كبير وناجح ، إنما الفلوس موش ها تكفى ، وزهرى ها يشارك معنا ب ٢٠ ٪ . روميو ، أنت دلوقت العميل الكبير الوحيد المتبقى من إلى بيشتغلوا يوميا ، وأكد ها ترجع تانى للسى آى بى . سامر ها يشتغل خلاص في كيوييد . ميرثت قدمت على شغل في السى آى بى . يعنى برضه جايز موش ها تبعد عنا .

- أنا كمان يا أستاذ رامى موش ها أروح بعيد . أنا الوحيد إلى ما اترددتش ، وها ياخذنى الأستاذ إدوارد معاه الأجانس . قهوته المية مية مستنياك هناك !

- أنت واقف هنا بتعمل إيه وسط الناس المحترمة يا حنة ساعى ؟ غور ...

- أنتم عاملينها جنازة كده ليه ؟

- جنازة طبعا ! وأى جنازة ؟ !

- دى لا أول ولا آخر شركة ها تتقفل !

- دى موش أى شركة يا عم زهرى . دى عشرة [بكسر العين] . أيام رمسيس دى ها توحشنى جدا جدا ، تأكد من كده . في السى آى بى ، ما فيش مجلس أمن ولا خمسة كبار ولا فيتو ولا ديمقراطية ولا فتاوى ولا رهانات ولا نفير ولا طبعا زغاريد . فيه محللة واحدة اسمها نشوة ، محللة قاعدية ، مشوا المحلل التقانى وجابوها هى ، كلمتها لا تصد ولا ترد ، نافذة على المليون عميل في ال ١٠٠ فرع !

- بس فيه ستات حلوين ! جايز نشوة دى كمان حلوة زى اسمها ! إنما أنت ليه موش بتفكر تفتح كافيه الحشيش إلى قلت عليها ؟ أنت بتعامل الناس بلطف وشياكة وبتاع سياحة أصلا ، وأكد ها تنجح .

- إيه يا حاج ، نفسك بدأت تهف على روحانيات الحشيش ؟ أنا بأقول ألف فكرة يا حاج ، إنما ما أفتكرش أنى مدير موش كويس . أنا إدمانى الوحيد هو الأسهم ، وهى إلى بأحبها وإلى فالح شوية فيها ! عاوزين نبقى نشوفك . اوعى تقول ها تقعد في القناطر ما تنزلش ؟ التليفونات موش كفاية . لازم قعدات الشطرنج على الأقل . الشطرنج قبلك ما كانش شطرنج ، وموش عاوزين نرجع ل level الهواة تانى .

- هواة ؟ أنت لسه بتقول أنك هاوى بورصة وما تنفعش مدير ؟ تعرف إيه هو تعريف الهاوى والمحترف ؟ الهاوى من يجيد شيئا يحبه ، والمحترف من يجيد شيئا لا يحبه . إذن لا تبتئس كثيرا ، فيا عزيزى كلنا هواة ! ثم أنت كنت فاضى أصلا للشطرنج يا سى روميو ؟ كل ليلة في إيديك شغل !

- موش ها تبطل ' الظلم ' بتاعك ده ؟ رغم كل ' الشغل ' إلى بتقول عليه ، كان لازم آجى لكم شيئا ولو مرة في الأسبوع . المهم ، آدى أنت عرفت ، كل يوم ها أبقي موجود في السى آى بى .

- أشوفك في الأجانس أو في شيئا عند إدوارد ، وإن كنت موش ها أقدر آجى كثير زى زمان . كمان ها أنقل حسابى للسى آى بى ، فرع روكسى زيك .

- يبقى ها نشوفك كثير ! أنت لازم طبعا تحادى على سهم الفراخ !

- الحقيقة موش ها أقدر آجى كل يوم .

- ليه ؟ خايف على نفسك من الستات ؟

- لأ ، ها تبقى عندى حاجة تانى تشغلنى .

- إيه ها تحج للهيما لايا ؟

- موش بالظبط !



كل إلی ورا الباب علیکی أنتی

- إنتی ها تقابلی دکتورة یسری شخصیا ؟ ! تعرئی أن ما فیش ولا واحد من عملاء الشركة هنا ، باستثناء عم ضهری طبعاً ، شافها . كانت فی الجنازة ولا واحد فینا عرفها ولا سلم علیها . حتی الأستاذ وحید یقول أنه ما تعرفش بها إلا مرة بالصدفة .
- (محتدة بقوة :) أنت ها تهز ! سیبنی وھیاتک یا سامر . أنا فی إیه ولا إیه ؟ ! دی یقولوا علیها ما بترحمش . والحاج فهمنی خمسن مرة أنه موش واسطة . روحی وأنتی وشطارتک . ها أفتح لك الباب ، هی دی الخدمة . إنما بعد کده ، کل إلی ورا الباب علیکی أنتی . إلی أعرفه حاجة واحدة : إنی ها أقف أترعش قدامها !
- یقبلها قائلاً : ' وإلی أعرفه أنا أن میرثت حبیبتی تفوت فی الصخر ! '
- هو إمتی ها یطبق نظام التعین بالچینوم إلی کان قال علیه ؟ ! صحیح ها یعرفوا أنى بأرتبک فی موقف زی ده ، لكن من غیر ما أتخط فی الموقف نفسه فعلاً .



نیتانیاهو قال لك كده فعلاً ؟ !

- یصیح الحاج عبر الهاتف بأخیه مجدی فی سيارته الحكومية هو ووحید عائدين من المطار بعد رحلة إسرائيل : ' عديہ أنت أو خللی السواق یعدیه علینا هنا فی شبرا عند إدوارد . بعد الشطرنج ها أوصله أنا مصر الجديدة ' . لم یکن هناك لعب شطرنج حقیقی ، وكان کل الکلام فی السیاسة . وحين حل المساء : یا لالا بینا ، علشان لازم أوصل وحید البیت ؟
- یواصل ضهری الحديث وهم یعبران بوابة البیت القديم الذی تفوح منه رائحة الجدران والأخشاب الرطبة حين تدخله وبعد قليل تنسأها إلی یذکرک بما من جدید هواء الخارج المتجدد : ما لك حزين وما بتتکلمش . أقطع دراعی إن ما كنت ها تموت م الفرح أن کل نظریاتک ها تتطبق ؟
- مین قال لك أنى فرحان ؟ کل ده اتطبق قبل کده ...
- بس المرة دی أنا شایف جدیة کبيرة ...
- إلی ما تعرفوش أن دول نفسهم یقولوا عشر سنین حکم کفاية ...
- یخرب بیت أهلك . أنت لیه کده نکد على طول ؟ ...
- وطبعاً لم یرد وحید ، فیرت الحاج على ركبته ویهزها بقوة ...
- أنا ما عملتش حاجة . أنا كنت مترجم و بس ...
- (قالها بثقة وجدیة مفرطین ، وبعض الغیظ ، وهو یقود السیارة لفرملة قوية :) موش المرة دی !
- ینظر وحید باستغراب ، فیواصل : ' ثم أنت موش خطیر ولا حاجة فی العبرية . مجدی لو عاوز مترجم و بس ، ما کانش أخذک أنت ' .
- عرفت إزای ؟ مجدی حکى لك ؟
- مجدی لا یمكن یحکى لی حاجة أبداً ، لا هو ولا یسری ، وأنت عارف کده کویس . أنا فی مخ وبأفهم .
- فهمت إیه ؟

- فهمت أنك ما کنتش مترجم . إلی جابوه علشان یخطب ساعتین فی التلیفیشن لیلۃ التغيرات ، موش ممکن یكون بالنسبة لهم مترجم .
- یأخذ وحید نفساً عمیقاً ، وكأنه یحاول کسب الوقت قبل أن یقرر هل یصح له رواية ما حدث أم لا : فعلاً ، کنا فی معهد وایزمان ، وزرنا شویة شركات تکنولوجی . فیه تفکیر فعلاً أنهم یفتحوا فروع فی مصر ، تصنيع chips الكمبيوتر ، منتجات بیولوجیة ، أفكار کثیر ! مجدی معتقد أنى كنت متابع التقدّم إلی یحصل فی إسرائيل کویس ، علشان کده أخذنی معاه . یقول أن لهم عشرين سنة بطلوا اهتمام بالمتابعة دی ،

ومخفضين حجم وشغل السفارة ، لأن ' الشارع ' كان ضد التطبيع ، وكانت المتابعة ها تبقى مجهود وصرف فلوس ع الفاضى ، طالما ما فيش حاجة ها تنفذ .

- (وقد عاد مبتسما ، وعادت السيارة للتحرك :) أنت لوحدهك مؤسسة يا وحيد ! أكيد استقبلوك استقبال هايل هناك ؟

- فعلا ! استقبال خرافي ! بس موش لى أنا . لمجدى . مظاهرة تقريبا . قالوا وكتبوا أنه أول رئيس وزراء مصرى يزور معهد وايزمان منذ مصطفى خليل . قالوا أكثر ٣٠ سنة سلام ، والبلدين ما شافوش مرة واحدة حاجة وحشة من بعض ، بل دخلوا معا معارك اختلطت فيها الدماء الزكية للشعبين ضد عدوهما المشترك ، العرب ؛ إنما الزيارة دى بداية جديدة جدا ، وكأنها أول يوم فى السلام ! المقابلة بين نيتانياهو ومجدى كانت أكثر من رائعة . قال له فيها إنه يحسده ، والسبب هو السلاسة التى يتم بها تطبيق الأمور فى مصر . طالما كانت لديه نفس الأفكار عن الحرية المطلقة ، اقتصادية واجتماعية ، لكنه لا يستطيع تطبيقها عامين كاملين متواصلين ، إلا ويجد الكينسيست قد حل والحكومة سقطت . وقال إنه متفائل جدا بفترة حكمه الحالية ، ذلك أنه يعول جدا على نجاح التجربة المصرية ، ويتوقع أن الشعب الإسرائيلى سيتعلم منها الكثير ، إذ قد تتملكه الغيرة ، ويعيد النظر فى مفاهيمه البالية عن الديمقراطية .



الحضارة چين !

- نيتانياهو قال لك كده فعلا ؟ ! هيبسيه ! أخيرا انتصرنا على إسرائيل ! لقينا حاجة استحالة تتفوق علينا فيها !

- (ضاحكا :) أو جازير الهرم بتاعك سره باتع فعلا !

- لآ ، أنا ها أفهمك كل قصة مصر أصلها إيه يا مستر أرسطو : مثلها مثل أى شىء آخر ، الحضارة چين ! ما وصفته أنت يوما بشبق الكدح والبناء والارتفاع ، ورؤية العالم هرما أو مسلة ، لا يمكن إلا أن يكون رزمة چينيات إن لم يكن چينا مفردا بعينه ، ولا يمكن إلا أن يكون قد ظهر لأول مرة فى مصر القديمة . لا ضير إطلاقا أن قال هيرودوت إن المصريين متخلفين ، أو يقول بلوتارك إن الأسكندر قد جلب الحضارة لمصر ، أو يقول الجنود الرومان إن المصريين كالحى الوجوه متجهمين . كلهم على حق ، لكنهم لا يرون من الحقائق إلا ظاهرها . أى من كل هؤلاء لم ير مصر الحقيقية . لقد كانت قد أفلت وخبا وجهها ، وهيرودوت كتب تشنيعاته على حكام مصر ، فى القرن الخامس ق . ح . ش . ، نقلا بالتحديد عن كلام الفرس الذين لم يجد سواهم ذا كلمة فيها ، وبالأخص أساطيرهم التوراتية الساموية عن تجرير الفرعون الطاغية الظالم ، فما بالك باللاحقين على هيرودوت . أما أن تقول أنت إن فلسفة اليونان أرقى ، فأنت على حق أيضا ، وجميل أن تظل تحاسب مصر بأعلى معايير للحضارة عرفها التاريخ اللاحق ، لا تتخل عن هذا وإلا ستفقد صفة الحضارى أصلا ، لكنى اليوم أجد للأمر تفسيرا عجيبا بعض الشىء : إنه ليس أفول مصر ، إنما صعودها ! الغزوات والأجماد والإمبراطوريات التى حققها أمثال تحتشمس الثالث ورمسيس الثانى استلزمت نوعا من العسكرة الهائلة ، وهى ليست من الطبيعة المصرية التى نشأت على السكينة والألفة (الجنة الوحيدة التى عرفها الكوكب) . لقد فرض علينا البدو أچندتهم ، فكان لزاما علينا أن ندحر عدوانهم ، والنتيجة أن تأكلت روحنا وتضرب صفاؤنا كلها من حيث لم ندرى ولم نقصد . إنه لا يختلف بالمرّة عن كلامك عن أن المتدينين ينتصرون ولو هزموا . أيضا ألا تذكر نظريتك الأخرى عن الحضارة التى تقفز غربا . لقد نسيت الخطوة الأولى جدا : أول هجوم للعرق الساموى لم يكن الهجوم بسلاح المسيحية على أثينا وروما ، إنما الهجوم على مصر ؛ جحافل عصابات الهكسوس والفرس ... إلخ . هنا كانت القفزة الأولى للحضارة غربا (التى عادة ما كنت تحملها) : من مصر لليونان ! لا تنس أن عبادة إيزيس كانت فى كل مكان ، وفلسفة المصريين معروفة لكل إنسان على خريطة روما -أفصد خريطة العالم . ثم لا تنس أن مصر كانت قد استوطنت كريت ، والهجرات الأقدم والأقدم موجودة أيضا ، ولا شك أنها كانت مبدأ انتقال الجينيات ، ونظريات مغبوى الحق السير جرافتون إيلليوت سميث وويليام چيمس بيرى فى مطلع القرن العشرين ، تجلجل فى هذا الصدد حتى وصلت بجينيات المصريين إلى نيو زيلاندا وفنلندا والفوكلاندا أى كل شبر فى العالم ! إذن الأسكندر لم يأت ليدخل مصر للحضارة ، إنما جاء لأنه ابنها ؛ لأنه مشروع قائد جديد للحضارة رأى الفرس البرابرة يطاؤونها فجاء ليحررها ، ومن غباء بلوتارك وغيره أن لم يروا مغزى ما فى استقبال المصريين بكل الود والترحاب .

- إيلليوت سميث ؟ كلام روميو طلع صح . اعترفت أخيرا أنه مغبون ، والأهم أنك تابع سرى له ؟ !



– الآن يمكنك تحرير سيدك أرسطو من أبشع تهمة ألصقها به المغرضون :

أنه كان يشمل مصر ضمنا حين كان يعلم أن كل من هو غير يوناني هو بربرى ،

بينما الحقيقة ببساطة أن فقط لم يصلنا عنه رأيا قاطعا واحدا مسجلا بشأن مصر .

كيف يعلم شيئا مثل ذلك والأسكندر لحظة أن يقع من بين يديه ، صوب تحديدا نحو مصر ، بل إلى مكانين بالأخص جدا :

رحلة خطيرة غير مفهومة وشبه مميتة لواحة سيوة كى يحصل على صك من كهنة آمون أنه ابن حضارتهم ،

ثم رحلة أخرى لا تقل طولا ومشقة للأقصر كى يرمم آثار تحتتمس الثالث ،

باني أول إمبراطورية فى التاريخ ، ويضع اسمه بتواضع تحت أمجاده .

هنا فقط شعر الأسكندر فى داخله أنه بات هو نفسه مهيتا لمسعاه القدرى العظيم : بناء ثانى إمبراطورية للحضارة فى التاريخ !

– أوه ! لا تتذاكى على ! ربما تقصد أنى بالأحرى أستطيع تحرير نفسى ؟ !

– الآن يمكنك تحرير سيدك أرسطو من أبشع تهمة ألصقها به المغرضون : أنه كان يشمل مصر ضمنا حين كان يعلم أن كل من هو غير يوناني هو بربرى ، بينما الحقيقة ببساطة أن فقط لم يصلنا عنه رأيا قاطعا واحدا مسجلا بشأن مصر . كيف يعلم شيئا مثل ذلك والأسكندر لحظة أن يقع من بين يديه ، صوب تحديدا نحو مصر ، بل إلى مكانين بالأخص جدا : رحلة خطيرة غير مفهومة وشبه مميتة لواحة سيوة كى يحصل على صك من كهنة آمون أنه ابن حضارتهم ، ثم رحلة أخرى لا تقل طولا ومشقة للأقصر كى يرمم آثار تحتتمس الثالث ، باني أول إمبراطورية فى التاريخ ، ويضع اسمه بتواضع تحت أمجاده . هنا فقط شعر الأسكندر فى داخله أنه بات هو نفسه مهيتا لمسعاه القدرى العظيم : بناء ثانى إمبراطورية للحضارة فى التاريخ !

– أوه ! لا تتذاكى على ! ربما تقصد أنى بالأحرى أستطيع تحرير نفسى ؟ !

– الحضارى البناء -وبحكم التعريف- هو العكس من البربرى البدوى (بتوع الهجرة الدائمة من إبراهيم أبى القوادين عليه السلام إلى محمد ابن آمنة إلى شكرى أحمد مصطفى) . هو يطلب الاستقرار ويكره الارتحال ، لذا فالحركة عنده تملبها عامة الضرورة القصوى لا الرغبة ، ولا تحدث إلا على فترات زمنية بعيدة ، والأهم أنها عادة ما تكون لمكان منعزل ومن ثم قابل للإعمار ومن ثم للاستقرار فيه لأجيال طويلة : من أخذود النيل الحصين ، لجزر اليونان ، أو لشبه جزيرة إيطاليا ، أو للجزر البريطانية ، أو حتى للضفة البعيدة الأخرى من المحيط . والحضارة حين تنتقل لمكان جديد ، تنتقل كى تقهر الأتروپى (التى سببها اختلاط المصريين -العديين- بالعرق الساموى) من ناحية ، ولكن كى تبدأ مستويا جديد أعلى لها من ناحية أخرى . هذا المستوى الجديد الفائق التام لم يتحقق كلية إلا فى روما ، حينما لم تعد العسكرة انتقاصا للروح إنما جزءا منها ، تماما كما الفكر والقيم والمبادئ ، حيث يتماهى الكل فى المادة التى صنعنا منها ، وتصبح الفلسفة ناطقا أميننا بلسان أمنا الطبيعة لا أكثر ولا أقل . هنا فقط اكتشفت الحضارة الحكمة الكاملة لأمننا الطبيعة ، فلسفة القوة ، قوة الخير وخير القوة (نجيب محفوظ ، لا تقلق ، لن ننساك أبدا !) .

– لا تذهب بعيد ! بما أنك ذكرت أرسطو ، فبصفتى ماضى أرسطى أصولى متحجر الفكر ، فستظل هناك دوما أشياء سأموت قبل أن أفهمها . لقد كانت رحلة شاقة وأيضا ممتعة تعلمت فيها الكثير عن مصر وشعب مصر ، وارتفعت نظرتى لها ولهم من النقيض الشرير -أو على الأقل المتخلف- لليونان وروما ، إلى الأم المربية العظيمة لهما ، لكن سيزل يصعب على مثلا فهم لماذا ينفق الفرعون كل هذا الجهد وكل هذه الاختبارات لآخر حدود التقنية من أجل بناء مقبرة ومعبد خارقين لكل تحديات الطبيعة ، بينما هو شخصا يعيش ويببب كل حياته فى منزل ويدير إمبراطورية من مكتب كليهما متواضع جدا لدى المقارنة . بالنسبة لأمثالى يصعب أن يصرح السفنكس بكل أسراره ، لذا دعنا نظل فى لغز يمكن أن أفهمه يوما : إذا كنا قد اتفقنا أن الأصل فى جبين الحضارة شبق الكدح والبناء والتطلع الرأسى ، بينما الوفرة والرفاه هى النتيجة ، لذا حين تبدأ الحضارة فى التحول للانغماس فى الذات self-indulgence ، يبدأ الجبين الأصلى فى التملل ، وربما يهاجر لهذا السبب فى حد ذاته !

– يا عم أنا إلى موش قذك ! ... على فكرة : أوزيريس سبق أستاذك أرسطو إلى تصنيف الكائنات ، فهو الذى درس خصائص النباتات جميعا ، ومنها اختار بنفسه الشعير طعاما وشرابا للمصريين ! ... على فكرة كمان : ده بيرد سخرتلك من فكرة الفوتون الرسول ؛ يعنى مصر

القديمة وابتنيها اليونان وروما الغوصيتين سبقوا أينستاين لنظرية النسبية ؛ أدركوا استحالة وجود إله كلي القدرة ، ففرقوا بين الإله البعيد إلى يستحيل الاتصال به والآلهة المخلوقة أو ال lesser gods أو الصانع ال Demiurge (إلى كنا بنقول عليهم يخلقوا بصوابهم موش بلسانهم) .

- لآ ، وأنت الصادق ، الموالد بتاعة الشفاعة بتاعتك هي إلى سبقت أينستاين !

- ها ! ها ! ها ! أيوه كده ، صحصح معاى يا راجل !



الأهم من كل ده موش نص المليون الكوادر إلى اتقبض عليهم وتركوا يتعفنون في الصحراء ،

إنما حوالى ٢ مليون تانيين من القبائل العربية أخذوها من قصيرها وبدأوا يسبوا مصر ويرجعوا للسعودية .

لقد ذعروا من مشهد الهدوزرات التي راحت تنبش قبر عبمعصور وتهدم مسجده ،

لنتحول بعدها بدقائق لنيران تسوى بالأرض قبر زغد سعلول وما سمي ببيت ' الأمة ' ،

اللفظة التي ما قصد بها قط إلا معناها اللغوى الأصلي جدا قبل ٤٠٠٠ عاما ، شراذم العبرانيين العرب الهوام القادمين من الشرق ،

وشملت أيضا كل تماثيل مجرمي ما سمي في مطلع القرن العشرين بقيادة الحركة الوطنية التي تعج بها ميادين وسط القاهرة ،

أولئك الذين على أيديهم في ١٩١٩ كتبت نهاية أعظم نضمة مصرية منذ العصر الفرعوني ،

هذه التي قادها اللورد كاسيل واللورد كرومر عبر البنك الأهلي المصرى

(بما فيها تمثال طلعت حرب ، الذى ساعتهما لم يعد وحيد يشعر بأى شىء إيجابى أو سلبى تجاه اشتغال جد والدته معه) .

لقد أدرك هؤلاء الأغراب الأعراب أن عيشهم قد انتهى على أرض هذا البلد ، التي لن يوقفها شىء عن تطهير تراثها منهم .

... العملية برمتها تمت بعلانية صارخة وسلاسة مذهلة ،

حتى القضاة الإسلاميون استقالوا وسلموا أنفسهم للصحراء ، بحيث لم تجد فرق الموت السرية هدفا يذكر لها !

- تعرف إيه الاهتمام إلى أخذته أنا في الزيارة دى ؟ نيتانياهو حب يعرفنى أنه عارف أنى كاتب ومثقف وموش بس مترجم فبص لى وقال لى باستغراب : ' الظاهر بلدكم دى ها تفضل طول عمرها بلد الشطحات ، والعالم كله لازم يفضل بمشى ورا نزواتكم ! ' . قلت له مبتسما إن ال Butterfly Effect حقيقة علمية تقول بها نظرية الفوضى ، فرد بجدية : ' هذه المرة لم تأتوا يشطحة واحدة بل ب package متكاملة لأشياء (ربما فكر بها البعض من قبل لكنها من يحدث أبدا أن اجتمعت معا ، ناهيك عن أن تنفذ فعلا) : ديكتاتورية الحداثة التي يلحم بها كل حاكم متحضر في العالم ، مقاومة الإرهاب بأسلحة الدمار الكتلى حيث ثبت أن لا وسيلة ناجعة أخرى ، الانسحاب من الأمم المتحدة (وهذا مما نفهمه جيدا عندنا في إسرائيل لأننا طالما عانينا الولايات من هذه المنظمة ، لكن لم نصل قط لنقطة التفكير في الانسحاب) ، وأخيرا ما فاق الكل : الفرز العرقى . كثيرون حاولوه وبالذات ضد اليهود ، لكنكم أتيتم به في لحظة كاد يعتقد فيها العالم إنه صار كله عرقا واحدا مختلطا ، وأنه لا يمكن استعادة النقاء الأصلي لأى عرق . بالنسبة لعرب إسرائيل كان كل تفكير البعض عندنا مجرد فصلهم بأراضيهم عن بقية البلاد ، إلا أنكم فتحتم لنا الباب لتطهير إسرائيل كليا من آخر فلول الاحتلال العربى ، تطهيرها نهائيا من المحتل الغاصب ، وإزالة آثار العدوان للأبد ' . علقت قائلا : ' نحن المصريون ندين للرئيس السادات بفضل أن عرفنا من هم أصدقاؤنا الحقيقيون في المنطقة ومن هم أعداؤنا ' ، فرد قائلا : ' والإسرائيليون أيضا ! ' . طبعا عرفت إيه الخطة إلى ها تتعمل لسكان غزة ؟ ها يرحلوا لأرض في النقب على حدود الضفة الغربية ، وها تتجرف كل المباني العفنة دى للبحر وتبنى فوقها شواطئ رملية جميلة ، ومصر ها تضم أرض مساوية من رفح للعريش إلى فرغناها من العرب ، وها تبقى أول منطقة حرة مشتركة بين بلدين في التاريخ لغرض سياحى . أحب أقول لك إسرائيل مصممة زينا بالظبط أن ما فيش عرب إلى الغرب منها ، وتقول إنه يكفيها جبهة واحدة ، وإن مصر هي ضهرها ... يا عم ضهرى !

- وطبعا ' ضهرى ' دى معناها تبعات ومسئوليات : ليبيا والسودان مثلا ! ... على فكرة ، شطحة السادات ماشى ، إنما بقية الشطحات دى كلها من عندى أنا ! ها ! ها ! أنتم موش فاهمين السر في حكاية الشطحات ، الحكاية ما فيهاش لغز ولا حاجة ولا حتى يصح تتسمى شطحات ، إنما أبسط مما تتخيل : بما أن مصر هي أم المسالمة والطيبة والدين والاعتدال والوسطية والموت والأنثروبى وكل الحاجات إلى غايطاك

دى ، لما تعمل حاجة -أى حاجة- لازم تلفت أنظار كل الدنيا . موش أكثر أو أقل ! إنما سيبك من كل ده ، الأهم من كل ده موش نص المليون الكوادر إلى اتقبض عليهم وتركوا يتعفنون فى الصحراء ، إنما حوالى ٢ مليون تانيين من القبائل العربية أخذوها من قصيرها وبدأوا يسيبوا مصر ويرجعوا للسعودية . لقد ذعروا من مشهد البلدوزرات التى راحت تنبش قبر عجمصور وتهدم مسجده ، لتتحول بعدها بدقائق لنيران تسوى بالأرض قبر زغد سعلول وما سمى ببيت ' الأمة ' ، اللفظة التى ما قصد بها قط إلا معناها اللغوى الأصلى جدا قبل ٤٠٠٠ عام ، شراذم العبرانيين العرب الهوام القادمين من الشرق ، وشملت أيضا كل تماثيل مجرمى ما سمى فى مطلع القرن العشرين بقيادة الحركة الوطنية التى تعج بها ميادين وسط القاهرة ، أولئك الذين على أيديهم فى ١٩١٩ كتبت نهاية أعظم نهضة مصرية منذ العصر الفرعونى ، هذه التى قادها اللورد كاسيل واللورد كرومر عبر البنك الأهلى المصرى (بما فيها تمثال طلعت حرب ، الذى ساعتها لم يعد وحيد يشعر بأى شىء إيجابى أو سلبى تجاه اشتغال جد والدته معه ، فقط تساءل بينه وبين نفسه هل سيسمونه ميدان اللورد كاسيل ، أو يسمون ميدان الإسماعيلية ميدان اللورد كرومر فلطالما كان معسكرا للجيش الإنجليزى ، أو يطلقون اسم السير إيلليوت سميث مثلا على العاصمة الجديدة المزعة لمصر) . لقد أدرك هؤلاء الأغراب الأعراب الأعرار أن عيشهم قد انتهى على أرض هذا البلد ، التى لن يوقفها شىء عن تطهير تراثها منهم . . . العملية برمتها تمت بعلانية صارخة وسلاسة مذهلة ، حتى القضاة الإسلاميون استقالوا وسلموا أنفسهم للصحراء ، بحيث لم تجد فرق الموت السرية هدفا يذكر لها !



جيين الحند !

- أنا فعلا مندهش يا ضهرى من السرعة إلى بتتطور بها التقنية دى . أمكن تحديد الجيينات الضارة المتخلفة موش فى العرب بس ، إنما فى كل الأعراق ، وبدأ وضع معايير مدروسة لأين نضع خطا أحمر ، وإلا مثلا كان رئيس وزرائنا وكان أحلى صديق لى اعتبروا عرب ودخلوا فى مشاكل ، لمجرد جيين هنا أو هناك !

- أيوه ، بالذات وأنى قضيت معظم عمرى سفر ، بينما الحضارى الحقيقى لازم يكون مزروع فى أرضه لا يرتحل أبدا ، ولا حتى باسم السياحة . سمعت عن نجيب محفوظ ؟

- أمى سافرت ، أنا سافرت ، أنت سافرت ، وملايين المصريين الطيبين سافروا ، حقبة سوداء وانزاحت .

- الواضح أن جدة لنا كانت مصرية واختطفت أو شىء كهذا ، وهى التى غلبت الجيينات المصرية فى جزء من تلك القبيلة العربية . الحكاية كلها جيين واحد الذى يفرق البنائين عن الطفيليين أو حسب أرسطو الحضاريين عن البرابرة ؛ جيين الحند ! سأقضى بقية عمرى مدافعا عن إطلاق اسم الحند عليه بدل الحروف والأرقام الغبية إلى إدوها له ، طبعا باعتبار أن السادات هو مكتشفه الحقيقى قبل تحديده المادى هذا بأكثر من ثلاثين سنة . الراجل لما قال قدرت على كل شىء فى مصر إلا الحقد ، كان يتكلم حرفيا جدا بلغة الجيينات لأنها الشىء الوحيد الذى لا نقدر عليه إلا بالإبادة ، بل وكان يوحى لنا بأن جيين خصلة trait الحند هو الذى يدور حوله كله شىء !

- أنت نفسك كنت بتقول موضوع الجيينات والتصاحبات والحاجات دى معقد جدا ، وسيثير مشاكل هائلة جدا ، فإذا به يتضح أن العملية أسهل مما تخيلنا (تجميع جينومات المتهمين فى قضايا الثأر أو جينومات متعددى الزوجات أو جينومات أولئك السياسيين الذين أرسلناهم للصحراء ، وإرسالها لحواشيب لتدرسها وتقول لنا أية جيينات بالضبط ينفرد بها هؤلاء أو أولئك ، بحيث يمكن سلفا اتخاذ إجراءات ضد من يعثر لديه على مثل هذه الجيينات) ، ثم يتضح فى لحظة أن كل اللعبة بتدور حول جيين واحد شيطانى فقط لا غير . . . يا للهول ! فى لحظة نكتشف أن أن الأوان لم يفت بعد لاستعادة النقاء لأعراق البشر المختلفة ، على الأقل الجيد منها ، انتظارا بالطبع ليوم تبدأ فيه الهندسة الجينية إبداع تصاميم لكائنات أدق بناء وأشد رقيا منا بكثير .

- ليس معنى أنه قد حل أنى كنت على خطأ ؛ هذه طبيعة العلم ، يسعى بدأب وراء أعقد المشاكل حتى يصل فى خاتمة المطاف لحلها ، وأنا لم أقل قط أن لمجرد أن هذا صندوق پاندورا لا تقتربوا منه . العكس هو الصحيح ، أنا كنت أعلم سلفا أن هذا اليوم سيأتى حتما !

- بالتأكيد ! هذا ما أردت أنا نفسى قوله لك . لم أقصد شيئا غير هذا . فقط أردت شكرك على ما تعلمناه منك ، وتقديرك على فهمك لموضوع الجينيات ، هذا الذى هو نفسه كأنه شيء فى جينياتك . ها ! ها ! إنما أنا عندى سؤال : كل إالى حصل فى مصر ده وموش عاوز تسميه انتخاب غير طبيعى ؟ !

- بالعكس ، ده انتخاب طبيعى جدا ؛ الانقلابات البيئية جزء أساس من التاريخ الطبيعى ، إن لم نقل هى قاطرته !
- طبيعى إزاي والانقلاب ده إحنا إالى عملناه بإيدنا ؛ حفنة معروفة من الناس ؟ !



غلطة قاتلة ما كان يجب أن تمر على الخيال الجبار لدكتور دوكنز : لا يوجد شيء اسمه الميم ؛

الأفكار كلها موجودة فى الحزنون المزدوج العادى تماما ، ولسنا فى حاجة لخلق مفهوم اعتبارى خاص بها .

بل أذهب لما هو أبعد : اللغة بكل مفرداتها موجودة فى الجينيات ؛ اللغة برمته جين !

الشباب لا يضيف كلمات جديدة للغة كما قد يبدو لنا ، إنما فقط ينطق بما تطفّر داخل نويات خلاياه من كلمات جديدة ،

وشخصيا لدى دليل قاطع جدا على هذا !

- أتصدق حقا هذا الهراء ؟ أتصدق حقا أن هناك شيء اسمه شطحات ؟ فقط المكتوب ع الجين لازم تشوفه العين ، وأحيانا يكون المكتوب هو الفناء ؛ دون قصد طبعا تكتشف البركة الجينية أن بداخلها آلية دمار ذاتى لم تنتبه لها وتبدأ عواصف الإبادة !

- ها ! ها ! هل تقصد أن التاريخ الطبيعى يعرف فقط التطفرات ، ولا يشمل مصطلحا اسمه شطحات ، أم تقصد أنه لا يوجد هذا ولا ذاك ، وأنه يوجد فقط ' شوائب ' ؟ لا تقل لى إنك تقصد أيضا أن المصريين هم شوائب هذه الأرض ؟ !

- ربما بالفعل . ما أنا واثق منه تمام الثقة أن كل شيء فى الجينيات . هل تعرف ما هى العبارة التى جربتها على طابعة أول حاسوب اشتريته لمنى ؟ Everything Is Gened! ، لعله كان على أن أجرب اسمها مثلا كى أشعرها بالسعادة ، لكن ذلك هو ما حدث لا شعوريا ، ربما لأنه كان الهاجس الشاغل لى لحظتها ، أو أيا ما كان . كتاب ' الجين الأنانى ' الذى كنتم تنتون ترجمته ، بالفعل كتاب يقلب الدماغ كما قلب الأرنب ، على أن به غلطة قاتلة ما كان يجب أن تمر على الخيال الجبار لدكتور دوكنز : لا يوجد شيء اسمه الميم ؛ الأفكار كلها موجودة فى الحزنون المزدوج العادى تماما ، ولسنا فى حاجة لخلق مفهوم اعتبارى خاص بها . بل أذهب لما هو أبعد : اللغة بكل مفرداتها موجودة فى الجينيات ؛ اللغة برمته جين ! الشباب لا يضيف كلمات جديدة للغة كما قد يبدو لنا ، إنما فقط ينطق بما تطفّر داخل نويات خلاياه من كلمات جديدة ، وشخصيا لدى دليل قاطع جدا على هذا ! ... فى طفولتى كان من عادتى التجول فى شوارع القناطر ، بل فى الواقع أنا أحفظ كل حارة وكل بيت . ذات بعد ظهيرة فى إحدى الحوارى الضيقة الفقيرة سمعت صوت خناقة بين رجل وامرأة تبعث من دور مكون من دورين ، وفى وسط الشارع امرأتان تحاول واحدة منهما أن تشرح للثانية ما سبب هذا الخلاف . أنا لم أكن فضوليا لدرجة أن أفق وأتلصص على هذه القصة ، لكن لحظة مرورى بالضبط لجانبهما ، كانت المرأة الأولى تقول للثانية ' جه وناكها الصبح ! ' . هنا وجدت قضيبى الصغير ينتصب لأول مرة فى حياتى ، ويسرى به شعور لذيد غريب ، لدرجة أن تقريبا أصبت بالفرع . لا أعرف هل كنت قد سمعت تلك الكلمة من قبل أم لا ، لكن قطعاً لم أكن سمعت أى شيء عن الجنس ، ولو سمعتها أو سمعته لم أكن قد فهمت أى شيء منه على الإطلاق . الآن أنا متأكد من شيء آخر : أن ذات الشيء كان سيحدث لى لو كنت قد سمعت الكلمة بأية لغة ولو من أفريقيا أو أميركا الجنوبية ، أو على الأقل بعدد لا بأس به من لغات العالم . ليست كلمتا ماما وپاپا التى يقولها الرضع هى وحدها المبرجة جينيا !

- (واجما :) هل أنت متأكد أنك كتبت Everything is gened على الطابعة ؟ !

- بالتأكيد . لماذا تسأل ؟

- لا شيء !



— (شاردا :) یااااا !

... من كان يتصور قبل عام واحد أن أعراق العالم المتميزة لحمى استعادة نقائها العرقي قدر الإمكان من جديد ،

وأن تطهر أراضيها من المهاجرين ويوشك بليون إنسان أن يصبحوا بلا جنسية أية دولة وكل هذا الذي كان يعد جنونا ،

ناهيك عن تصور أن يبدأ ذلك كله بشارة واحدة تنطلق من مصر ؟ !

- لعله لم يكن أمامهم سبيل آخر ؛ إنها القشة الأخيرة للبشرية قبل أن تجتاحها الهندسة الجينية والآلات الحية فائقة الذكاء !

- (وحيد لا يزال شاردًا :) ياااااا ! ... من كان يتصور قبل عام واحد أن أعراق العالم المتميزة لحمى استعادة نقائها العرقى قدر

الإمكان من جديد ، وأن تطهر أراضيها من المهاجرين ويوشك بليون إنسان أن يصبحوا بلا جنسية أية دولة وكل هذا الذي كان يعد جنونا ،

ناهيك عن تصور أن يبدأ ذلك كله بشارة واحدة تنطلق من مصر ؟ !

- لعله لم يكن أمامهم سبيل آخر ؛ إنها القشة الأخيرة للبشرية قبل أن تجتاحها الهندسة الجينية والآلات الحية فائقة الذكاء !



مزروع ، مررررزروع ، مزروع ، يا ولدی !

يصمت صهرى طويلا ثم يتنهّد : ‘ أنت عارف إيه الشئ إلى موش مصرى فى واحد زى ؟ ... السفر الكثير . لما أنت كنت بتخرج من مكتبك لقاعة الصحفيين ويقولوا لك احلف بغربتك ، ده كان دليل كبير جدا على أنك مصرى أصيل ، وحتى الجيينات البريطانية إلى فيك هي جيينات مصرية أصلية برضه ، ولا غرابة لأن أصل شعوب الحضارة عرق واحد هو العرق المصرى . نجيب محفوظ لم يسافر خارج مصر إلا مرة واحدة فى حياته ، مأمورية شغل لليمن ، وبعدها قطع خالص ، حتى نوبل ما سافرش يستلمها . ليست مصادفة أن آلهة مصر هي آلهة الهارموني والاستقرار ، لأن حب الهدوء والسكون والارتباط بالمكان مكونات جوهرية فى الهوية المصرية ، وبدونها لا تكون دماؤك مصرية ’ . ونس ما غلطش لما أنت قلت مرة أنك لما تطلع ريسپيشن الشقة تقول وحياة غربتي غنى لك ‘ مزروع ، مررررزروع ، مزروع ، يا ولدی ! ’ . ثم يستدرك : ‘ على أية حال هذا لا يقلل كثيرا من مصريتى . صحيح أنا عملت رحلة حول العالم ، لكن بعدها شعرت بالغثيان ، وتوقفت عن السفر إلا لضرورات الشغل القصوى ، قررت الاستقرار فى المزرعة وتكريس حياتى للتأمل والقراءة ، وحاليا أصبحت باحتقر كل واحد ييحب السفر أو يستمتع به ! ثم ليغير الموضوع فجأة : ‘ إنما أنا إلى عندى سؤال : بعد كل ده ، عاوز تفهمنى أنك موش المستشار الأول لسيادة رئيس الوزراء ، الواد أخويا العيل المجل ؟ ’ .

- (بجزم :) لأ ، موش أنا . أنا لا أصلح للوظائف الحكومية ، ولا حتى مستشار للوظائف الحكومية .

- له ؟ ممكن نجيب لك كتاب الطبيعة لأرسطو تحط إيدك عليه وتقول أقسم بالله العظيم !

- هم لهم حساباتهم وأنا ما بأفهمش فيها . على الأقل أنا لا أستطيع الابتسام والتضحك طوال الوقت مثلهم . تقدر تقول مرض ورائي !

- موش أنا إالى بأناقض نفسى دلوقت . إحنا دلوقت ما فيش سياسة خالص . بيطبقوا حرفيا الكلمة بتاعتك 'أيديولوجيات معادية للحرية' . موش دى مصطلحاتك برضه ، ولا أنا غلطان ؟ كله بيتك بيتك ، أو راحوا قلب الصحرا . كمان برلمان من ممثلى الشركات الكبيرة ، موش ده كلام أرسطو بتاعك ، يا حلمك أنت مستر ذكاء آلى ، يا للى بتسمى نفسك أصولى أرسطى وبتقول إنك مراتح كل عمرك فى التسمية وموش مستعد تغيرها : ملكية فى ثوب عصرى ؛ من يملك يحكم ، وليس أوليجاركية ولا ديكتاتورية فردية ولا أى ملك أى شىء كان ، إنما تحديدا حملة مشعل التقنية هم من يملك ويحكم ولا يناقشهم أحد . باختصار ، كل شىء بقى بالعلم . العلم بس هو إالى بيتكلم .

- بيتكلم ؟ السؤال موش أنه بيتكلم ؛ السؤال إمتى ها يطل كلام ؟ على أية حال المستشار إالى بتقول عليه موجود فعلا ، بس موش من مصر خالص . ها ييجى من تشيلي . واحد من إالى عملوا التأمينات القطاع الخصوصى بتاع بينوتشيت ، مساعد لينييرا . أنا كتبت عنهم كلهم كتير أيامها . كان لسه شاب صغير ، ما أعرفش سنه كام حاليا . آخر خبر مر على من كام سنة هو أن حكومة الولايات المتحدة استعانت به فى أيام جورج دبليو . بوش .

- يعنى موش أنت إالى اقترحت الاسم عليهم ؟

- (يتلغنم قليلا :) الاسماء معروفة للجميع .



القانون الثانى للديناميات الحرارية يقول لنا إن تقلص الفوارق بين الطبقات أو بين الشعوب سيؤدى للموات الكلى للكوكب .

علم البيولوجى يقول لنا لا بد من اجتثاث ' الغشاشين ' (الشيوعيين والناصرين والإسلاميين) ، لو أردنا تفادى انقراض كل الشعب .

إنها يا حاج حقائق العلم البسيطة : $1 + 1 = 2$!

بدأت السماء تمطر بغزارة ، بينما كانت السيارة تمضى فى طريقها . وبعد قليل يتحول الحاج لموضوع آخر لعله يكون أكثر متابعة له من وحيد وكواليس السياسات العليا التى انغمس فيها : يقولوا المعتقلين وصلوا نص مليون واحد . إدوهم خيام وبطاطين ، ويوميا يرموا لهم الطعام والماء بالهليكوبتر . ما فيش أسوار . حرية (من بتاعتك !) . إالى عاوز يهرب بيسيويه ، لأنه ها يموت . وحتى لو رجع بلده لن يغير شيئا . يقولوا كمان الدوريات الجوية بتدخل فقط لو حد اقترب من الخارج بسيارة مثلا للمعسكر .

- تفتكر ده أكثر رحمة ولا بينوتشيت . برضه ما كانش يقتل حد . كان يأخذهم أحياء ويرميهم فى قلب المحيط ، وهم وحظهم مع سمك القرش ، يا أكلوه يا أكلهم !

- إالى يشوفك ما يتخيلش أبدا أنك متوحش كده من جوه . يعنى كان ها يحصل إيه ، لو سبناهم يعيشوا وسطينا ؟

- (بسخط :) تاللى ؟ ! ها ننسى بسرعة كلام الجينينات بتاعتك ؟ ها ننسى المغفلين والغشاشين ؟ ما هم كانوا عايشين فعلا ، والنتيجة أنهم دائما بينتصروا ، بينجحوا فى فرض رأيهم على المجتمع ، لأن البركة الجينية إالى بيتحركوا فيها بتسمح لهم بكده ، إن ما قلناش بتشجعهم عليه . لو هم فى بركة جينية أخرى ، كان ممكن تستوعبهم وتحجم أثرهم ، لكن بركتنا الجينية تتيح لهم الانتصار . لو فى أعراق تاني كان جايز ، إنما هنا ما فيش حل تاني . الناس دى آذتنا وآذت البلد ، كل الشعب ، وآذت العالم عقود أو قرون كاملة ، وطول عمرها ما نالت أى عقاب . وتركهم طلقاء فى المجتمع جرمة فعلا . القانون الثانى للديناميات الحرارية يقول لنا إن تقلص الفوارق بين الطبقات أو بين الشعوب سيؤدى للموات الكلى للكوكب . علم البيولوجى يقول لنا لا بد من اجتثاث ' الغشاشين ' (الشيوعيين والناصرين والإسلاميين) ، لو أردنا تفادى انقراض كل الشعب . الإبادة شىء لا مناص منه ؛ إنها يا حاج حقائق العلم البسيطة : $1 + 1 = 2$! أما أصحاب عقيدة من لطمك على خدك الأيمن من البوذيين أتباع إيزيس وطريقتها الصوفية أمثالك فهم لا خطر منهم ، لكن المشكلة فى استغلال الآخرين لهم . أنا لدى شىء أفضل بالنسبة لكم : لماذا لا تؤمنون بالعين بالعين والسن بالسن ، لكن تبادرون أنتم بتقديم المعروف للناس ؟ !

- صحيح ! أخونا يسوع جايز زودها شوية لما قال الخد الأيمن والحد الأيسر . هو نفسه لم يحول خده عندما لطم عليه إنما راح يناقش من لطمه . (ثم يستدرك فجأة :) هذا كلامى أنا ، لا تنس ما قلته لك يوما إن الحمايم ربما ليست بالضرورة بالسوء الذى يوحى به اسمها . (ثم يثور ساخطا فجأة مجعضا حديثا مكرورا عن الرسو على بر :) تاللى ؟ ! عاوزنى أغير آرائى ؟ نسيت بسرعة كلام الجينينات بتاعى ؟ هى أفكار الناس بمزاجها ؟ (بعد برهة :) إنما عارف أنا متوقع إيه ؟ موش ها يبقى لإخواننا البعدا شغلة فى الصحرا غير يدوروا على أصل كل واحد فيهم إيه . ها يعملوا أحزاب وقبايل وأيديولوجيات ، ويتندوا يشكوا فى بعض ، وبعد شوية بيتندوا يقتلوا [بتشديد التاء] فى بعض ، وما فيش أكثر من الحجارة فى الصحرا يلقشوا بها رءوس بعض زى البيض . فى ظرف ٦ شهور ها يكونوا خلصوا على بعض كلهم . تحب نترهن ؟ !



لم تعد هناك عصمة لفكر ، بالذات الدين ، بالذات الإسلام ؛

وأیضا لم يعد هناك استبعاد لفكر ، بالذات العرقية ، بالذات الإبادة !

إن حرية التعبير لأكثر قداسة من أى دين .

لقد جاءت لتبقى ، ودرة التاج فيها جوهرتان هبهات هؤلاء أن يمسا بأیهما تحت أية ظروف حالیه أو مستقبلية :

حق النقد العلنی للأديان والحرية الجنسية !

- على فكرة : إيه رأيك فى الدستور ؟

- (منفجرا فى غيظ :) قصير أوى ! ما يكملش صفحة ونص . (ثم بلهجة استنكار ذات مغزى :) يا سيادة عضو لجنة صياغة الدستور !

- على فكرة أنا أكثر واحد كان له دور فى أنه يطلع مختصر . دى حاجة أنا فخور بها جدا .

- (يعود مغتاظا :) بس كده ده أقصر دستور فى العالم ! أقصر من دستور أميركا . أقصر حتى من الماچنا كارتا !

- النظام الاقتصادى منصوص عليه ضمنا فى كلمة حرية . برضه الحريات الاجتماعیه منصوص عليها فيها . الالتزام بالجلوبة والاتحاد مع العالم المتقدم منصوص عليها فيها . حتى كلمة الحرية بتسمح أنها تعيد تعريف نفسها بنفسها بمرور الزمن . كلمة واحدة بتلخص كل حاجة . مثلا كان لا بد من حذف كل ما يخص الهوية والدين واللغة ... إلخ ، من اسم الدولة ومن النصوص . وطبعاً حذفت كلمة ' جمهورية ' سيئة السمعة من كل ...

- (مقاطعا محتجا وكأنه كان ينتظر الكلمة :) إزاي يعنى شعب من غير هوية ؟ عديم الشخصية يعنى ؟ يفضل معلق فى الهوا ؟

- أنت كمان نسيت كلامك عن الأنثروپولوجيا ولا إيه ؟ موش أنت إالى قلت هويتنا هى سر تخلفنا ، بل هى تخلفنا نفسه ؟ كمان أنت إالى بتقول الشعب ما لهوش شخصية ، ولف عليه كل المستعمرين . أنا موش جايب الأفكار دى من عندى ، دى بعض ما عندكم !

- منى أنا ؟ (ثم يستدرك مستذكرا أن هذا ربما يكون صحيحا :) أيوه ، بس نعيش من غير هوية إزاي ؟

- علم مصر للطيران بقى هو علم مصر ، وحورس حبيبك بقى هو الشعار ، ألا يرضى هذا بحثك عن الهوية ؟

- إيه يعنى حورس ؟ شالوا صقر وحطوا صقر . مجرد حقيقة تاريخية ، بيفكروننا بأفضل عصر مرت به مصر ، وليس هوية . إنه كتعريف الماء بالماء . لو تركوا العلم كله باللون أبيض لما اختلف الأمر كثيرا ، أو ربما كان أكثر تعبيرا عن الهوية .

- موقف عجيب ! كنت أتوقع العكس منك . على أية حال هو يسعدنى لأنه تأكيد جديد أنه لا يوجد تعريف للهوية ، لا عندك ولا عند غيرك ! لا أفهم ما الذى يضيرك فى أن الحرية هى الهوية .

- تقصد اللا هوية ؟ (ثم مستعيدا رزائته وهدوءه بالعودة لمنطقة تمكنه ؛ الجينينات :) هل بعد كل ما حدث ، وبعد كل ما فعلته أنت شخصا ، لا تزال على رأيك أن الوطنية شىء لقيط ؟ الهوية شىء لقيط بقدر ما الجينينات شىء لقيط ، والجينينات هى الشىء الوحيد الذى لا يمكن أن يكون لقيطا أبدا !

- لا يزال تعريفى للوطنية أن نجعل هجاء الكلمات فى لافتات مصر الجديدة صحيحا . عارف أنت عامل زى إيه ؟ زى واحد مخطوف بعد ما يتفك أسرهِ يوحشه إالى كانوا خاطفينه .

- الدين احتياج إنسانى ولا يمكن تلغيه . لازم يكون فيه حد تصلى له ؛ من غير إله عظيم تتوحد معاه ، حياة الإنسان شىء تافه جدا . أقل شىء يا أخى بعيد الشر يوم ما تفقد لك حد ، ما فيش غير الدين يعزبك !

- أنا لا تعزبنى الأوهام ، إنما أنت كده ، ها تفضل عين فى الجنة وعين فى النار .

- أو عين فى الصحرا !

- لأ ، الصحرا علشان إالى يبسلبو حرية غيرهم . إالى يبسلب حرية نفسه ، هو حر . (ثم مداعبا مكايذا :) واخذ بالك ؟ ' حر ' !

- لكن أين حرية الفكر هنا ؟ !

- ها نعيد كل الكلام تانى ! مبدئيا حرية الاقتصاد هى أم كل الحريات . ثانيا بالنسبة للفكر ، سؤال المحتوى ظل طويلا السؤال الذى لم يسأله أحد ، رغم أنه السؤال الفصيل ، أما الآن فلحسن الحظ إدرك العالم وازداد وعيه بمخاطر الأفكار المصادرة للحرية . بصراحة ، هل تعلم ما هو أكثر ما يضايقتنى فى نفسى الآن ؟ إني لم أعد بذات الحماس القديم لدحض فكرة الدين . لقد أصبحت استصغر نفسى فى مناقشة أمسييت -بفضلك طبعاً !- أعلم أنها لن تأتى بأية نتيجة ، ذلك لأن أى شخص لن تتغير جينيته أبداً . فى نفس الوقت أتضايق من أنى كنت أفعل ذلك يوما ، فاليقين التام بأن الدين ما هو إلا هراء ، لا يعنى أنك وصلت لكل الحقيقة بعد ، بل عليك بعده مشوار شاق بحثا عن من أين أتى كل دين أصلا ، من أية بركة جينية ومن أية خصائص تميزها بالضبط ، ثم فقط عندها تبدأ التخطيط للمعركة ، التى ما كان يمكن أن تكسبها أبدا لو لم تفعل . أولئك لم يكونوا ليستسلموا أبدا ، كانوا سيقاتلون حتى آخر قطرة دم فى آخر واحد فيهم ، ليس طمعا فى الجنة (فقادتكم كما تقولون لا يؤمنون بمثل هذا الهراء ، كذلك كل القوميين) ، لكن لأسباب جينية عروبية بحتة ؛ فهم كما الثيران مبرمجون جينيا على عقلية القطيع ، على الموت الجموعى من أجل القبيلة التى لا حياة للفرد دونها ، أليس هذا كلامك أم فهمتك خطأ ؟ !

- أبدا ! أنا لا أقول مثل هذا الهراء ! الكلام ده بتاع هيتشكوك فى فيلم ' الطيور ' ! ها ! ها ! ها !

- اليوم لم تعد ثمة عصمة لفكر ، بالذات الدين ، بالذات الإسلام ؛ وأيضا لم يعد هناك استبعاد لفكر ، بالذات العرقية ، بالذات الإبادة ! إن حرية التعبير لأكثر قداسة من أى دين ، لقد جاءت لتبقى ، ودرة التاج فيها جوهرتان هيهات لهؤلاء أن يمسوا بأيهما تحت أية ظروف حالية أو مستقبلية : حق النقد العلنى للأديان والحرية الجنسية ! عارف أنا رأيي أصلا فى اللجنة كان إيه ؟ كان أن الدستور يطلع من كلمة واحدة !



الحرب العالمية الثالثة ستنشب حالا -ولا محالة- انطلاقا من آسيا .

... بعدها سيتم الانتقال السلمى للسلطة الإمبريالية من حضارة ما بعد-الصناعة لحضارة ما بعد-الإنسان ،

تماما كما انتقلت بسلاسة من حضارة الصناعة لحضارة ما بعد-الصناعة .

كما تقولون الابن هو الوحيد الذى يتمنى الأب أن يراه أفضل منه ،

فقط الفارق أن أميركا كانت ابنا من صلب المجترأ ، بينما اليابان ابن بالتبنى لأميركا !

- (ساخرا :) وحرية دى بأه مقصود بـ Freedom ولا Liberty ؟

- (يرد بجديّة أكثر من المتوقع :) طاب الثرى تحت رأسك يا عم نوبل . لو أن كل ما جرى سينقذ مستقبلا روحا جميلة واحدة كروحك من الموت العشوائى ، لكان يستحق كل هذه المخاطرة من أجله . نبيل لو كان هنا لقال لك Liberty هى الصح ، و Freedom تعنى اعتناق .

- وإيه الغلط ؟ ما هو اعتناق برضه من إرهاب فكرى سيطر علينا . موش ده كلامك ؟

- (يضحك وحيد :) صح ! بس تقدر تقول أنه لا شعوريا نوع من العنطرة المصرية إلى ما نقدرش نتخلص منها ، عاوزين ننسى أى حاجة تفكرنا الماضى ! المهم ، هى دى الحاجة إلى كنت عاوز أقول لك أنى فخور بيها . حكاية المختصر المفيد . كان كل همى أنى أحذف كل ما يمكن حذفه من المسودة إلى اقترحوها . لو صبروا شوية عليا ، كان ممكن أوصله لفقرة واحدة . مثلا كان فيه أعضاء عاوزين يحدّدوا العطلة زى بقية العالم شرق وغرب يوم الأحد أو زى مصر أيام زمان ، أو أن اللغة الرسمية هى الإنجليزية . أنا عارضت . قلت لا يكتب أى شىء ، وتترك حرة . كل وزارة أو هيئة أو مصلحة أو مدرسة أو جامعة تحدد بنفسها عطلتها واللغة إلى يخاطبها بها الناس . وتلقائى بمرور الوقت كل حاجة ها تبقى الأحد وها تبقى بالإنجلش . اسم مصر نفسه ها يزول مع زوال اللغة العربية ، ويتبقى فقط اسم Egypt ؛ كل شىء بالإنجلش !

- (ضاحكا هو أيضا :) أو باليابانى !

- كنت فاكرك هتقول يونانى ، فعلا إيجيبتوس النطق اليونانى لكيميت ، إنما ما فيش مشكلة طالما الحضارة جيين ، وطالما اليونان وروما بناتنا إلى طلّعوا أقوى منا ! ها ! ها ! (يضحك ، ثم بعد برهة يتمعن فيما سمع :) يابانى ؟ لأ ، دى صعبة . لغة العالم اتحددت خلاص . الحرب العالمية الثالثة ستنشب حالا -ولا محالة- انطلاقا من آسيا بعدها سيتم الانتقال السلمى للسلطة الإمبريالية من حضارة ما بعد-الصناعة

لحضارة ما بعد-الإنسان ، تماما كما انتقلت بسلاسة من حضارة الصناعة لحضارة ما بعد-الصناعة . كما تقولون الابن هو الوحيد الذى يتمنى الأب أن يراه أفضل منه ، فقط الفارق أن أميركا كانت ابنا من صلب إنجلترا ، بينما اليابان ابن بالتبنى لأميركا ! (ثم مستدركا مشاركا فى الضحك :) إنما تصدق أنها فكرة ؟ ! لما تكون لغة مركز الحضارة صعبة ها تساعد على الحد من هجرة العبيد .

- أنا شخصا لا أعتقد أن اليابانيين سيكررون بسهولة أخطاء الحضارات السابقة التى غرقت فى طوفان عبيدها أو نسييت عسكرة المجتمع بعد قليل ، الساموراي يجرى فى دمائهم ولن يذهب بعيدا لأى مكان .

- عندك حق ! طالما لن يوجد شىء اسمه ' الحلم اليابانى ' فإن الحضارة الرابعة ستزدهر إلى حيث لا يعرف أحد . هم ليسوا بحاجة أصلا لاستجلاب شغيلة أجنب ؛ لديهم الروبوتات .

- بل قل لن يمضى وقت طويل حتى يصبح اليابانيون أنفسهم عبيدا لما يخلقونه من كائنات . سواء الروبوتات أو البشر فائقو الصفات المهندسون جينينا بالكامل ، سيزيدون من فوارق المسافة بين أرقى الكائنات وأدناها ، وهذه هى الطريقة الوحيدة لمكافحة الموات الحضارى وزيادة الأنتروبي وغناء الوسطية ، وكل الحاجات إلى كانت عاملة لك رعب .

- لو اليابانيون ' بعد-إنسان ' فعلا تبقى كل قواعد اللعبة اختلقت بجد !

- (ضاحكا :) ما هذا الكلام ؟ تفسير جديد لعبارة الروبوتات تراث الأرض ؟ !

- ممكن ! إيه المانع أن مينسكى كان قصده ' اليابانيون ' يرثون الأرض ، وبعد كده كل حاجة ها تيجى لوحدها ؟



٢٠١١

- فى الحقيقة أنا كان قصدى باللغة اليابانى حاجة ثانية : نسييت أقول لك أن منى عازمانا ، أنت وأنا وإجلال وإدوارد وسماء وروميو (وجايز سوسن تيجى) ، على السيتى ستارز يوم الأربعاء كله . ها تأكلنا سوشى ، وها تفرجنا على فيلمين ، وكمان على التويوتا ، والكيمنو !

- هيه ! جابت كيمنو ! عنيدة بجد ! (ثم مستدركا :) إنما غريبة ! هى ما كانتش جابت العربية لغاية دلوقت ؟

- لأ ، يا سيدى ! عناد برضه . سيلت لها الفلوس زى ما اتفقنا ، لكن اتأجلت فكرة العربية فترة بسبب حوادث الخطف والاغتصاب ، وكنت بأوصلها بنفسى زى ما أنت عارف ، على الأقل علشان خاطر خوف إجلال وأمى عليها . الخمسة وتلاتين ألف بقوا تمانين ، لكن ما اشتريت حاجة ، والسبب أنها فضلت مصممة جواها على التويوتا . قصدى موش أى تويوتا ، إنما طلعت فى التويوتا الجديدة الكهرا الغالية . عربية صغيرة أد كده بـ ١٢٠ ألف . قلنا لها استنى شوية وكل عربيات الكهرا ها ترخص . ما فيش فايدة . طبعا مكسوفة تطلب منى أكثر من الاتفاق إلى بينا . لفت على أمها لغاية ما أخذت منها أربعين ألف . قال إيه لازم تدفعى زى ما دفعت أنا وپاپا . صحيح ، إلى اختشوا ماتوا . بتقول دفعت ؟ لأ وإيه ، بتقول إنها دافعة أكثر واحد . إجلال دى مبوظاها . إدتها الفلوس رغم أنى ما كنتش راضى . قالت أى فلوس بنديها للأولاد ، حتى لو ها يرموها فى الأرض ، هى أحسن استثمار ، بتخلق لهم شخصية وعزة نفس . كلام فاضى ، لو أبويا سمعه كان خنقهم هم الاتنين ! أنا موش بخيل وبأكره البخل ، لكن التبذير يغيظنى . ممكن أشتري حاجات بألفين أو ٣ آلاف جنيه ، وأروح البيت ألقى نص رغيف مرمى ، ألفه وأحطه فى التلاجة . الزراعة علمتنا الاقتصاد ، والهندسة إلى بتدرسها الست منى بتعلمها الاقتصاد ، وأنت الاقتصاد نفسه وأكيد فاهم قصدى . المهم ، راحت أول إمبارح اشتريت العربية لوحدها من غير أى واحد منا . إدوارد قال لها أنتى أول زبونة عندى ، وأول زبونة فى مصر تطلب العربية دى . حجزها لها وإداها ٤ آلاف تخفيض ، وها تستلمها بكرة . اشتريت الكيمنو ؛ تفصيل طبعا وبمبلغ محترم ، وبالباقى ها تعمل العزومة ، وأنا عارف أن ها يطلع أن الفلوس كانت فى العشة وطارت ، وأنا إلى ها أتدبس كالعادة !

- واجب برضه تخنيها ونشاركها فرحتها . أنت ليه كده عديم العرفان ؟ لاحظ أنها افتركت تعزمننا أحننا ، موش تعزم أصحابها الصغيرين مثلا !

- الغيبة كل ما أقول لها رأى تغضب وتقول أنت عاوز تقيد حريتى ، وأنت عارف أنى نھائيا موش ضد الحرية (فاكركلام أن الجنس هو الأھون خطرا ؟ !) . أنا فقط ضد الدلع . أمھا هى إلى فعليا بتقيد حريتها ، لأنها بتخاف عليها . سواء بقصد أو بدون قصد هو ده تقيد

الحرية . فى المقابل هى تعبر عن حبها لها بالدلع ، ودى موش تربية ، إنما ببساطة هو تعريف عدم التربية ، لأن تعريف التربية هو خوض التجارب واكتساب المهارات وتحمل المسؤولية (فاكركلام عن أفلام ' بامبى ' و ' المدمر ٢ ' وغيرها ؟ إالى ما تعرفهوش أن إجلال غضبت على جدا أيام ما كنت أفرج منى على حاجات زى كده) . على أية حال أنا موش ها أنسى كلمة حكيبتها لى أنت عن مامتك لما بتقول إن الفارق بين الحرية وبين العبودية لأهواء النفس هو خيط رفيع . الإنسان لا يميز بسهولة بين الحرية وبين الدلع (دلع الأم لابنتها أو دلع الإنسان لنفسه) ، بينما هما نقيضان أبيض وأسود . (ثم على ذكر الأفلام :) على فكرة هى موش عنيدة أوى . على الأقل فيه حاجة واحدة لانت فيها : اشتريت كل أفلام هيتشكوك وكوبريك بناء على نصيحتك !

- أوه ! بجد ؟ ! ده تحول خطير ! (ثم مستدركا :) أو فى الحقيقة موش تحول خالص ، ولا لين حتى . ده شىء طبيعى بالنسبة لشخصيتها وأفكارها ، وكان لازم تعمله من زمان من نفسها !

- تصدق أنها سألتنى عارف إيه آخر وصية لكوبريك ، آخر كلمة فى آخر فيلم قبل ما يموت ؟ قلت لها عارف : Fuck! . الراجل موش شايف أن الإنسان ممكن ينفذ فى حاجة أكثر من كده . تفتكر ها تاخذ بالنصيحة وتجرب تخرج من وحدتها العجيبة ؟

- (بحزم ، وإن مرج :) لأ ، يا بو منى ! بنتك موش ها تعتبر نفسها من البشر العاديين أبدا . كلها شوية وها تقرأ فى أرسطو والچينيات ، وها تعمل نظريات ما كانتش على بال حد !

- (ضاحكا :) أنا ها أسجل لك فى التاريخ أنك تانى واحد قدر يلعب لها فى دماغها بعدى !

- أوه ! شرف هايل ! إنما موش صحيح ، ولا أدعيه !

- أنت عارف سمو طراز العربية إيه ؟ ٢٠١١ !

- عارف ! عاوزين يخلدوا السنة دى كسنة ميلاد أول سيارة ركاب تجارية كهربية خالصة . ربما آن لى أنا أيضا أن أشتري سيارة حديثة . لقد بدأت أستخدم سيارة أمى الأثرية بأكثر مما يجب . أيضا عرفت الآن من ساستشير بخصوص شراء سيارتى القادمة .

- إنما بعد المحطات النووية والطاقت البديلة والعربات الكهربية ، تفتكر العرب ها يشربوا پترولهم فعلا زى ما وعدهم كيسينچر ؟

يهذى وحيد بصوت خافت : لقد دالت أيضا دولة الكربون ؟

- بتقول إيه ؟

- ما فيش ! أنت فكرتني بموضوع ما كانش على بالى ، ولازم أكلم فيه ماما هو كمان ؟ الروبوتات ستزث الأرض فعلا . إنها من الأصل كوكبهم . كان علينا أن نعرف هذا من قبل ١٠ بليون سنة . نظرة واحدة على الخريطة ، كانت ستنبئك أنه ما هو إلا كوكب السيليكون !

- عندك حق ! العرب دلوقت فى أزمة مهولة . ما حدش عاوز يتعامل معاهم ؛ العالم كله بقى دلوقت عارفهم على حقيقتهم .

- موش بالظبط ، لأن لسه الصين بتشتري البترول منهم ، لكن الصين ومحور الشر الجديد ، هذه قصة أخرى ، وإن لا بد أن يومها قريب !

- إالى حصل للعرب موش قليل . حتى البورصات الأوروبية إالى فضلوا يشتروها فى ال ٣ سنين إالى فاتت فاكرين أنهم بملكية البورصات ممكن يتلاعبوا بأسعار الأسهم من جواها ، انطردوا منها شر طردة . أنت ممكن تعيد كتابة موضوع ' الاقتصاد اليوم ' الشهير بتاعك تانى ، عن سوق المناخ وتوظيف الأموال وبنك الائتمان والتجارة ، وتزود حلقة جديدة عن شركات البورصة ! (ويتنهى :) ربنا ستر ! لو كانوا نجحوا عندنا فى شراء كيوييد إالى هى أصل ورمز سوق الأوراق المالية فى مصر ، كان ممكن بسهولة يشترو شركة البورصة ، واللعب يشتغل على ودنه . (ثم ضاحكا فجأة :) الظاهر أننا على رأى بتوع رمسيس موش ها نبطل مناقشات حتى فى القبر . كوكب سيليكون إيه ؟ أنت نسيت المحيطات ؟ موش دى حاجة على الخريطة برضه ؟ ما سمعتش عن پروسيسور بيولوجى من مواد عضوية ، وجايز يبقى أكثر تقدما من پروسيسورز السيليكون ؟ إيه رأيك يا بتاع المكن تعمل أنت حزب السيليكون ، وأنا يا بتاع الزراعة أعمل حزب الهيدروكربون !

- هذه قصة أخرى ، وإن لا بد أن يومها قريب !

- أوعى تفتكر أن مكسبكهم ها يبقى مضمون : كل حاجة عملتها بالسيليكون ممكن يتعمل أحسن منها بالكربون . حتى رقاقة ال GPS إالى عاوزين يزرعوها فينا ، ممكن تتعمل فى الجينيات من غير أى زرع خالص ، ممكن كمان البصمة الجينية تغنى عن كل شىء ، مثلا جسمك

نفسه يبقى كارت الائتمان بتاعك ، تأخذ الحاجة من السوبرماركت وتمشى من غير ما حد يقول لك رايح فين ، أو ممكن يزرعوا فى خلاياك
 بروتينات قاتلة تطلق لدى الحاجة ، أى حاجة ممكنة فى التقنية البيولوجية . زى ما الكمبيوتر فى الحوارى دلوقت ، الهندسة الجينية ها تبقى كده
 قريب !

- بس، لاحظ أن ما عدش فيه انتخابات ، والكلمة العليا لم تعد للحوارى !

- ومين قال أنى بأتكلم عن انتخابات ؟ !

- عندك حق ! الخلافات بين البشر لا يمكن أن تنتهى أبدا . (ثم يضحك متحديا :) بس لاحظ أن بعد البشر ، ما حدث يضمن الوضع ها بيقيم إيه !

- ولا حاجة ، ها تبقى فيه شبكة تواصل لدول ، وشبكة تواصل لدكهم !

- يقيم، برضه اليد العليا للسيليكون .

- ومين قال لك أن الكائنات المنمأة جينيناها تستخدم الإنترنت والخلوى ؛ فيه حاجة اسمها التليثاين ؟ !

- يبقى أنت جاوبت على السؤال ! موش ها يحصل تواصل أصلا بين النوعين : مملكتان مستقلتان بذاتيهما من الكائنات الحية الذكية ؛ زى الحيوان والنبات دلوقت !



ربيع إيه ده ؟ !

شتاء السنة دى برد جاف جامد جدا ، والمطر جه متأخر خالص لكن شديد بدرجة غير معقولة ، ده غير العواصف إالى فوق الوصف !

راح الحاج يضغط دواسة الوقود وهو يقول : ' ياه ! الوقت اتأخر أوى ! ' .

- قصدك المطر والضلمة . (ويضحك محاكيا -وإن بغير إتقان كبير- محاكاة زهري للرئيس السادات :) إحنا هنا في مصر ما بنخاااااافش ،
٧٠٠٠ سنة حضارrrrrrrرة !

ويشاركه ضهري الضحك : ' علمي فكرة طول عمري ما عرفت جاب الألفين الزيادة منين ؟ ! ' .

- وأنا طول عمري ما عرفت جاب السبعة كلهم منين ؟ !

ويعود ضهرى بعد برهة تأمل فى المطر : دى بتديها بضمير !

- إنما إياه الحكاية يا ضهرى ؟ ربيع إياه ده ؟ ! شتاء السنة دى برد جاف جامد جدا ، والمطر جه متأخر خالص لكن شديد بدرجة غير معقولة ، ده غير العواصف إللى فوق الوصف !

- أو جازيها يبقى عندنا أمطار صيف مبكرة كأجزاء كثيرة من العالم !

- قصدك الصيف الهندي ؟

- أو جازير مصر تبقى مناطق باردة زى إلى بتحبها . تشخيص حبائك الدجالين بتوع اليسار للأرض أن عندها حمى وبتسخن طلع فضيحة ، والكلام دلوقت أننا رايجين لعصر ثلجى . حد عارف ؟ الطبيعة تعمل كل إلى هى عاوزاه والإنسان ما هو إلا حشرة ضيف على سطحها . خير ! خير ! فى كل الأحوال خير ! موش أحسن ما كانش بييج مطر خالص .

- فاکر یوم القناطر وعزومة المنجة ، لما قلت لك أن قش الرز بتاعکم برىء م ظاهرة السما السوداء ، ولا یمكن وحده یعمل ظاهرة ضخمة زى دى؟

- أيوه ، وقلت لك أنت ها تفهم أكثر م العلماء بتوعنا .

- أنا طلعت بأفهم فعلا . فى إسرائيل بيقلوا أنهم درسوا الموضوع ده ، وأنه جزء من التغيرات المناخية العامة إالى ملأت العالم . طبقة أيونية بترد الهوا السخن لتحت ، فبقينا زى ما نكون فى حلة مقفولة مليانة عادم سيارات .
- يا نهار أسود ! طب والحل ؟
- ها نشترك معاهم وأكد ها نوصل لحل . هم بينزلوا مطر اصطناعى زى ما أنت عارف ، وخبرتهم هايلا فى موضوع التحكم فى طبقات الجو .
- (ضاحكا :) لو الواد العذ... ونس هنا ، كان قال دى مؤامرة . هم إالى عملوا السما السودا علشان هم إالى يعالجوها . وحشنى الواد السافل ده !
- أنت لسه كنت غضبان عليه ؟ ما فيش فائدة فيك أبدا ! نفسى تثبت يوم على بعضه على رأى واحد !
- المسامح كريم بأه . برضه لازم نعذر الظروف . إنما لو كان زودها شوية مع الحكومة كان زمانه فى الصحرا دلوقت .
- على فكرة ، إالى زى ونس تصنفه إيه جينينا وعرقيا !
- اتبع قلبك ، هل أنت أحببته أم لا ؟ ... إذن ، لا تقلق عليه . فى دمياط سوف يتم له غسيل كلى يتطهر فيه من كل التطبع إالى اكتسبه من أيام وجوده فى الخليج ، وهو ليس من طبعه . (وفجأة :) إنما تفنكر بصحيح ها نرجع نشوف السما الزرقا تانى فى القاهرة ؟
- آمل هذا !
- آديك بتقول آمل ، (ويهز ركبته بعنف مرة أخرى :) يا بن آمال نور !
- بص : أنا لا متفائل ولا متشائم . أنا زى ما أنت بتقول ممكنة . المتشائم واحد أعرفه دائما يقول دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين !
- مين قال لك ده تشاؤم ؟ ده ممكنة برضه !
- حين يهددان من نوبة الضحك العارمة ، يحول وحيد سياق الحديث إلى منحنى جديد : على فكرة أنا موش رايع مصر الجديدة ، أنا رايع أزور قبر ماما .
- الذكرى الثانية لسه معدية من كام شهر !
- ده أنت حافظ التاريخ ؟
- (مشيرا لرأسه :) فيه كمبيوتر هنا . كل تواريخ العالم هنا . والست مامتك موش إالى ينسى حد تاريخها . إيه خير ؟
- أبدا ! فيه عندي كلمتين عاوز أقولهم لها .
- بس الوقت اتأخر كده ، موش الأحسن تروح لها من الصبح ؟ (قالها دون أن تحمل دعوة جدية لإنشاء وحيد عن مشاعره التى رآها ضهرى مقدسة) .
- حين اقتربت السيارة من التقاطع الذى سيحدد هل سيواصلان لمصر الجديدة ، أم إلى المقابر ، وكانت الشاشات الرقمية التى تتلقى معلوماتها من الرصد بالساتيلايت ، تشير لأن أى من المسافتين لن يستغرق أكثر من أربع دقائق ، توقفا قليلا . كيف هذا ؟ أى رصد بالساتيلايت والجو غائم تماما ؟ تناقشا لدقائق حول ما أعلن من أن هذه الشاشات سوف تشتغل قريبا حتى أثناء الليل . ها هى تشتغل بالفعل . لقد أصبحت أكثر استعقادا فى برمجة حواسيبها ، بحيث لا تتلقى معلومات الساتيلايت فقط ، بل أيضا تغذية بإشارات من كاميرات أرضية ، ومما يسمى ذكور نحل drone ، أى طائرات خفيفة خفيفة بدون طيار تشبه التى تستخدمها إسرائيل فى مراقبة لبنان والمناطق الفلسطينية وبقية حدودها ، وتشتغل بالأشعة تحت الحمراء ، وليس بالضوء العادى . ولن تتابع مجموعة سيارات بعينها على امتداد كل الرحلة ، بل ستتابعها لمسافة قصيرة . ستقسم الطريق لأجزاء ، وتحسب الزمن لكل جزء على حدة .
- أنهى ضهرى المناقشة بأن لا حاجة كبيرة لكل ذلك فالشوارع تكون خاوية ليلا ، ستكون مفيدة فقط فى حالة مثل حالة اليوم ، جو غائم ومظير . هنا نظر وحيد للساعة ثم تطلع للجو العابس وقال : لديك حق ، وجب تأجيل زيارة ماما للغد . ظلام وبرد ، وجو غير مريح للقاء لا

يصح أن يتم على عجل . أيضا المشكلة ليست فقط في المطر ، إنما في أنى أحب المطر . وحين أجلس إلى أمى هذه المرة لا يجب أن يشغلنى شيء آخر عنها . (ثم يرفع رأسه بشيء من الحماس :) لا أعتقد أنكم ستلعبون الكرة غدا ، أتخيل منظر الملعب بعد هذا المطر الكثيف . أعتقد أنى الآن في حاجة لكأس للدفع ، ألا تشاركه معى في الأمفزيون ؟ إنهم أصبحوا يقدمون كل شيء الآن . سنجلس بجوار الزجاج ونشاهد من خلاله المطر .

- هيا بنا للأمفزيون ، وإن كنت لست واثقا مما أريد أن أشرب بعد .



الجامع لأخرام الكرهان — أو : شفرة القرطبي !

يطلب وحيد كأسا مزدوجا من الويسكى يبرره بالبرد الشديد والجو العاصف الذى يفقد معه النيبذ أية فعالية ، ويطلب الحاج شوكولاتا ساخنة ، ويصل ما انقطع من حديث : عارف الفيلمين ها يكونوا إيه ؟ ! فيلمين قدام أوى ، ' غريزة قاعدية ' و ' شفرة دافينشى ' . الرقابة بعد ما غيروا القانون بتاعها صرحت بأفلام كثير كانت ممنوعة ، ومن هنا ورايح ما فيش منع ولا حذف ، إلا في حدود الدستور الجديد : ' الأيديولوجيات المعادية للحرية ' . دول أول فيلمين ها يتعرضوا ونازلين الأسبوع ده .

- هى كانت ما شافتهومش ؟

- كلنا شفناهم ، بس بتقول فى السينما ها يكونوا حاجة تانى . وقال إيه ، ها تاخد كاميرا الفيديو وتسجل استقبال الناس للفيلمين !

- عندها حق . أظن احتفال الناس بالحرية هو الفيلم الأهم من كل فيلم ! لقد كنت مخطئا عندما استهنت بإرادة الحرية لدى الناس ، (ثم ضاحكا :) آسف ! قصدى إرادة الحرية لدى من لديه منهم إرادة الحرية فى جيبيناته ! (ثم متتهدا :) أمل أن اقترب أيضا اليوم الذى نرى فيه شفرة دافينشى المسكوت عنها .

- قصدك إيه ؟

- قصدى ما يقوله علماء الآثار أو خبراء البحث الجنائى ، من أن لا شيء يبقى مدفونا للأبد ؛ قصدى كل تلك القصص الوحشية أو المخزية عن نبي الإسلام التى دسها كتاب السيرة والتفسير والحديث الأوائل -أعتقد بعضهم قاصدين كما ليوناردو دافينشى- بهدف أن تظل الحقيقة حية لليوم ولا يطمسها الزمن . ساعتها ستروى قصة الإسلام الحقيقية على الشاشة لأول مرة ؛ سيعلمها العالم كله ، كما علمتها مصر ، قراءة عميقة لما بين السطور (لا يصح هنا أن نبخس ونسحقه وفضله على أية حال !) . إن لكل دين أناجيله الغنوصية الأقدم والأصح التى دونت الحقائق ' بعبها ' قبل أن تلحق بها ' المؤسسة ' التى نشأت لاحقا ، التزيين والتزيوق والتزوير وتصبح مقدسة (مع الفارق طبعا أن النصوص الغنوصية كانت تحفى مسيحية أولى أكثر نقشا ورهافة ونقاء مما عرفناها ، وابن إسحاق يخفى إسلاما أول أكثر دموية وفحشا وقبحا مما لحقه !) . لقد اكتشفت مثلا أن البروتستانتية ليست منتجا أصيلا لبلاد الشمال كما كنت أعتقد من قبل ، بل هى إحياء أو إعادة تدوير للغنوصية الصوفية المصرية اليونانية القديمة . ترى هل كان يعرف إيلليوت سميث هذا ؟ لا شك أنه سيسعد له . . . الدين جيين فعلا ، والأهم أن الحضارة جيين طبعا !

- وفيهم حاجتنا للبحث عن المفقود ؟ ألم يكن أول عهد لك بالكتب الصفراء تفسير القرطبي ، ومن فقرة واحدة فى تفسير سطر التوبة ٢٩ ، خرجت على الأقل بنصف فهمك للعرب ، وليس مجرد دين العرب ؟ !

- كيف فاتنى هذا ؟ بالفعل ! كل كلمة فى الكرهان الكريه كتب فيها هذا العملاق ألف شفرة وشفرة ! إن ' شفرة القرطبي ' سيكون أفضع فيلم دموى وجنسى معا فى تاريخ السينما ، بل وسيضرب ربما إيرادات التايتانيك رغم أنه لن يعرض بالطبع إلا للكبار فقط . أكاد أتخيل المشاهد التى ستجعله هكذا سواء تلك الواقعية فى فراش مُجد أو مجلس عمر وفى مذابحهم وغزواتهم وصراعاتهم ، أو تلك تتابعات كوابيسه وأحلامه عن عذاب القبر ونيران الصراط والحشر وجنة العرى والجنس الجموعى وأتجار الخمر والغلمان والخور العين . إنها فكرة أهديها لموجهه الذى أعلم كم هو علمانى صميم ، وأعلم قدر دأبه وتضحيته وراء كشف قبر يسوع وزوجته المجدلية وابنهما يهوذا ومن ثم تأكيد ما قالته الأناجيل الغنوصية عن علاقتهما الجسدية .

- لكن القرطبي بتاع ' الجامع لأخرام الكرهان — أو : شفرة القرطبي ! ' ، ليس بذلك ليوناردو دافينشى ؟ !

- (ضاحكا :) هذا لا ينفي قدرته على كتابة شفرات ؛ فقط يجعل فكها أسهل ، شفرة ٤ بت لا أكثر !

- يوجد عملاء مزدوجون كثيرون ، ولا أقصد الرازى أو ابن عربى فهؤلاء زنادقة شبه صرحاء ، إنما أقصد المعتمدين بشدة لدى أهل السنة دون أن ينتبهوا للقنابل الموقوتة فى كتاباتهم ، كالسيوطى والسنجستاني ، وهم فى هذا أمثال للقرطبي .

- هل تعرف أن هذا الزاهد العظيم عاش ومات فى مدينة المنيا ، ولا بد أن الكثير من الروح الفرعونية لصعيد مصر قد تسلل إليه ؟ لكن كل هذا لعب عيال تجاوزه الزمن : كل رفاتات البيت المسمى بالنبوى متاحة ومعروفة عناوين ؛ كل المكتبة الجيبية موجودة ، وفى لحظة يمكنك ما شئت توليد صورة ثلاثية الأبعاد لكل الأشخاص عند أية مراحل عمرية ، أو استخدام تحاليل الحمض النووى لإثبات العقم والعنة والزهرى ، وإثبات استبضاع الزوجات - بالخيانة من خلف الظهر أو ربما برغبة مُجد نفسه لمداواة الله- وإثبات ضعف الشخصية ونسب المطحون لقصور بصرى لا لبني هاشم ، أو ربما حتى إثبات ما لم يخطر لنا ببال أصلا ! ما يشغلنى هو من عساها تكون الشخصية النسائية الرئيسة فى مثل هذا الفيلم . أعتقد أنه لا يوجد دراميا أفضل من صفية ؛ سيدة الجزيرة الأولى ، ابنة الأسياد التى اغتصبها العبد . أية قيم داخل هذه الشخصية سلبية الرفاهة والرهافة ، جعلتها تكمل حياتها دون أن تقتله ذات مرة أثناء انتهاكه لها يوميا بحسده المقرز القذر (وطبعاً ذكره غير المنتصب) ، أو دون أن تنتحر ؟ دراسة صعبة ؟ أليس كذلك ؟ ربما أيضا دراسة نادرة للسلوك الإنسانى تحت ظروف من قهر هائل شامل . صلابة أم تكيف أم ماذا ؟ ! هه ؟ على أية حال هناك نظرية جديدة تقول إنها استبقت الزهرى وقتلت مُجداً بالسّم ، ما رأيك ؟ !

- (لا يبدو مهتما كثيرا رغم أن الموضوع يتعلق أساسا بعلم الجينيات :) بصراحة ، بعد كل ما جرى لم أعد أستطيع تخيل مُجداً إلا كشخصية كوميدية . رأى ، تعملوا فيلم عن عمر أحسن . على فكرة هو ليس إلها كما يقول ونس ، ولديه مليون تناقض ، لكن هذه قصة أخرى ! (ثم يردف وكأن هذا هو الموضوع الأصلى :) لأ ، وأنت الصادق ، البت منى يئست أنك تنتج لها فيلم ، فقررت تنتج بنفسها !

- موش بأقول لك عنيدة ؟ ! تويوتا وكيمونو وفيلم !

- عنيدة مين يا أخ ؟ ! ها ! ها ! ها ! ... ده كان زمان ! عيب الشباب أنه لازم تحصل لهم مصيبة علشان ينكسروا ، ولحسن الحظ جت مصيبة منى فى فشلها فى حاجات جزئية مقدور عليها ، زى عدم تكلمة فلوس العربية ، أو رفض أعمامها توظيفها ، موش فى المصايب الثانية الكبيرة إلى بنشوفها كل يوم وبتهجيب موت أو انتحار .

- لا أعتقد أنها انكسرت . لا أرى فيما يحدث أى مؤشر لانكسار . هى استفاقت فقط ؛ فقدت بعض غرورها أو ثققتها الزائدة بنفسها ، بدأت تسمع أحسن ، نسيت وهم حياة المتع اللحظية السهلة بتاع ' ميري پوينز ' ، واكتشفت أنه يوجد فى المستقبل شىء أبعد من الدقائق العشر التالية ، أو بصياغة إجمالية ، كل هذا أكسبها خبرة حياة على حساب تخبط وضياح ما بعد-الحداثة . صح ؟



أغلب صاحباتها قرروا ييجوا بصدورهن عريانة !

- اوعى ما تجيش . السيتى ستارز فى اليوم ده ها يبقى معمعة . بتقول أغلب صاحباتها قرروا ييجوا بصدورهن عريانة ! قال إيه ؟ عاوزين يكونوا هم السابقة التاريخية ! تخيل منظرها بالكيمونو وسطهم ! ما ينفعش ما تجيش . ها تبقى مشكلة كبيرة . موش ها تنتج لها فيلم سينما ، فموش أقل من أنها تعمل معاك حديث فى فيلم الذى فى دى . اوعى تقول موش فاضى ؟ ! ثم أنت محتاج لزيارة لوادى السيليكون بالذات فى يوم سيليكونى خالص زى ده ، على الأقل علشان تعرف أن فيه سيليكون حلو (مشيرا إليه :) وفيه سيليكون دمه ثقيل !

- فعلا موش فاضى ، إنما اطمئن ، مستحيل أقدر أفوت يوم زى ده . سأسمتع بروايتها لفكرة فيلمها عن الشياطين لى مرة أخرى ، حتى لو يكن لينتج أبدا . سأخبرها أنها ربما لن تعرف أبدا القدر الذى تغير به التاريخ بسبب أن محاولتها الانتحار قد فشلت . كمان قررت خلاص الهدية إلى ها أجيها لها معاى ، حاجة تمشى جدا مع المناسبة .

- إيه ؟

- الهدايا لازم تكون مفاجأة .

- (يدغدغه في فضول :) مفاجأة لها هي ، موش لي أنا .

- آه ، يا لوح ! ها أجيب لها قرص لفرانك سيناترا ، عليه أغنية My Way .

- كويس ! جايز تخليها تنوع إللي بتسمعه شويه ، موش كله روك × روك . (ثم متفكرا قليلا :) طبعاً ها تعجبها ، تمشى مع دماغها إللي زى الحجر . المهم يكون بقى دلوقت حجر مليون من جوه ، موش أجوف من بتوع عصر ما بعد-الحداثة إياه !

- خليك متفائل !

- أنا متفائل فعلا ، أنا أخيرا فهمت إيه هي ما بعد-الحداثة ، والفضل لك أنت .

- إزاي ؟



في النهاية لن يصح إلا الصحيح ، ولا بد وأن يدرك الجميع أن لا طريق ثالث ولا حتى طريق ثاني ،

فقط الطريق الأول ، طريق الأدغال ، طريق أمنا الطبيعة !

- إنك ثابت على رأى واحد طول الوقت . قعدت أفكر ليه فيه ناس ثابتة على رأيها وليه ناس ' موش راسية على بر ' (بين قوسين) ، فاكشفت أن السبب هو سقوط الاتحاد السوفييتي . ما بعد-الحداثة شىء قديم قدم الحرب العالمية الأولى ، لكنه لم ينتشر كما الوباء إلا بعد سقوط الشيوعية ، واكتشاف جيوش اليساريين أنهم باتوا معلقين فى الهوا ، فدخلوا مؤقتا فى هذا الدين أفواجا إلى أن يجدوا أيديولوجية أخرى . ظهر كلينتون وبلير والطريق الثالث ... إلخ ، وجروا وراهم جيوش من الشباب ، لكن فى النهاية لن يصح إلا الصحيح ، ولا بد وأن يدرك الجميع أن لا طريق ثالث ولا حتى طريق ثانى ، فقط الطريق الأول ، طريق الأدغال ، طريق أمنا الطبيعة ! أفكر الدنيا بدأت تفوق دلوقت وتفكر فى عبارتك الغريبة شر الأمور الوسط ! ها ! ها ! ها !

- الدنيا موش ها تفوق خالص ، لأن التعقيد إللي أنت بتتكلم عنه تجاوز خلاص حدود القدرات العقلية للإنسان الطبيعى ، ولا بد من كائنات جديدة فائقة الذكاء والمعرفة هي التي سترث الأرض . واضح أنك لن تتخلى عن حبك للإنسان ، ولا تريد أن تقبل فكرة أن اليابانيين ليسوا بديلا للإنسان بل جسر لما هو بعده .

- على فكرة أنا عاوز أصحح لك حاجة : الشطحات عكس الوسطية لغويا ؛ لا وسطية على الإطلاق فى أن تبني شيئا يظل لأربعة آلاف سنة أعلى بناية فى العالم ! أيضا ألم أقل لك ذات مرة أن لا تنخدع بالمظهر الخارجى للحمام ، ذلك أنها أشرس بكثير مما يخطر ببالك ؟ الآن أنت تكشف أن أمنا إيزيس ليست بالطيبة التي تبدو عليها للوهلة الأولى ، ومثلما تقول تطويها ذاتية إنها الحب والحنان ، تقول أيضا الشرسة الفتاكة بكل من يمس شعبها ، بل تقول صراحة إنها الطبيعة ؛ أمنا ! يعنى ببساطة داروين لم يأت بجديد لم يقله أجداده المصريين . ها ! ها ! ها ! (ثم يستحلب الكلمة فى فمه :) My Way ! تنفع نشيد قومي ! تنفع كمان خلفية للفيلم . (ويربت على يد وحيد بجنان :) إنما أنت غلبان ومحروم ويا دوبك تنفع عليك Strangers in the Night ! (ثم يعدل رأيه بسرعة حتى قبل أن يهم بالضحك على عبارته السابقة هذه :) My Way تنفع . أنت برضه شغال من دماغك . كل الدنيا شغالة من دماغها . على رأى المثل دنيا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين .

- (ضاحكا :) هي بقت من الأمثال دلوقت ؟ ! ارسى على

- (ضاحكا أكثر :) لأ ، خلاص ! يقولوا نبتت لها إيدين !

ويعود وحيد فجأة ليأسه وتجهمه : ' أشك ! ربما هي فعلا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيدين ' .

- (ضاحكا أكثر وأكثر :) ارسى على بر ، لو سمحت !



انتظر خمس سنوات أخرى ويمكنك الحصول على حفيدة بشكل ماريلين مونرو وعقل ألبرت أينشتاين !

حين تهدأ نوبة الضحك يواصل قائلا : ' تصور أنى بدأت من جديد الجدل مع منى حول الأطفال . فى خلال خمس سنوات ستباع الأجنة جاهزة من كتالوج فى الصيدليات إن لم يكن فى فائرينات السوبرماركت ، وتذهب به للطبيب ليركبه لها كما يركبون الآن مثلا لوالب منع الحمل . هى تريد طفلا حليوة بجينيات پوب مكارتنى وأنا أقترح جينيات ألبرت أينشتاين أو لو أننى جينيات ماريلين مونرو ' .

- انتظر خمس سنوات أخرى ويمكنك الحصول على حفيدة بشكل ماريلين مونرو وعقل ألبرت أينشتاين !

- اطمئن ! هى موش مستعجلة خالص . كلها مناقشات وافتراضات فى الهواء . أنت فاكرك أنها زى ميرفت هادية وعاقلة وحساسة ؟ العمر الافتراضى لأية علاقة ناهيك طبعاً عن زواج واحدة زيتها لا يمكن يزيد عن ٦ شهور ، إن لم يكن ٦ ساعات . على أية حال ده إنجاز ؛ على الأقل بدأت تأخذ وتدبى فى الكلام . استثنائى ! تخيل أنى لم أسأل سماء قط رأيها فى مستقبل الهندسة الجينية ؟ ترى هل تفضل أن ما يباع فى السوبرماركت مستقبلاً هو مجرد أجنة بشرية -بويضات مخصبة- أم أطفال رضع جاهزين ؟ لو تسألنى أنا ، أجيبك : كله بئس ؛ لكن هل هذا هو السؤال الحقيقى عن المستقبل ؟ السؤال هو أين سيوجد روميو الشيخ حجاب ليسأله عن دعاء شراء الأطفال المهندسين جينياً من السوبرماركت ؟ ! ها ! ها ! بأهزر . السؤال إالى قصدى عليه : ما هى مواصفات هؤلاء الأطفال ؟ تعرف أن طول عمرى بالتصور البشر المصممين جينياً ها يكون شكلهم حاجة تانى خالص ، لا أينشتاين ولا مونرو : رأس ضخم علشان حجم المخ لازم يكون أكبر ، جسم صغير علشان توفير استهلاك الطاقة ، وأهم حاجة خالص خالص : جناحين علشان يطير وتحل أزمة المواصلات !

- أوه ! هذه قصة أخرى ، وإن لا بد أن يومها قريب ! (ثم مبتسما :) أخيراً أصبحنا متفقيين : الإنسان مرحلة !

- (ضاحكا :) مين اتفق مع مين ؟ ! الفكرة دى بتاعتك ولا بتاعتى ؟ ! طبعاً الإنسان مرحلة ، لا أكثر ولا أقل ! أسأل داروين : لا أحد على رأسه ريشة ، ولا أحد يدعى لنفسه أنه وحده ابن الآلهة !



لن تنتمى لأى تراث ، إنما ' للمستقبل البعيد ' شرد ضهرى لبرهه متطلعا من النافذة للجهة الأخرى من الشارع ، المبنى التاريخى الذى تقع

فيه شركة مصر الجديدة : ' كلمة كايرو دى من القاهرة ، يعنى عربى . موش المفروض نسمى العاصمة هليوپوليس أحسن ؟ حاجة جميلة

يونانى على فرعوى ، ثم أنها اسمها الأصلى ' .

ثم سرعان ما يناقض نفسه : ' القاهرة اسم موش وحش ! طول عمرى كنت فاهمة على أنها قاهرة العرب الذين لم ولن يغزوها أبدا . وأن ما قصد بها هو إهانتهم وإذلالهم ... أنا عارف ! ها تقولى الحرية ، ونسبب الناس تختار ! ... على فكرة أعلنوا النهارده أن اليابانيين ها يشتروا خلاص شركة مصر الجديدة ، وها يقوموا بتحسينات كبيرة فى الشوارع والمباني والجناين والخدمات . غير كده كل المنشآت والكلبات العسكرية فى مصر الجديدة والمأظلة وطريق المطار ها تتباع للشركة الجديدة وتنقل أماكن بعيدة . يقولوا بيفكروا كمان يضموا المطار نفسه للمشروع الجديد ، وينبوا مطار جديد بعيد عن العمران . الشركة ها تشتري كمان أراضى تانى ، وبعض مناطق تقرر إزالتها . ناويين يعملوا على كل الأرض دى مدينة جديدة ها تبقى امتداد جغرافى وتاريخى -الأتين سوا- لمصر الجديدة . معمار آسيوى برضه ، بس على يابانى بالذات . فى نفس الوقت ها بيتدوا مشروع مدينة جديدة بالكامل فى عمق الصحرا ، موش ها يكون فيه قبلها ولا بعدها فى الشرق الأوسط من حيث الفخامة والحداثة ، لن تنتمى لأى تراث ، إنما ' للمستقبل البعيد ' ! زى ما قالوا . ساعتها روميو ها يضطر يغير حساباته ، لأن السيتى ستارز لن تكون إلا قزما ! ' .

- جميل جدا ، بس الأهم منها شركات التكنولوجيا إالى ها تيجى من اليابان .

- يقولوا الست الكبيرة هى إالى شجعت اليابانيين دول على المجيء .

- آه ، معروف أنها مهمة بحفظ تراث مصر الجديدة .

- المهم أنها بترعى مهرجان على الطريقة المصرية خالص : ' مولد ستنا الكورية ' ، ها ! ها ! ها !

- (شاردا قليلا :) من يدري ربما يعود شباب مصر الجديدة القديم من جديد ، ولن تعود حى المعاشات الذى تمثله إدوارد يوما ؟

- ها ! ها ! ها ! دوراتية زى البورصة ! ما الدنيا إلا بورصة كبيرة ! ها ! ها ! ها !

- أهم ما فى الموضوع أن أخيرا ها نخلص من الشبكجى وعصابتة .

- وستعود كيوييد لرسالتها العظيمة كما أرادها لها دكتور فرغلى رحمة الله عليه . تعرف أنهم رموا كل الشركات برخص التراب ، عاوزين ينفدوا بجلدهم ، قبل الناس هنا ما تفتح عليهم محاكمات وقضايا ؟ سين وجيم أخذوا كام من وظائف مجلس الإدارة ، وغسيل أموال ، وغيره وغيره ؛ ده غير المستور فى تمويل الشبكجى للإخوان-الأخوان وللجماعات إالى كانت بتضرب فى الصعيد . والله دمك ما راحش هدر يا دكتور فرغلى !

- أنا بأه عندى خبر أكبر من كده عشر مرات . عشر مرات ؟ قول ١٠٠٠ مرة !

- إيه ؟

- (وقد اكتشف أن لسانه قد زل :) أنا آسف . للأسف ما أقدرش أقوله ، حاجة ها تعلن قريب .

- موش قلت لك يا حضرة السيد المترجم ، أنك دلوقت حاجة تانى . ما عدتش الصحفى إالى بييجرى ورا الأخبار علشان يفرح لما يذيعها . دلوقت الأسرار إالى بتعرفها ما يصحش تتذاع . أقطع دراعى أنك كنت عارف صفقة مصر الجديدة من شهر أو أكثر ؟

وكان وحيد يقصد أن ثمة عرضا من بنك ليئومى ، الذى أصبح الآن أكبر بنوك إسرائيل متخطيا الصدارة التقليدية لبنك الشغيلة (هبوعليم) ، عرضا للاندماج مع البنك الأهلى المصرى . هذا حيث -بالذات بعد سلسلة الاستحواذات التى قام بها البنكان الإسرائيلى والمصرى فى الفترة الأخيرة- سيصبح البنك الجديد أكبر بنك فى العالم خارج أميركا واليابان وأوروبا . وقد وصلوا بالفعل لمرحلة مناقشة الاسم المقترح له : بنك إسرائيل-مصر ، أم بنك الشرق الأوسط ، وفضلوا الأولى لأنها تعبر عن نوع من القطيعة مع البلاد العربية الحقيقية شرقى المتوسط . الشىء الذى أثر عميقا فى وحيد ، أن وجدهم يفخرون بالمقارنة بين بنكهم وبين البنك الأهلى . هو أيضا أول بنك رئيس فى فلسطين السابقة ، وأيضا بنك إنجليزى يهودى ، جاء بعد نظيره المصرى بأربع سنوات فقط ، هذا الذى ظلوا يعتبرونه مثلهم الأعلى ، وبعد الاستقلال سمي على غرار اسمه بالضبط . البنك القومى المصرى جعلوها بنك ليئومى لىسرائيل ، بمعنى بنك البنك القومى الإسرائيلى . وكان عماد الاقتصاد الفلسطينى ، ومن ثم عماد النشاط الاقتصادى للحركة الصهيونية ، وظل على امتداد المرحلتين ينفرد بوظيفة إصدار العملة ، هذا إلى أن أسست إسرائيل بنكها المركزى ، بنك إسرائيل ، فى سنة ١٩٥٤ . بالضبط نفس ما حدث مع البنك الأهلى المصرى ، وإن مع فارق واحد : أن لم تتم مصادرة أحد !



موش معقول ؟ ألف مليون مبروك !

تأتى المشروبات ويبدآن فى احتسائها ، ويمارس زهرى براعته المعهودة فى العثور على موضوع جديد للحديث : ' بعد كل إالى حصل ده المفروض تكتب مذكراتك ؟ ' .

- أعتقد أنى اعتزلت الكتابة . الحقيقة أنا عندى خطط تانى .

- خير ؟

- تعرف أنى ها آخذ فيلا ماما تانى ؟

يقفز الحاج من مقعده ، ويكاد يطير لأعلى بأقوى مما تفعله منى نفسها ، ويصبح بالقدر الكافى لارتجاج زجاج المكان : موش معقول ؟ ألف مليون مبروك !

ويلقى بنفسه فوق وحيد يغمره بالقبلا ، وسط دهشة كل الحاضرين مما يحدث . وحين يعود لمقعده يصيح من جديد : ' هايل ! هايل ! إزاي ده حصل ؟ ' .

- أخذوا تصريح هدم ، وكانوا ها يتتدوا الهدم فعلا يوم الاثنين الجاى . جريت وعرضت عليهم أشتى لهم أى أرض أو فيلا تعجبهم معروضة للبيع ، ولو على طريق المطار الرئيسى ، ولو مساحة أكبر ، أى حاجة تناسبهم ، وبأى سعر ، ده حقهم .

- إحنا فى الخدمة ، لو عاكسوك أنا جاهز ، وكل رجاله القناطر جاهزين . بالذوق وبالحق ، ما تخافش ! (ثم مستدركا :) يعاكسوك ؟ فيه حد برضه يقدر يعاكسك من ساعة حديث التليفزيون إياه . ده أنت لو طلبتها منهم ببلاش يدوها لك !

يضحك وحيد : ' رجاله القناطر ؟ لأ ، لأ ، أنت فاهم غلط . دول ناس طيبين جدا ومحترمين جدا ، والحكاية موش محتاجة خالص . بالعكس ، أنا سعيد بهم وها أفرح لو شفتهم بنوا برج في مكان كويس . لما قلت لهم أنا عاوز أرجع القيللا وأحافظ عليها علشان اسم ماما ، عرضوا أرجعها وبنفس الفلوس بالظبط ، وأنا طبعا ما رضيتش . بصراحة صمموا ، وعلشان يقنعوني قالوا يكفيننا تحط لوحة أو تطلع إعلان تشكرنا فيه ' .

- اطمئن ، المضاربات على العقارات انتهت ، والأسعار رجعت تقريبا لنفس أسعار الأيام إلى أنت بعت فيها . بالكثير ها تدفع ٧ أو ٨ مليون في حاجة أكبر حبتين وها تبسطهم أوى .

- قالوا لي كده فعلا ، وأنها موش تضحية كبيرة زي ما أنا فاهم ، لو رجعوا القيللا بنفس الثمن . أخيرا اتفقنا : ها تاحدوا أرض وها أحط لوحة . أنتم تستحقوا الاتنين ، وأنا كده كده ها أحط لوحة ، لأن عندي ناس كثير لازم أشكرهم .

ويضيف : ' ناس كثير من أول صحيفة صغيرة اسمها هالة ، لغاية الدكتور فرغلي العظيم وشركته ، لغاية كل إلى اتحملوا الخطر وهم بيحاولوا يصلحوا البلد دي . حتى خادمة بسيطة اسمها رمانة ، كان لها أثر أكثر مما تتخيل هي أو يتخيل أحد ! ' .

ثم يشير للحاج رابتا على يده بنفس الحنان الذي تلقته يده هو قبل لحظات : ' ناس كثير يجد وقفوا جنبى حتى من غير ما يحسوا ، وأكثر بكثير مما يتخيلوا ' .

- (يدغدغه من جديد :) طبعا ! طبعا ! أنا إلى أنقذتك من الموت ، اوعى تنسى ؟

- هو ده الفضل إلى أنت معتقده ؟ (ويحاكى وإن بنبرة حزينة كلمات اعتاد قولها ضهرى نفسه له :) أنت موش فاهم أى حاجة في أى حاجة . فيه أفضال تاني أكثر وأكبر بكثير مما تتخيل ، لدرجة أن إنقاذى م الموت بأعتبره شىء تافه ، وتقريبا نسيته ، أو حتى طول عمرى ما فكرت فيه !



عالم قائم على التنافسية الخالصة التي لا ترحم أحدا

هو البوتوييا الوحيدة التي يجب أن نحلم بها ونسعى إليها

- لي شهر بأسأل أنت ليه اتصلت بي وما اتصلتش بهالة رغم أنها الصحفية وإلى ممكن تنشر شهادتك إلى كنت عاوز تقولها لما خفت تموت ؟ عقلك الباطن قال لك أنى أنا إلى ها أتصرف وها أنقذك . أو جاز قال لك الناس ها تصدقنى أنا وموش ها تصدق كلام حد من الصحافة . صح ؟ !

- (ضاحكا :) موش أنت برضه الإله إلى لازم نصلى له في وقت الشدة ؟ (ثم شاردا :) عقل باطن ؟ ما أفتكرش ! كل إلى حصل أن أنت الوحيد إلى جه في بالي . أنت أكثر واحد بقيت بأشوفه في السنتين الأخيرتين . كل يوم بنشوف بعض وقاعددين جنب بعض . عاوز إيه أكثر من كده ؟ متهيأ لي الحكاية موش عاوزة عقل باطن ! أو فعلا ، كل شىء جاز . جاز عقل باطن . جاز فاوسيت !

- فاوسيت ؟

- قصدى فرويد . زلة لسان . زي ما أنت عارف أنا دلوقت بقى عندي حوالى ٣٠ مليون جنيه ، بعد ما بعت أسهم كيوييد . الفلوس دي موش من حقى . في الأول والآخر الأصل فيها أنها فلوس ماما ، وأنت تعرف رأيي في المال السهل ، وكم كنت أعانى بسببه ، وأعتقد جاء الوقت والفرصة كى أظهره . ثانيا ، الزيادة فيها جه معظمها من مساهمين صغار جداد ، اندفعوا للاستثمار ، ضاعت منهم وجت لواحد زي . بعد تسوية موضوع القيللا ها يبقى معاى حاجة وعشرين مليون . (ثم مبتسما بعبارة اعتراضية :) وبما أنى لست مثلك أؤمن بالأفعال الخيرية ...

- (يقاطعه :) ومن قال لك إني أؤمن بها ؟ إنها بيزنس كأي بيزنس . ادفع حبة واحصل على سبعمائة . (ثم ضاحكا :) لا شىء يفعل البشر لوجه الله . كل شىء بمقابل ! عدم مساعدة الناس لبعضهم شىء جيد وعلامة تقدم . لو ذهبت بمصايب في حادث للمستشفى سوف تتعرض للتحقيق ويضيع وقتك ، ثم بعدها سيرفع عليك قضية تعويض متهمًا إياك بأنك السبب في العاهة التي أصابته لأنك لست بالخبرة الإسعافية الكافية ، أو حتى يتهمك بانتهاك الخصوصية أو هتك العرض ، وأنت لا يوجد لديك شهود على أنه طلب إنقاذك له ، أو ربما بالفعل

- تكون قد أقدمت عليها بالفعل من قبيل الإنسانية والشهامة . الصح أنك تطلب المستشفى بنفسك أو تطلب واحد قريبك أو صديقك زى ما عملت أنت لما تعبت . قيم الدغل هى الأرقى إطلاقا والأكثر تقدما ، وكل محاولة لتجاوزها هى عودة للخلف ، صح ؟
- بالضبط ! عالم قائم على التنافسية الخالصة التى لا ترحم أحدا هو اليوتوبيا الوحيدة التى يجب أن نحلم بها ونسعى إليها ، وآمل أن نكون قد اقتربنا خطوة منها . المهم ، أنا قررت أعمل من الفيلا معهدا لا يهدف للربح أسميه 'معهد آمال نور لدراسات الحرية' .
- اسم غريب ، (ويستدرك بسرعة :) قصدى اسم جديد وجميل .
- (شارحا الاسم :) ' الحرية ' ! ها ندرس كل الحريات . الاقتصادية والشخصية ، الماضية والحاضرة والمستقبلية . وها ندرس ما هى حدود انتقاص الحرية . بالنسبة للاقتصاد ها نحاول نطبقها عملى . قسم مركز أبحاث يطلع تقييمات لآفاق الاقتصاد الاستثمار . قسم تقييم للشركات ، ممارسة واقعية للشفافية قطاع خصوصى ها تطلع فى مجلة شهرية أو جازيز أسبوعية ، زائد موقع إنترنت . كمان ها أعمل قسم تانى لدورات مسائية بتكلفة رمزية لراغبي الاستثمار ، نعلمهم أصول الاستثمار الصح الجاد فى الأسهم . أول تلاميذ ها يكونوا عارف وأصحابه .
- (ضاحكا :) وجايز تخلى العيال الصبيح دول معبين بعد شوية ؟ !
- جازيز . رمانة كمان ها تشتغل فى المعهد . فجأة لقيتها بتهنئى بالشغل الجديد ، وسألتنى هل لها وظيفة فيه . قلت لها ده شغل متعب ، وغير شغل البيت . صممت . أنا فاهم هى ليه مصممة تسيب البيت ، لكن إالى موش فاهمة هى عرفت حكاية المعهد منين ؟ ... بتقول عرفت بإحساسها !
- هو بعينه بغباوته ! جازيز صلت لربنا وقالت له أنها موش مرتاحة معاك فى البيت ، وربنا استجاب لها . جازيز يا سيدى عصفورة قالت لها . جازيز أى حاجة !
- آه ، فهمت ! عصفورة من عصفير الجنة ! بس أنا لسه ما قلتش لربنا على حكاية المعهد !
- ده ربنا بقى ! موش بيقولوا عجيبه هى مسالك الرب ؟ ! أنت عاوز تتدخل فى شغله ؟ !
- فعلا ، يا له من إله لعين ' هو ' الذى يتدخل دائما فيما لا يعنيه ! موش برضه بيقولوا إنه يستجيب لطلبات الناس من غير ما يطلبوها أصلا ، أو بيقولوا الرب راعى فلا يعوزنى شىء ، أو بيقولوا someone to watch over me ؟ ! (ثم مستنكرا كلمة سابقة تذكرها الآن :)
- أخذ الفيلا ببلاش ؟ إزاي تفكر كده ؟
- يا عم بأهزر ؟ ب - أ - ه - ز - ر ! كل حاجة كده عندك أرسطو وكمبيوتر . أى واحد النهارده فاهم أن كل إالى تم ده ، علشان ما ييقاش فيه فساد واستغلال نفوذ وحد ياخذ حاجة ببلاش . افرض حتى أيام ما كان فيه حاجات ببلاش ، موش وحيد إالى يعمل كده .
- بالضبط ، أنا عملت كده علشان أن مشكلتى أنى عاوز أسدد ديونى لا أن أزيدها . لا أريد أن تكون على أى ديون لأحد ، على الأقل ذلك النوع من الديون الذى لا يجعلك تنام بعمق . سأخبرك بسر : لقد عرض على مبنى الجامعة العربية المنحلة -بعد عودته لمصر- كمقر لهذا المعهد ، وأنا الذى تقززت من مجرد فكرة أن تطأ قدماى ذلك المكان الرجس النجس ، ناهيك طبعاً عن أن أجلس فى مكتب نقيب العربية .
- موش عاوز ديون ؟ موش قلت لك بأفهمك أحسن منك !



قناة ' المتوحشة ' !

- سأبدأ من الصفر من جديد بمرتب من المعهد نظير الإدارة ونظير ما سألقيه من محاضرات . هالة وافقت تساعدنى . ستشرف على النشر والمطبوعات وموقع الإنترنت .
- لا لا لا ، لا ، لا لا لا ! إالى أنا بأسمعه ده حاجة تانى . إيه ؟ مشروع لـ ' مدرسة شيكاغو ٢ ' ؟ !
- ما تروحش لبعيد أوى كده !

- لا ، لا ، لا ، لا ، لا ! ده إحنا قريب ها نقرأ كتب وكتب ، من تأليف ' الدكتور ' وحيد الديب ، وأرجع وأفكر ، وها تقول ضهرى قال . أنت لسه بتفكر تعمل كتاب اسمه ' الأنثروبى الجينية ' أو تترجم ' الجين الأناني ' ، ولا الدنيا اتغيرت ؟ موش قلت لك دنيا براسين ، يعنى لا تثق بأنها ستستمر على حالها أبدا ؟ !

- أخيرا ! هذا هو معناها ؟

- إطلاقا ! وحياتك أنا لو أعرف معناها موش ها أعزه عليك ، هى ها تفضل لغز لغاية ما يظهر بعد كام سنة أو كام ألف سنة حد عبقرى يفهمها لنا ! (ويطلق ضحكة طويلة ، ثم يستدرك :) دكتور ؟ دكتور إيه ؟ أنت فوق كل الألقاب ! لا ! ! ! مقالات إيه وكتب إيه ؟ ها نشوف قناة العلمانية !

- ها ! ها ! أنا أفضل أن أعمل قناة لى مصر الجديدة عن أن أعمل قناة للعلمانية !

- أقول لك اقتراح ، وتعترف أنى موش تركت الأفلاطونية بس ، إنما أصبحت أكثر منك أرسطية ؟

- قول .

- أنت موش بتقول أنك ناطق غير رسمى بلسان أمانا الطبيعة ، يبقى علمانية إيه وبتاع إيه ؟ كل دى أفكار وكلاميات ، اعمل قناة عن الاقتصاد الحر ، الرأسمالية المتوحشة . أنت صدقت لما كنت بأقول لك الحكومة وسخة والشعب أوسخ ؟ كنت عاوز بس أنزل بآرائك لأرض الواقع ، أتأكد أنك ملم بكل التحديات . الحكومة لازم تكون أمنية حديدية ، موش مجرد ترفع إيدها من الشئون الاقتصادية والاجتماعية . لا بد من التخلص من الأقلية العربية الطفيلية التى كانت تعيش من الابتزاز والمزايدة وتلويث السمعة . وشكرا لحورس أن تحقق كل هذا وذاك بالفعل . ساعتها فقط انجلي معدن الذهب الذى صنعت منه جبينات الشعب أصل الحضارة هذا . وها أنت ترى ما يجرى الآن ، اتضح أن الشعب لا يمت للاشتراكية بصلة كما كنا نعتقد ، ببساطة لأنه لم يكن كذلك يوما . ففى تلك الأيام البكر صافية السماوات ، مصر الفرعونية لم تكن لتستطيع أصلا تخيل شيئا غير القانون الطبيعى . انظر حولك ، بين عشية وضحاها أصبحت الدنيا غير الدنيا : لا أحد يطالب ، الكل يكدح ويبتكر ويبتعد ، والبنك العالمى يتوقع لاقتصادنا نموا ١٠ بالمائة العام الحالى .

- أقول لك سر ؟ أنا أخجل من مهنة الكتابة والكلام ، شغل أرسطو الحقيقى هو البحث العلمى ، والكتابة ما إلا تدوين للنتائج . ما هى وظيفة أرسطو ، أو منهج التحليل والتركيب ، أو العلوم الطبيعية عامة ؟ قد تعجب للتشبيه : إننا الماشطة ! نفكك تلافيف الشعر الأشعث من بعضه البعض ، ثم نعيد تصفيفه بحيث يظهر على طبيعته فى شكل يمكن تمثله واستيعابه . نحن لا نغير منه شيئا ، لا نحذف شيئا ولا نضيف شيئا ، فقط نحاول فهمه ، وجعله مفهوما للغير . لكن للأسف استشعر أن الكتابة تضعنا خطأ فى خانة بائعى الكلام والشعارات . (يصمت لبرهة :) إنما هى فكرة تستحق البحث (ويجتر الكلمة) : قناة ' المتوحشة ' !



كتبت عليكم الكتابة وهى كره لكم !

- (ضاحكا :) كتبت عليكم الكتابة وهى كره لكم ! ... يا أخ ، أنت ما تفهمش فى الناس ضفر إالى أنا أفهمه ، بما فى ذلك فهمى لك أنت نفسك ! وبعدين إيه ؟ إيه المشكلة صحيح : بداية جديدة ! منى بتقول موش ها تخلف إلا بعد السبعين ، وأنت يا دويك ٥٦ سنة .

- للأسف خسرت معظم الأثاث .

- ولا يهملك ! أنا لاحظت أنك احتفظت بحجرة المكتب وبال حاجات الشخصية زى الصور والساعات والبيانو وبعض التحف . وبرضه الفوردي . عاوز إيه تانى ؟ تفتكر فى معهد زى إالى ها تعمله ها تحتاج سفرة ولا أودة نوم ؟

- تسرعت . ما كانش المفروض أبيع . كان المفروض أسكن سكن عادى موش مفروش وآخده معاى . كسلت حتى من صعوبة نقله . كنت زى إالى يهرب من كل حاجة ساعتها . كنت عامل زى واحد عاوز ياخذ شنطته ويدخل مكان ينام فيه بعد ٥ دقائق ، ويكون أفضل لو ما يصحاش خالص !

- إيه الكلام الفاضى ده ؟ أكيد حاجة مامتك دى موجودة عند ناس عارفة أصلها ، وذكرى والدتك لسه عايشة فيها عندهم . موش أنت برضه إالى كتبت مرة تطالب بخصخصة الآثار ، أو بيعها للمتحف البريطانى أو اليابانى أو المتروبوليتان علشان يحافظوا عليها أحسن منا . ما تشيلش هم ، والدتك مخلدة ، وها تعيش بعدنا كلنا . كفاية الأفلام بتاعتها . اصحى ! بص لقدام ! موش لسه بنقول بداية جديدة ؟
- بعد لحظات صمت عاد الحاج وقد تذكر شيئاً فجأة : على فكرة ، أخذنا الكلام فى شبرا ونسينا نقول لك : ' إدوارد ها يطلق خلاص ' .
- ممتاز ! (ثم يضحك :) يا دوبك ٤٨ سنة . بداية جديدة !
- وليه ما تقولش ' الحرية ' بتاعتك ؟
- ممكن ! أنت عارف رأيى ! لو فيه حب والتزام متبادل وقيود اختيارية بالتراضى كان معلش ، إنما غير كده ، سيطرة وخلافات ونكد زى حالة إدوارد ، الحرية أحسن .
- أو عارف رأى البت منى : العلاقات مستحيلة !
- هى ' حرة ' برضه ! إنما إزاي ده حصل ؟ الكنيسة وافقت ؟
- أبدا ! ها يقلب پروتستانتى ، ويروحوا المحكمة .
- (لا يزال يضحك :) أظن دلوقت ها تبطل تقول عليه من غزاة مصر الجديدة ؟
- (يصبح يحزم لفت الأنظار من جديد :) أبدا ! بعينه ! دمه مصرى صميم ، ولا يمكن ها يبقى پروتستانتى حقيقى مهما عمل !
- أنت ها تفضل ظالمه كده على طول . موش كفاية عليه المأساة إالى هو فيها ؟
- بالعكس ! أنت عارف أنا شاركته فى الأجانس ليه ؟ علشان كان ها يبيع شقة رمسيس ، وأنا قلت له خسارة ، واستنى . شفت خدمته إزاي ؟ دلوقت ها يطلق وممكن يسكن فيها ، وجايز ربنا يفتحها عليه بعروسة بنت حلال . بالمره كمان يسيب بيت شبرا لمينا . جايز يفتحها عليه ربنا هو كمان .
- (بلهجة تقريرية بطيئة تجز على الأسنان :) يعنى م الآخر لعبت له فى دماغه ! (ثم ضاحكا :) إنما متأكد أنك خدمته كده ؟ ده ها يعيش وسط ذكريات غريبة عجيبة ، مفرحة أو حزنة ، جميلة أو قبيحة ، وادعة أو مرعبة ، كل شىء .
- هكذا الحياة ، أيام دافئة وأخرى ساخنة وثالثة عاصفة ، وأنت لا تستطيع أن تختار جلسات بورصة بعينها وتلغى الأخرى .
- كفاية يا أخى يوم زكايب الفلوس . كفاية أشكال الناس . كفاية صاحبات روميو . متهياً لى ريحة الهوا نفسها موش ممكن تضع من الشقة حتى لو دهنها ١٠ مرات ! لأ ، وفوق ده وده عاوز تجوزه تانى ؟ !
- (بأسى شديد :) كفاية نبيل ! كفاية صرخة إلهى إلهى لماذا تركتني ! ترى أيهما كان الأصح : أن يموت يسوع ، أم يموت المسيح ؟ لست واثقا أن الأخير كان الأجدر بالمواجهة الملحمية الأخيرة مع المسيح-الضد ؟ (وينقلب للبهجة من جديد فى لحظة :) إنما استنى هنا . أنت ها تاخذنى فى دوكة . احكى لى ، احكى لى ، وبالتفصيل . إزاي جت لك فكرة الفيللا دى ، إمتى قررت الكلام الكبير ده ؟
- بالصدفة عرفت ، بصراحة كنت نسيت الموضوع ، أو بمعنى أصح اتعودت اعتبره منتهى ، وتكيفت على الاستسلام ومحاوله النسيان .
- ده كان سؤالى . الفلوس معاك لها كام شهر ، إشعنى دلوقت فكرت ترجع الفيللا ؟
- أنا مبسوط أن سنة ونص مرت من غير ما تنهد الفيللا .
- قلبك أبيض ، فيللا على قصر الرئاسة تاخذ تصريح هدم فى سنة ونص ، ده إنجاز ! برضه ما جاوبتش على السؤال .
- فجأة حاجة صحتنى لما شفت المعدات واقفة قدام الفيللا .

- لا ، لا ، لا ، لا ، لا ! الحكاية موش كده . أنا أفهمك . أنت قررت تبقى مستشار بطريقتك . قبل كده ما كنتش شايف فايده من استرجاع القبلا ، أو استرجاع أى حاجة من حياتك الأصلية . دلوقت الوضع مختلف . البلد كلها اختلفت . كان لازم كل البلد تتغير علشان تتغير أنت .

ثم يفرمل قليلا من ابتهاجه لكن دون أن يقلبه لأى شىء يمكن أن يوحى بالعكس : ' كده أنا فهمت ليه أنت موش طايق تصبر للصبح على زيارة مامتك ؟ ' .



بما أنى أنا الإله الذى يعرف كل شىء ،

وبما أنه لطالما بحث علماؤكم عبثا عن المعادلة الفائقة التى تفسر كل شىء فى الكون ،

فإليك الآن منى تلك المعادلة !

احتسى كل منهما المزيد من رشقات من المشروب الذى أمامه ، وكان وحيد هو الذى شرد هذه المرة مع الجو العاصف بالخارج ، ذلك كى يعود متسائلا : ' لدى سؤال فلسفى ، بما أنك أنت الإله الذى يعرف كل شىء : لماذا نحى أنفسنا من البرد ، ولماذا نكره الحر ، لماذا نرفض الجفاف لبشرتنا ، ولماذا نرفض أيضا الرناخة الزائدة عليها ، أليس هذا كله انتصارا للوسطية ؟ ' .

- بالعكس ! أنت فى كل هذا تبحث عن شروط شديدة التطرف من حيث ملائمتها لجسدك ! ... بما أنى أنا الإله الذى يعرف كل شىء ، وبما أنه لطالما بحث علماؤكم عبثا عن المعادلة الفائقة التى تفسر كل شىء فى الكون ، وإليك الآن منى تلك المعادلة ! ... الكون معادلة من الدرجة الخامسة لها بالتفاضل خمسة حلول : قيم دنيا عند الصفر وعند النصف وعند الواحد ، وقيمتان قصويتان عند ٠.٠٥ و ٠.٩٥ ، وارسم أنت المنحنى ! ... ها ! ها ! ها ! ... ها تلقاه زى حرف M ! تعرف الـ M ولا ما تعرفهاش ؟ M as in Mona ! ... ها ! ها ! ها ! ... قديمة ؟ ! صح ؟ أنت ما بتضحكش ليه ؟ فى الـ ٥ . / انفعالات ؟ ولا ما بتتفعلش إلا على ذكر اليمين المتدين ؟ عامة أنصحك أن تبحث عن درجة الحرارة والرطوبة المناسبين بنسبة ٩٥ . / لك ، لأن المناسب بنسبة ١٠٠ . / ليس هو الأمثل ! وينقلب ضهرى للجديدة : ' بمناسبة إله إالى بتوصفى بيها ، أنا لا أعتبرها مدحا . عاوزك ما تنساش فى يوم م الأيام أن ٩٥ . / دائما أحسن من ١٠٠ . / ! ' .

بعد برهة يعود وحيد متسائلا من جديد : ' رأس ضخمة وجناحين ، لكن هل سيقف على ساق واحدة كأبى قردان أو ما شابه ؟ ' .

- إسمعنى ؟

- علشان يبقى فعلا برأسين ورجل واحدة ومن غير إيديين ؟

- ها ! ها ! ها ! أنت ها تفضل شاغل نفسك بالحكاية دى كتير ؟ حاول تنسى ، وركز فى شغلك الجديد . (ومن ثم متذكرا سؤالا سابقا فعاد يلح عليه مرة ثانية :) الخلاصة أنك موش ها تكتب مذكراتك دلوقت ؟

- أنت مهتم أوى كده ليه بمذكراتى ؟

- علشان فى الحالة دى أنا إالى قررت أكتب .

- تكتب إيه ؟

- ها أكتب رواية . وها تكون أنت واحد من شخصياتها !

- (صاح بدهشة عالية الصوت لفتت الأنظار أكثر من أية مرة سابقة :) بس أنت ما بتعرفش تكتب يا حاج !

- (يهدوء متواضع :) أجرب يا سيدى !

- (رافعا نغمة السخرية :) وناوى تسميها إيه ؟ ' كيف نجوت من المصير الصحراوى ؟ ' أم ' كيف اتضح أنى خالى من الجيبنات

العربية ؟ ' ! ها ! ها ! ها !

- مين قال لك أصلا أن الرواية عنى أنا ؟ يا سيدى كل ما فى الأمر أنى ها أستعمل شوية المعلومات إالى عندى عن دفع مصر ودفع خضرة مصر ودفع قاعدة مصر ، قصدى قاعدة رمسيس ؛ وعن سخونة الصحراء ورمال الصحراء ودماء الصحراء ؛ وعن عواصف العالم واضطراب العالم وعصور الثلج والمستقبل المجهول . بس أستاذك أسألك كام سؤال عن شوية مواقف حصلت كده .

- أوى ، أوى ، يا سيدى . بسيطة خالص . يا ريت دى تكون المشكلة الوحيدة فى كتابة الروايات ! بس أنت ما كملتش ١٠ سنين فى البورصة ، ٥ سنين بس . عاوز تغير مهنة بسرعة كده ؟

- ويعنى هو ' صدمة المستقبل ' قرآن ؟ ! إذا كان القرآن نفسه طلع موش قرآن ، إنما حصة إملاء من عمر ؟ ! ؛ ثم جاز لو صاحبه كان كتبه تانى النهارده ، كان قال ٥ سنين موش ١٠ ! يسرى بتلح على بتقول أطلع على سيناء وأستغل حصة م الأراضي بتاعتها ، ومديانى حرية أدرس أى مشروع أحبه ، زراعى ، صناعى ، تكنولوجيا ، أى حاجة ، أى حجم . هى بالأرض ، وأنا بمجهودى ، وأحط فلوسى لو عاوز ، ولو موش عاوز بلاش ، وأدخل أى شركاء وأى تمويل ، ومن أى حصة فى العالم . هى تعرف كل الناس ، وجاهزة لكل حاجة . لكن من ناحية ثانية هل أسيب إجلال ومنى وأمى فى القاهرة وأروح وحدى ، وطبعاً ما نقدرش نروح ونسيب منى وحدها . أمى كمان بتقول موش مستعدة نسيب القناطر ، وإن كنت عارف سكة إقناعها إزاي .

- إزاي ؟

- ها أفهمها أن دى مغامرة جديدة زى مغامرات شبابها . على أية حال منى ها تتخرج بعد سنة ، السبرنج الجاى ، وناوية بعد كده تسافر تعمل الماستر بيه . بين هذا وذاك قررت أقضى السنة دى أكتب رواية ، وبعدين نشوف الدنيا ها تمشى إزاي !



- حقا ؟ ! ما هذا ؟ الكل مبتسمون ! كيف حدث ذلك ؟

... هل التغيير الذى جرى للبلاد كان عميقا لهذه الدرجة ؟ !

- نعم ، كان عميقا ، التغيير الذى جرى لك أنت !

- وناوى تسميها إيه ؟

- إيه هى ؟

- الرواية .

- لسه ما استقرتش على عنوان . جازر أسميها ثلاثية البنائين !

- (يضرب كفا بكف باستغراب شديد ، ويعلو صوته من جديد :) رواية ؟ وكمان ثلاثية ؟ (ثم حين يهدأ يرد عليه بنفس كلماته ونفس نبراتهما :) وبعدين إيه ؟ إيه المشكلة صحيح : بداية جديدة ! منى بتقول موش ها تخلف إلا بعد السبعين ، وأنت يا دوبك ٦٠ سنة . (ثم يشرد للحظة :) عارف أنا قررت إيه دلوقت ؟ أنى أشتري شووز نايكى زى بتاعك . جازر أحس يوم أنى شباب زيك .

- يوم الأربع ها أوديك للمحل فى السيتى ستارز . بمناسبة الشباب أو بمناسبة المعهد أو بمناسبة رمسيس إالى قفلت ، إيه رأيك بما أن چينوم رمسيس الثانى بقى موجود على الإنترنت ، إيه المانع أنت وهالة تربوا واحد صغير فى المعهد ، وأضمن لك أنه ها يطلع ولد وسيم جدا !

- أنت موش ها تحمد أبدا ؟ !

- ألا تلاحظ شيئا فى الوجوه حولنا ؟

- كلا ، وجوه عادية !

- ما هى العبارة التى أثرت فيك من كتاب ' اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية ' ؟

- كل الكتاب أثر فى .

- أقصد العبارة التى تخص وجوه المصريين .

- آه ! فهمت ! الجنود الرومان وجدوها وجوها كالحية متجهمة .

- وماذا ترى حولك الآن ؟ !

- حقا ؟ ! ما هذا ؟ الكل مبتسمون ! كيف حدث ذلك ؟ ... هل التغيير الذى جرى للبلاد كان عميقا لهذه الدرجة ؟ !

- نعم ، كان عميقا ، التغيير الذى جرى لك أنت ! التغيير هو أنك لم تكن تجلس أبدا إلى مقهى ، وإن جلست لا تهتم بمخالطة الناس ، أو حتى مجرد التطلع لوجوههم . أنت معنا فى رمسيس لنحو عام ونصف لم نكف فيها لحظة عن الضحك والهزار حتى فى أحلك اللحظات ، لكن الموجود فى محك لا يزال عبارة قرأتها فى كتاب . نعم ، لا أحد يبتسم وهو يسير فى الشارع ، ليس لأن الرومان جاءوهم فى زمن ردى عصب أسود ، وليس لأنه شعب نكدى (هو سيد النكتة ، والأفلام الكوميديّة والمسرحيات الكوميديّة ، أليس كذلك ؟ !) ، وليس حتى لأنه شعب حزين ، إنما لأنه ببساطة شعب جاد ، وهكذا هو منذ فجر التاريخ . ببساطة ، هم لا يبتسمون فى الطرقات لأن لا داعى لهذا ، أما حين يجلسون لبعضهم البعض فأتحداك إن رأيت أحدا منهم متجهما . وهنا -حولك- حين يتفاعلون ، تظهر فورا البشاشة والمودة والرضا وحب الغير وحب الحياة .

- فعلا ، أنا لا يقرزنى شىء قدر وجه رجل سياسة أو رجل دين دائم الابتسام ، هكذا ، بسبب وبدون سبب .

- لا يوجد شىء بلا سبب ؛ السبب فى الابتسام طوال الوقت أنه يكذب طوال الوقت ! ها ! ها !

- بالظبط ! ها ! ها ! ها !



بكلمة واحدة : لا هروب إلى الأمام بعد اليوم ، لا حلول وسط بعد اليوم ،

فقط الإصرار على كل ما رآه الإنسان المصرى الأول فى الهواء أيام كانت الأجواء نقية والحياة رحيبة والأذهان صافية .

... إن الانطباعات الأولى التى لا تتكرر هذه ، ليست ترفا ، إنما مسألة حياة أو موت !

- (شاردا ، وهو الذى نادرا ما يشرد :) هذا هروب إلى الأمام !

- ماذا ؟

- كل الطرق تؤدى للهرم الأكبر !

- ماذا تقصد ؟

- استقلال أميركا هروب إلى الأمام ، الحلم اليابانى هروب إلى الأمام ، كل البدايات الجديدة هروب إلى الأمام . كل هروب فى الجغرافيا هو هروب من مواجهة المشاكل . هل تردى أوضاع الحريات الدينية فى الإمبراطورية ، كان مجرد مزاجية من فئة ما ، أم سببه استحالة التعايش بين الحضاريين والأقل منهم ؟ لا بد أن طرفا واحدا هو الذى كان على حق . من قال إن إلقاء الشاى فى المحيط تمردا على الضرائب الباهظة ، هو تلقائيا فعل تقدمى أو انتصار للحرية ؟ هل كان الملك يقيم حفلات جنسية بتلك الضرائب ، أم كان يوفر بها أخص وظائف الإمبراطورية ، وهو الأمن ؟ واضح أن رحلتنا للمستقبل هذه ، هى -خطوة بخطوة- رحلة إلى الماضى . بحثا عن الغد الأمثل ، أعدنا النظر فى نتيجة الحرب العالمية ، ثم أعدنا النظر فى استقلال أميركا ، وسنظل نعوص رجوعا فى الزمن ، لنكتشف أن كل التاريخ سار فى الاتجاه الخاطئ .

- تقصد مصر القديمة ؟ ... يجب بالفعل العودة لمصر الفرعونية لنجعلها مرجعية لكل الحضارة ، على الأقل لأنها طور الحضارة الوحيد الذى استدام لثلاث ألفيات ، وقطعا هذا لم يكن صدفة ، ولم يأت من فراغ .

- بل تحديدا المملكة القديمة من مصر القديمة . آنذاك لم يكن الفرعون إنسانا ، أو حتى نصف إله ، إنما كان إله ، بل ليس أى إله ، إنما حورس شخصا ، الإله المقاتل وقد تناسخ ملكا تلو الآخر . للأسف ، دائما كان الحل الوسط هو الخيار السهل . ملوك المملكة الجديدة كانوا لاحتواء الدين يعينون أخواتهم أو بناتهم كبيرات كهنة آمون . الأسوأ أنه فى عصر ما بعد الملوك اختار الغرب فصل الدين عن الدولة ، فكانت كارثة الكوارث ، ديمقراطية وحقوق إنسان وتداول سلطة وتعددية ثقافية وتعايش وكل هذا الهراء . بينما كان المفروض من البداية الإصرار على أن

الدين هو الدولة ، الإصرار على أن من يملك يحكم ، الإصرار على الفرعون حامل الرمح ، الإصرار على الإبادة ، وعلى أن لا تعايش مع الطفلين والفشلة ؛ بكلمة واحدة : لا هروب إلى الأمام بعد اليوم ، لا حلول وسط بعد اليوم ، فقط الإصرار على كل ما رآه الإنسان المصرى الأول فى الهواء أيام كانت الأجواء نقية والحياة رحبة والأذهان صافية . . . إن الانطباعات الأولى التى لا تتكرر هذه ، ليست ترفاً ، إنما مسألة حياة أو موت !

- (مقهقهها :) الهرم الأكبر ؟ المملكة القديمة ؟ حورس ؟ الأجواء النقية ؟ ... أنت أعنى سلفى شفته فى حياتى ! ... حجاب ما يجيش فيك حاجة ! ... طول عمرى كنت شاكك فيك ! ... (ثم مترثاً :) إنما موضوع أميركا ده عاوز بحث ، موش أنتم برضه إالى بتحسبوا كل حاجة بالأنتروى ؟ طب زى أميركا إالى زى ما بتقول استقلت بالغلط ونشرت كارثة الديموقراطية وانحازت للطرف الخطأ فى الحربين العالميتين ، هى برضه إالى بدأت بمادة داكنة باردة ، بشر متساوون كلهم فقراء وبسطاء ، لكن منهم أخرجت روكيفيلر وإديسون وفورد وإلى زيهم ، صنعت أعظم استقطاب طبقي ومعرفى عرفه التاريخ ولا يكف عن التصاعد ، تماماً كما تصنع الجاذبية من المادة الداكنة نجوما ملتبهة وحيوات جديدة . متهيأ لى رغم كل شىء هى أقوى قاهر للأنتروى عرفناه .

- (مقهقهها :) عجيبة هى مسالك الرب !



إن ذروة ما استطاعت أمنا الطبيعة اختراعه بكل جلال جبروتها فى كل التاريخ الطبيعى هو شعب مصر ؛ ذلك اللولب المزدوج المسمى چيينات القومية الحضارية الذى انتشر فملاً الجلوب نماء وبناء وخيرا !

- المهم ، نصيحى هى ألا تفقد ثقتك فى هذا الشعب أبدا . العصور المظلمة تأتى وتذهب كما مؤشر البورصة ، لكن تبقى چييناته منيعة على الاختلاط أو التنجس . وأيضاً نصيحى ألا تنأى بنفسك عنه لوقت طويل . إنك ما أن تقترب منه حتى تكتشف طبيعته الانبساطية العميقة ، أو بالأحرى كلما اقتربت منه كلما اكتشفت نفسك ، وكلما رضيت عنها وسعدت بها . ألم تسأل نفسك ذات مرة ما هى قمة الهرم الذى وصلت له الحياة الكوكبية بعد بلايين السنوات من التطور التلقائى ذاتى القصور ؟ إن ذروة ما استطاعت أمنا الطبيعة اختراعه بكل جلال جبروتها فى كل التاريخ الطبيعى هو شعب مصر ؛ ذلك اللولب المزدوج المسمى چيينات القومية الحضارية الذى انتشر فملاً الجلوب نماء وبناء وخيرا ! (ثم يشرد لبعض الوقت :) إنما تفتكر حد ممكن يقرأ رواية بالعربى الأيام دى ، بعد ما اتفقنا على أن كل المستقبل إنجلش ؟ ... جاز زى ما إحنا آخر جيل عرف الزواج والإنجاب وألف حاجة ثانية ، نكون آخر جيل يكتب بالعربى . (ثم فجأة :) هو أنت كنت تقصد إيه بأنى ما أعرفش أكتب !

بعد برهة تتحول ابتسامة الاستغراب لدى وحيد إلى تفرس شديد فى الوجه حاد العينين الجالس أمامه ، فيصيح فجأة بصوت عال لفت من جديد الأنظار : ' رواية ؟ يخرب عقلك يا حاج ! ' .

- اسمها ' رواية ؟ ! لك حاجات يا حاج ! ' . أنت ها تنسى ولا إيه ؟

- أنت كنت بتفرح بأه ؟

- طبعا ! هو قليل لما الأستاذ وحيد الدير شخصياً يقول لى ' لك حاجات يا حاج ! ' . على فكرة زلات اللسان كترت اليومين دول . ' يخرب عقلك ' دى موش ماشية مع العلمانية بتاعتك ! قصدك مين إالى ها يخرب عقلى ؟

- جازير قصدى الشنيور !

وينفجران فى نوبة ضحك هيسترى مشتركة ، يلتقط خلالها وحيد أنفاسه بالكاد ليقول على نحو متقطع : ' زى ... ما ... سبق ... و ... خرب ... لى ... عقلى ! ' . ' تصدق يا وحيد أن دى أول مرة أشوفك فيها بتضحك كده ؟ ! ' .



كان الجو صقيعيا عاصفا رغم ربيعته اسما . كان المطر لا يزال ينهمر ، أحيانا كحبيبات ماء غليظة ، وأحيانا ينقلب دوى قرع الطبول الغليظ هذا إلى أزيز حاد يقع إلى أقصى الطرف الآخر لطيف الأصوات ، حين تتحول تلك لحبيبات ثلج متلاحقة تستقبلها صفحة الأرض وأسطح المنازل وأسقف السيارات . دوى وأزيز يصم كل منهما بطريقته آذان الليل ويفتح عيون الكائنات الخاملة أن ربما ها هي الآن عناصر الكون تموج وتتلاطم أخلاطها كأنما يعاد الخلق من جديد . لم يكن بكل أمام وحيد سوى قطع الشارع فالمشى أمتارا أخرى حتى المنزل ، ممنا نفسه بنهار صحو ، يقضيه بكامله بجوار أمه يناجيها وتناجيه . مع ذلك تسمر في مكانه ، وراح يراقب ضهرى وهو ينصرف مبتعدا . رآه يرفع علبة كوكاكولا معدنية صغيرة فارغة من وسط الشارع ، ويضعها بعناية إلى جانب الرصيف ، ويعود للسير في مجرى الشارع في طريقه لباب سيارته . قلت مبالاته بالمطر الساقط فوق رأسه ، وهو يرى رأس ضهرى الشامخ يصد بجسارة قصف السماء الذى لم يقهر منه إلا أن أفقده بعضا من الهالة النورانية البيضاء لشعره المميز . ثم تدريجيا خفت تركيزه شيئا فشيئا إذ راحت عيناه تنجذبان انجذابا سيراليا لحذاء النايكى ، بقعتي الضوء الأكثر بياضا في المشهد ، وقد راحتا تتراقصان على خلفية من محيط داكن . انسحب منه بصره شاردا إلى قدمى الحاج ، يتأمل خطواته القصيرة وهى تحاول تحاشي برك الماء الصغيرة . تابعه وهو يركب السيارة ويمضى بها حتى نهاية شارع الأهرام . هذا إلى أن غاب عن بصره عندما غير اتجاهه يمينا تاركا خلفه نادى هليوپوليس ، في رحلة طويلة ، غير ممتعة جدا ، أو ربما خطيرة ، إلى القناطر



وأما بعد ...



كيوييد ، قد تؤثر لديك لشركة مصرية بعينها (تحمل أيضا اسما ' لأحد آلهة المصريين ') ، لكننا نقصد أية شركة يمكن أن تكون قد نشأت طبقا للتقاليد العريقة للاقتصادات الأنجلو-ساكسونية (كما تسمى) المتقدمة ، ثم سمحت لنفسها بعد ذلك أن يداخلها المال البدوى العربى الرحال . هذا مع ملاحظة أن الأحداث تدور فى المستقبل القريب (٤-٥ سنوات بعد الكتابة) ، وربما لا تكون الشركة التى مرت بذهنك قد وصلت لهذه الدرجة من السوء بعد ، أو ربما لا تصلها أبدا ، فيما نأمل . وكل الرواية حاولت بالطبع رسم الملامح العامة لما سيكون عليه عاما ٢٠١٠ و ٢٠١١ فى مصر (كالثورة الجنسية والعلمانية وانتشار ظواهر كالانتحار والبطالة مثلا) ، إلا أنه فى نواح أخرى (السياسية بالذات) لا يجب بحال اعتبارها نبوءة لما سيحدث بالفعل . إنما أقرب لسيناريو افتراضى ، يشير مثلا لأنه لو تواصل تدفق المال العربى (ناهيك عن تدفق الأفاقين العرب بدون مال) ، فسوف يحل الخراب بالاقتصاد المصرى ، أو لو تواصل ما يسمى بالاصلاحات الديمقراطية والدستورية فستصبح كل قرية ومدينة فى مصر مسرحا لفوضى وحروب أهلية ضارية ، وغير هذه وتلك من فرضيات .

دكتور فرغلى شخصية مصرية رائدة معاصرة ، مع ظلال جزئية من شخصيتى إدوارد سى . پريسكوت وفين إى . كايدلاند متوجى نوبل فى الاقتصاد لسنة ٢٠٠٤ . الاسم غير مطابق . ربما حمل لديك إحالة تاريخية ما ، إلا أنه بالنسبة لى يحمل أيضا تحية لقائد اللواء الذى كانت تتبع له وحدتى العسكرية خلال فترة خدمتى العسكرية فى مطلع الثمانينيات ، وهو مهندس ميكانيكى ، وسمح لى رغم فارق السن والرتبة (القمة والقاع تقريبا) ، بأن أكون فيما فهمت ، أحد أصدقائه المقربين ، إن لم يكن أكثرهم قربا . رؤاه وتبصراته العميقة لحقائق الشخصية المصرية ، غير الجيدة جدا على الأرجح ، كانت بمثابة بيان نظرى (والأهم بمراحل بيان عملى) ، يرغب أى إنسان على إعادة النظر فى كل ما لديه من مفاهيم متوارثة . والأكثر منها كلها التعرف -العملى أيضا- على مفاهيم كالبناء والقيادة والإرادة والرؤية والإنجاز .

آمال ، لعلك تقول إنك تعرف عمن نتحدث ، أو ربما تقول ذات الشئ عن وحيد أو عن آخرين ، أو على الأقل عن مراحل معينة من حياتهم . لكن الحقيقة أنهم -على واقعتهم- أقرب للرمز ، لقطع استقطعت بحرية من سلالة نادرة من الشعب المصرى هى سلالة اليمين العلمانى ، ممن حرصت -أو بالأحرى شرفت- هذه الرواية أن بدأت باسم أحمد لطفى السيد . كلمة يمين هى الأساس هنا وكلمة علمانى هى الزائدة ، أو التى وضعت لوصف واقع الحال أو وصف ما ليس فى حاجة لوصف ، أو بالأكثر من أجل بعض التوضيح أو التدقيق . فالندرة عندنا ليست فى العلمانيين ، إنما فى أولئك الثوار المؤمنين حقا بالتنافسية المطلقة ، بالليبرالية بمعناها الأصل البسيط الحق . هم تقريبا لا وجود لهم ، علمانيين كانوا أم مؤمنين ، ولو وجدوا نعتهم فى كل الأحوال ' ثوارا ! ' .

يقال إن كل شخصية فى أية رواية ، بما قطعة من المؤلف . هذا صحيح هنا أيضا . وحيد وهالة وغيرهما يتماسون مع الحياة المهنية للمؤلف فى بعض مراحلها . لوحة الاقتباسات على حائط حجرة مكتب وحيد ، حقيقية ، وهى التى استخدمت كخلفية لغلاف هذا الكتاب . ونس مزيج من أربع شخصيات حقيقية ، يجمعها دراستها للهندسة الميكانيكية ، وكل على درجة من التشابه بحيث سهل تمثلها كشخصية واحدة . من الأولى دراستها بأسبوط ، وهى مصدر الاسم المختصر والأنشطة الجامعية وطول مدة دراسته وأشياء رئيسة أخرى . الثانية والثالثة مهندسان قاهريان مثقفان ، واحد أصله من دمياط ومنه الاسم الكامل والابنة المنقبة والرأى بأمل كلثوم (بما فيه تداعياته العلمانية وأن التخلف لا يتجزأ) وتفاصيل أخرى لا تكاد تحصى ، والآخر من حدائق القبة ومنه حرفة تداول الأسهم وحب الغناء طوال الوقت وكتابة الشعر العامى (والثلاثة معا تجمعهم بالمصادفة البدانة وخفة الظل والآراء شبه العلمانية ، لكن مثالب هذه الشخصية فهى مختلقة بالكامل تقريبا أو فرضتها الدواعى الدرامية ، ولا توجد فى هذا الصديق ولا أى صديق آخر للمؤلف) . أما الرابعة فهى المؤلف نفسه ، صديقهم جميعا ، وكذا صاحب شق الصداقة الشخصية والفكرية مع أبرز قيادات الجماعات الدينية فى أسبوط ، تلك التى استمرت على الأقل حتى تحولهم للتدين العنيف . هنا لعلك لاحظت أنهم -وبكل الاحترام والحب لهم ولذكرى أيام جمعتهم بهم- ذكروا بأسمائهم الحقيقية ، وآمل أن يتقبلوا هذا الكتاب كشهادة صدق تحيى وتبجل استقامتهم ونزاهتهم الفكرية ، وتقرر للأمانة وللتاريخ ، أنهم لم يتهاونوا بشأها قط عبر كل مراحل حياتهم . أيضا الدكتور أبو بكر الصعيدى ، إن لم يكن

القارئ العزيز قد سبق وسمع به ، فهو شخصية حقيقية ، وما حدث له واقعي بالكامل . اللواء عزمى شخصية حقيقية مع تغيير الاسم ، وما ذكر عن خطة لخطف القذافي مسئوليته الشخصية .

الأفكار العلمانية نسبت لأصحابها . ما يخص ليو ستراوس نسب إليه . كذا ما يخص الدكتور حسن فهمي نسب إليه . ما يخص بكارة الحور العين ، قد يذهل القارئ لو قلنا له إنه الشيء الوحيد دقيق التطابق بين آمال وبين تلك الفئانة العظيمة التي استوحيت شخصيتها منها (ربما بجانب تاريخ الميلاد ، واختيارها النفي الاختياري في لبنان -غير الدقيق في توقيته هنا وإن كانت الأسباب دقيقة !) . ما يخص ' الكفر ' بسبب غناء أم كلثوم الرديء نسبناه للتو لصديقي المذكور . عدا ذلك فكلها نابعة من حياة وأفكار الكاتب نفسه ، ولعلها أوضح تجلّي ممكن لأن قطعاً منه موجودة في كل شخصية . البدء في قراءة التوراة واكتشافه لعلمانيته بسببها ، هو سياق واقعي من شبابه المبكر ، وإن كان اختيار نقطة التوقف عند ' لا تطبخ جدّيا بلبن أمه ' not to seethe a kid in its mother's milk (ربما أبعد قليلاً مما حدث في الواقع !) ، قد قصد به -بكل العرفان والابتهاج- إسداء التحية لرائد الأنثروبولوجي الكبير السير جيمس فريزر ، الذي كانت ترجمة أبرز كتبه للعربية (بعد نحو ثلاثة أرباع القرن من تأليفها) ، إلهاماً هائلاً لكامل جيل المؤلف وجميع الأجيال اللاحقة . التأملات والتساؤلات العلمانية ، كالتأويل العكسي لفكرة عدم لعب الرب النرد مع الكون ، بأن نظرية النسبية أمدتنا من حيث لم تقصد بالدليل العلمي الحاسم على عدم وجود إله ، أو كالتطبيق الديني والعرقى لنوعيات طيور دكتور دوكنز الثلاث ، المغفلة والغشاشة والضاغنة (قبل أن يضيف إليها من عنده الجلادة) ، أو كتلك من نوعية نسبة الأوكسيسجين في الهواء ، أو المخير والمسير ، أو من خلق الخالق ، أو الرب كخالق فاشل يلقي بنواقصه هو الشخصية على الإنسان ، فقد جاءت كلها بعيد ذلك خلال فترة الشباب ، وجميعها تأملات شخصية جدا مستقلة جدا ، يتحمل مسئوليتها وحده ولم يستقها من فكر آخرين ، وإن كان على نحو عام ولعا بقراءة هؤلاء الكتاب الغربيين جميعهم والاستزادة من تأملاتهم وبحوثهم .

ذات الشيء فيما يخص الإسلام . الأساس بالطبع التجربة الواقعية العريضة في جامعة أسيوط ، وإن لم يكن له فيها تقريبا إلا فضل المعاينة النشطة والاستماع باهتمام ، زائد سبر غورها ورؤية ما لم يره ربما الكثيرون فيها ، أو محاولة التنبؤ بمستقبلها الذي سيطبق الأفاق . هذا بينما تأملاته البحثية الشخصية هو نفسه في الإسلام قد جاءت متأخرة ، مثل اكتشاف عدم ورود كلمة الحرية أو مشتقاتها في الكرهان ، أو نهي ابن العباس عن اشتغال المسلم (العربي بالأخص) بنفسه في تفسيره لعن يد وهم صاغرون ، أو تمثله مُجداً جاهلاً غيباً جباناً إمعة ودمية ، كذا عنيانا صاحب شهوة لا تشبع أبداً بسبب ضعفه ويداريها بأساطير فحولة مزعومة ، بل وأيضاً مريض زهري ، عقيماً لم ينجب بنفسه أبداً ، وذهب عقله عند وصول المرض لمرحلة متقدمة ؛ أو كيف جسد نجيب محفوظ شخصيتي خديجة وعائشة ، هي كلها بحوث قام بها في الكتب المؤسسة للإسلام نصاً وروحاً . جاء أغلبها بعيد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، هذا الذي كان نقطة تحول أفرغ فيه -أى في ذات اليوم بالضبط- تدوين وتعميم كل خبرته السابقة منذ تجربة أسيوط الثرية ، ونظريته المذكورة عن ' التوباويون ' وعن مدى صلة مُجّد أو القرآن بالإسلام الحقيقي في نظرهم ، على موقعه على الإنترنت (جزء يسير منها كون سورة التوبة نسخت كل شيء ، وهي -ولا غرابة- ذات النقطة تحديداً التي بدأ منها الأب زكريا بطرس حملته الكبرى على الإسلام بعد عامين ونصف) . على أن بعض ذلك -وربما أهمه في نظر كثيرين- جاء قبل تاريخ ١١ سبتمبر -بالذات مقال تأسيسى له في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٠ عن الإبادة التي تنتظر العرب والمسلمين ، أثار ضجة واسعة- وكان نبوءة مباشرة بأحداث ذلك اليوم أو بالأحرى بما هو أفدح . على أية حال لم تمر أسابيع قليلة على ١١ سبتمبر حتى أصبح موقعه المتفرد على الإنترنت -في الواقع هو يعد العربي الأول عليها إطلاقاً- مجرد نقطة في بحر مع طوفان آلاف المواقع التي راحت تمحص العقيدة الإسلامية وتفصّلها ، أحياناً بمستويات تصل لدرجة السباب والسخرية . مع هذا لا يزال لهذا الموقع تفرد حتى اليوم بدرجة أو أخرى في ثلاثة أشياء على الأقل مما سبق له وارتادها على الإنترنت العربية ، أو أحياناً ارتادها عامة : ١- التنفيذ الصريح والمباشر لفكرة الإله ، ٢- تمحيص البعد الاقتصادي للشرعية الإسلامية كإقتصاد قدر ، ٣- مطالبته الصريحة بالثورة الجنسية التي هي حتمية اقتصادية واجتماعية معا في رأيه . من هنا نقول أخيراً إن صرخة الوثوب فزعا من على الوسادة : واقعة حقيقية !

مايكل كوك ، شخصية حقيقية ، الاسم كذلك ، وكل سيرة الحياة تقريبا ، أو بقدر ما أمكن من تحرى ومن حقائق . حارس غوطة نفس الشيء وإن مع تحوير الاسم قليلاً ، أما ما ذكر عن الجيل اللاحق فيداخله التخيل القصصى أكثر . منى شخصية حقيقية بدءاً من اسمها حتى كل موقف ، وحتى تقريبا كل حرف في كل جملة حوار ، بدءاً من العيون المتلاونة وميرى بويينز حتى الختم السابع والكيمنو !

شخصيات شركة رمسيس ، قد تختلف أسماؤها وخلفياتها الدينية -أو دياناتها إن كانت متدينة- عن الحقيقة ، لكنها تقارب جدا شخصيات حية محددة ، في شركة حية محددة . هؤلاء هم أصحاب الفضل المباشر والمحورى على هذا العمل ، والقماش المألوف لكل بنائه . ولم أكن محظوظا في حياتي قدر حظى بأن عرفتهم . نبيل يحمل بعض إسقاطات من صديقى نديم ميشيل الذى رحل قبل أقل من شهر من البدء فى كتابة هذه الرواية ، الذى أدين -له شخصيا وملكيبته الثمينة- بفضل الاهتمام بحياة وسير طوائف وأقليات ما قبل ١٩٥٢ . كان مفكرا موسوعيا عظيما ، صديقا -بل قل حاضنة- لكوكة كبيرة من المثقفين ، لكنه لم يترك أى تراث مكتوب ، هذا بالإضافة لنبله الشخصى الذى يفوق الوصف . تحت قدمى ذكره أضع هذا الإهداء الخاص جدا :

إلى نديم ميشيل ... إلى روحه أهدي روح هذه الرواية !

شخصية نبيل رأفت ، هى تحية للمؤرخ سمير رأفت ، الذى أخذت كتاباته هذا الاهتمام لدى شخص مثلى إلى عمق جديد ، ولا شك أن جيلا كاملا قد تتلمذ وبهر بإحيائه الدءوب لوقائع قرن كامل من الزمن الرائع ، أزهى حقبة فى التاريخ المصرى الحديث ، حقبة البناء والخير والعطاء والجمال (ويكفى أن نذكر القارئ بما كان يحياه بالتوازي المؤرخون الأكثر رسمية واعتمادا ، ممن تحديدا كانوا يبجلون ويتغنون بالقبح والغوغائية والقهر والتخريب) . أما عن الحاج فأود الاحتفاظ به سرا حتى اللحظة ، حتى لا أفسد على القارئ خياله تجاه هذه الشخصية . فقط أقول إنه سواء كان شخصية خيالية أو حقيقية ، فقد كان الإلهام الأول والأكبر والحافز الأضخم وراء كتابة هذه الرواية ، هذه الذى هو -وليس أى أحد آخر- عمودها الفقارى ، أو بلغة الاستثمار أكبر موجوداتها .

وطبعا سماء ، كما اسمها ، وكما كل شئ يمت لأفلاطون بصلة (!) ، قد توجد فى الواقع أحيانا ، لكن عليك أن تقابل مثلها بنفسك ، حتى تصدق أنها يمكن أن تكون حقيقية (وإن مثلا للعلم رمانة المثالية الباسمة شخصية واقعية !) . الاحتمال أكبر أن تكون قد قابلت سماء كنصف شخصية ، والنصف الآخر هو زوجة إدوارد ، وهذا ما حدث معى . أما إن لم تقابلها فستظل شخصية خيالية ... كذلك أيضا ما تبقى من القصة !

بفضل كل هؤلاء كانت شهور كتابة الرواية ، أجمل رحلة بحث شخصية لى عن الهوية المصرية . انطلقت فى بدايتها بثوابت المعايير القاسية التى منذ صغرى رأيته فى الحضارة الغربية وظللت طيلة حياتى أعاير عليها الحضارة المصرية -أو شبه الحضارة لو شئت . حتى النهاية لم أغادر صرامة تلك المعايير ، ولم أندم أنى بدأت حياتى متمسكا بقيم الغرب ولا أرى سواها ولا أرى بسواها ، لكن تدريجيا -أى خلال المدة المشار إليها- بدأت أرى للحضارة المصرية قيمتها وقوتها وطبعا جمالها . اكتشفت أنها لا تختلف فى معدنها ، ولا بذرة واحدة . بل بالعكس ، هى أم الجميع ، ولا غربة بالمرء إن أتى الأبناء أكثر يفوعا من والديهم . هى الأم إن لم يكن بالانتقال الفعلى للجيئات المصرية عبر الخريطة ، فإنه لأنها الابنة البكر المباشرة لأمتنا إيزيس ، أم جميع الالهة وأم جميع البنائين والأخيار صناع الحضارة ، بل لعلها بوابتنا المقدسة الوحيدة لفهم الإله الحق الكامل : أمتنا الطبيعية . الرواية تمددت واستطالت إلى أن توقفت بكل التواضع عند هذه النقطة الأخيرة ، التى لعلها تحتاج منى لبحث آخر وكتاب آخر !

طويلة هى قائمة الشكر لمن رعوا هذا المجهود ، شجعوه ووثقوا به ، أو قرعوه وانتقدوه ، فى كلتا الحالتين بما يفوق موقفى أنا منه ، فكانت جميعها إسهامات ثمينة فى تجويد النص . فى طليعتهم يأتى الأصدقاء النقاد والكتاب حسام حافظ ومكاوى سعيد وممدوح الغالى وحسين بيومى ، وكذا الدكتور مجدى محفوظ .

وأخيرا ، أشكر صديقى القديم الوفى ، الذى اخترته دوناً عن جميع أصدقائى كى يشاركنى هذه المغامرة دقيقة بدقيقة ، وبالفعل شاركنى إياها بلا كلل أو ملل : حاسوبى الشخصى الإتش بى أومنى بوك ...

مصر الجديدة فى ١٠ مارس ٢٠٠٧

مدحت محفوظ

بدأت عند منتصف الليل السبت ٢ سبتمبر ٢٠٠٦ (الليلة الثالثة لحزن متواصل على رحيل نجيب محفوظ) ، بالفكرة والشخصيات وبمسودة كاملة لثلاثة فصول ، القصيرة -الأول والأخيرين ؛ وتمت بسرعة لا بأس بها (ستة شهور كما هو واضح ، أو حسب برنامج ' مايكروسوفت وورد ٢٠٠٠ ' ستمائة ساعة) !

٤ نوفمبر ٢٠٠٨ : اليوم الأكثر سوادا -مجازيا وحرفيا- فى التاريخ الإنسانى



‘Heat cannot of itself pass from a colder to a hotter body’

‘Work can only be obtained from temperature differences between systems in contact with each other. When work is done, such systems tend to even out; and that loss of heat occurs in the form of entropy.’

‘The entropy of an isolated system not at equilibrium will tend to increase over time, approaching a maximum value.’

The second law of thermodynamics
—as the statement, originated and evolved, by *Rudolf Clausius*

‘Every Roman was surrounded by slaves. The slave and his psychology flooded ancient Italy, and every Roman became inwardly, and of course unwittingly, a slave. Because living constantly in the atmosphere of slaves, he became infected through the unconscious with their psychology. No one can shield himself from such an influence.’

Carl Gustav Jung
—*Contributions to Analytical Psychology* (1928)

هذان الاقتباسان هما ما اعتدت مصافحتهما بخط رمادى باهت على غلاف رواية سهم كيوييد ، وبالطبع توجد داخلها قرب نهاية نصفها الأول . ربما تحدثت هذه الرواية فى ألف قضية وقضية ، وغلافها يؤشر لثلاث ثيمات بعينها على الأقل ، لكن لو شئت اعتبار واحدة فقط هى الأكثر محورية ، فلن تكون إلا اضمحلال وسقوط الحضارات ، ومحاولتنا الشائكة للتنبؤ بالسيناريو المحتمل لهذا فى السنوات القليلة التالية لكتابتها * .

* هذا الهامش بدأت كتابته بذات تاريخ ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ ، ثم نقل كمدخل مستقل يتلو هذا المدخل ، ويحمل عنوان ‘ هامش توثيقى : تحقق نبوءات أو صدى أفكار ’ .

نعم تنبأنا بسقوط الحضارة الأميركية ، بل وحددنا من سيخلفها ، لكن بكل أسف فشلنا في توقعه بهذه السرعة والكيفية الدرامية المبالغ فيها والساحقة التي جرت اليوم ، وبواسطة أخط ففة وأبعدها احتمالية للنجاح : غزوة البيت الأبيض المباركة ؛ الغارة مذهلة النجاح التي استطاع فيها العرق العربي-المسلم الاستيلاء على قلب المركز الأعلى للقدرة والسلطة في هذا العالم ، من خلال لص صغير ذو سجل إجرامي حافل وشامل منذ يوم مولده وفي كل يوم في حياته ، الشئ الوحيد الكبير في حياته هو حنجرته الضخمة التي أهلكته لأن يصبح أفاقا كبيرا ، كل حلمه في الحياة أن يصبح معا ستالين الأميركي وهتلر الأسود وناپوليون المسلم !

لقد فاق الواقع كل قصص وروايات العالم . إن وصول عبد أسود ماركسي-لينيني نصفه حثالة مسلمة-عربية ونصفه الآخر حثالة مافياوية شيكاجوية ، لم تخل خطوة واحدة في حياته -أو حياة أقاربه ومقربيه- من فعل إجرامي جنائي صريح ، وصول وغد للبيت الأبيض حيث سيمسك بأزرار أكبر ترسانة نووية على وجه الأرض وتنكشف له أعماق أسرار أميركا العسكرية وغير العسكرية يستطيع عرضها في المزد بأجنس الأثمان لأسياده في موسكو وعلى ضفتي الخليج الفارسي ، هو كثير ، بل كثير جدا ، ناهيك عن أنه تم بمثل هذه السرعة الصاعقة . كتبنا في الرواية إن خمسين عاما قد تكون مهلة طويلة جدا لسقوط أميركا ، لكن ١٨ شهرا شيء لم يخطر بخیالنا أو كواييسنا قط !

١- ما معنى كلمة عبد ؟ هذه يفسرها اقتباس الغلاف المذكور ، والذي يصف على نحو مذهل في كلمة وجيزة للغاية كيف يمكن أن تضمحل وتسقط أعظم الحضارات . العبد عقلية وسيكولوجية ترفض فكرة القيادة والاستقطاب اللا-أنتروبي بين البشر ، وتؤمن بأن البشر طالما هم بشر فهم متساوون ، ومن ثم فهي تملك حقدا طبقيًا وعرقيا هائلا على التمييزين من بني الإنسان (أبسط الأشياء دلالة على دونية سيكولوجية العبد وكونها رد فعل ، الطوفان الذي لا يعد ولا يحصى من تصريحات ' السيد ' الأفاق الفظيع وزوجته ' السيدة ' العاهرة الدميمة المستمر منذ سجلت لهم تصريحات وحتى مجرد أيام قليلة مضت ، عن عدم اعتزازهم بأميركيته . افتخار العبد بوطنه يبدأ فقط في اللحظة التي يصل فيها للحكم ويستعبد فيها سادته السابقين) . عامة ، العبودية هي حالة عقلية ونفسية ، وليست بالضرورة مجرد لون للبشرة ، وإن كان على كل أحد أن يعيد النظر اليوم في أية بقية من احترام أو تعاطف أو وثوق ممكنة مع العرق الأسود ، الذي يكفي تماما لدمغه للأبد إنجابته شخصا يمثل مواصفات هذا الضرر الأسود ، التي سبق وفصلناها خلال سباق الانتخابات وسنجمعها حالا هنا .

(للمزيد عن عقلية ونفسية البراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كاپوني ، كعبد حاق ، اذهب لأى محرك بحث على الإنترنت واكتب Jeremiah Wright ، أو لشيء أكثر حضورا في أفعاله -أى البراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كاپوني- اكتب saluting flag in Indianola) .

٢- ما معنى كلمة أسود ؟ الكلمة في حد ذاتها ليست سبابا . السباب هي زنجى ونحن لا نستخدمها . لكنها مع ذلك تحيلنا لأن هناك ما هو أبعد من مجرد عقلية وسيكولوجية ، إنما توقظنا على أن ' السيد ' الوغد هو أسود بالفعل ، وعليك أن تتوقع منه أكثر من مجرد سلوكيات أو أفكار يمكن أن تتسلل لعقل وقلب إنسان من غير لون العبيد .

(للمزيد عن الطبيعية الجينية السوداء ، الدونية الدموية ، العنيفة العميقة ، للبراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كاپوني ، اذهب لأى محرك بحث على الإنترنت واكتب Civilian National Security Force ، أو اكتب Black Panthers ، أو مجرد شيء فعلوه اليوم جدا اكتب intimidating voters) .

٣- ما معنى كلمة ماركسي-لينيني ؟ الكتلة الأساس لصداقات ' السيد ' الوغد منذ ترك الشوارع وعرف طريق المدارس هي من الماركسيين-اللينينيين الصرخاء ، ولا تنس أن شيكاجو هي مسقط رأس الحزب الشيوعي الأميركي حيث تأسس بعد الثورة البلشفية بعامين اثنين فقط . بالنسبة لأميركا ، هو يملك الآن طموحا يفوق أحلام ماركس ولينين بمراحل . إنه يريد الوصول بالحد الأقصى للضرائب لمستويات تلامس المصادرة (حيث لا يجب أن ننسى أن الأصل في الضرائب أن تكون صفرا ، كل ما فوقه هو سرقة صريحة وسلب لا يحتمل التأويل !) ، وبواسطتها سوف يدفع معونات نقدية صريحة من أموال دافعي الضرائب هؤلاء لغير دافعي الضرائب ، وعلى الأقل هو أمر لم يكن واردا للحظة في التعريف الأميركي لكلمة ضرائب عبر التاريخ ولا حتى في كواييسهم بخصوصها . هذا الذي لا يخجل بتسميه إعادة توزيع الثروة لن يجرى على الصعيد الفردى فقط ، بل -وهو الكارثة الأهم- سيجرى على صعيد الشركات . ككل سيحول اقتصاد أميركا من اقتصاد سوقى إلى نوع من الاقتصاد السياسى ، الذى تتدخل فيه الحكومة في كل صغيرة وكبيرة ، وتأخذ من الشركات الناجحة (ويللز فارجو أو تويوتا مثلا) كى تعطى

الشركات الفاشلة (سیتی جروپ أو جنرال موتورز مثلا) ، كى تعود لتنافس الأولى منافسة غير شريفة من أجل أن يصبح الكل الهوا سوا : فاشلون ! التاريخ سوف يذكر بكل أسف للسيناتور ماكين ، أنه لم ير فيما يجرى انقلابا عنيفا على الشرعية اتخذ صورة ثورة شعبية شوارعية دهائية ، وتعامل معه بتعفف شديد ، حتى بمعايير الحملات الانتخابية العادية ، فكان كمن يحارب البندقية بكلمات الاقتناع الودى ، بل وساهم هو نفسه فى تشجيع تلك الأحداث الهمجية من خلال كلمات من قبيل إن انتخاب خصمه لا يجب أن يثير فرع تلك السيدة العجوز المرتحفة ، هذه التى راحت تتوسل إليه أن ينقذها منه ، ولم يفهم أحد كيف لا تخاف إذا ما حكم البلاد ماركسى-لينينى عربى-مسلم ، ناهيك عن تاريخه كرجل عصابات محترف .

(للمزيد عن ماضى الإرهاب الدموى للبراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كاپونى ، اذهب لأى محرك بحث على الإنترنت واكتب Bill Ayers ، أو اكتب Rashid Khaleedi ، ولدى تجذر المعتقدات الماركسية-اللينينية الاغتصابية الاستحلالية لديه حتى اليوم اكتب Redistributionist-in-Chief ، أو اذهب لأية مكتبة واحصل على نسخة من مذكراته المعنونة Dreams from My Father) .

٤- ما معنى كلمة مسلم ؟ ' السيد ' مسلما ، ليس فى هذا إهانة ولا اجتراء ولا مبالغة ، فقد ولد مسلما وتلقى أول تعليم له -أو ما يسمى بالعربية النقش على الحجر- فى المدارس الوهابية الجهادية بإندونيسيا ، ولاحقا لم يعد يتحدث كثيرا عن إسلامه وتبرأ من أهله الذين حتى اللحظة يقيمون على نحو غير شرعى بأميركا ، كلا الأمرين لأسباب تتعلق فقط بالطبيعة الانتهازية لشخصه ، وليس لأى سبب آخر ، وقطعا ليس بسبب قناعات حقيقية ، فهو لم يملك فى كل حياته سوى قناعة واحدة هى الكذب والاسترقاق والاستحلال ، وتحديدًا فى نسختها الإسلامية التى هى أسوأ وأكثر شيطانية بكثير من الشيوعية نفسها ، جميعا من أجل لا شىء سوى التعيش والتسلق على عرق ودماء الآخرين . هذا ليس كلامنا ، بل كلامه هو فى مذكراته ، حيث قال إن الكنيسة لم تلمسه أية لمسة روحية ، ولم تجبه على أية أسئلة ، لكنه تقدم للعماد والانضمام لها فقط لأنها -فى جنوب شيكاغو- المكان الذى أوحى له بالأهبة ومن ثم بالفرصة الوحيدة للصعود الطبقي التى يفتقدها فى حياته المسلمة الحقيرة .

(للمزيد عن الشق المسلم للسلوك الإجرامى للبراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كاپونى ، ولأُسْرته وقبيلته السفاحة كلها باسم الشريعة الإسلامية ، اذهب لأى محرك بحث على الإنترنت واكتب اسمه مقرونا بواحدة أو أكثر من الكلمات الآتية Wahabi ، أو Jihadi ، و Indonesia ، و madrasa ، أو madrasa ، أو اكتب اسم عمته Aunt Zeitouni ، أو ابحث عن تمنيات القذافي له أن يصح إسلامه ، أو طبعًا اذهب لأية مكتبة واحصل على نسخة من مذكراته المعنونة Dreams from My Father) .

٥- ما معنى كلمة عربى ؟ الحقيقة أن الإسلام ليس أسوأ شىء على وجه الأرض ، بل يتبقى شىء واحد أسوأ منه ، هو من اخترعوه ؛ العرب وبصيغة أكثر علمية وحيادية : الجينيات العربية . الإسلام ليس مجرد نقش على حجر ، إنما هو -فى نسخته الصحيحة كما تعبر عنها أدبياته الأصلية- طبيعة جيينية عميقة للغاية لا يملك الإنسان من أمره شيئا فيها ، برمجته منذ كان جنينا فى بطن أمه على استرقاق واستحلال عرق ودم الآخرين . هنا يدخل تعريف العروبة للصورة . العرب هم بحر شبه جزيرة البحر ، والإسلام ليس بأكثر من المنظومة الفكرية التى اخترعوها كى تضى القداصة على الطبيعة الإجرامية لجيينات العرق العربى ، هذا الذى لم يمتحن عبر كل تاريخه -السابق واللاحق على الإسلام- سوى مهنة القرصنة وقطع الطريق ، والتى تتراوح ما بين خطف وتجارة العبيد إلى غارات السلب والنهب على الشعوب المجاورة ، وأشهرها وأنجحها إطلاقا هو -بطبيعة الحال- هذا الإسلام . هذه وتلك كلها أمور جيينية ، يستدل عليها إما بالتحليلات الجيينية القطعية ، وإما -فى حال عدم توافرها- بالرصد الإحصائى للسلوكيات والعادات والمعتقدات ... إلخ (وبداهة ، هذان التعريفان المحددان للعروبة والإسلام لا يمتدان بالضرورة لكل من ينطق العربية ، ولا لكل من يدين بالإسلام اسما ، إنما جوهر عقيدته شىء آخر ، وبالطبع المثال الذى أسهبت الرواية فى تمحيصه وتحليله هو مسلمو مصر وصوفيتهم الإيزيسية) . المهم : كان من الممكن أن نعتبر ' السيد ' مجرد شيوعى استحلالى استرقاقى تقليدى ، وكان من الممكن افتراض أسماء مبارك أو حسين أو أبو أمه مجرد أسماء من الثقافة الإسلامية العامة ، لكن بعد قليل ذهلنا لاكتشاف مروع : ' السيد ' الوغد ليس مسلما فقط إنما تحديدا عربى أصيل ، بل أصيل جدا ! حدث هذا يوم أعلن برنامجه الضريبي . فوجئنا بشيء مرعب فى تلك الخطوة : أنه لا يسميها رفاه -كأوروبا مثلا- ولا إعانة -كالكنيسة مثلا (أقصد الجامع ، وأقصد تكافل لا إعانة !) ، إنما -صدق أو لا تصدق مستوى الفجور القارح الذى وصل إليه : يسميها قطعات ضريبة tax cuts (الذى تعلم أنه الشعار الأشهر للرجس اليميني نفسه ؟ !) . هذه خاصية ينفرد بها العرق العربى بين جميع أعراق الأرض : تسمية كل الأشياء بعكسها (انظر الفصل الخامس القسم المعنون ' يقولون عن أنفسهم خير أمة أخرجت للناس ، بينما يعلمون تمام العلم أنهم قمامة جيينية ! ') ! ببساطة خطة ' السيد ' الوغد الضريبية هى أكبر عملية احتيال واسترقاق واستحلال فى

التاريخ الإنساني ، تفوق عشرات المرات ما فعله أجداده المسلمون الأوائل الفاشلين (نسبيا ، وهذا أطالت أيضا الرواية في شرحه) ، أمثال عمر بن الخطاب والخطابة ومن دونه نزولا إلى جمال عجمصور ، ممن نهبوا بعض الهوامش وفشلوا في المساس بقلب الثروة والسلطة في أوروبا الغربية ، وطبعا تفوق -أى خطته- كل ما فعله جميع الشيوعيين عبر التاريخ .

يتبقى سؤال : هل هو أكثر سوادا أم أكثر عروبة ، هل هو عبد أسود تقليدى أم من أولئك متوسطى السواد خطافى العبيد ؟ كل شىء يدل على الثانية (بما فى هذا لون بشرته المسوخى) ، عقلية الرعاة المهجامة العرب الإجرامية العنيفة لا عقلية الأفارقة الزراع المسلمين الذين لا يعتبرون استحلال أرض وثروة وأنفس الغير توكيلا إلهيا لهم . لكن يظل قائما هنا التدقيق الأهم : الاثنان تجمعهما عقلية العبد . خاطفو العبيد هم أنفسهم من الناحية السيكلولوجية عبيد . العرب هم هوام الصحراء الذين امتنهنوا تاريخيا الإغارة والنهب المباشر على الأسياء ممن اعتادوا -تاريخيا أيضا- حماية أنفسهم وحضارتهم الزاهرة بأسوار المدن العالية (أو فى حال منعة هذه الأسوار يخطفون السود من الأدغال ويبيعونهم إياهم) ، لذا فهم -عقليا ونفسيا وفى جميع الأحوال- أكثر حقدا عبوديا من العبد الذى ينطبق عليه المفهوم التقانى للكلمة ، وطبعا من نافلة القول إن جينيات عروبتهم علمتهم تغطية كل هذا القبح المتفرد تماما بين كل التدييات بإسقاط نفسى متفاخم يقول إنهم خير أمة أخرجت للناس !

(للمزيد عن الشق العربى للسلوك الإجرامى للبراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كايونى ، ولأسرته وقبيلته السفاحا اكتب

Odinga ، أو اكتب redistributing wealth named tax cuts) .

٦- ما معنى كلمة عصابات شيكاجو ؟ إنها الآليات التى تعتمل فى ذهن ' السيد ' الوغد لإحداث ' التغيير ' الذى طالما أصدعنا به ؟ إنها خبرته الشخصية الطويلة والعميقة مع عصابات العقاقير والدعارة ومع بلطجية النقابات ، وقبلها ما ترسخ فى جينياته من جهة أمه سليله آل كايونى (وربما أيضا جيمى هوف ، الذى -ولا غرابة- انطلقت الطلقة الأولى لنقابته من شيكاجو تحديدا) . فى وقت باتت نسبة المنظمين نقابيا فى أميركا لا تتجاوز الخمسة بالمائة (وقد تصبح صفرا فى المائة وتشطب كلمة نقابة من قاموس البشرية لو حدث وسقط ديناصورات السيارات الديترويتيين ، الأمر المتوقع إعلانه خلال الأيام القليلة القادمة) ، فى هذا الوقت -الذى أخجل فيه شخصا لدى سماع أن أميركا أو اليابان لا تزالان مهتمتين بصنع السيارات (الزراعة نفسها باتت صناعة عالية التقنية للغاية لدى المقارنة) ، يرى ' السيد ' الوغد أن النقابات هى الحل ، بل ويريد إصدار قانون يخولها حق التصويت نيابة عن المواطنين ، وتحيل ما سيؤدى له هذا من ملاحقة هؤلاء البلطجية للمواطنين وإطلاق النيران فوق منازلهم ليلا كى يجبروهم على الانضمام للاتحادات . هكذا كانت الثلاثينيات ، أيام الزمن الجميل ، عصر رومسيشيليت الذى يحلم ' السيد ' الوغد بإحيائه ، بل فعليا دشن كل هذا يوم الانتخاب بإرسال واحدة من تلك الميليشيات -اسمها الفهود السوداء- بزيها العسكرى وبكامل تسليحها ، كى تروع الناخبين الجمهوريين عبر المدن الأمريكية المختلفة . إن الرجل لا يرى فقط أن ' هوف هو الحل ' ، بل على نحو أكثر تحديدا يرى أن ' حماس هى الحل ' (بالمناسبة برنامجه ككل لا يخرج جوهريا فى شىء عن برنامج حماس الذى تلخصه كلمتان ' الميليشيات للأمن والصدقات للاقتصاد ' . باعتباره خبيرا فى جمع الأموال الطائلة فى الحملات الانتخابية قد يعدل كلمة واحدة من تلك الكلمات الأربع ، وأكد أن سيجرخرج علينا قريبا بحل سحرى وشامل لجميع أزمت العالم المالية والاقتصادية ، ألا وهو إجراء انتخابات رئاسية جديدة كل شهر !) .

(للمزيد عن المهنة الوحيدة التى تقاضى عنها البراق [بضم الباء] أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كايونى ، أجزا منتظما فى حياته وهى تزوير

كشوف الانتخابات لحساب عصابات شيكاجو لحساب عصابة أميركا الأكبر المسماة الحزب الديمقراطي ، اذهب لأى محرك بحث على الإنترنت واكتب ACORN) .

(لو لديك الوقت ، ولاستطلاع حجم المستنقع الذى يركم الأنوف الذى عاش فيه ' السيد ' حتى النخاع منذ لحظة مولده حتى اليوم ، اكتب أى من الأسماء التالية منفردة أو حتى كمجموعات ، مقرونة باسمه العفن أو بدون ، وستجد ما يسركم ، ثم بعدها أتحدك فى المقابل أن تدلنى على علاقة ممتدة لبعض الوقت ، علاقة واحدة فقط لا غير فى كل حياته ، كانت مع شخص محترم : Jeremiah Wright, Louis Farrakhan, Michael Pflieger, William Ayers, Bernadette Dhorn, Jesse Jackson, Al Sharpton, Jim Johnson and Franklin Raines of Fannie Mae, Raila Odinga, Rashid Khaledi, Tony Rezko, Aunt Zeitouni, ACORN, ACLU, PETA, Code Pink, Black Panthers...) .

...

٧- ما معنى كلمة وغد ؟ وغد ليست شتيمة ، إنما تعبير محدد القسمات ورد في كل القواميس . إنه كل إنسان وضع الأصل مجهول النسب هجين الملامح . صفات الوغد هي خليط من الخبث والجبن والخداع واقتقاد المبادئ وانعدام الولاء والإخلاص لأحد أو لوطن أو لأرض أو لفكر ، إلى آخر ما قال ابن خلدون في مقدمته عن العرب ؛ هؤلاء القمامة الجينية ممن لفظت بهم من كل صوب وحذب وديان أو حتى مراعى الهلال القحيل إلى البقعة الأقحل في كل البسيطة : شبه جزيرة البحر . سوف نشهد في السنوات القادمة من المزاوغات والأكاذيب ما لم يمر بخيالنا ولا بكوابسنا قط . سيصطنع من نظريات مؤامرة ما أنزل له عمر بن الخطاب والخطابة إله العربان من سلطان . سيدمر أميركا اقتصاديا من الداخل ، وسيخونها مع كل أعدائها في الخارج ، بدءا من الصين وروسيا حتى إيران وطالبان . وبلا منازع ستكون هذه هي الحقبة الأكثر سوادا ليس لأميركا فقط ، إنما لكل الكوكب .

(للمزيد عن الأوغاد وخصائصهم ارجع لرواية سهم كيوييد) .

...

هل يخلو من دلالة مشهد تلك الجحافل السوداء الهائلة التي تسللت ليلا تحت ستر الظلام كي تدل بأصواتها ؟ لكن هل يمكن حقا أن تنهار حضارة تحت ستر الظلام ، أم على رءوس الأشهاد ، أم الاثنين في وقت واحد ؟ قد ترد قائلا لماذا حديث العرقية البغيض الذي عفا عليه الزمن هذا ، ولتناقشنا قليلا في الأفكار ؟ الإجابة : أولا : اليسار الأميركي -أقصد المخلصين منهم لأفكارهم ، بفرض وجود أحد هكذا- هم عبارة عن مأساة متحركة من الجهل والغباء معا . يقيمون الدنيا ويقعدونها أن أميركا الرأسمالية الإمبريالية تتصرف بعرقية تجاه السود ، ثم يتضح أن السود أشد عرقية من أى أبيض . يقيمون الدنيا ويقعدونها أن أميركا الرأسمالية الإمبريالية تتصرف بعرقية تجاه العرب والمسلمين ، ثم يتضح أن لا عرقية على وجه الأرض أكثر شرا ولا شراسة من عرقية العروبة أو الإسلام . يقيمون الدنيا ويقعدونها أن اليمين المحافظ يتصرف بتمييز تجاه المثليين جنسيا ، ثم ينسون الأمر برمته حين يتضح أن السود هم التمييزيون كما رأيناهم صباح اليوم -أقصد منذ ظلام الليلة الماضية- يخرجون بكامل همجيتهم الموروثة ويلغون قوانين الزواج المثلى من كل الولايات . وهلم جرا من الأمثلة ، أسوأ ما فيها أن ذلك اليسار الإنسانوى الطيب -بفرض وجود أحد هكذا ، لا أن الأمر برمته مجرد تحالفات لصوص مؤقتة دائمة التبدل- هو يسار سريع النسيان دائما ولا يتعلم أبدا . الإجابة : ثانيا : أنا بالفعل لم أناقش إلا الأفكار ، لكن هذا لا ينفي حقيقة علمية جديدة كنا نستشهما في الهواء القريب والآن ثبت معظمها بالأدلة العلمية القاطعة ، وهى أن الأفكار والسلوكيات ودرجة الذكاء والنشاط أو الكسل وكل شئ ، ما هى إلا منتوج ثانوى لكن لصيق بجينيات كل عرق بشرى تميزه تخصه على حدة ، وكذا بالأحرى هى منتوج لصيق بكل إنسان فرد على حدة (هل يعتقدنا من هممة العرقية أن نقول لك إننا مثلا نحب مورجان فريمان وكتبنا نحييه منذ كان ممثلا بلا اسم في فيلم اسمه ' برويكر ' (١٩٨٠) ، وإننا نحب مجرد طلعتة ، ولو حتى في دور رئيس الولايات المتحدة الأميركية ؟ !) .

...

الحضارة الرومانية احتاجت لثلاثمائة سنة كي تضمحل تنهار . هناك علامات كثيرة وجدت على الطريق ، أبرزها فيما اعتاد ذكره المؤرخون موت ماركوس أوريلليوس مخرقا كتاب يدعو فيه للديموقراطية والمساواة بين كل الأعراق ، ومنها طبعا لحظة إعلان كونستانتين المسيحية دينا رسميا للإمبراطورية فيما عرف ببداية عصور الظلام ، ومنها ما يراه البعض في إلغاء الدورات الأولمبية من لحظة رمزية فائقة الدلالة ، أو طبعا خيارنا المفضل كمصريين ألا وهو يوم قتل هيبياتيا ، آخر شجرة أضاءت العالم القديم . أنا شخصيا أفضل الرجوع بعض الشيء للخلف وإضافة قرنين آخرين أو أكثر لصيرورة process الاضمحلال ، أقصد إلى لحظة الذروة تماما حين كانت روما أعظم تجسيد مادی ومعنوى لمفهوم الحضارة ، اللحظة التي بدأ المنحنى فيها الانكسار لكن لم يلحظه أحد لأن روما كانت حتى اللحظة في طور نمو : إنها لحظة اغتيال يوليوس قيصر !

في الواقع أن الوصول لتلك اللحظات المذكورة جلية أو درامية السواد لم يكن إلا مسألة وقت بعد انتصار الدونية والغناء والجشع قصير النظر بقتل يوليوس ، تماما مثلما لم يكن خروج الأجلاف العرب من جحورهم لاحتلال نصف العالم إلا مسألة وقت مهدت لها ديانة ' مملكتي ليست من هذا العالم ' بكل الجد والاجتهاد ، أو كون ١٩٥٢ ليس إلا تحصيل حاصل بعد ما جرى في ١٩١٩ ، وهلم جرا من الأمثلة التي قد يحاول فيها المرء النفاذ خلف ظاهري الأمور لمحاولة استكشاف متى وضعت البذرة أو متى بالضبط بدأ المنحنى ينكسر للأسفل .

آخر ما يسعى له هذا الكلام عن المسيحية أو عن الديمقراطية أن يعلى من شأن المعنوى على حساب المادى ، فلم ولن نفعل شيئا كهذا أبدا (كان بالأحرى أن نختار يوم هجوم الدهماء على الباستيل ، لكن لو كان لدينا أى واعز لفعل إعلاء شأن مكعبات الهواء لاخترنا مثلا يوم قيامة يسوع المزعومة أو يوم انضمام عمر لعصابة الإسلام ، كأسود لحظة فى التاريخ ، لكننا نؤمن أن الأديان خاصة -والأفكار عامة- أنفه من أن يكون لها دور يذكر فى التاريخ ، سلبا أو إيجابا) ، إنما أقصد أن روما ' الفكرة ' كانت أفضل تعبير بالمعنويات غير الملموسة عن إرادة المادة الملموسة التى صنع منها كوننا ، وأن الطعنات التى تلقاها قيصر كانت فى حقيقتها طعنات فى جسد أمننا الطبيعية ، وأقصد أن تلك المادة التى صنعنا منها مادة قائمة على علاقات القوى ولا شىء إلا علاقات القوى ، من تماسك المجرات رغم المسافات الشاسعة بينها ، حتى تماسك نويات الذرات رغم تنافر الشحنة الموحدة لمكوناتها ، مادة قائمة على الصراع ، صراع يفضى أغلب الوقت وفى النتيجة الإجمالية إلى النخبوية elitism والاستعداد sophistication والتطور evolution ، أو بلغة الديناميات الحرارية ، يستطيع أن يقهر الميل الدائم لزيادة الأنثروبى ، أى أن ينتج من وقت لآخر عوامل تعيد خلق الاستقطاب الحرارى من جديد ، وهو الاستقطاب الذى لا يمكن إنتاج أى شىء بدون كما يقول القانون فى النص أعلاه . بالمعنى الاجتماعى والسياسى ، هذا الاستقطاب هو تراكم الثروة فى مكان بعينه هو الأحق به وهو اتساع الهوة بين الطبقات المختلفة وبين الشعوب المختلفة ، أى أن يكون هناك قائد ومقود ، عقل وعضلات ، أو سمها ما شئت . تعريف الموت هو تساوى وشيوع ذات درجة الحرارة بين أجزاء النظام ، وبنظرها اجتماعيا وسياسيا مفاهيم كالاشتراكية والديموقراطية والمساواة .

لماذا اخترنا يوليوس قيصر ؟

اخترنا يوليوس قيصر لأنه -واستعد للمفاجأة- أول إنسان فكر فى تحرير العبيد . وتحرير العبيد ليس بالضرورة فكرة حاملة عن أخوة بنى البشر إلى آخر هذا الهراء ، إنما قد تكون فكرة شديدة العنف مستقاة من قانون الدغل ، تقول فيها للعبد إن أحدا لم يعد يكفل له طعامه بعد ، ولينزل للحلبة على حسابه الخاص من الآن فصاعدا ، حيث من الوارد أنه قد يموت جوعا . بل فى الواقع الحرية للجميع فكرة أكثر من رائعة لتخليص البشرية من حملتها الزائدة المتمثلة فى الكسالى البلداء المتأخرين عقليا عن مجارة عصرهم . عدا هذا فعدم تحرير العبيد أفضل كثيرا ! (الرواية مرت على قيصر أكثر من مرة ، لكن لعل أهمها مقابلة وحيد التليفزيونية فى الفصل السابع ، القسم المعنون ' ما فائدة الديمقراطية إذا كان كل المعروض فى البازار هو ديكتاتوريات ؟ ') .

اخترنا يوليوس قيصر لأن من تصدى له كان هو الطبقة السياسية المترتبة من تلك السياسات الحماائية الحكومية ، إن جاز لنا استخدام هذا التعبير المعاصر . هذه الطبقة المكونة من ساسة واشينجتون الديمقراطيون ، وأذرعهم المتمثلة فى بلطجية النقابات وعصابات المدن ، وحلفهم الخارجى غير المقدس مع المال العربى الخليجى المسلم أكثر الجميع ثراء وسخاء ، ومع اليسار الريعى النفطى فى روسيا وفرنزيولا ، هى ما أنخم جيوب حملة ' السيد ' الوغد بمئات الملايين عبر كروت الائتمان المدفوعة سلفا والتى يمكن أن نشترىها أنت وأنا من كشك السجائر المجاور ، ولا يمكن مطلقا التحرى عن مصدرها ، طالما حملة ' السيد ' الوغد مستعدة لمخالفة قوانين الولايات المتحدة جهارا نهارا وبكامل البجاجة والسفالة ، وتقبل أموالا دون السؤال عن اسم المتبرع ، بحجة أن الدفعة الواحدة لا تزيد عن ٢٠ دولارا (؟ ؟) . بعقول من يستخفون بالضبط ؟ إن أى شيخ خليجى أو أى مافياوى روسى أو شافيزى أو شيكاجوى ، يستطيع فى ليلة واحدة تحويل عشرات الملايين من الدولارات عبر تلك الكروت . اخترنا يوليوس قيصر لأن ما قيل عنه ساعتها إنه ديكتاتور يسعى للحكم الفردى ، فبات شريرا مصادرا للحريات فى نظر الجميع ، بينما هؤلاء الفاسدون باتوا ملائكة أخيارا ودعاء لأنهم وقفوا فى صف ما يسمى بالديموقراطية . السؤال الصحيح هو سؤال المحتوى دون أن نخدعنا بالمسميات : ماذا تريد الديكتاتورية بالضبط وماذا تريد الديمقراطية ؟ اليسار لا يمكن أن يكون ضد وول ستريت الفاسدة ، بل هى كنز لا ينفى بالنسبة له ، يصنع الفقاعة تلو الأخرى مضاربا فيها بما سرقه من البنائين تحت مسمى الضرائب لردح من الزمان ، ثم ليذهب الاقتصاد للجحيم ، أو لتذهب السلطة للجمهوريين ثمانى سنوات جديدة كى يعيدوا فيها البناء ، ثم نعود بعدها لنقطف ما زرعوه ع الجاهز !

اخترنا يوليوس قيصر لأن الديمقراطية يمكن أن تكون أكبر أداة لقبر الحرية ، وهذا ما نراه قد حدث هذه الليلة فى أميركا التى طالما أحببناها واعتبرها مثلا أعلى لكل العالم . إن وصول عبد أسود ماركسى-لينينى عربى-مسلم لقمة السلطة فى العالم ، لا يمكن أن يكون انتصارا للحرية ، إنما انتصارا لسيكولوجية وعقلية العبيد ، انتصارا للعبودية !

لكل هذا كان اغتيال يوليوس قيصر هو لحظة تحول روما من حضارة عظمى للبناء الجاد الشاق والخلاق ، إلى اقتصاد قذر قائم على التبرج السريع قصير النظر . في عالمنا المعاصر لا نجد نموذجا أمثل للاقتصاد القذر مما يسمى بالاقتصاد الإسلامى (وعذرا للتسمية فما هو باقتصاد لأن الكلمة لم ترد مطلقا فى أى كتاب تراثى إسلامى) . الحقيقة الأدهى أن النواة الأولى جدا للاختيار المالى الحالى بدأت بسهرات ودية بين شخص نصف أو ربع عربى اسمه الوليد بن طلال ، وبين ساندى وايلل رجل كرسى السيى جرور ، وهو ما ورد فى الفصل الأول لرواية ، والمفارقة أن الأمير المذكور ليس حتى عربيا بالكامل وإلا كان من الصعب للغاية تخيل ما كان سوف يحدث . سألها فيها عما هو العيب فى أن تستثمر البنوك التجارية فى أسهم الشركات ، الأمر الذى يحدث ليلًا نهارًا فى بلاد الخليج العربى ويحقق طوال الوقت أرباحا طائلة . وقد كان ! أفنع الطفل المعجزة ساندى وايلل الكونجرس ، ولم يعترض آلان جرينسبان لأن الرأسمالية ليست ضد أية حرية للسوق ، وتفترض أن كل ذنبه على جنبه كما يقال . النتيجة كانت تحول أميركا برمتها للاقتصاد الإسلامى القذر القائم على المراجعة والمضاربة والملاصصة والمقاذرة (إلى آخر التسميات الواردة فى روايتنا ، ومرة أخرى لا تدع المسميات تخدعك وتفغر فاهك مثلا لفكرة أن وول ستريت عربية أو أن كلينتون كان مسلما ، فالمهم جوهر الأشياء) .

الطبيعى -بل المفروض- أن ينهار كل هؤلاء ويفلسون ، والأزمة الحالية هى إكليل غار يوضع على جبين الرأسمالية أنها تستطيع فرز البيض الفاسد وسحقه ، ولو أفلست صناعة السيارات الأمريكية أو أفلس نصف بنوكها لقلنا هذه هى روعة الرأسمالية ، بل وروعة أزمانها : تخرج منها وقد ألقت على جانب الطريق بضعة ملايين من الشغيلة ممن عفى الزمان على مهاراتهم وبآلاف المديرين والمخططين ممن عفى الزمان على فكرهم ، ويخرج من رحم الأزمة اقتصاد جديد يافع نابض بالعافية والصحة والعنفوان .

... إلا إذا وما أدراك الجحيم الواقع وراء إلا إذا هذه ؟ إلا إذا أجبرنا الحكومة ساعتها على اتخاذ إجراءات حمائية ، مهددين إياها بأن انهارنا نحن الفاسدين سيؤدى لانهيار الاقتصاد كله ، أو أرسلنا قنوات نقاباتنا ليثيروا الفزع فى الشوارع ، وما أكثر فى جعبتنا -نحن اليسار- من أسلحة للبلطجة والابتزاز . للأسف ابتلع الرئيس بوش هذا الطعم ، وللأسف أيضا أن المعارضة التى أتت فقط من شباب الحزب الجمهورى فى الكونجرس نجحت فى إسقاط المشروع فى المرة الأولى ، لكنها فشلت فى الثانية .

عن أى ركود نتحدثون ؟ يا دعاة الديمقراطية -بحسن الطوية لا بالإجرام المبيت- العالم الرأسمالى يمر بركود مرة كل سبع سنوات ، فما الجدوى لو فى كل مرة اخترنا اليسار كى يحكمنا لثمانى سنوات ؟ ! ... أجيونا : هل أخطأ أرسطو ذرة واحدة حين علمنا قبل ٢٥٠٠ سنة ، أن تعريف الديمقراطية هو حكم الرعاع ؟ !

[فى الساعات التالية رحبت وول ستريت ' بالسيد ' الصرصور الأسود بصفعة بقوة ٥٠٠ نقطة ، وفى الجلسة التالية مباشرة رفعت مستوى الصفعة إلى ١٠٠٠ نقطة اغتبار كارثية . من ٩,٦٥١.٠٠١ صبيحة يوم الانتخابات إلى ٨,٦٣٧.١٧ فى غضون ٤٨ ساعة فقط لا غير ! هؤلاء الذين انسحبوا هم المستثمرون المحترمون الذين لا يريدون سوى تنمية بطيئة حثيثة ومستدامة لأنها مبنية على أسس حقيقية وتعول فقط على النمو النخبوى التنافسى ولا تهتم بتنمية دماء الشعب أو تنمية الشعوب الدهماء ، فهؤلاء نادرا ما قبلوا التنمية بذات الشروط التنافسية المعمول بها ، ويريدون فقط فقاعة كفقاعة الإسكان الحالية تنتهى بأن يهربوا بأموال البنوك والقروض الخارجية ... إلخ . هذا عن المستثمرين الجادين ، أما المستثمرون الذين يجوبون بهلوانيات الأسعار وفقاعاتها فأطمئنهم : لا تحربوا ، فإن لدى ' السيد ' الوغد الكثير من شغل الـ ٣ رقات للسوق ، الذى لا أعتقد أن اللعب بها فيه أصعب بالمرّة ، من اللعب بها للوصول للمكتب البيضاوى !

فى اليوم الثالث كان المشهد مثيرا للفضول : عقد ' السيد ' أول مؤتمر صحفى له ، وفى ركن الشاشة السفلى مؤشر الداو جونز يهوى مع كل كلمة ينطقها . على أية حال ، هذا المؤتمر قال الكثير ؛ قال الطريقة التى سيسير على منهاجها حكمه . ليس مدهشا بالمرّة أن نكتشف أنها طريقة عروبية خالصة ١٠٠ % ، مما لا تعرفها أية أعراق أخرى : أن يتكلم بالساعات ولا يقول شيئا !

نعترف أن الرجل كان منظما ودقيقا . كان يختار بالاسم من سيسألونه ، وكان متأكدا من خلال جيش حملته الانتخابية وراء الستار ، أنهم لن يحدثوه فى موضوع العنوان الذى صف خلفه جيشا استعاضيا من المستشارين من أجله ، وهو الاقتصاد . عند نقطة ما راح يبحث بدأب عن صحفية بعينها رغم بدانتها التى لا تخطئها العين ، فقط لنكتشف أن لديها سؤالا عن الكلب الذى سيحضره للبيت الأبيض . هنا تحلل وجهه وتكلم طويلا جدا (جدا جدا فى الواقع) ، لكنه فى النهاية : لم يقل شيئا ولم يعط أى قرار ، حتى فى هذه !

بعد أسبوع آخر عشية انعقاد ما يسمى بمجموعة العشرين ، تكرر ذات المشهد ، لكن مع شخصية هى -على العكس ١٨٠ درجة- محترمة للغاية : الرئيس بوش . راح يرسم صورة قائمة للغاية لمستقبل الاقتصاد العالمى ، هذا على خلفية محترمة فى واشينجتون لديناصورات السيارات الثلاث

المختطفة نقايا وغيرهم كثير من الصناعات الأخرى ، يتقاطرون على العاصمة كما الجراد طلبا لمعونة الجمعية الخيرية العظمى فيها ، فتصدهم الحكومة فيذهبون لإلقاء الخطب الرنانة في الكونجرس الشيوعي . لكن في ظل هذه الصورة الإجمالية شديدة القتامة ، راحت أرقام ركن الشاشة تتقاذف من -٣٢٠ نقطة إلى ١٦٠+ نقطة في دقائق معدودات ، ثم واصلت الصعود ليحقق الداو جونز صافي ارتداد أكثر من ٩٠٠ نقطة تاريخية هائلة (من ٧,٩٦٩.٢٤ إلى ٨,٨٧٢.٨٥) فقط في غضون الساعتين المتبقيتين من الجلسة بعد المؤتمر الصحفى .

... هل تعرف السبب ؟ إنه مجرد أن الرجل قال إن الحل الوحيد لكل ما نحن فيه ، هو المزيد من التمسك بالرأسمالية التنافسية والسوق الحرة ! أنا شخصا -من منظور استثمارى محض- لا أقر ذلك السلوك ، لكن الموقف كان رهيبا ترتج له كل المشاعر ، ذلك لأنه ربما كان نوعا من بطولة 'الوقف الأخيرة' التى كنا قد تحدثنا عنها قبل أسبوع فى نهاية هذا المدخل : أناس دفعوا البلايين من جيوبهم لمجرد نحية كلمة من رجل لم يعد ذا سلطة ، كل ما أراداه هو -لا أكثر ولا أقل- تذكيرنا بأن الرأسمالية لم تمت ولن تموت !

بعد أسبوع ثان ، ووسط تحليل أعلامى هائل من اليمين واليسار معا ، اختار ' السيد ' فريقه الاقتصادى ، ليتضح أن كلهم رباب لسكرتير الخزنة الكليتونى السابق روبرت إى . روبين ، الذى بات يقال إنه يحكم أميركا من وراء الستار الآن . هل تعرف من هو روبرت إى . روبين ؟ إنه مستشار ورجل كرسى سابق للسياسة جرووب ، المجموعة التى كانت أول من وطن المال العربى القدر -ومن ثم عقليته سريعة الريح- فى وول ستريت ، والمتداعية حاليا دوننا عن كل البنوك (ولا غرابة !) ، والتى يقول ' السيد ' وعصابته إنهم لن يسمحوا لها بالانحيار مهما حدث ! نذكر أيضا بأن روبين هذا هو الذى أخذ أفكار الوليد ووايل إلى مداها وكان المهندس الحقيقى لخدعة الاستثمارات التى حين انفضحت فى خاتمة المطاف أسفرت عن إفلاس إنرون ، وها هو يعود الآن ليحكم الاقتصاد الأمريكى بإصبعه القدر الخفى ، كعادة الحزب الديموقراطى وسائر المنظمات الإجرامية ، كل الأشياء تتم من خلف ستار ! ... تعليقاتنا ؟ لا تعليق !] .

[بعد شهر اتضح أنه ما أن انكشف الريان والسعد والشريف عندنا حتى ذهبوا لول ستريت ؛ أصبح اسمهم برنارد مادوف ، راح هذا التلميذ النجيب يعطى فائدة ١١ ٪ سنويا لمدة ١٥ سنة ، بموفا -بالضبط كما مثله العليا الإسلامية- من المشتركين الجدد ، والنتيجة تبخر ٥٠ بليون دولار فى الهواء صناعة أكبر عملية نصب فى التاريخ !] .

[لم تمض أسابيع -وحتى قبل الوصول الفعلى للفرق المجرم للمكتب- حتى أجبر روبين على الاستقالة من السيتى جرووب . تخيل أن البراق يضع مصير الاقتصاد العالمى فى يد مدير فاسد فاشل ، فاشل حتى فى فساده ؟ ! هل تعرف لماذا حدث هذا ؟ لأن سيتى جرووب قررت تفتيت نفسها وبيع كل النشاط الاستثمارى لمورجان ستانلى .

هل تعرف ما معنى هذا ؟ إنما اللحظة التى تنعكس فيها عجلة التاريخ ، ويتم إبطال ذلك الشيء البغيض الذى بدأه يوما ساندى وايلل والوليد بن طلال وروبرت إى . روبين ، بالدمج بين نشاطى البنوك التجارية والبنوك الاستثمارية ، وكان من أبسط نتائج إفلاس وورلد كوم وإنرون ، زائد معظم أزمة الائتمان الحالية !

يعنى باختصار ، هكذا الخطة : اليسار هو الذى يفعل الأشياء البغيضة ، ثم يقول إن الحل هو المزيد من الرقابة ، أى المزيد من السلطة لهم هم البيروقراطيون والمشرعون . الموقف الصحيح أن الأشياء البغيضة -فقاعات أو حتى مخططات نصب مباشرة- لا يجب تحت أى ظرف من الظروف أن تمس شعرة واحدة من حرية السوق . هم يهزأون بعقولنا ؛ الأجهزة الرقابية الحكومية موجودة فعلا ، وطالما فشلت فى منع أى شيء . الأجهزة الرقابية القطاع الخاصى -كشركات التصنيف الائتماني مثلا- أقدر وأكفأ منها آلاف المرات من حيث الموارد البشرية والمالية معا ، وطبعا من حيث النزاهة ، وتمارس دورا عظيما بالفعل ، لكنها بداهة لا تستطيع اكتشاف كل شيء .

إذن ، ليفعل كل ما شاء وليتحمل كل شخص مسئولية قراراته الاستثمارية ، هكذا النظام الرأسمالى ببساطة ، وعلى الجميع التعامل معه دونما محاولة من السياسة اليساريين الفاسدين للى ذراعه ومحاولة اكتساب سلطات لأنفسهم !] .

أخيرا ، اخترنا يوليوس قيصر لأننا بما أننا نتحدث عن اليوم ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ كاليوم الأكثر سوادا فى التاريخ الإنسانى ، فلا بد أن نذكر أى يوم كان الأكثر سوادا فى التاريخ حتى الأمس . ليس هناك أدق من اختيار ١٥ مارس ٤٤ ق . ح . ش ؛ يوم اغتيال جايوس يوليوس قيصر ، التاريخ الذى عرفت فيه الأنثروبى الطريق لكعب أخيل اللازم لتركييع الحضارات !

ماذا حدث فى أمر اضمحلال وسقوط الحضارة البريطانية ؟ كما أوضحت الرواية فى القسم المعنون فى منتصف الفصل السادس ' خمسون عاما مدة طويلة جدا ! لن تستمر أميركا سيدة العالم كل هذه الفترة إلا فى حالة واحدة ... ' ، السيناريو ليس يكن مختلفا كثيرا ، باستثناء أن غزو العبيد لم يأت من الخارج ، بل من الداخل . طبقة من البلطجية العاطلين تفتقوا عن فكرة اسمها تنظيم الشغيلة فى اتحادات ، الأمر المخالف

دستوريا ومفهوميا لمبدأ الحرية العظيم الذى رسخته إنجلترا : طالما لا أحد يذهب من أصحاب المصانع يذهب لجر أحد عنوة من مسكنه كى يجبره على الشغل (على طريقة النظام العبودى الذى رفعت الإمبراطورية راية القضاء عليه) ، فإن الرأسمالى حر فيما يعرض من أجر ، والشغل حر فى أن يقبل أو يرفض ، وكلمة حر تفترض من الأساس أنها فردية ، وإلا أحللت شمولية بأخرى ، والجوهر العميق للفكرة الرأسمالية أن لا اقتصاد فى السياسة ولا سياسة فى الاقتصاد ، التى يمكن ترجمتها دونما خطأ كبير لأن لا سياسة من الأصل ، فالفرد هو النواة الأساسية للمجتمع ، لا القبيلة ولا النقابة ولا الحزب ولا أى شىء ، ولا حتى الأسرة النووية كما رأينا فى الأطوار اللاحقة من صيرورة هذا التطور ! على امتداد النصف الثانى للقرن التاسع صدر التشريع تلو التشريع يعطى الشغيلة حقوقا فى المشاركة السياسية ويزيد من سلطات البرلمان انتقاصا من سلطات الملك ومن سلطات الطبقات العليا للمجتمع مالكة الثروة ، بحيث ما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى كان الحزب المدعو حزب الكدح (العمال فى الترجمة العربية الدارجة) ، عصابة بطلجية النقابات ، هى الحاكم المطلق لكل الإمبراطورية ، وقادتها بثبات وعزم عظيمين إلى الانفجار التام فى غضون عقود قليلة . مرة ثانية ، السبب بسيط وهو أن عقلية العبد -الشغل هنا- لا ترى أبعد من تحت رجلها ، أقله أنها لا تفهم شيئا فى أهمية التقنية كالقدرة المحركة للتقدم والازدهار ، بل على العكس تراها عدوا يجب تحطيمه ، وهذا قد حدث بالفعل بالمعنى الحرفى للكلمة فى بريطانيا من حركات لتكسير آلات المصانع .

...

ماذا حدث فى أمر اضمحلال وسقوط الحضارة الأميركية ؟ أين كانت وكيف أصبحت ؟ روكيفيلر الذى تعتر الرواية بأن وضعت توقيعه على غلافها ، كان قبل أقل من قرن ونصف لا أكثر -مع بقية رموز ذلك العصر من البنائين العظام- رمزا للرأسمالية التنافسية التى لا ترحم أحدا ، بل فى حلبة صراع الشركات تصفق -هى وكل الشعب- بمنتهى الحماس للفائز وتصفر بذات الحماس للمهزوم لا تأخذهم به رحمة ولا شفقة . تغيرت الدنيا بسرعة ، وفى العشرينيات أيضا بفعل سياسات توسع تنموى حكومية غير مدروسة وغير تنافسية بطبعها انفجرت الفقاعة إلى كساد عظيم طويل ومؤلم . هنا دس اليسار أنفه لأول مرة مستلهما ما بدا من نجاحات ظاهرية لروسيا الستالينية . جاء رويسيفيلت بسياسة اشتراكية عقيمة سقيمة أطالت الكساد وأطالت طوابيره وزادت كل شىء إيلا ما على الجميع ، فقط إلى أن جاء الخلاص متمثلا فى حرب عالمية ثانية أنقذت العالم ، بأن كسرت جذريا دورة الاقتصاد وكأنها تبدأ دورة جديدة من الخدش لا ماضى لها ، هذا أولا من خلال المبطوط لحالة من التقشف التام اسمها التعبئة العامة ، دورت عجالات المصانع ودفعت التقنية قدما وفى نفس الوقت ساعدتها الحرب من خلال تقليل عدد السكان ، وطبعا بالضرورة خلصتنا من الحكم مدى الحياة الذى اتناه رويسيفيلت لنفسه . عادت أميركا لصوابها ورسخت نفسها كالقوة العالمية رقم واحد ، لكن المرة التالية التى أطل فيها اليسار كانت أفسى كثيرا . وصول أول ' سيد ' لقمة السلطة فى واشنطنون ، الكاثوليكي چون فيتزجيرالد كينيدي ، حاملا أجنحة يسارية شرسة قامت بأمرين اثنين على الأقل ، أقل ما يقال فيهما إنهما كارثيان : قانون هجرة فاحش الأبعاد جعل أميركا مستباحة بلا قيد أو شرط لطوفان من العبيد على الطريقة الرومانية ، وقانون آخر لما يسمى بالحقوق المدنية جعل الإنسان الأبيض مواطنا من الدرجة الثانية فى عين وطنه الذى أسسه وبناه ودفع أجداده عرقهم ودمهم من أجله . هذا التشريعان هما اللذان أوصلانا للنتيجة الباهرة التى حدثت اليوم ، ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ ، بما يفوق كل خيالات ' السيد ' كينيدي نفسه . ببال من كان يمكن أن يخطر هذا ؟ أقل من نصف قرن تفصل بين اللحظتين السودوتين الكبيرتين فى تلك الإجرائية ، انتخاب ' السيد ' الأول وانتخاب ' السيد ' الثانى ، هذا الذى جاء بأجنحة ماركسية-لينينية عربية-إسلامية استرقاقية-استحلالية فاجرة الصراحة ، بينما قطيع الدهماء يهلل له بذات الحماس القديم الذى هللا به لوهلة لمقتل يوليوس قيصر !

...

' ما قبل أبى أمه ' و ' ما بعد أبى أمه ' ؟ أوافق ! نعم ، لا أعتقد أن شيئا من كل ما وعد سيحدث ، الكونجرس الديمقراطى نفسه لن يجاريه خطته الاستحلالية الاسترقاقية الطموح ، لأنهم أبعد نظرا فى الحفاظ على الدجاج الذين يبيض لهم ذهابا بينما هذا الأعراي شرق الأوسطى الغي يريد ذبح الدجاجة والتهاهما الآن بضرائب أقرب للمصادرة . هذا هو الفارق القاعدى بين الاشتراكية الشيوعية : تنابلة الاشتراكية يبقون على المشروع الخصوصى كى يظلوا ينهبونه إلا ما لا نهاية ، أما ثيران الشيوعية فهم يصادرون البقرة نفسها فيجف لبنها بين أيديهم الجاهلة الشرهة ، فلا يجدون ما يمكن فعله سوى ذبحها والإطعام بها لبضعة أيام وانتهى الأمر !

نعم ، رغم لون بشرته ، فهو ' أبيض يا ورد ' ، ولن يجد مستشارا واحدا يمكن أن يوافقه على أوهامه التي ألهمت حنجرته الضخمة مشاعر الناس بها . لكن هل ستوقف الأمور عند هذا الحد ؟ بالطبع لا ! مبدئيا ، لو بجانب بياض عقله ، افترضنا أنه مجرد فتى صغير غر طيب وأبيض القلب ، فهذه في حد ذاتها كارثة ، فالعالم لا يحتمل أن يقوده شخص غر في هذا الوقت العصيب والخطر اقتصاديا وأمنيا . الأسوأ أن الكارثة الحقيقية أعمق بكثير ، وكثير جدا ، ذلك أنه شرير محنك محقق . رغم كون هذا المرتزق الصغير التافه حدثا هاويا معدوم الخبرة ، إلا أنه لم يفعل كل ما فعل كي يستسلم في النهاية للصمصص المحترفين الكبار عريقى الخبرة ، بل سيقود انقلابا داخليا عليهم . قد لا ينجح ، لكنه على الأقل سينجح في أن يورث أميركا حالة من الفوضى ربما لا يشبهها في فجيعتها شيء إلا اللقطات الختامية من فيلم ' سقوط الإمبراطورية الرومانية ' ، حيث ستتحول تركة الرأسمالية الأميركية والتي قتلها هؤلاء اللصوص (والتي -أرجوك لا تنس هذه- كان قد كتب فيها توكفيل أسفارا يوما) ، تتحول إلى مزاد علني فيما بينهم (الأفلام لا تذكر أبدا السبب الحقيقي لسقوط الإمبراطورية الرومانية ، بل في الواقع تذهب لعكس الحقيقة ١٨٠ درجة ، فقط أعجبتنا الرمزية المستخدمة في المشهد المذكور) . سيعم أميركا الاضطراب تدريجيا ، في ظل فشل اقتصادي تفاقمه الضرائب الباهظة ، وفي ظل إيمانه بضرورة تفكيك الجيش وعدم إنفاق سنت واحد على الدفاع ، سرعان ما سيتحول -أى الاضطراب- إلى فوضى شاملة عارمة . التاريخ علمنا في المرتين السابقتين أنه حين تنهار حضارة ما ، لا بد وأن يصل العالم كله لحالة من الانصهار الفوضوي ، قبل أن تتماسك داخله قوى جديدة تحمل لواء القيادة بحزم ، وتعيد هيكلة الكوكب بعد كنسه من فيضان الأنثروبي الذي غطاه . لا يوجد ما يحملنا على الاعتقاد في شيء مختلف هذه المرة .

يقولون إن ' السيد ' سيسعى لتوحيد أميركا . بغض النظر عن أن كل كلامه دوغما استثناء حرف واحد هو رطانة جوفاء خالصة ، نقول إن ذلك صحيح ، لكن فقط كإحدى خصائص ما ورثه من جينيات عربية . العربي يعرف أنه عبد وأنه ' دون ' الجميع ، ويمد يده بما يسمى سماحة الإسلام طوال الوقت ، وذلك ما يسمى أحيانا بالتقية ، لكن حين يصل لمرحلة التمكين ، ستظهر منه وحشية وانتقام وحقد لا نظير لها ضد كل أعراق الأرض .

يقولون عن نجاح ' السيد ' إنه دلالة على أنك تستطيع فعل كل شيء في أميركا (بل علمت أنه قال هذا هو نفسه في خطاب النصر) ، لكن المدهش أنهم ينسون أنك أيضا تستطيع فعل كل شيء في الصومال . ليس المعيار أنك تستطيع فعل كل شيء ، إنما أن تستطيع فعل فقط كل شيء صواب إيجابى وبناء ، لا لصوضى نهائى سلابى هجائى استرقائى واستحلالي ؟ نعم ، هى أميركا التي يفعلون فيها الآن ما شاءوا ، لكن شتان بين أميركا قائدة حضارة ما بعد-الصناعة ، وبين أميركا الاشتراكية والمساواة وميليشيات الشوارع التي يعدنا بها ' السيد ' الوغد .

علمت للتو أيضا أن اسمه قد أصبح فجأة وبقدرة قادر ' البراق حسين أبا أمه ' يتغنى به كل طوفان شاشات الإعلام العالمى الذى يسيطر عليه اليسار وليس انتهاء بالصفحة الأولى للنيو يورك تايمز ، هذا طبعا بالإضافة للإعلام العربى المسلم ، كلها بعد ظلوا لشهور يتحاشون وبشدة -من باب التقية- ذلك التلميح لإسلامه ، ويسحلون كل من ينطق اسم حسين هذا ويلهبونه بسياط تهمه العرقية والتعصب . أنا شخصا لا أكاد أستطيع تخيل شكل الإعلام غدا ، بعد أن استثمار كل ماله وثقله ذاك في شخص ' السيد ' ، وراهن بكل شيء عليه . من منظور بيزنسى خالص ، هذا غباء . قاعديا ، حتى يحافظوا على المشاهدين عليه أن ينقد الرؤساء والنظام ، وحين يمتدحهم يجب أن يحتفظ لنفسه بخط رجعة . هم لم يفعلوا هذا مع ' السيد ' ، ولا أكاد أتخيل كيف سيحظون غدا بأية مصداقية .

علمت أيضا أن ' السيد ' بدأ في خطاب النصر ذاته ، الحديث عن العثرات المقبلة ، و ' التغيير الذى لن تكفيه فترة رئاسية واحدة ' . هل نسى بهذه السرعة أنه أصبح رئيسا ، ودلف مباشرة لحملة انتخابات ٢٠١٢ ؟ لا بأس ، فالانتخابات الشئ الوحيد الذى يجيده ، ولا يطبق فراقه ، ومن ثم فأسوأ شيء فيها هو الانتصار ! لكن هل تعتقد حقا أن الانتصار يمكن أن يقهر حقا طفل الانتخابات المعجزة ' السيد ' الوغد ؟ أنت واهم ! لقد وجد طريقا ! لم يهدر دقيقة واحدة من عمره بلا انتخابات ، وراح على الفور يدشن حملة انتخابية جديدة : كلف ذات الفريق الذى أنجحته تحت شعار ' التغيير ' ، ببدء حملة دعائية جديدة تحت عنوان ' تغيير التغيير ' لإقناع الشعب الأمريكى ألا يتوقع من ' السيد ' أن ' يغير ' شيئا أو ينفذ شيئا مما قال ، وأن الشئ الوحيد الذى يمكن أن يتغير هو الرفيق الوغد بن لادن نفسه ! هذه ليست نكتة ، إنما أخبار حقيقية ، بل ربما تحقق نجاحا فعلا فليس في تاريخ ' السيد ' الوغد حملة فاشلة حتى الآن ، وطبعا لا شيء يصعب على أمنا الديمقراطية ! (في

الواقع هو على حق فإن أحدا ممن دفعوا له بسخاء في مواخير الإنترنت السرية لم يطالب قط بالـ 'change' !) . المهم ، أنا شخصيا أقر بصدق وعوده بالتغيير : تغيير الكلام الذى سبق وقاله خلال الحملة !

...

لكن هل انتهى نهائيا أمر الحضارة الأميركية ، وعلينا انتظار العقود وربما القرون حتى تظهر تلك القيادة الجديدة ، الرابعة ، حضارة ما بعد ما بعد الصناعة (كما أسمتها الرواية) ، أو اختصارا حضارة ما بعد-الإنسان كما عنواننا بها كتابا قديما لنا من عام ١٩٨٧ ؟ الإجابة : الوقت يجرى بسرعة . المشكلة أن قوانين ' السيد ' كينيدي نجحت في الوصول بالعبيد للنسبة الحرجة ديموجرافيا التي بعدها -بفضل ولعهم الطبيعي بالتكاثـر- يتحولون إلى أكثرية كاسحة . فى ظل ' السيد ' الوغد ، سيتفقم الأمر بمتواليه هندسية كما كرة الجليد (وإن كنا لسنا فى حاجة للوصول لأية درجة من تلك نسمى الأشياء بمسمياتها ونعرف الديمقراطية بأنها حكم الفقراء أو حكم الرعاى أو حكم الجهال -التعريفات ليست منا إنما كلها لأرسطو) .

... لكن ؟ أى ' ولكن ؟ هل هناك ' ولكن ؟ هل يمكن إنقاذ أميركا من مصير سابقتها ، الحضارتين الرومانية والبريطانية ؟

ربما لا تزال هناك بعض الإجابات ...

...

أولا : هل يمكن أن يحل قتل ' السيد ' الوغد المشكلة ، أم لا بد من حرب أهلية تلغى مهزلة الديمقراطية وتعيد العبيد -بمختلف ألوانهم- إلى من حيث أتوا أو أتى أجدادهم ؟ لماذا القتل ؟ هل فشلتم فى إقناع الناس بالكلام فتلجأون للتصفية الجسدية ؟ الإجابة : لقد حفل التاريخ بأمثال هذه الحناجر الضخمة ، الشيء المشترك فيهم جميعا أنهم ينقلون لعبة السياسة برمتها من نطاق الأفكار والإقناع ، إلى نطاق إثارة المشاعر وتديلوك الغرائز . هم من لجأوا للضرب تحت الحزام ومن خانوا جذريا ساطرات اللعبة ، وليس من قتلوهم . من يفعل ذلك -بالذات من لديه قدرة على الخطابة الرنانة والتزييف الفاضح والتضليل الديماغوجى والتحريض السافل أمثال جاندى وكينيدي ولوثر كينج وكينيدي الآخر- غالبا ما ينجح ، ولا سبيل لإيقافه غير القتل ، ولكن

... ولكن : نعم ، القتل مهم ، ونعم ، على أجهزة الاستخبارات أن ترتفع لمستوى اللحظة التاريخية ، وتقبل التحدى الأخلاقى الذى يفرضه عليها قسم الواجب الذى تعهدته . نعم ، التصفية الجسدية ' للسيد ' الوغد خطوة مهمة ، لكن المشكلة أنها لا تكفى ما لم تتلوها خطوات أخرى جذرية تمنع ظهور أمثاله من جديد . كان من الممكن أيضا قتل أفواه ضخمة أخرى مثل لينين وناصر ومانديلا إلى آخر قائمة مشاهير قطاع الطرق بارعى الخطابة ، لكن المشكلة أنه دائما ما يظهر غيرهم بعد قليل . الأشياء الجذرية قد تكون بالفعل من قبيل حرب أهلية أو تطهير عرقى جذرى أو ضربات نووية ، لكن لا يمكن أن تكون أقل من هذا . على أية حال لا شىء يذكر بعد ليلة اغتيال القيصر أهم من الحروب الأهلية . المهم فقط السؤال عن لآى طرف ستكون الغلبة !

إذن ، الإجابة صعبة لكن ضرورية وفورا ، لأن الخطر مخيف ومحدد !

...

ثانيا : ما هو موقف الشركات ؟ هل تترك أميركا وترحل ، هل ترفض دفع الضرائب ، هل تستولى على السلطة بالقوة لا سيما وأنها حقها الطبيعى أى بمعنى حقها بحكم قوانين الطبيعة الأسمى من كل قوانين ذلك العرق الغبى المدعو الهومو ' سيبينز ' ؟

أيضا ، الإجابة صعبة لكن ضرورية وفورا ، لأن الخطر مخيف ومحدد !

...

ثالثا : ما هو موقف الجيش الذى سبرى نفسه وبلده تتحول للملطشة لأمثال بوتين وشافيز وخامنئى ناهيك عن الحزب الشيوعى الصينى ، لا سيما وأن ' السيد ' الوغد قد أعلنها صريحة أنه لا يريد من الآن فصاعدا الاعتماد على الجيش ، بل يريد استبداله بميليشيات سوداء مسلحة يحل إليها ميزانيات القوات المسلحة الأميركية الموصوفة عادة بالهائلة . صدق أو لا تصدق ، لو حدث وتقدم ' السيد ' اليوم أو قبل ١٠ سنوات أو حتى بعد عشر سنوات من الآن ، بطلب لوظيفة ساعى فى البيت الأبيض ، لرفض طلبه بناء على التقارير الأمنية الروتينية التى تدمغ ماضيه الحافل

بعلاقات مباشرة مع الجماعات الإرهابية المسلحة ، ولألف سبب آخر . أما وقد أصبح ' السيد ' هو سيد البيت الأبيض نفسه محتما بما يسمى قوة الشعب (وللأسف هي وظيفة لا يشترط القانون الأميركي استعلام رأى الأمن فيها ، على الأقل لأنه لم يخطر ببال الآباء المؤسسين ممن كتبوا دستور أميركا العظيم أن سيتقدم يوما رجل عصابات محترف من العالم السفلى لأميركا للترشح للرئاسة) ، ألا يعد تدخل الجيش لاعتقاله أو قتله هو مجرد تفعيل بسيط صريح ومباشر لسيادة القانون التي طالما تغنى بها الغرب ، ومجرد إبطال بسيط صريح ومباشر لهذا الانقلاب الذى جرى على السلطة الشرعية ؟

بالمثل ، الإجابة صعبة لكن ضرورية وفورا ، لأن الخطر مخيف ومحدد !

...

رابعا : ما هو موقف ولايات الجنوب ، وبالذات حين نبدأ نرى نواب وسيناتورات ديمقراطى الجنوب أقرب إلى اليمين من جمهورى الشمال ، والعكس بالعكس ؟ ألن يفكر الجنوب فى الاستقلال من جديد كما كان يوما ، كى يبنى دولة فتيمة قائمة على قيم الحرية والتنافس وذات فرص هائلة لأن تصبح سيدة العالم حقا ، تاركة بقية أميركا التي اغتصبها اليسار ، تضمحل ما شاء لها الاضمحلال ؟

أيضا ، الإجابة صعبة لكن ضرورية وفورا ، لأن الخطر مخيف ومحدد !

...

خامسا : سلميا ، وطبعا : الإجابة صعبة (صعبة جدا هذه المرة) لكن ضرورية وفورا ، لأن الخطر مخيف ومحدد !

الرهان ضعيف ، لكن لا يمكن إلا أن نشيد بمؤلاء الأبطال آخر رجيل من حملة مشعل الحضارة ، الجيل الجديد من شباب الحزب الجمهورى ، هؤلاء الذين عادة ما يطلق عليهم أولاد نيوت جينجريتش . هؤلاء الذين كان آخر وقفاتهم الشجاعة رفضهم الحازم لخطة الإنقاذ المالية التي اقترحتها الرئيس بوش ، باعتبارها مناقضة لأبسط مبادئ الرأسمالية وهي أن تدع من يسقط يسقط ، هؤلاء يحاجون طوال الوقت بأنهم ذهبوا لواشينجتون كى يغيروا واشينجتون (يقصدون واشينجتون الفساد والإفساد التي باتت وكرا للصراصير الديمقراطيين) ، لكن -حسب قولهم أيضا- D:\FoxNews.com\2008\11\06\Eye to the Future - Is Louisiana Gov. Bobby Jindal the man to rebuild the Republican Party 110508_hc_jindal_B1200.flv هو إنسان رائع ككل وليس لهذه المقولة فقط ، وبالطبع هو المشار إليه على هامش هذه الفقرة ما حدث أن كثيرين ممن ذهبوا لواشينجتون كى يغيروا واشينجتون قد غيرتهم واشينجتون (يقصدون بعض الجيل الحالى من الجمهوريين ممن يقايضون التنازل عن بعض المبادئ بالحرص على القبول السياسى ، ويتجهون للوسط كى ينتخبهم الناس ، وما يحدث أنهم لا ينتخبون لأنهم يبدون مزيفين فى نظر الناس مقارنة بمن هم طول أعمارهم يساريون) . موقف هذا الجيل الجديد كان عظيما خلال الأزمة المالية ؛ أثبت للعالم أن الرأسماليين ليسوا قبيلة وأن الرأسمالية ليست اشتراكية الأغنياء . أفهمتم العالم أنكم لا تقفون صف فى الثراء إنما فى صف شىء آخر لا يشبهه إلا فى الجنس اللغوى : الصراع ! أثبتتم أن ليس كل صاحب ثروة رأسمالى (تعبير للرواية) ، وأن الفارق شاسع بين اقتصاد بناء تنافسى رفيع المعايير وبين اقتصادات ورقية كلامية بهلوانية فقاعية .

إن عدد أولئك غفير وأغلبهم الآن حكام ولايات وسيناتورات ونواب وهم بعد دون الأربعين- لا يعينهم كثيرا إن انتخبهم الناس أو لم ينتخبوهم ، إنما تعينهم وقفة أخيرة للمبادئ التي تأسست أميركا عليها ، أميركا الحرية الكاملة والرأسمالية التنافسية والشغل الشاق وتحقيق النجاح والثروة بلا سقف . بالمناسبة وحتى لا يتهمنا أحد بالعرقية ، أو يتهم الحقيقة العلمية بأنها عرقية ، أحد هؤلاء المذكورين شاب عمره ٢٢ سنة -أقل من نصف عمر ' السيد ' - ويدعى بوبى جندال ، أصبح نائبا بالكونجرس ، وبعدها بأربع سنوات فقط صار بأغلبية كاسحة حاكما لولاية لويزيانا ، كل هذا بينما هو من أصول هندية بنجابية ، إلا أن هكذا كانت جبيناته -أو تطفره الجبينى لو شئت- فكان إيمانه بأن التنافس المطلق هو القانون الأسمى لأمتنا الطبيعية وأداتها الجبارة لتحقيق مقصدها العظيم وهو التطور . مرة أخرى أسأل ضميرك : هل نحن نتكلم الآن فى الأعراق أم فى الأفكار ؟ إنسان كهذا لا يمكن أن يوصف بالعبد حتى لو كان لأب قرد وأم صرصار .

[شاب آخر اعتاد الوصول للكونجرس بأغلبية ساحقة منذ سنة ٢٠٠٠ أصبح المنغص الأكبر للبراق منذ أيامه الأولى فى المكتب ، وبنى على نحو مدesh إجماعا جمهوريا مطلقا تصدى به لخطط هذا الخائن المدعو رئيسا لتخريب الاقتصاد الأميركي وقتل هذا البلد العظيم خلال عامين ثم بيع الجيفة لأسياده فى موسكو ووضفى الخليج الفارسى فى العامين الباقيين (كما سبق وقلنا ، لكن الجديد هو الجدول الزمنى الذى اتضح مع إعلان البراق لخطه

تعجيز -تحفيز- الاقتصاد بعد نحو أسبوع من استيلائه الفعلى على السلطة . ذلك ' السوط ' الكاريزمى الدوب يكرر حرفيا القيادة المذهلة لنيوت جينجريتش التى تصدى مبكرا بما لكليتون وحول الجمهوريين من أقلية ضئيلة فى الكونجرس لأغلبية كاسحة فى العام التالى مباشرة ، ولعله -أى ذلك الشاب- السبب ربما فى ظهور مصطلح أولاد نيوت جينجريتش . هذا الشاب الفيرجينى الأبيض الوسيم والصديق الشخصى لـجينجريتش والذى كان من بين من طرحت أسمائهم كمرشح نائبا على تذكرة السيناتور ماكين ، اسمه بوب كانتور !

... لذا لزم التنويه !] .

فى الواقع ، شتان بين أى أحد وبين اللص الذى اعتدنا تسميته فى تغطيتنا لسباق الانتخابات باللقب التالى : العبد-الأسود ، العربى-المسلم ، الماركسى-اللينينى ، الكاپونى-الهوفا ، فرقع لوز العجيب ، الطفل المعجزة ، الرفيق الصرصور ، المبارك البراق ، سيادة ' السيد ' الرئيس الزعيم الملهم الركن أبو حسين الثانى ، أبو أمه الخامس عشر ، (أخو أس أمه) بن لادن ، بن عمر بن الخطاب والخطابة ، أمير المؤمنين ، حفظه الله ورعاه وسدد باليمن خطاه وخطاياه (الرفيق الصرصور أتت من تشابه رأسه مع رأس لينين وتشابه كليهما مع رأس الصرصور ، الأمر الذى طرح سؤالا من أين بحق الجحيم تأتت -لأول مرة فى تاريخ الخيال الإنسانى- لصناع فيلم Wall-E فكرة أن يحب الناس صرصورا يوما ، إن لم يكن من سباق الانتخابات الأمريكية ؟ ! المبارك اسمه الأول السواحيلي مترجما للعربية ، البراق ذات الاسم لكن مترجما للغة أهل الفضاء ، فالبراق بغير مجنح حلق بالچينيات العربية المبروكة للسماء السابعة ذات ليلة قبل ١٤ قرنا ، وها هو يخلق بها هذه الليلة للسماء الرابعة عشر ، أو -لو شئت- هبط بكل البشرية للأرض الرابعة عشر بعد أن هبط بها الأول للأرض السابعة ، وها هو الآن فرقع لوز العجيب الطفل المعجزة يستطيع بسرعة البرق الصعود لأعلى منصب فى الكوكب بشوية نصب ولعب ٣ ورقات وحيل كلامية وخطابة رنانة وشعارات طنانة ودغدغة لكل الغرائز الطبقية والعرقية ، ولكل غرائز أخرى وجدها فى البشر أو لعل بعضها اخترعه هو ، لحس بما كلها عقول مئات الملايين عبر العالم وغسل لهم أدمغتهم بوعود جوفاء وشعارات فارغة . أبو حسين هو اسمه الثانى كما هو دون ترجمة ، ومع اعتبار أن الرئيس الزعيم الملهم الركن أبو حسين الأول هو صدام . أبو أمه الخامس عشر هو اسمه الثالث مترجما للعربية ، ومع اعتبار أن تصبح أبا لأملك هى إحدى تجليات الإعجاز العلمى للكرهان الذى لا يجد أية صعوبة فى أن يخلق من الماء نسبا وصهرا ودوئهما أبا للأم ، وهذه ليست إهانة ولا اجتراء ولا مبالغة ، بل كلام جاد جدا وشريعة يتفاخر بها المشايخ ، إذ تستطيع بكل سهولة فى الإسلام أن تصبح أبا رسميا لأملك وبعقد زواج شرعى من أمها -وطبعا منها نفسها بالأحرى لو رأيتها أجمل ! فقط أسأل أحد المشايخ عن معنى تلك الآية من الكرهان الكريه وسيدلك على الطريق . أما الخامس عشر فهى نسبة للقرن الهجرى الحالى حيث اعتادت سلالة أبو أمه أن تجدد للأمة شبابها مرة كل مائة سنة . لادن هو جده لأبيه ، فكما تعلم أبو أمه وأس أمه أخوان غير شقيقين . كاپونى هو لقب العائلة ككل وقد جاء من جهة أمه لأنها ببساطة هى التى ربتة بعد فرار أبيه لجهة غير معلومة . أما بن الخطاب والخطابة فهى جذوره الأقدم فى شبه جزيرة البعر وأنت تعرفها أكثر منى . وأخيرا أمير المؤمنين هو اللقب العسكرى الذى اختاره بن الخطاب والخطابة لنفسه Commander-in-Chief ، وهو الاسم الجديد الذى استحقه صاحبنا اليوم ولم نكن قد استخدمناه من قبل !) .

...

لو شئت الصراحة ، الجزء الخطر فى نبوءاتنا ليس سقوط أميركا ، إنما المغامرة بالتنبؤ بأنها ليست نهاية تاريخ الحضارة ، ناهيك طبعا عن تحديد من سيخلفها . أؤكد لك أن قلمى لم يرتجف وهو يكتب هذا . إن رهاننا دائما أبدا على أمنا الطبيعة ، أو بصياغة أدق على طبيعة المادة التى صنع منها كوننا ، والتى ثبت عبر ١٤ بليون سنة أنها تميل على نحو متواصل إلى النخبوية elitism والاستعقاد sophistication ، أى إجمالا : التطور evolution .

روايتنا أتت على ذكر وقفة الجنرال كاستر الأخيرة الشهيرة . فى هذا اليوم حالك السواد غير المسبوق فى كل التاريخ الإنسانى بما فيه أسود فترات عصور الظلام ، لا أدرى إن كنت قد أصبت أم أخطأت حين تركت الانطباع أن تلك الوقفة لم تذهب هباء وكانت فى المحصلة النهائية انتصارا . أيا ما كانت لا زلت أتمنى من كل قلبى لهذا الجيل الرائع من حملة صولجان الإمبراطورية الجدد -الفاشيون الجدد فى الاستخدام الصحيح للكلمة- أتمنى نهاية سعيدة لمساعهم البطولى مذهب الجرأة هذا . هنا يبدو الوجه الآخر للمعادلة مختلفا : أين ذهبت أميركا ، وأين ذهبت چينيات الحضارة ؟ أميركا هى أميركا ، ولن يمس منها شعرة ولو مليون صرصور أسود مسلم وغد وصحابة-عصابة ، ولا يوجد أدنى شك أن أميركا ستعود بأفضل مما كانت بمراحل ، وبوعى أكبر بمدى خطورة الطابور الخامس العبودى-اليسارى-المسلم الذى ينخر فيها من الداخل هذا ، وبيقين أنه لا يصلح معه إلا حل واحد التصفية الجسدية الجذرية والشاملة !

السيناريو الوحيد المحتمل إذن -نعم الوحيد المحتمل والكلام يجرى بهذه الثقة لأنه إن كانت أمانة الطبيعة معنا فمن علينا؟- هو أن يبرز من ذلك الجيل الجديد زعيم كاريزمي الشخصية يقنع الشعب الأميركي لمرة واحدة وأخيرة أنه مقبل على انتحار بطيء بما يفعل من استسهال للسياسات الاشتراكية الاستحلالية الاسترقاقية لعصابة اليسار العربي المسلم الحاكمة ، وأن ينجح في تغيير الدستور بحيث ينهي بلاهات آلية التدمير الذاتي تلك المدعوة بالديموقراطية ، يضع سقفها للضرائب وللإنفاق الحكومي ، ويفك مرة واحدة للأبد خطر تلك القنبلة الموقوتة هائلة الفتك المسماة بالهجرة ، وكذا يظهر إرادة حديدية لبقية العالم أن أميركا بقوتها العسكرية -وإلى الأولوية منها منظومة الدفاع الفضائي- سوف تستخدم لنشر مبادئ الرأسمالية التنافسية -وليس الديمقراطية كما فعل الرئيس بوش بطيبته الزائدة وحسن ظنه بالناس ، إذ لو كان قد استخدم مجرد قنبلة نووية واحدة في الفالوجا أو وزيرستان أو غزة أو جنوب لبنان لوجد كل الدنيا تعيد النظر في كراهيتها لأميركا وموقفها العدائي مما تمثله من قيم- وأن فقاعة الجلوبة (الفقاعة التي لا يتحدث عنها أحد ، حسب تعبير روايتنا) ، يجب أن تنتهي للأبد قبل أن تنفجر في وجه الكوكب كله ، وأن يبدأ توحيد العالم على أساس أفضل مبادئ ونظم معروفة ، وليس على أساس المتوسط الحسابي لأمرجة الشعوب الموجود فيه .

لم يحدث -ومع كل الاحترام لزعامه رونالد ريغان مثلاً- لم يحدث أن أنجبت أميركا زعيما يمثل تلك المواصفات ، إلا مرة واحدة : ريتشارد نيكسون ، أعظم من حكم أميركا ، هذا الذي كان من العظمة بحيث لم تستطع هي نفسه تحمله ! إن عالمنا فاقد البوصلة يتضرع الآن إلى زعيم من هذا العيار : رؤية ما لا يراه أحد ، عدم إقامة وزن للتوافه والشكليات وما يعتقد العموم أنه من ثوابت الأمور ، والأهم من كل شيء : أن لا يضعف أبدا ! زعيم بهذه المواصفات عملة نادرة إن لم تكن شبه مستحيلة ، وحتى إن وجدت سوف تجد وفرة من محدودى الموهبة الوضعاء الحاقدين يحاربونها ، وبدلاً من تشجيعها والاصطفاف خلفها يحطمونها . مع هذا يظل العثور على بديل للديموقراطية الفاسدة التي تسترضى وترضى الجميع معضلة كبرى ، وإن لا مفر منها !

...

أخيراً ، ماذا نفعل نحن في مصر ، في ظل عالم يتجه كقطيع أعمى إلى الانتحار يساراً ، وبالأخص قطيع أميركي انجرف بغباء منقطع النظير لمعاقبة الجمهوريين على أزمة مالية ليسوا السبب فيها ولو بشعرة واحدة ، إنما كانت بسبب محدود ومباشر هو سياسات كلينتون الإسكانية وغير الإسكانية شديدة التطرف يساراً ، والتي فاقم منها الكونجرس الديموقراطي الذي يحكم -وليس الرئيس بوش بالمناسبة- منذ أربعة أعوام ؟ القطيع بدلاً من يختار اليمين الحقيقي كى يبنى له اقتصاداً حقيقياً ، اختار التصويت العقابي ، فإذا به يشنق نفسه . كل هذه معلومات بسيطة وسيصبح من هو الفاعل وما هو الحل بديهيات لدى الكافة بعد قليل ، لكن للأسف بعد أن يكون ذلك المجرم النهاش قاطع الطريق قد احتل البيت الأبيض بالفعل . علام يمكن أن تراهن بالضبط ' لجنة المستقبلات ' (كما أسمتها الرواية) ؟ هل ترى أن السير مع القطيع أكثر أمناً ، أم لعلها ترى ذهباً في التلال البعيدة الوعرة ؟ الإجابة هذه المرة ' ليست ' صعبة فيما أعتقد !

...

ربما يفضل البعض صياغة الحل السلمى على النحو التالى : دعوه يأخذ وقته ، أحلامه بستالين أميركى وهتلر أسود وناپوليون مسلم ، تكاد تكون أوهاما ، لأنه لن يتحرك في فراغ ؛ لن يترك له أحد الميزانية يوجهها كما شاء ، ولن يقبل البيض العبودية بسهولة ، ولن ينكمش الناس أمام أسلحة ذوى القمصان السود في الشوارع . هو لن يستطيع أن يجعل جيرمايا رايت سكرتيراً للدولة (وزيراً للخارجية كما يسميها الأوروبيون) ، أو أمن الظواهرى سكرتيراً للدفاع ، أو بيلل آيرز سكرتيراً للأمن الداخلى ، أو إسماعيل هنية سكرتيراً للاقتصاد ، أو عمته زيتونة سكرتيرة للهجرة ، أو رشيد خالدى سكرتيراً للتعليم . الأمور ليست سهلة كما يتخيلها هو حالياً ، ومن المستبعد كثيراً أن سيحكم من أقصى اليسار كما يحلم . هو ليس أبرع من هيللارى وزوجها ممن حكما من الوسط أو ما يسمى المركز center ، على الضد من كل شعاراتهما ، وأن يحكم هو بالذات من المركز تعنى أنه لن يختلف تقريباً عن ولاية بوش الثانية ، أى أن محصلة التغيير الذى أصدر به أدمغتنا قد تكون على الأرجح الصفر المطلق ، فكل ما أراده هذا السافل من غسيل المخ الذى أجراه لنا لشهور أن أميركا مكان سيء للعيش وفى حاجة للتغيير ، هو الاستيلاء على السلطة (ومحاولة الاستيلاء على ثروة أميركا من بنائها وأصحابها الحقيقيين) ، لكن عملياً مجرد تحقيق بعض الارتزاقات الصغيرة هنا وهناك قدر المستطاع من وسط هذا الركام الذى سببه (كلها بدلاً من الذهاب ببساطة وفى هدوء لمكان أفضل للعيش ، كينيا مثلاً !) .

ثم أن كل هذا الذى تروعوننا به قد حدث بالفعل فى الماضى ؛ نزول ميليشيات الحزب الديمقراطى المسلحة للشوارع لإرهاب وقتل الناس حدث ، وبدأ فى شيكاغو بالذات (لاحظ شيكاغو ، بل فى الواقع بدأت فى ذات الحديقة التى يلقي فيها خطاب النصر الآن ، فهذه لم يخترها من فراغ ، بل الرمزية مرعبة فيها !) ، أميركا كلها أصبحت صومالا كبيرا ، تم إنزال الجيش فى أكثر من ولاية ، كل ما لم يكن يخطر بالبال حدث جميعه فى ١٩٦٨ ، ذلك بعد ثمانية أعوام من اغتصاب جون ' المحرم ' كينيدي للسلطة ، ثم آنذاك جاء نيكسون واستتب الأمور وعادت أميركا لصوابها . هذا ' السيد ' رقم ٢ ، سيكون أقرب لسجين فى البيت الأبيض منه لرئيس لأى شىء . نعم ، سوف يتسبب بدوره فى بعض الخراب ، وبالتأكيد مجرد الوقت الذى سيضيع بسببه هو خسارة فادحة للحضارة الإنسانية ، لكن فلتدعوا أسطورة أن السود والأعراق الأخرى الشبيهة -إخوتنا المزعومون فى الإنسانية- يصلحون لأى شىء ، دعوها تنطوى مرة واحدة ونرتاح منها للأبد . أيضا لا تنسوا أن أولئك الإخوة فى الإنسانية عادة ما يعتبرون تلك النداءات الحاملة علامة ضعف ، ويبدأون هم الضرب بقوة ، ولا نعتقد أن وقائع خليج الخنازير أو دلتا نهر الميكونج -ناهيك عن السحل فى شوارع مقديشيو الذى جعل كلينتون يجرى فى سرواله- بعيدة عن ذاكرة أو مداعبة خيالات الساسة الحاليين فى روسيا والصين وإيران . أيضا -وفى كل الأحوال- يظل السيناريو الأرجح من كل هذا ، هو أن يفتح أحد الصحفيين مجرد تحقيق واحد فى واحدة من الوصمات التى لا تعد ولا تحصى التى يعج بها ماضيه الإجرامى ، والتى للأسف كبحتها كلها السيناتور ماكين بمثالياته الغربية غير المدركة للطبيعة الديماغوجية الغوغائية للخصم ، فتكون -أى تلك الواحدة- كافية لركله -أى ' السيد ' - خارج البيت الأبيض ، وإغلاق كل هذا الملف ، ملف الطموحات السياسية للسود ، كما سبق وأغلق مع الكاثوليك !

ربما نفضل من جانبنا تحسين هذه الصياغات قليلا : لماذا كل هذا الانزعاج ؟ الثورة البيولوجية تدق الأبواب ، ولن تذهب فقط بالسود والعرب والمسلمين للمحميات الطبيعية ، بل فى نهاية المطاف ستقضى على كل العشيرة البيولوجية الإنسانية ، وتأتى بديل أفضل . هذا صحيح ، دوما توجد لأمننا الطبيعة مسالكها العجيبة ، لكننا -رغم هذا- نقول : لا يجب للحظة أن ننسى للحظة أن بعض البشر منذ أرسطو وحتى اليوم ، كانت مهمتهم النضال من أجل إفعال وتسريع تحقق مقاصد أمننا العظيمة هذه ، أناس كرسوا أنفسهم أدوات ناطقة بلسانها ، وأن عليهم ألا يتوقفوا للحظة عن هذا النضال (أو للدقة ليسوا أناسا ، فلتدعوا للباقيين تلك الأخوة الإنسانية يستمتعون بها ما شاءوا ، فنحن بعد-إنسان وآلات !) .

كلمة أخيرة للحزب الجمهورى : بما أنكم خاسرون خاسرون فى كل الحالات ، وبما أن اتجاه الرئيس بوش للوسط أو ترشيح السيناتور ماكين الوسطى للرئاسة ، لم يعد عليكم إلا بالهزيمة الساحقة ، فلتجعلوا هذه لحظة تاريخية : ترفعون فيها المبادئ كما يجب أن تكون ، وأقصد بما يجب أن تكون ليس مجرد الليبرالية الاقتصادية ، بل الليبرالية التى لا تتجزأ . حتى المتدينون لن تفقدوا الكثير منهم ، لأنهم قد ذهبوا بالفعل للحزب الديمقراطى ، وليس أقل دلالة من الاستفتاءات الثلاث التى جرت اليوم وألغت كلها الزواج المثلى . ثبت أن السود أكثر تدينا منكم بمراحل ، هل تعرفون لماذا ؟ لأنهم متخلفون وأنتم لستم كذلك . فى الواقع لو تخليتم عن الدين ، فستقطنون أعداد ليست أقل ، بل ربما أكبر ، فكثيرون جدا يؤمنون بالاقتصاد الحر وبالحكومة الصغيرة ، لكن ينفهم منكم مواقفكم الاجتماعية . صحيح أنكم لن تفرضوا الإجهاض على أحد بل ستجعلونه حرية شخصية ، لكن يظل الأمثل من الاثنين أن تلغوا كل الرعاية الصحية من ميزانية الحكومة . مثلا ، كيف تكونون ضد البحوث الجينية وهى المستقبل ؟ أنتم تحاربون محاولة الحكومة إنقاذ الفاشلين والصناعات الدينامورية ، لكن إذا كان للحكومة دور ما واحد فى الاقتصاد فهو دعم الصناعات التى لم توجد بعد . أيضا الأصح من كل شىء أن تلغوا دور الحكومة بالكامل فى تمويل البحث العلمى ، مثله مثل أى شىء آخر . وهكذا ، هلم جرا إلى سائر القضايا . أنتم يا حملة مشعل الحضارة لأنكم من يرفع شعار حرية الاقتصاد ، أم كل الحريات . لكن ألا يعيىكم ولو قليلا أن -ولو على سبيل التكتيك الانتخابى- أن تربطوا أنفسكم بشىء شديد التخلف كالميتافيزياء والخرافة ؟ لقد حان الوقت لتصحيح الأوضاع المقلوبة واستعادة كلمة الليبرالية من سارقيها اليساريين : تقسيم البشر تبعا لموقفهم من الاقتصاد الحر وليس من مدارس الأحد ، هذا إن لم يكن تبنى كل الحريات الشخصية ودفعها لأقصى مداها ، ليس كنقيض للحرية الاقتصادية ، بل كنتيجة طبيعية لها !

... لو حدث وصمد هؤلاء الشرفاء الأنقياء المحترمين عبر العالم ، من الوارد أن تحمل كلمة أحد هؤلاء المحترمين منهم -السيناتور جون ماكين- عن القتال حتى آخر لحظة ، معنى آخر غير مجرد سباق سيرك انتخابى !

[للأسف ، فيما يبدو لم يختر الرئيس بوش خيار الوقفة الأخيرة ، وسارع من ليما -بيرو فى آخر نشاط دولى له كرئيس لأميركا ، اسمه قمة التعاون الاقتصادى الآسيوى-الباسيفى ، بعد أسبوعين فقط من هذا ، لإعلان نهاية أميركا رسميا . هذا هو نص عبارته نقلا حرفيا عن الموقع الرسمى للبيت الأبيض على الإنترنت :

‘We’re witnessing a dramatic shift of history, as the center of the world economic stage moves from West to East —from the Atlantic to the Pacific. Some view the rise of Asia Pacific with suspicion and fear. America doesn’t. The United States welcomes the success of emerging economies throughout the region.’

ليست لدينا نفس ثقته في كتابة شهادة الموت بهذه السرعة أو التسرع . فرصة الوقفة الأخيرة ، بل وفرصة نجاحها لم تفت مهما قلنا في جسامه ما جرى ، ففكرة ‘ الزحزحة ’ هذه ، لا تزال حتى اللحظة لا تعدو رطانة وأوهام من الصحافة اليسارية ومن زعماء الكركمليين لا أكثر ، إلا أن الرئيس بوش -ويا للعار- اختار ترديد ما يقوله قطاع الطرق هؤلاء ، وبنفس حروف كلامهم .

التعليق ؟ ... لا تعليق ! فقط سؤال : اخبرني بريك أو ريتك عن شيء واحد يمكن أن يكون أسوأ من اقتصاد عالمي يقوده المال الصبني-العربي القدر قصير النظر ؟ ! ... كلا ، لا أوافقك ! ليست قيمهم الاجتماعية وأساليب عيشهم والرؤى المتفردة للحياة لدى الحزب الشيوعي الصبني وهيته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي قطعاً : ليست أسوأ بحال من قيمهم الاقتصادية !

ما يحزن حقاً في كلامك ، سيدى الرئيس ، أن هؤلاء -في موسكو أو بكين أو طهران- لا يقولون هذا لأنه توجد أزمة مالية في الولايات المتحدة ، فهم أدرى الناس بأن اقتصاداتهم لا شيء إذا ما قورنت بأميركا أو اليابان أو حتى أوروبا ، بل هى بالأساس اقتصادات طفيلية تتعيش على فتاتكم ، لكن يقولونها لسبب آخر : أنهم أصبحوا في عالم بلا قائد بعد أن احتل البراق البيت الأبيض ، وباتوا واثقين أنهم سوف يرححون ويعيثون في الأرض ما شاءوا على امتداد عدة سنوات قادمة دونما أحد يوقفهم . الدليل على ذلك هو تلك الجهود الخارقة منهم على مدى الشهور الستة الأخيرة لضمان وصول ذلك العميل الحقيق للحكم ، أقله (طبعا بخلاف التمويل الهائل عبر كروت الائتمان المدفوعة سلفاً والتي لا يمكن تعقب مصدرها ، وهو -مخالفاً لكل القوانين الأميركية- لم يسأل أبداً عن هذا المصدر) ، أقله أن ارتدت إيران وسوريا وحزب الله والقاعدة وحماس فجأة ثياب الحملان طيلة هذا الوقت ، ثياب ما يسمونه بـ ‘ التهذبة ’ ، بهدف أن ينسى الأميركيون أن أمنهم القومي في خطر ، وأن يبدو لهم السيناتور ماكين كمرئى بالبارانويا يهذى بمخاوف تخيلية ، والنتيجة أن يأتي أبو أمه ، الذى حتى لو لم يكن عميلاً ، فليس أفضل لديهم من شخص يحب الكلام ، لذا سيشتبعون شهوته هذه لكل السنوات التى يحتاجونها لصنع ترسانة نووية كاملة ! [في ديسمبر -ولأول مرة بعد طول تعال- انضمت روسيا المفلسة للحلف الهمجى المسمى منظمة الأوبك ، وقاموا معا بإجراء قطعات هائلة في الإنتاج ، لكن بدلا من أن تشهق الأسعار ، هوت في ذات اليوم على نحو فاجع ، بل ومدهش لأى أحد . متى يفهم هؤلاء أنهم لو وصلوا لمستوى الإنتاج للصفر لن ترتفع الأسعار ، لأن أميركا باتت تقريبا مكتفية ذاتيا من النفط في ظل الركود ، وحين تحل نهايته ستكون الدنيا قد أصبحت غير الدنيا بحيث لن يحتاجوا له أصلاً ؟ (هم أصلاً لم يكونوا يستوردون سوى نصف استهلاكهم في ذروة لحظات اعتمادهم على النفط غير الأميركي) . يا سادة ، ها قد حان وقت أن تشربوا بترولكم ، كما وعدكم دكتور كيسينجر يوماً !] .

الفيصل ، سيدى الرئيس ، ليس الأزمة الاقتصادية (التى للأسف أرعبتكم أكثر مما يجب) . بالعكس ، هذه الأزمة كان يمكن أن تصبح رافعة عملاقة تضخ أميركا لمكانة أعظم مما كانت عليه كقدرة جلوية فائقة وحيدة ، ذلك لو استوعبنا ما تريده أمانة الطبيعة منها ومن مثيلاتها ، ألا وهو أن نترك ديناصورات السيارات والسيتى جرووب وكل الضعفاء والفاشليين (والمختطفين نقايا !) كبروا أم صغروا يذهبون لمزلة التاريخ ، وساعتها كان سيعود الاقتصاد الأمريكى أقوى بكثير مما كان . دورات الركود شيء طبيعي بل وصحى جدا بالنسبة للحضارة الرأسمالية كى تخرج الفضلات إلى خارج جسدنا ، إنما الفيصل -سيدى- هو كيفية تعاملها مع الأزمة ، وللأسف ملالى قم ذوو العمائم المضحكة يفهمون هذه الحقيقة أكثر من غالبية شعبك ، واستماتوا كى يصل اليسار إلى الحكم لعل على يديه يكون الموت الغائى لأميركا ، كما طالما هتفت مظاهرتهم .

الفيصل -سيدى- هو هل الدماغ هو الذى يقود الجسد أم العكس . الفيصل هل أنتم مسطح طحلى يتمتع بالعدل والمساواة كما يظنطن الجهال والمغرضين أم متعضية مستعقدة راقية يعرف كل عضو فيها وظيفته . الفيصل -سيدى- هو السياسة ، والرفيق الوغد بن لادن (حتى لو لم يرفع الضرائب ولم يضع ميليشياته في الشوارع ولا أى شيء من كل ما يخطط له من فوضى شاملة) ، فيكفيه أنه سيقودنا لدوامه من برامج التحفيز الكينزية الغبية والخطة تلو الخطة لكفالة أو تأمين الشركات الفاشلة بنقود وهمية مطبوعة ، هى ما فعله بالضبط رويسفيلت فجعل الكساد يمتد إلى ما لا نهاية ، والأقرب -وربما الأسوأ والأكثر درامية- أنه ما فعله بالضبط ضعاف المحافظين بعد حرب السويس ومن بعدهم فاقمه للا حدود حزب الكدح منذ الستينيات فأغرقوا جميعهم بريطانيا العظمى في دوامة الفقر للجميع لربع قرن ، ذلك إلى أن ظهرت من بين صفوف هذا الشعب العظيم امرأة أعظم جرؤت على أن تقول شيئاً مخالفاً . الأزمات الاقتصادية لا تؤدي لانتهيار الحضارات -سيدى ، إنما الاختيار يأتي من الداخل ، من تسلل الخونة حتى الإطباق على السلطة ، من تسلل العبيد حتى الإطباق على السلطة ، باختصار ، من اسم الشخص الذى يحكم : هل اسمه خائن أم وطنى ، هل اسمه هارولد ويلسون أم اسمه مارجاريت ثاتشر ؟ ! هل اسمه عبد أم اسمه سيد ، هل اسمه البراق أبو أمه أم اسمه ... ؟ !] .

...

[بعد أيام قليلة أخرى ، لم يكذب الإسلاميون خبراً ! ...]

للأسف ، فهموا من كلامك ، سيدى الرئيس ، أن عالم المستقبل معدوم القيادة هذا ، ستكون به ثلاثة مراكز مالية هى شانجهاى ومومباى ودبي . ضربوا الثانية ضربة شبه قاصمة ، بالذات فندقها الأعظم القائم شاهداً على عظمة الإمبراطورية البريطانية وكيف نشرت -أو حاولت نشر- الحضارة لكل

أحد يقبل التحضر (هكذا تمثلوه وليس عن خطأ كبير ، رغم أنه في الواقع كان تاريخيا محاولة هندية من أسرة تاتا الشهيرة لإثبات أنها تستطيع مجارة الإنجليز عمارتهم التي كان محظورا عليهم هم أنفسهم دخولها ، بل ومن خلال مهندسين معماريين هنود ، والمفارقة غير خافية : أرادوا أن يساوا أنفسهم بالإنجليز ، فدارت الأيام وجاء من يريد أن يساوى نفسه بهم !) .

الواضح إذن أن الإسلاميين سيضربون شنجهاى أيضا قريبا ، كلتيهما كى تخلو الدنيا لدبى ، الإمارة الشهيرة -رغم كل إنحلالها الأخلاقي- بعلاقات شرطتها الوطيدة مع الإسلاميين ، بحيث لم يحدث قط أن سببوا لها مشاكل أو سببت هى لهم مشاكل ؛ فقط منافع متبادلة ، حيث لا صوت يعلو على صوت القبيلة !] .

...

[متابعة جديدة متواصلة لما توقعناه من ووترجيتات براقية ...

بعد شهر واحد فقط بدأت الفضائح الكبرى ، وإن كان السؤال الوحيد هو لماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟ !

أولها يخص عصاية الحزب الديمقراطي في شيكاغو . هل تذكر ذلك المشهد الذى أشرنا إليه ، وفيه يتزايد فيه السيناتورات على شراء لقب القيصير في نهاية فيلم ' سقوط الإمبراطورية الرومانية ' ؟ هذا تكرر حرفيا : زبانية العصاية الديمقراطية في إلينوى راحوا يتزايدون على الرشوة التى سيدفعونها لحاكم الولاية لتسميتهم للكرسى الذى خلا في السينيت بترقية أبى أمه للبيت الأبيض . هؤلاء -بمن فيهم الحاكم الذى ذهب إلى السجن- هم تحديدا أركان حرب رحلة الصعود السياسى المدهشة للرفيق الوغد بن لادن ، وأقرب أقرائه وأخلص خلصائه ، بمن فيهم بالذات رام إيمانويل من اختاره لرئاسة أركان حرب عصاية البيت الأبيض ، ترقية طبيعية له من رئاسة أركان حرب السياسية الإلينيوية سابقا .

تلك تنطوى على فضيحة أخرى ربما لم يتنبه لها الكثيرون بعد ، وهى أموال الانتخابات الفاسدة ، ومحاولة البراق دفن ماضيه الإجرامى فيها وتصنع مسوح الطهر والعفاف ، بالسعى لتعديل قوانين الولاية -ربما أيضا على طريقة حماس في الديمقراطية مرة واحدة- بحيث تحد من مصادر ذلك التمويل المشبوه الذى سن قوانينه بيديه تفصيلا لحساب الحزب الديمقراطي ، والآن يتضح لبقية أفراد العصاية أن كان يقصد حسابه الشخصى وحده ! يوجد مثل مصرى شهير عن اللصوص الذين يفضح أمرهم حين يبدؤون في اقتسام المسروقات ، يبدو أنه سيصبح سيناريوها رئيسا في الووترجيتات المحدثه !

المؤكد أن كل الملفات سوف تفتح رغم أنفه الأفطس ، وسيذهب أبو أمه للمصير الوحيد الذى كان يستحقه منذ طفولته وهو السجن أو القتل ، وننصحه أن تكون له من الآن عبرة في ابن عرقه أو . چيه . سيمپسون ، الذى أفلت في العقد الماضى من جريمة قتل بفضل هيئة محلفين سوداء ، لكنه هذا الأسبوع ذهب لسجن يقارب مدى الحياة في جريمة سرقة بالإكراه (ألا يذكرك هذا بلجنة محلفين أخرى من السود ؟ طاقم أساتذة هارفارد الذين تلقوا هذا اللص الصغير -أو بالإنجليزية small time crook- القادم من قاع شيكاغو ، ثم أعطوه مقعدا كان يستحقه شاب أو فتاة -أبيض أو بياض- أكثر اجتهدا وذكاء وصدقا (طبقا لما يسمى في أميركا بقوانين ال affirmative action وترجمتها بالمصرية الكوسة) ، ثم في النهاية أعطوه أعلى الدرجات حتى يزايد بها -بدماغوجيته التى لا تبارى- على أسياده ، كى يعود بعدها لحلقة السياسية الإجرامية في شيكاغو كى يعينوه واجهة لهم ' پروفيسورا ' في القانون ومرجعية له ، وهو لا يفقه شيئا في أى شىء إلا فقط كيفية مسح البلاط بما تقوله القوانين ، ذلك أنهم أرادوه عينا لهم على كيفية قهر عدوهم الأول في الحياة : القانون ؟) .

... (النيو يورك تايمز اليسارية نفسها تتحدث -وهذه مصطلحاتها- عن مستنقع الفساد السياسى الذى جاء منه الوغد ، وترسم بالفعل -صدق أو لا تصدق- ملامح لووترجيت كبرى قادمة ، أما أموال الانتخابات وقوانينها التى رعاها البراق فتحدثت عنها ، وعن التربية الواطية والسلوك الشخصى الوضع للحاكم بلاجوجيتيش فقد أفردت لها قصة كاملة ، وعن السلوكيات الأسوأ لزوجته أفردت قصة أخرى ، وتستجد النص الرسمى لعريضة الإدعاء وكن حذرا من فيضان الألفاظ القدرة جدا للرجل وزوجته ، أما أسوأ الأشياء إطلاقا فهو دعوتها -أى النيو يورك تايمز- لاستقالة الحاكم ، فمن لماذا ؟ علشان نلم الموضوع وما يشوشرش على الرفيق الوغد . أنا شخصيا أعجز عن تمثل الطريقة التى تفكر بها الصحافة اليسارية : جحيم من غسيل المخ كى نتخب فلان ، ثم يقولون ببساطة لقد أخطأنا وهيا بنا نختار شخصا آخر . لا يمكن أن تكون المسألة مجرد مانشيتات مثيرة وأرباح مالية وقتية مع تضحية كاملة بالمصادقية . هى عقلية خاصة جدا ، وقد حاولت تحليلها في كتاب عنوانه ' اعترافات سمير فريد ' ، لكنى أعترف أن تلك العقلية لا تزال لغزا بالنسبة لى ، وبالفعل أريد أحدا يشرح لى السر ؟ !) .

ما يعزينا قليلا أن تزامن كل هذا مع فيلم جديد عن الرئيس نيكسون عنوانه ' فروست / نيكسون ' (أتى بشبه إجماع فورى على أن أوسكار أفضل ممثل سوف تذهب لدور نيكسون هذا) ، الرائع تماما فيه أنه يذكرنا من جديد بالتعريف الحقيقى لكلمة زعامة ، ولمعدن الزعماء الحقيقى ، حتى لو تكالبت عليهم طيور الظلام ، وحاولت إزاحتهم من طريقها باعتبارهم العقبة الكنود في وجه الفساد والإفساد الذى ترتع فيه الصحافة والسياسة اليساريتين .

... تابعنا هنا لكل ما يستجد في شأن فضائح فرقة لوز العجيب الطفل المعجزة الرفيق المجرم والرئيس الخائن / البراق حسين أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كاپوني !] .

...

[واو ! في ١٥ ديسمبر كتب ريكاردو هاوسمان بروفيسور هارفارد في الفايانشيال تايمز تحليلا مطولا يطابق تماما ما قلناه عن أن الأزمة قد تفضي لهيمنة جلوية أميركية أكبر بمراحل من كل ما كانت عليه إطلاقا من قبل : هل تصدق أن وول ستريت هي الأفضل إطلاقا أداء بين كل أسواق العالم لعام ٢٠٠٨ ، انخفضت فقط ٤٠ % ؟ هل تصدق أن الروس يشحنون طعامهم اليوم ويعتبرون أن مجرد فتح أسواقهم كل صباح معجزة من يسوع المسيح وأن حكومتهم مفلسة تماما وعلنا الآن ، كل هذا بينما قبل أسابيع قليلة كانوا يخططون لاحتلال جورجيا ؟ هل تصدق أن هذه هي عينها ذات أوضاع كل الدول البترولية ، بما فيها دبي العامرة وشافيز الذي حلم يوما بزعامة قارة كاملة ؟ هل تصدق أن الورقة المالية الوحيدة الرائجة على مستوى العالم الآن هي سندات الخزينة الأميركية ؟ هل تعرف ما معنى هذا ؟ هل تعرف أن معناه أن الأموال باتت تضخ كي تدفع فقط للاقتصاد الأميركي للنمو من جديد (خمسة تريليونات حتى اللحظة كلها بفائدة صفرية تقريبا وبعملة تعزز قيمتها من اللحظة للتالية لها) ، ذلك بينما كل اقتصادات الدنيا متروكة عارية في برد الشتاء لا تجد من يقرضها ولو سنتا واحدا ؟

... هذه المرة الكلام ليس كلامنا ، هذا الذي كان منه أن سألنا ألا يذهلك أن تقول أميركا إن اقتصادها مقبل على كساد ، فيجمع بقية العالم ما لديه من أموال ويقدمها لها هدية ، ثم يظل اليسار الأميركي يكرر بعد ذلك سؤاله السيريالي المزمن : لماذا يكرهونها ؟ ! ، إنما -مرة أخرى- الكلام الآن ، صدق أو لا تصدق : كلام أحد أرفع الاقتصاديين في العالم !

... فقط ما لم نقله هو أن هذا كان سيتضاعف مرات ومرات لو كان ساكن البيت الأبيض شخصا آخر غير هذا التافه الذي -ربما هذه المرة على العكس من توقعاتنا- اتضح أنه تماما : عديم اللون والطعم والرائحة !

... بمناسبة برد الشتاء نسي التحليل المذكور شيئا آخر : إنه أحد أبرد فصول الشتاء إطلاقا بما يفضح كذب البيئيين الممج ، وبما يقضي ربما للأبد على على ضلالتهم السافرة المسماة الدفينة الجلوية] .

...

[للأسف مرة أخرى لم ينفذ الرئيس بوش ما أضمنه بخيار الوقفة الأخيرة ، وقام في ١٩ ديسمبر بتقديم قرض لجنرال موتورز وكرايسلر ، وكانوا قد قرروا إغلاق مصانعهم حتى ١٩ يناير . لاحظ التاريخ ! فكما سبق وقلنا إنهم لو عاشوا حتى يأتي البراق والكونجرس الجديد فسوف يعيشون طويلا بعد ذلك ، ذلك لأن آلة السياسة الديمقراطية القدرة ستضمن لهم هذا وإلا ضاعت من الحزب للأبد ولايات الشمال التي يحكمها بالحديد والنار بلطجية نقابة السيارات الفاسدة] .

...

تحقق نبوءات أو صدى أفكار



بدأت متابعة مدى تحقق نبوءات هذه الرواية كنوع من اللعبة على الإنترنت * ، تحمس لها بعض القراء الأعزاء بملاحظة أن الكتابات المستقبلية هي شيء نادر في الكتابة العربية . حدث هذا بعد أيام قليلة من تعميم الرواية ، وفي البداية حدث نوع من الربط بين ارتفاع أسعار بعض الأسهم وبين حديث الرواية الإيجابي عنها (بالأخص جدا شركة مصر الجديدة للإسكان والتعمير التي تصادف أن شهق سعر سهمها لأكثر من عشرة أضعاف في الأسابيع التالية لظهور الرواية . وطبعا ' سهم كيوييد ' نفسه الذي تضاربت تكهنات القراء حوله !) . أما أول النبوءات المباشرة فقد كانت انتخاب نيكولا ساركوزي رئيسا لفرنسا ، وعلى أية حال لم يكن من الصعب توقع هذا الانفجار الوشيك ضد اليسار والوسط في فرنسا قبله بشهرين (لدى صدور الرواية) ، أو قبله حتى بعامين !

تسارعت هذه المقارنات بوفرة نسبية ، ونضرب مثلا بإحدى أشهر النبوءات ' الحريفة ' إن جاز التعبير التي استقطبت كثيرا من الاهتمام ، لكنها لم تتحقق : استقالة الوزير رشيد مُجْد رشيد في مطلع سنة ٢٠٠٨ ، والواردة في الفصل الثالث . كما هو واضح قاربت ٢٠٠٨ على الانتهاء ولا يزال في منصبه ، إلا أن ما حدث أن صار أكثر اندماجا واتساقا مع سياسة الوزارة ككل ، وتخلي عن نزواته الاشتراكية الفجائية الغربية تلك . بدءا من شهر أبريل ٢٠٠٧ تكاثرت الكتابات التحليلية تعليقا على الرواية ، جاء أغلبها أكثر إيجابية من توقعاتنا نحن أنفسنا ، وبعضها اهتم بطلب تعميمها مطبوعة ككتاب . فيما يلي بعض الآراء التي كتبت في تلك الفترة ، ونكرر أنها كانت فقط الأكثر إلفاتا ، ولا يعني تلخيصها هنا الإقلال من إسهامات الجميع ، التي ربما كانت أكثر كرما وتحمسا في بعض الأحيان . كذلك نعيد التذكير بأن الكل مدعو لإعادة إدخال ما كتب مقرونا باسمه بطبيعة الحال ، و / أو إضافة المزيد كيفما تراءى له : المشاركة الأكثر تفاخما في وصف الرواية قالت مشكورة : ' منذ الجبرتي

* المدخل الرئيس لهذا الهامش التوثيقي كتب كهامش أسفل ملحق ' ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ : اليوم الأكثر سوادا -مجازيا وحرفيا- في التاريخ الإنساني ' ، ثم سرعان ما أرتأينا جعله مدخلا مستقلا ، تتواصل تحديثاته طوال الوقت . لذا تابع هنا المزيد من الإضافات أولا بأول له .

والطهطاوى وقاسم أمين وتعرض العقل المصرى لانفجار قنابل كثيرة . لكن هناك قبلة نووية واحدة هى : سهم كيوييد ! . ' أو ' قد تحس بالملل وأنت تمر ببطء عبر النصف الأول للرواية ، لكن ما أن يبدأ النصف الثانى ، فصل الصيف ، حتى تتوالى المفرقات ، التى لا تطبق نفسك معها . وستصبح متعة عقلية ما بعدها متعة . ساعتها ستود قراءة كل الرواية من جديد ، والاستمتاع بذلك النصف الأول نفسه إما استمتاع ' . البعض اقترح تقسيمها لكتب ، وإعادة كتابتها لا كرواية ، إنما كموضوعات فكرية ، ورددنا عليهم بأن موقع الإنترنت نفسه يمثل هذا المطلوب ، وأن الرواية كتبت ، ليس فقط لتخليص تلك الأفكار فى كتاب واحد (نحو ٢٠٠ ألف كلمة فى مقابل ٢ مليون كلمة) ، إنما لخلق وتعميق الترابطات فيما بينها ، أى فيما بين صفحاته ذات الطبيعة الثمينة كل منها . ومن هنا نقول إنها -أى الرواية- أصبحت الآن هى المادة رقم ١ التى نزيكها لقراء الموقع ، سواء من اعتادوا على أفكاره وعلى زيارته المتكررة طيلة السنوات الماضية ، أو بالأحرى منهم ، الجدد . كتبت إحدى القارئات ، اسمها City Stars Girl فيما نذكر ، تأويلا مسهبا للفقرة الأخيرة من الرواية ، قال إنه يبرهن بما على طريقة الكتابة الثرية التى نفذت بها هذه الرواية . هذه كانت إحدى أعمق التقييمات ، ظهرت على ' منتدى ' أنشأناه للرواية (للأسف ، صادف بعض الصعوبات التقنية بسبب التحديثات المتوالية التى أجرتها الشركة المستضيفة للموقع على خوادمها ، ثم مرور الوقت خبت أهمية وجود منتدى مركزى أو ' رسمى ' للرواية ، بعدما اهتم الكثيرون بالكتابة عنها فى مواقعهم وما يسمى مدوناتهم) . إعادة تعميم المدخل المذكور قد يفسد على القارئ تأويله الشخصى لتلك الفقرة الختامية للرواية ، لذا وضعناها فى هامش خاص قد تتجاوز عن قراءته لو شئت . هذا الهامش يحتوى أيضا بعض الآراء التقييمية للقراء * .

- كتبت City Stars Girl (وهى تختلف عن ' فتاة السيقى سنارز ' التى كانت مشغولة كثيرا بموضوع البورصة وأسعار الأسهم) : ' كان الجو صقيعا عاصفا رغم ربيعته اسما [ترى هل نستضم مصر للمناطق الباردة وتتغير بنيتها الجينية لبشر نشطين ؟] . كان المطر [الخير] لا يزال ينهمر ، أحيانا كحبيبات ماء غليظة ، وأحيانا ينقلب دوى قرع الطبول الغليظ هذا إلى أزيز حاد يقع إلى أقصى الطرف الآخر لطيف الأصوات ، حين تتحول تلك الحبيبات ثلج متلاحقة تستقبلها صفحة الأرض وأسطح المنازل وأسقف السيارات . دوى وأزيز يصم كل منهما بطريقته آذان الليل ويفتح عيون الكائنات الحاملة أن ربما ها هى الآن عناصر الكون توج وتلاطم وأحلاطها كأنها يعاد الخلق من جديد [ما حدث فى مصر مؤخرا هو إعادة خلق وليس أقل . أيضا عبارة نجيب محفوظ هذه تقيمت الكاتب ، بحيث لم يكلف نفسه حتى عناء وضعها بين أقواس . ربما يريد أن يقول إنه وريث نجيب محفوظ ، أو على الأقل يلفت نظرنا لتشابه اسميهما . أو ربما هو لا يقول أى شئ ؛ فقط روح إله نجيب محفوظ التى غادرت جسده يوم بدأ كتابة هذه الرواية ، هى التى أملت بها بكل حروفها عليه !] . لم يكن محل أمام وحيد سوى قطع الشارع فالمشى أمتارا أخرى حتى المنزل ، ممنا نفسه بنهار صحو [رغم كل ما حصل ، الربيع الحقيقى لم يأت بعد] ، يقضيه بكامله بجوار أمه يناجيها وتناجيه [تراث الليبرالية المصرية الحقيقية الذى لا يجب أن ننساه] . مع ذلك تسمر فى مكانه ، وراح يراقب زهرى وهو ينصرف مبتعدا [الحرية ! بدأ يشق طريقه مستقلا اعتمادا على ذاته . مصر بدأت تطبق الاقتصاد الحر وكل الحريات ولم تعد تمسك بأهداب الحكومة أو النخبة] . رآه يرفع علبة كوكاكولا معدنية صغيرة فارغة من وسط الشارع [كالتى ألقاها يوما فى وجه شاب مستهتر فوق كوبرى ٦ أكتوبر] ، ويضعها بعناية إلى جانب الرصيف [الخير والإصلاح فى دمه] ، ويعود للسير فى مجرى الشارع فى طريقه لباب سيارته [ربما لأن هذه الطريق الأقرب لباب السيارة ، وربما لأنه بات جريئا مخاطرا ، أو ربما لأنه ' لم يرس على بر ' بعد] . قلت مبالاته بالمطر الساقط فوق رأسه ، وهو يرى رأس زهرى الشامخ [المفروض هكذا هو دائما] يصد بجسارة قصف السماء [إله التوحيد ، أسوأ اختراع فى التاريخ] الذى لم يقهر منه إلا أن ألقده بعضا من الحالة النوانية البيضاء لشعره المميز [هل تستحق مصر مصيرا أفضل من التوحيد الذى دمر الكثير من طاقاتها ؟] . ثم تدريجيا خفت تركيزه شيئا فشيئا إذ راحت عيناه تنجذبان انجذابا سرياليا [هل كل ما حدث فى الرواية كان حلما ؟] لحذاء النايكى [أمل وحيد فى العودة شابا ، وفى نفس الوقت نايكى رمز تحديث العالم الثالث] ، بقع الضوء الأكثر بياضا فى المشهد [ورمز تنويره] ، وقد راحتنا تترافقان على خلفية من محيط داكن [عصور الظلام التى ربما لم تغرب حقا بعد] . انسحب منه بصره شاردا إلى قدمى الحاج ، يتأمل خطواته القصيرة [للأسف !] وهى تحاول تخاشى برك الماء الصغيرة [المتاعب التى لا تزال تنتظر مصر جمة كما وليس نوعا] . تابعه وهو يركب السيارة ويمضى بها حتى نهاية شارع الأهرام [سيتجاوز رموز الماضى على عظمتها] . هذا إلى أن غاب عن بصره عندما غير اتجاهه يمينا [لاحظ يمينا !] تاركا خلفه نادى هليوبوليس [الجنة السماوية كما سبق وأسمأها ونس] ، فى رحلة طويلة ، غير ممتعة جدا ، أو ربما خطيرة [واضح !] ، إلى القناطر [اللجنة المصرية حسب تسمية ونس وحسب التاريخ وحسب الخديوى إسماعيل ، ورمز الحصوبة حسب الخريطة !] ... ' .

... المشاركة الأكثر تفاخا فى وصف الرواية قالت بما يصعب مقاومته من مداعة غرور أى أحد ، وطبعا لا نملك سوى الاعتزاز بما قال : ' منذ الجبرتى والطهطاوى وقاسم أمين تعرض العقل المصرى لانفجار قنابل كثيرة . لكن هناك قبلة نووية واحدة هى : سهم كيوييد ! ' .

' قد تحس بالملل وأنت تمر ببطء عبر النصف الأول للرواية ، لكن ما أن يبدأ النصف الثانى ، فصل الصيف [لم تكن قد قسمت لثلاثة ملفات بعد] ، حتى تتوالى المفرقات ، التى لا تطبق نفسك معها . وستصبح متعة عقلية ما بعدها متعة . ساعتها ستود قراءة كل الرواية من جديد ، والاستمتاع بذلك النصف الأول نفسه إما استمتاع ' .

- بعض القراء أبدوا حبا خاصا لبعض الشخصيات ، وتقولوا لو كانت قد أفردت لها مساحة أوسع ، وكتبوا مدحا فيها ، نذكر منها شخصيات آمال ، نبيل ، منى ، ورمانة .

- بعض القراء أبدوا إعجابا بتتابعات بعينها مثل القارئ نادى حبيب الذى كتب : ' سهم كيوييد مفاجأة رائعة تفوق الخيال . لم يحدث أن قرأت شيئا به هذه الأفكار المتحررة التى تحطم كل الثوابت وتحاجم كل الأفكار وكل الناس . أنا لا أكف عن تكرار قراءة الرواية كلما وجدت الوقت لذلك . أعتقد أن الأستاذ مدحت محفوظ حقق فيها كل ما كونه من خبرات ونظريات نقدية . حتى كتاباته القديمة عن الخيال العلمى التى افتقدناها وضعها هنا فى فكرته عن مشروع حروب النجوم بأشعة جاما . أنا لا أستطيع أن أصدق كيف أن مشاكل شخصين يجلسان فى غرفة صغيرة بحى مصر الجديدة لا يفعلان سوى الحديث ، لن تحل إلا ببناء اليابان لمشروع كهذا ، وتهديدها بإبادة الصينيين والعرب والمسلمين . هذا جنون يفوق الوصف ، لكنه شئ ممتع جدا ، وبالنسبة لمن يحلمون بعالم بلا تخلف هو يحقق كل أحلامهم . أيضا من المواقف جامعة الخيال كلامه عن وكالة الأمن القومى ، الأخ الكبير فى صورته المعاصرة والواقعية ، وهو فصل صغير شيق لا أكف عن إعادة قراءته . أما المشهد الآخر المنجون فى خياله ، فهو المشهد الذى يجتمع فيه أعظم الفلاسفة والمفكرين كأرسطو وغيره ، ليحتسوا الخمر مع البطل . المنجون هنا أن كل هؤلاء ذكروا على نحو

عن الرأسمالية التنافسية أو الاقتصاد ككل (الثيمة الثانية للغلاف بجانب سقوط الحضارات -الذى كما ترى يهتم به متن هذا الملحق ، أو لعلك تعتبرها -أى الثيمة الاقتصادية- هى الثيمة الأولى باعتبار عنوان الرواية ومسرح أحداثها ومحور الدراما فيها) ، لا يختلف اثنان -فيما أعتقد- أن الرواية ككل ما هى إلا تحذير ضخم من الفقاعات الاقتصادية ومن تسلل السياسات الاشتراكية ومن تغليب الكم على حساب الكيف ومن التنمية المندفعة غير المدروسة ومن معانقة تخلف شعوب العالم الثالث باسم الجلوبة بدلا من الارتقاء القسرى بما . اليوم تلوح بواذر كساد هائل ممتد ومؤلم ، والاقتراية الاشتراكية الكينزية-الرووسيفيلتية هى المسيطرة على عقول اليوم ، بكل حرفيات عبثيتها المضحكة من حفر الأرض ثم ردمها من أجل خلق فرض شغل جديدة (؟ !) . الرئيس بوش نفسه استسلم لها ، وقطعا سيأخذها الرفيق البراق أبو أمه إلى مداها . هذا يعنى كارثة هائلة لن تنتهى -كما المرة السابقة- بأقل من حرب عالمية تدفع التقنية قدما وتخفض عدد السكان ، كما قالت الرواية .

متفرق كثيرا ، بحيث لم أفهم كثيرا سبب الكلام عنهم ، لكن حين اجتمعوا لشرب الويسكى تراكبت كل خيوط الرواية واكتملت رؤيتها ، فكانت شيئا مثيرا جدا . رغم كثرة الكلام الفلسفى والتاريخى فهو مشروح ببساطة ويمكن أن يصل لأبسط القراء ، وهذا شىء جميل .

- قارئ اسمه ربيع كتب مرارا وموطلا حول طبائع البدو كما وردت بالرواية . غالبا ما كان دافعه للتعليق حوادث واقعية مستجلة مثل استيلاء حماس على غزة ، وتفجير أضرحة شيعية بسامراء -العراق ، واغتيال النائب وليد عيدو ببلدان . هنا بعض الفقرات المختارة مما كتب :

‘ أنا من العريش ، وأعرف طريقة التفكير العربية البدوية صباحا مساء ، لكن ما ورد فى هذه الرواية جعلنى أعيد التفكير فى كل ما عرفته وشاهدته خلال حياتى ... ’ .

‘ بصراحة اكتشفت أنى قرأت رواية سهم كيوييد كرواية بوليسية . كأنها لغز من ألغاز أجانا كريستى . الجريمة هى تخلفنا ، والخيوط التى تقود حلها ضئيلة جدا . تدريجيا تطرح الأسئلة ، لكننا لا نقرب من حل اللغز أبدا . كلما اقتربنا كلما اكتشفنا أنه أعمق وأعمق . حين وصل بنا مدحت محفوظ إلى مكان الجريمة الأخير ، نواة الخلية داخل كل منا ، اتضح للأسف أن المكان أبعد من أن نصل إليه كى نحل المشكلة . ما حدث بالأمس [فى العراق ولبنان] لا يتماشى مع النهاية المفتوحة للرواية ما بين التفاؤل والتشاؤم أو الأمل واليأس . محفوظ تنبأ من قبل بإمارة غزة الطالبانية فيما أذكر حين قرر شارون الإنسحاب من طرف واحد . الآن العبارة بالصوت والصورة على كل محطات التلفزيون . بين الطريقين اللذين يطرحهما أنا أميل لقوله أن لا فائدة ، وهذه الشعوب لا حل معها إلا الإبادة ’ .

- كتب بحجت : ‘ مشكلة هذه الرواية أن كل شىء فيها أصيل لدرجة تثير الغيظ ، أو الشك وعدم الراحة أحيانا . لا أريد أن أبدو سطوحيا فأبدأ الكلام بالجنس . فالرواية هى التى بدأت بالجنس . فقدمت نظريات مفردة فى الغربة لكن فى نفس الوقت الإقناع . الجنس فيها لا يشبه أى شىء آخر يمكن أن يكون قد مر عليك . قد تقول إن نظريات دكتور كينزى قد تناولت الثنائية الجنسية ، لكن الأمر هنا يصل لحدود تفوق الخيال ، من حيث جعل أن الشىء الطبيعى الوحيد أن تكون لك علاقة برجل وامرأة فى نفس الوقت . ثانيا هناك نظرية تفوق كل النظريات حول الصفة التشريحية لأعضاء الأثنى . داروين نفسه لم يصل لشىء كهذا ، وأتمنى من أى متخصص أن يدلى برأيه هنا ، لأنى حتى اللحظة لا أملك القول إن ما كتبه مدحت محفوظ شىء أكثر من مقنع ، وأن من الأفضل لنا أن نعود لممارسة الجنس كما تمارسه كل الحيوانات ، فالأوضاع التى اخترعناها لم تأت لنا إلا بالبوؤ وعدم الإشباع . ثانيا بعد الجنس يدخل للدين ، ويناقش أينستين نفسه فى عبارته الشهيرة الرب لا يلعب النرد مع الكون ، ليثبت من خلالها هى نفسها أن لا وجود لشىء اسمه الرب . وعلى حد علمى هى أطروحة أصيلة للغاية وسند غير مسبوق سيسعد العلمانيين بالتأكيد . ثالثا يبدأ بعد ذلك الفصل المتفجر عن الإسلام (فصل ٥) ، والذى من الواضح أنه أحجم عن طباعة الرواية بسببه . أيضا (باستثناء كلامه هو نفسه على الموقع) هو كلام غير مسبوق عن ما هو الإسلام الصحيح ، الذى يراه إسلام الطالبان (يقول إن طالبان هى التجسيد الأمثل لمقاصد الشريعة وروحها وليس فقط نصوصها) ، ويقدم دليلا على هذا تجربته الذاتية مع اثنين من زعماء الحركة الإسلامية فى السعينيّات . ثم يعود ليصح نفسه بأنه إسلام الإخوان الدينى الذى لا دين فيه . المفاجأة الكبيرة أنك حين تعتقد أن المنفجرات وصلت للدوّم ، حتى تأتى انخاء الحكبة المذهلة : أنه قد صفى حساباته مع الجنس ، ومع الدين كدين ، ومع الدين كإسلام ، لأنه يغسل يديه منها ولا يريد العودة إليها ، ذلك أن لديه ما هو أهم بكثير بعدها . هذا الأهم ليس شيئا واحدا ، كما أنى لا أريد التعليق كثيرا عليه لأنه قد يفضح نهاية الرواية للقارئ . لكن أذكر أن البعض (الزميل ربيع) سقى وتكلم عن البداوة العربية ، وبافتراض أنه أكثر علما منى ، فإن كلامه يوافق على الأصالة التى تخطت بما الرواية كل ما سبق . بعد ذلك هناك كلام عن مصر . ظل مدحت محفوظ يخط من شأنها ومن شأن أهلها بمعاول لا ترحم (وللأسف كلها واقعية وصحيحة) ، فقط ليأتى فى النهاية بالخناء حبكة جديدة فاحشة (هذه المصطلحات النقدية تعلمتها من كتاباته النقدية هو نفسه) ، لا شك أنما سترضى استعلاء كل مصرى واعتزازه بمصريته . ثم هناك كلام عن العالم ككل ، الأهم من كل شىء ، وعن أقول الحضارات (أجزم على مسئوليتى أنما شاغله الفكرى الوحيد أو الأكبر) ، وأيضا نبوءة قديمة-جديدة له عن مستقبل الحضارة الأميركية وعن اليابان . قديمة لأنه كتبها أول ما كتب فى بداية إنشائه للموقع (صفحة مستقبل الثقافات القومية) ، وجديدة لأن لها طعم مختلف أكثر إثارة وإقناعا فى سياق الدراما . أنا متعود على أفكار الموقع ، وقرأت الكثير منه ، وهو ينقل فقرات كاملة أعرف أنه سبق وكتبها ، لكنى ظلمت أتساءل كيف سيدخل موضوع كالإبادة أو حتى موضوع ثانوى مثل ما يسميه سينما ما بعد الإنسان ، فى رواية تدور كلها تقريبا فى غرفة صغيرة . لكن هذا ما فعله دون أن يبدو مفتعلا أو يحشر شيئا . الموقع ومن ثم الرواية نظرية أو رؤية متكاملة فى الحياة ، هذا ما أقتنعت به الرواية أكثر من الموقع . مدحت محفوظ لا يستطيع حذف جزء من تلك الرؤية المتكاملة ، لأنها لن تستقيم ساعتها . أنا لا زلت بعد فى حالة الدوار التى أعتقد أنما ستصيب كل من يقرأ هذه الرواية . وللأسف أقول إن بما حيلة رخيصة فى النهاية تجبرك على إعادة قراءتها . لا لزوم لها فى الواقع لكن لا بأس . وربما أراجع هنا بعض ما كتبت بعد هذه القراءة الثانية . الانطباع الفنى هو تأثيره الكبير بخلفيته السينمائية ، فالرواية أشبه بمشهد سيناريو كتبت بالصورة مرفقة بالحوار المكتوب على نحو واقعى وفى الغالب بالعامية [المؤلف : هل سيناريو ، أم لعلها أقرب لمسرحية ؟ !] . وأغلب مساحة الرواية هى حوار مباشر بين الشخصيات . وككل هى توليفة خاصة من نوعها ، وأيضا لا ينقصها الأصالة . مع ذلك له بعض لحظات الوصف الأدبى الجيد وله ماراثوناته فى تيار الوعى ومناجاة البطل لذاته ، وهى ثرية مثيرة وقوية . وهنا هو ليس أصيلا جدا ، لأنه لا يخفى للحظة واحدة حقيقة كونه متيما بنجب محفوظ ’ .

... هذه إذن بعض المقتطفات مما كتب على المنتدى الرسمى للرواية الذى كان ناشطا على نحو ملحوظ فيما بين أبريل وأكتوبر ٢٠٠٧ ، ثم لفترات إعادة إنشائه المتفرقة بعد ذلك . للمزيد عن آراء القراء أو النقد فى الرواية يمكنك البحث على الإنترنت بعنوانها أو باسم المؤلف .

الرواية تحدثت عن خطر كساد ألم بمصر بسبب تغلغل المال العربي الفقاعى الساخن القذر فيها ، وطرحت أن الحل ليس إلا المزيد من التنافسية وعين تسهر على إفعال الحرية القصوى ... إلخ ، وتحدثت عن ديناصورات السيارات فى أميركا وعن فلسفة دورات الركود و ' الغريلة ' التى تقوم بها وكيف أنها تخلصنا من مثل هذه الفضلات البيزنسية . كل هذا لا غبار عليه ولا تراجع عنه ، لكن التنبؤ بكارثة عالمية بالحجم الذى نراه الآن ، كان بالتأكيد شيئا يفوق كل خيالنا وقدراتنا على التنبؤ ويفوق حتى كوابيسنا ، وبالطبع نقر بهذا .

مرة أخرى ، لو لم يحدث تغيير جذرى فى السياسات ، الخطوة الأولى جدا فيه هى ازاحة ذلك المجرم الأثيم من البيت الأبيض (والأفضل قبل وصوله إليه) ، فإننا نقدم لك مثل تلك النبوءة الرهيبة الآن ، وطبعا لن يكون عدد الضحايا ٦٠ مليوناً كالحرب السابقة ، إنما لنقل ٦٠٠ مليوناً ؛ أو لعل حضارة ما بعد-الإنسان أقرب إلينا كثيرا مما نتخيل !

...

عن الثورة الجنسية -الثيمة الثالثة للغلاف- تلك التى راح يفصلها الفصل الثانى ، فحدث ولا حرج . انفجر الزواج العرفى كما الوباء بين الشباب . مظاهر التحرر الجنى اكتسحت الشوارع ، ولأنها جاءت بعد طول كبت وقهر من المشاوخ صاحبته بعض السلوكيات السلبية العنيفة فيما سمي بالتحرش الجنى ، التى لا تتوقع لها الاستمرار طويلا . هنا نرى حادثة لم تعممها الصحف أو التليفزيونات لكن روتها لى شاهدة عيان . شاب وفتاة ركبا عربة مترو الأنفاق المخصصة للسيدات . أشهر الشاب مطواة فى وجه الركاب بما معناه ألا يحاول أحد التدخل ، ثم شرع فى ممارسة الجنس مع رفيقته على أرضية العربة . والبقية تأتى ، وحسب الفصل الأخير من الرواية أن نرى أئداء نسائية عارية فى الشوارع فى القريب العاجل !

باختصار : ها هى الثورة الجنسية تحتاح الشوارع حتى بين من لا زلن يستخدم غطاء ما للرأس ، ذلك ليس لعبقريه ولا لنبوة فينا ، إنما لأنها ببساطة -نقصد الثورة الجنسية- كما قالت الرواية (ومن قبلها بعقد كامل موقعنا على الإنترنت) : حتمية اقتصادية !

... وسلم لى ع الإسلام !

...

طالبت إحدى شخصيات الرواية بالأب زكريا بطرس على سهرة القناة الأولى ، لكن ' لجنة المستقبلات ' فعلت شيئا أذكى بكثير : أتت بدلا منه بخالد الجنى ، فتفجر تضارب الفتاوى إلى آفاق فلكية بين الأدعياء الجدد والأدعياء القدامى وبين كل فريق بعضه البعض ، إلى ما يشبه زلزال دمار كاسح قوض البنية الأيديولوجية للإسلام فى نظر عموم الناس . نعم ، الفضل يرجع بالأساس للقنوات المسيحية ، لكن ما كانت لتصل وحدها لمثل هذه النتيجة هائلة السرعة أبدا !

آخر النبوءات تحقق أثناء كتابة هذا : مقولة ' فى زمن الأئمة كان يوصف المحدثون بتيوس الدين ، لكن بمرور الوقت صاروا من بيدهم مفاتيح ملكوت السموات ، صاروا السلطة المطلقة وأهل الحل والعقد وسط أهل الحل والعقد أنفسهم ' . [بعد ٢٤ ساعة من كتابة هذا ، أصبح اسم الشيخ أبى إسحاق الحوينى يذكر فى سهرة القناة الأولى للتليفزيون المصرى !] هؤلاء السلفيون الين عاشوا فى منطقة الشفق الأمنية للإسلام ، فرضوا أنفسهم أخيرا . هذا يعزز النبوءة الرئيسة للرواية فيما يخص الإسلام فى مصر : سوف يتبلور تياران رئيسان : التيار السلفى وريث الأئمة (أو التزنية بمصطلحات الرواية) الأربعة وهو دين محكم بدرجة معقولة بحيث لا يفنده أى تيار إسلامى آخر وها هو الدليل الحوينى يسجل بلا هوادة كل شيوخ الأزهر ممثلين فى خالد الجنى . التيار الثانى هو الإخوان-الأخوان ، ورثة عمر بن الخطاب والخطابة (أو حسب القول الآخر الخطاب والخطافة) ممن لا دين لهم أصلا ، وكل أجندتهم دنيوية خالصة استرقاقية استحلالية . أما البقية الباقية وهى الكتلة الكبرى للمصريين الذين يحملون صفة الإسلام دون أن يقتربوا من صحيحه ، فهى لا تتبلور ككتلة ثالثة ، إنما ببساطة : تتفكك . كثير منها تحول للعلمانية فى هذا العام ونصف ، ونفس العدد تقريبا تحول للمسيحية ، ومن تبقى ينتمى للصوفية التى علاقتها بالإسلام لا تكاد تذكر ، بل هم ككل مصرى مؤمن لا يزال من حيث الجوهر يعبد إيزيس ويلفظ كل من سمي نفسه إله التوحيد بدءا من آتون إلى الله .

... ومرة أخرى : سلم لى ع الإسلام !

...

جرائم الأقلية العربية في مصر (سواء بالتواطؤ مع أبناء عموماتها في الجوار أو بدون ذلك التواطؤ) ، تفاقمت على نحو مذهل في هذه الـ ١٨ شهرا ، بما يفوق كل تنبؤات الرواية . الهجمات على الأديرة والكنائس ومشروعات استصلاح الأراضي توسعت بامتداد الخريطة ، قتل المزيد والمزيد من ضباط وجنود الشرطة في سيناء ، التفجيرات السنوية للمواقع السياحية في ٦ أكتوبر و ٢٤ أبريل احتجاجا على عودة سيناء لمصر ، اجتياح مسلح صريح من الفلسطينيين لشمال سيناء ، خطف السياح في صحراء مصر الغربية ... إلخ . على أنه يظل في رأينا أخطر الأشياء جميعا والذي يمثل تهديدا رهيبا لقلب أمننا القومي : منع الخمر من ثاني أفخم فنادق مصر !

الحرب الأهلية ومعارك الشوارع الدينية الدامية التي لم يكن لها بؤادر تذكر لدى كتابة الرواية ، وأثارت فرع وسخط كل من قرأ الرواية مبكرا ، أصبحت الآن مشهدا شبه يومي في شوارع المدن والقرى المصرية ، بل -صدق أو لا تصدق- جسدها فيلم ضخيم جمعوا خصيصا من أجله عادل إمام وعمر الشريف .

موقفنا لا يزال كما هو ، وفي نقاط محددة : ١- الحرب هي أعظم اختراع -بشرى وغير بشرى- في التاريخ . ٢- الحرب الأهلية شيء ضروري بل وحيد جدا لمصر . ٣- الحرب الأهلية في مصر قادمة لا محالة . ٤- يجب تأخير هذه الحرب الأهلية لأقصى مدى ممكن حتى تتم إعادة تصنيف المجتمع ليس إلى مسيحيين ومسلمين (بمفهوم بطاقة الرقم القومي للدين) ، إنما إلى مصريين وعرب (بالمفهوم الجيني للدين) ، وحتى يصبح هذا الوعي ناضجا في أذهان الجميع ، وحتى تتأهل وتتأهب الحكومة للدخول كطرف إيجابي فاعل في هذه الحرب . ٥- النتيجة الغائية لهذه الحرب ستكون تصفية كل وجود للعرق العربي دنس أرض مصر يوما ، ذلك إما بالطرد أو بالقتل ، وبالطبع تجريم الإسلام نفسه بوصفه أيديولوجية معادية للحرية . ٦- هذا هو السيناريو الذي تنبأت به الرواية ، إن لم نقل ودعت إليه ، وحتى اللحظة هو يسير على ما يرام تماما ، لا سيما وأن الاختراق والخلخلة التي أحدثها الرسول بطرس الثاني في العقل الإسلامي كانت أسرع وأعمق بكثير مما تخيل أحد ، ولا أدري هل ينطبق هذه الأخيرة على الرواية أيضا أم لا ؟ ... الحكم متروك لك !

...

أيام كنت أكتب هذه الرواية كان الإعلام الناطق بالعربية ، وبالذات العربي فعليا منه كالجعيرة ، يهمل لموريتانيا باعتبارها النموذج العربي للديموقراطية والتداول السلمي للسلطة إلى آخر هذا الهراء . لا أذكر هل كانت قراءة عادية هادئة للمستقبل أم شائها بعض من غيظ ، وضعت نبوءة أن موريتانيا هذه ستشهد حروبا أهلية لا نهاية لها هذا تقريبا ما يجري بالفعل الآن !

...

ينجلى في هذا اليوم بالذات -يوم وصول الرفيق المجرم والرئيس الخائن / البراق حسين أبو أمه (أخو أس أمه) بن لادن آل كايوني لقمة السلطة في أميركا- أن أذكر القارئ بنبوءة الفصل الأخير بعودة نيتانياهو للسلطة في إسرائيل ، فأقول إنها بالفعل باتت وشيكة التحقق في غضون أسابيع . إنها في الحقيقة شيء أكبر من مجرد نبوءة ، وما يمثله نيتانياهو في الرواية هو أن يوجد للشرق الأوسط زعيم قوى يقود مصر وغيرها من قوى الخير والتقدم في المنطقة لتدمير جبهة الرفض العربية-الإيرانية والإجهاز النهائي على قوى الشر الماضوية العربية-الإسلامية عامة ، ذلك عبر -وعبر فقط- سلسلة من الحروب العسكرية التي لا ترحم . للأسف ، تختلف الموازين بلا شك حين يكون على قمة السلطة في أميركا عميل صريح لقوى التخلف والظلام العالمية وطابور خامس هم هو تدمير الحضارة من الداخل . مع ذلك لا تزال ثقتنا بلا حدود في أن نيتانياهو سيفعل أقصى ما يستطيع ، والذي نأمل أن يكون إخراج السلاح النووي من قمقمه من بينه ، بل ونأمل أن يكون ما يفعله هو المفتاح لعودة الصواب لأميركا نفسها ، وأن تسارع بتطهير صفوفها من الخونة والعلماء . فقط توجد مشكلة واحدة لنا مع عودة نيتانياهو ، أنه بقدر ما حقق نبوءة للرواية بقدر ما أصبح يهدد يهدم أخرى : أن شرارة التطهير العرقي ستنتقل من مصر وتصل عدواها لإسرائيل ومنها لكل العالم . أما وقد جاء نيتانياهو بأول شعار عرقي صريح ، إطلاقا منذ تكالبت وتأمرت حثالة الكوكب على القضاء على نظام الفصل العرقي المتحضر العظيم في جنوب أفريقيا ، وهو شعار يهودية الدولة ، فالأرجح الآن أن التطهير العرقي قد ينطلق من إسرائيل بطرد العرب الحثالة منها ، ثم سنتلوها نحن بذات الشيء ، ثم كل العالمين الحضاري والمتحضر مع العرب خاصة وكل أعراق التخلف عامة . على أية حال النبوءة لا تزال مفتوحة ، والسباق لا يزال قائما بيننا وبين إسرائيل على من سيكون له قصب السبق في إعادة العالم لصوابه الذي فقده يوم رضخ لهجمة الرعاع على سجن الباستيل ، وما استتبعه من شعارات و ' حقوق ' تسببت فيما نحن عليه من أنتروبي جينية وزادتها تكريسا يوما بعد يوم .

... ومرة أخرى ، أقصد أخيرة : سلم لي ع الإسلام !

...

نحن على أعتاب عصر ثلجي ، واحدة من أكثر نبوءات الرواية ضخامة وأيضا مغامرة ، أو لو شئت الصدق هي أقرب للأمنية منها من أى شيء آخر ! دعاة -أو بالأحرى أدعياء- الدفء الجلوبى ، تلقوا صفعات مخيفة هذا الشتاء بالذات [تفاقمت على نحو مذهل فى الأسابيع التالية ، وصلت لحد المسخرة حين أرسلت أمنا الطبيعة عاصفة ثلجية على مظاهرة تندد بارتفاع حرارة الكوكب http://www.foxnews.com/video-search/m/21941435/deadly_addiction_to_coal.htm !] ، الشتاء الذى جاء باردا جدا ومنافضا جدا لكل توقعاتهم ، والأعجب منه أن معدل تراكم الثلج فى القطبين جاء الأسرع فى كل التاريخ المدون ، بل بدأ بالفعل الكلام عن عصرى ثلجى قادم (حرفيا كما تنبأت الرواية وهى تفرغ آخر صفحاتها فى رعشة من البرد) ، تلك كلها لإثبات حقيقة بسيطة عادة ما يحين لها العقل الإنسانوى اليسارى ، هى أن الإنسان أتفه من أن يحريش خطأ على هذا الكوكب ، وهذا كان أساس المراهنة شبه الخرقاء من الرواية على فكرة العصر الثلجى المحدث . نصيحى أن يجربوا من الآن محاولة إقناعنا أن الصوبة الزجاجية تسبب عصورا ثلجية ، فرما كان ذلك أسهل عليهم !

...

مطعم السوشى فى السيتى ستارز أغلق أبوابه ، فى ضربة مهمة لنبوءات الرواية ، لكن كل الكلام الآخر عن اليابان لا يزال قائما : السيارات الكهربائية سوف تظهر على نحو تجارى قبل ٢٠١١ التى تنبأت بها الرواية . السباق على أشده والنماذج الأولية تعرض بالفعل الآن بمعارض السيارات التى تعد كلها بالطرح التجارى فى ٢٠١٠ ، إلا أنه حتى تكتمل النبوءة يفترض أن تفوز تويوتا به . [إلى هنا انتهى هامش ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ ، وما يلى تحديثات أضيفت تباعا] .

...

١١ فبراير ٢٠٠٩ : نتائج الانتخابات الإسرائيلية الليلة تؤثر لعودة بنيامين نتنياهو رئيسا لوزراء إسرائيل عادى ! هل كنت تعتقد أن الفصل الأخير للرواية كاد مجرد مزحة تخيل قصصى ؟ !

...

١٢ فبراير ٢٠٠٩ : الميلاد الرسمى للهندسة الجينية للبشر : ليس بالضرورة أصغر جسما لتوفير الطاقة وأكبر رأسا لاستيعاب مخ أعقد و بجناحين لحل مشاكل الانتقال ، كما تقول الرواية ، إنما على الأقل بعينين زرقاوين وبشرة بيضاء وشعر أشقر . كما جاء فى إعلان Fertility Institutes على موقعه على الإنترنت اليوم . الشىء كبير المغزى هنا أنه ليس بحثا تجريبيا أو مشروعا مستقبليا ، إنما إعلان تجارى للغاية موجه للجميع وفى مقابل أجر محدد ، بل ويعطى مجانا ' ع البيعة ' ضمانا ضد ٤٠٠٠ مرض وراثى !

...

١٤ مارس ٢٠٠٩ : أعلن اليوم عن اكتشاف جولييان لأكسفورد الباحث السكتلندى من جامعة سانت أندروز وخبير مخطوطات العصور الوسطى ، أن روبين هوود لم يكن إلا لصا حقيرا مجرما ومكروها من الناس لا أكثر ولا أقل http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/scotland/edinburgh_and_east/7941504.stm . حين كتبنا كلاما سيفا عن روبين هوود أو -وهو الأهم- عن أمثال جاندى أو مارتين لوثر كينج أو مانديلا ، لم نكن نحلم بمثل هذا الاكتشاف المذهل المدعم لأول مرة بإحدى الوثائق المنسية أو قل المسكوت عنها . فقط كانت تملؤنا الثقة أن سيأتى يوم تفيق فيه البشرية على أن هؤلاء الذين حولتهم آلة الإعلام اليسارى الشيطانية لرسل وملائكة وشهداء ، ما هم إلا أحقر الكائنات إطلاقا وأكثرها شرا وحقدا وشيطانية !

...

١٥ مايو ٢٠٠٩ : أقيم اليوم مهرجان الكورية للعام الرابع على التوالى ، ولم يكن أقرب إلى وصفنا (الطائش لو شئت !) له بـ ' مولد ستنا الكورية ' ، فى أية سنة مما ظهر عليه اليوم ؛ فرق غنائية متنوعة متزامنة تماما كما الموالد التقليدية ، باعة جائلون ، معارض للمشغولات من

محافظات ودول مختلفة ، رقص للناس في الشوارع ، هذا طبعا بالإضافة للتقليد الأصلي المؤسس له وهو رسومات الأطفال على الأرض وعلى وجوههم !

...

١٩ أكتوبر ٢٠٠٩ : أصدرت سكرتارية العدل الأميركية توجيهها تاريخيا لأجهزتها تأمرها فيه بعدم ملاحقة متعاطي ومتداولي الماريوانا ملاحقة فيدرالية ، ذلك في الولايات التي تبيح استخدام الماريوانا <http://www.nytimes.com/2009/10/20/us/20cannabis.html> ، كل في حدود ما ينص عليه قانون الولاية المعنية من نوع لهذه الإباحة . الجدير بالذكر أن ثمة ١٤ ولاية حتى اللحظة -منها كاليفورنيا- باتت تجيز الماريوانا ، أغلبها عامة لغرض الترفيه entertainment والاستجمام recreation وليس طبيا medical تحديدا ، وثمة خمس أخريات -منها نيو يورك- يشتغل مشرعوها الآن على قوانين شبيهة . قرار الحكومة الأميركية الجديد يزيح عقبة -على الأقل نفسية- هائلة ، ألا وهي الإصرار التاريخي للولايات المتحدة على محاربة العقاقير ورصد ميزانيات هائلة للأجهزة الشرطية بل وللحروب خارج الحدود من أجل هذا ، ومن ثم فهو قرار معلم كبير يمهد الطريق بقوة لتحرير تداول العقاقير -وتداول أى شئ- في كل العالم ، وليرسخ مفهوم أن يتحمل كل فرد مسؤولية خياراته بحرية كاملة . مرة أخرى نقول لا يصح إلا الصحيح ، والحرية هي قانون أسمى للكون ، لا يجب أن يستثنى منه أحد أو شئ إلا فئة واحدة فقط لا غير هي أعداء الحرية !

...

٢٩ يوليو ٢٠١٠ : السيد البدوي رئيس حزب الوفد -وبعد أسبوع واحد فقط من إعلانه أنه ينتوى إعلان الحرب على إسرائيل إن أصبح رئيسا- يعلن أن الرفيق نجيب سوروس سيكون هو مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة ٢٠١١ . المفروض للوهلة الأولى أن هذا الإعلان الأخير تحقق مذهل لإحدى نبوءات الرواية ، وهي أن الرفيق سوروس سوف يشتري حزب التجمع ويشرح نفسه رئيسا ، لكن يبدو أن بعض مياه قد اختلطت فغيرت النبوءة بعض الشئ ، وجعلته يشتري حزب الوفد . التفسير المرجح أن الكثير من أعضاء حزب التجمع أثبتوا في السنوات الأخيرة أنهم مصريون حقيقيون لا يؤمنون جديا بالحق الطبقي ، وأن دوافع معظمهم وراء الالتحاق باليسار ليست أكثر من المفاهيم الإنسانية العامة (ضربنا مرارا http://everyscreen.com/views/economy.htm#MelAkher78_SuzanneTamim أمثلة بأسامة أنور عكاشة وسيد القمني ونجلاء الإمام ممن أعلنوا صراحة تبرأهم من الحق الطبقي) . أما حزب الوفد فقد تأسس أساسا على الانتهازية ، وكلنا يعلم ما فعله الأزهرى الأفاق سعد زغلول بمصر ومصائر مصر ، وكيف قضى على مشروع الحداثة الإنجليزي ومهد لاستيلاء العرب الصريح على السلطة في ١٩٥٢ . إذن السبب هو أن سوروس أفاق أكثر منه يسارى ، وكان يجب توقع هذا ، على أننا على الأقل نعلم تمام العلم في هذه الرواية أن ١٩١٩ و ١٩٥٢ صنعا من قماشة واحدة ، هي عينهم بأشخاصهم وجيناتهم قطاع الطرق المسلمين العرب ، مع تلميع وتنقيح أنفسهم ببعض تقنيات وشعارات الثورة البلشفية بهدف تجويد الخداع ، ونعلم أيضا تمام العلم أن محمد عبده تحديدا -الذى يكيل له العلمانيون المديح- كان منبع الخراب ، وأول من بدأ النخر الجدى في مشروع الحداثة الإنجليزي لمصر الذى جعلها سابقة لليابان ، إلى أن جاء -على يد أحد صبياناه المقربين جدا- الخراب الكبير وأنهى سنوات الذهب (١٨٨٢ - ١٩١٨) . للأسف حتى اليوم لا يستطيع الكثيرون ملاحظة أن العرب نوعان : عرب أجلاف هجامة وسفاكى دماء صرحاء كعمرو بن العاهر والعاهرة وابن عمه عمر ، وعرب يخفون جلافتهم ببذلة وكرافته ناعمين كاللا حسن اللا البنا ومحمد حسنين هلوكة (إذا كان محمد عبده حداثيا فماذا يكون إذن أحمد لطفى السيد ، وقد كان طرف النقيض له ؟) .

المهم ، ما نستطيع قوله -وليس عذرا إنما اعتذارا- أن التطورات تسارعت بشدة في الأيام الأخيرة بما يفوق خيال أى أحد : الإسلاميون يتقاربون أفواجا على حزب الوفد ، في ذات الوقت الذى يعلن فيه رئيسه أن مرشحه المحتمل للرئاسة هو الرفيق سوروس ! ولا غرابة إن رأينا خلال أسابيع أو ربما أيام إعلان حلف كبير للمعارضة السياسية في مصر يتجمع فيه كل ذوى الأصول العربية (ممن يعد عداؤهم لمصر وإسرائيل ، والإصرار على نهب ثروة الأولى للقفز بها على ثروة الثانية ، أجندة صراع وجود أزلى-أبدى لن تنتهى إلا بإبادة أحد الطرفين للآخر) ؛ حلف كبير يجمع قاطع الطريق المسلم مع المسيحي مع اليسارى العلماني ، هدفه إسقاط الحكومة المصرية الوطنية المعادية للعرب (في رأيهم على الأقل) ، فمثل هذا الحلف موجود عالميا ، وكان مسألة وقت فقط أن نرى فرعا له يتبلور في مصر ! نعم ، هذه وتلك كلها كانت مفاجآت مدوية للجميع ،

لكن مما يحفظ لنا نحن بالذات بعض ماء وجهنا في مواجهة مسلسل الصفحات المنهال هذا ، هو مقولتنا المبدئية القديمة الثابتة التي لم تتغير أبدا :
البشر نوعان لا ثالث لهما : بناءون وطفيليون !

...

٣٠ نوفمبر ٢٠١٠ : أعلنت اليوم نتائج الانتخابات البرلمانية التي أجريت أمس الأول ، وجاءت النتيجة لتذهل الجميع ، إلا نحن ، وهى هبوط رصيد عصاة الإخوان المسلمين من المقاعد من ٨٨ إلى صفر ، وكذلك -ولعله الأهم- سحق أكبر رمزين للأقلية العربية سحقا مهينا للغاية من الجولة الأولى : مصطفى بكرى كبير العربانجية قبلى وحمدين صباحى كبير العربانجية بحرى . نبوءة الرواية كانت أن انتخابات ٢٠١٠ لن تقام أصلا ، ذلك أن الحرب الأهلية ستدق الأبواب وينجم عنها عمليات الترحيل والقتل للأقلية العربية . فى الواقع النتيجة النهائية لما حدث ربما ليست بعيدة جدا عن هذا : تصاعد فى زمن قياسى للوعى العرقى لدى المصريين ، حكومة ونخبة وشعبا ، سواء وعيا بذواتهم أو وعيا بالأغيار البرابرة بالذات بحر الجزيرة ، وكذا اقتراب نموذج الحكم والتفاف الشعب حوله ، بسرعة من النموذج التاريخى الذى صنع حضارة مصر القديمة المسماة بالفرعونية .

الأكثر دلالة هو خلفية الشهرين اللذين سبقا الانتخابات ، فهى تعطى المؤشر الأقوى والأهم للمنهجية والوعى الجديدين لدى السلطة والنخبة والشعب فى مصر . هذان الشهران شهدا مجازر واسعة النطاق من قصف الأفلام وتكليم الأفواه لأمثال إبراهيم عيسى وعمرو أديب ومنى الشاذلى وكثيرين غيرهم ، ناهيك طبعاً عن إغلاق كل القنوات السلفية . هؤلاء وأولئك عرب بالأساس ، وإن كان بعضهم كعمرو أديب أذنان للعرب ، لكن صورة ما جرى هذا لا تقف عند حدود البطش بالأقلية العربية ، بل هو تحقق لدرجة تفوق خيال أغلب الناس قبل مجرد أسابيع ، لنبوءة أخرى بالغة القاعدية فى الرواية وهى إغلاق المهزلة الكارثية المسماة الديمقراطية من أوسع أبوابها . عزز هذه الصورة الإحجام الشعبى الملفت جدا عن المشاركة فى انتخابات هذه الدورة تحديدا . دائما أبدا كانت المشاركة تتفرع لفرعين : الأول تجييش العرب لأنفسهم وهو دائما أبدا قبلون قطعاين ويحيشون أنفسهم . والثانى هو مشاركة الشعب المصرى نفسه ، وهو -بجييناته الفرعونية- لا يهتم عادة بالشأن السياسى ، وفى حالتنا المعاصرة هذه لا يذهب للصناديق إلا فى لحظات الجزع على مستقبل البلاد (بالأخص من جرائم أولئك الدخلاء العرب) ، وهى مشاركة شاهدنا ذروتها فى أوائل التسعينيات ، وكانت وقفة ضخمة حقا أراد فيها شعب مصر أن يعلن التفافه حول فرعونيه ورجاله ، كرد على موجة الإرهاب الإسلامى (كان من القوة بمكان لدرجة أن ذهبت أنا نفسى لأدلى بصوتى وكانت أول وآخر مرة أفعلها !) . أما حين تستتب الأمور ويطمئن الشعب لقوة حكومته ، تكون قد أنت لحظة الأحلام المثالية بالنسبة له ، فيها يتفرغ للقمة عيشه وينام ليله سعيدا هائنا ، أما فيما يخص الانتخابات فببساطة -وبكل سعادة وممنونية منه- يفوض أمر التصويت باسمه لوزارة الداخلية إن احتاجت !

فى كل الأحوال رأيك أنت هو الأهم : لأية درجة قد صحت نبوءات سهم كيوييد عن خريف ٢٠١٠ ؟

...

٢٧ فبراير ٢٠١١ : بوادر قوية لتمام مصر واستعادتها سلطتها المركزية الفرعونية ، ذلك من آثار مؤامرة ٢٥ يناير التى حققت من بين ما حققت نبوءة ' وراحت الدبابات تجوب شوارع القاهرة ' ، هذا بعد مجرد شهر وبضعة أيام فقط من تاريخها فى الرواية (وقعت فعليا فى ٢٨ يناير ٢٠١١ ليلا ، بينما كانت فى الرواية يوم ٢٤ ديسمبر ٢٠١٠ ليلا) . تلك الجريمة الشنعاء لا شك لدينا أنها ستفضى إن أجلا أو عاجلا -بل فى الواقع هى عجلت- بما توقعته الرواية من إعلان كل تشكيلات الأقلية العربية صاحبة ' أيديولوجيات سالبة للحربة ' ، وتدشين عملية تطهير عرقى واسعة النطاق لمصر من رجسها . صبح هذا لم يحدث فى ' المساء التالى ' كما فى الرواية ، لكنه سيحدث طبقا لمقولة الرئيس السادات الشهيرة أن لن يصح إلا الصحيح ، حتى لو كان ما نجم فعلا عن تلك الأحداث الإجرامية قد أدى لانزواء ' رئيس لجنة المستقبلات ' الشاب ، بدلا من توليه الحكم .

على أنه على الصعيد الشخصى حققنا مكاسب ضخمة ، على رأسها الالتفاف الكبير الفجائى حول الموقع ، والقراءة المكثفة للرواية ، واكتشافنا أنها كانت أكثر شعبية مما تخيلنا بكثير ، ومن هذا مشاركة كثيرين ممن لم يكونوا قد أبدوا رأيهم فيها من قبل ، حتى لو لم يكن للأمر

علاقة بالأحداث . مثال هذا ، أن لأول مرة كتب صديقان قديمان يعرفان نفسيهما بأسماء مستعارة فاو وكادى قبل أسابيع أن تتابعات الجنس فيها ' جبارة ! ... تفوق جميع الأفلام ! ' ، وأنهما قرءا الرواية مرات كثيرة ، وما إلى هذا ، وهو -القراءة المتكررة- كلام كرره عدد لا حصر له .

صديق آخر هو الطبيب الشاب أحمد زيدان ، وهو أحد نجوم الإنترنت ، كتب واضعا اسمى سابعا بعد آدم سميث وجون لوك وديفيد هيوم وفريدريك فون هايك وليودفيج فون ميزيس وميلتون فريدمان . لا أكاد أقدر على تخيل كيف واثته الجرأة لفعل شيء كهذا ؟ ! هو يعرف كم أحبه ، ولعللى أود استخدام وصفا أفسى لما فعل ، مع احترامى له ولبقية زملائه فى الجماعة المسماة شباب الشرق الأوسط . أنا لا أصلح تلميذا تحت أقدام أى من تلك الأسماء ، ولا أعتبر نفسى متخصصا فى أى حقل من حقولهم مطلقا . نعم ، فعلت شيئا قد اعتر به يوما ، وهو أنى -باجتهاد شخصى متواضع- وسعت دائرة نظرياتهم الاقتصادية بأن ربطتها بكلام أرسطو العرقى عن الحضاريين والبرابرة ، وبعرض النماذج من البيولوجيا والديناميات الحرارية وفيزياء الكون ، وبشيء من السياسة المعاصرة إذ وجدت أن أفضل تطبيق ممكن لنظرياتهم هو الدولة العسكرية حامية الحريات كتجربة الجنرال بينوتشيت وشبيهاتها ، لكن الإطراء بما هو ليس فى لا يؤثر فى بل ولا أعتبره مفيدا ، سوى بقدر ما يمنحنى من سعادة وأمل لما يعبر به عن حماسة أولئك الشباب النقى الجميل وعن عمق إيمانهم بقضية الحرية .

فى وقت متأخر من هذه الليلة أرسل لى الصديق حيدر السعدى وهو شاب عراقى عميق الفكر صلد الإيمان بالليبرالية العلمانية ، أرسل واحدة من أكثر التقييمات إطرء . قال ' لقد جعلتنى أحسم مواقفى فى أمور فكرية وعملية كثيرة ، خصوصا فيما يتعلق بالخلاف الضمن-ليبرالى . ما جذبنى إليك أكثر فأكثر أن عرضك للأفكار أشبه بخلافات يكتبها شخص مثقف لنفسه ، كى يزيح عن نفسه عناء المراجعة من جديد ، وهذا ما كنت أحتاجه بالفعل . خلطك للشخصيات فى ' جشطلت ' مميز هو سمة لم أعهد لها من قبل إلا فى أعمال خاصة الإبداعية مثل ' يوليسيس ' التى يحتاج كل فصل منها لحواشى بحجم الفصل نفسه ! ' . أوه ! التشبيه بالأسماء الضخمة مرة أخرى ؟ ! بالتأكيد -مثلنى مثل أى أحد- يسعدنى الإطراء وأعتر به ، وبالتأكيد أكثر ، الكلام كبير وقطعا لا أستحقه ، لكنى أكتبه هنا فقط لأقرر أن مؤامرة ٢٥ يناير قد جاءت بنيران عكسية كثيرا على كل من دبروها . وعشرات الأصدقاء تخلقوا الآن على مجموعة الفيسبوك EveryScreen (التى أسستها قبل نحو عامين ونصف شخصية رائعة هى سمر نزيه لكنها اختفت للأسف) ، يناقشون الرواية وسائر محتويات الموقع بعمق غير مسبوق ، ويا له من فخر أن يكون كلامنا على تواضعه هو مكان الالتفاف فى وقت الأزمة .

... هذا هو الإطراء الذى لا مبالغة فيه ، وأيضا الأكثر إبلاما ، لأنه يوكل إلينا مسئولية لا نشعر إلا بأقل القليل من الأهلية لها .

...

٢٦ مايو ٢٠١١ : الجيش المصرى يعلن عن رغبته فى وضعية فوق دستورية تحميه من الرئيس (تقرأ : تحميه من ' ضعف ' الرئيس) . إذا كانت ' وراحت الدبابات تجوب شوارع القاهرة ! ' ، قد تحققت بمجرد فارق ٣٥ يوما عن تاريخها فى الرواية ، إلا أن التحقق الكامل للنبوءة كان جزئيا ، فـرئيس مجلس الأمن القومى المنشود ، الذى هو رئيس لجنة المستقبلات بالحزب الحاكم فى الرواية ، هو معتقل الآن . بما استجد اليوم تبدو خواتيم الرواية أقرب للتحقق أكثر من أى وقت مضى . فالفكرة الجهورية هى حاجتنا الماسة لحكم عسكري يمينى يحمى الحرية الاقتصادية والحريات الفردية ، ها خى تتحقق من أوسع ابوابها . بل وحتى رغم ما ذكرنا لا يبدو بعيدا جدا أن يعود قريبا الشخص المذكور لدوره السياسى ، ومن ثم تكون نبوءات الرواية قد تحققت بالكامل !

...

١٣ يناير ٢٠١٢ : الجليلد يهطل على مناطق مختلفة من مدينة الأسكندرية والطرق المؤدية إليها ، ذلك لأول مرة فيما تعيه ذاكرة أى مصرى . نعم ، الرواية وهى تغلق فصولها كانت تتحدث عن أمطار لا تنقطع وكرات ثلج تقصف القاهرة ، وإن لم تأت على ذكر الجليلد ، فهل تجيز أنت كلامها هذا كنبوءة عامة لانقلابة الطقس الجلوبى انقلابة درامية ؟ !

...

١ مايو ٢٠١٣ : يوم كبير -بل أيضا شخصى وعاطفى- لرواية سهم كيوييد : بعد طول استماتة من الزائدة الدودية المسماة قطر ، للاستيلاء على أكبر بنك استثمارى فى مصر ، جاء اليوم المدخل الأخير : ونجت كيوييد ! ... عاشت دروع مصر الأمنية ، عاشت مصر ، عاشت الحضارة !

١٠ أبريل ٢٠٢٠: البحث عن الذات - أو هكذا كانت التوقعات الأصلية [نقاشات حول السيرة الذاتية]

موضوع البحث عن الذات ده ما يوصلش لأنه مستاهل بحث. هي محطات ولحسن الحظ كانت واضحة، وكله كلام سبق ذكرته في مناسباته، لكن احتراماً لما كتب هنا بكرم بالغ، فسأحاول تذكره مجتمعاً: في الشباب المبكر كنت لهلوبة شطرنج إلى أن قابلت من هم أقوى منى وأكثر إخلاصاً لها، أدركت أنى موش بوبى فيشر، وفي لحظة واحدة قررت ألا أملكه ثانية. نفس القصة الرياضيات كنت لهلوبة وبأخذ أكثر من ١٠٠ في الامتحانات، إلى أن جاء السقف بالمعادلات التفاضلية فأدركت أنى موش فون نيومان واستسلمت. من هذين قد تكون النصيحة للصديق -أو الأصدقاء- شديدي الاجتهاد هنا ونأمل لهم أن يتجاوزونا بمراحل يوماً ما، إليك -أو إليكم- نصيحة اللا نصيحة؛ لا تسأل ولا تسمع نصائح من أحد. كن نفسك، واترك الأشياء تأتي إليك ولا تنحر نفسك لتجويد نفسك في شىء ما، فهذا الشىء ليس لك لأنه ليس منك. .. بعد كده شغل الهندسة كان متألق برضه بس سقفه واطى، أو بمعنى أدق عرضه ضيق. يعنى مثلاً مفهوم الـ Steady State Condition أو الـ Unstable Equilibrium ممكن يكون لها تطبيقات خارج الهندسة ينتج عنها نبوءات تذهل الجميع بينما بللورتك السحرية أدواتها غاية في البساطة (المفهومين مشار كثيراً إليهما في سهم كيوييد، وأحدث حصاد لهما التنبؤ بأن الداو جونز سيهبط لـ ٥٠٠٠ أو البترول للصفر، والبعض فهم أن ذلك التافه المدعو كورونا هو من حققهما لصاحب النبوءة، بينما الحقيقة أن سببهما أفاعيل أخطر أعظم بل وأقدم بقرن كامل). أو مثلاً قد لا يتنبه البعض أن موقفى من الكنفوش هو موقف هندسى أصلاً، فهذه السلع ولا صناعاتها يجب أن يسمح لهم باستمرار الحياة من بائها، أما سلوكهم المالى والاقتصادى أو تاريخهم الأسود لآلاف السنين، فهي مجرد ردائف عززت وأصلت هذا الرأى الأسبق المتكون أولاً. .. بدأت النقد السينمائى كمحترف متوازي مع الوظيفة الهندسية، مع تخصص نسبي في سينما الخيال العلمى المستقبلية، لكن الخطئين المتوازيين سرعان ما تحولوا لجديلة، يمكن على نحو أو آخر اعتبار كتاب حضارة ما بعد الإنسان (١٩٨٩)، هو حصيلة ما لهذا الزواج. ككل موضوع السينما كان سقفه السماء، بسهولة جدا وصلت لكل التنظيرات والحاجات إلىى ممكن تلمها جملة الفن الهابط هو الفن كما يجب أن يكون، ذلك بحيث لم يعد تحدياً حقيقياً، واليوم -بل من لحظتها- كنت ولا زلت أشكر أولئك "أشهر المشاهير" إلىى حاربوا باستماتة شعوائية كتاب دليل الأفلام (١٩٩٨)، لأنهم أعطوني الدفعة لترك هذا التخصص شبه نهائياً، ذلك أنهم ألهموني بالتحدى الحقيقى، التحدى الجديد، آرائى الأخرى التى استفزتهم على نحو أشد، الآراء غير السينمائية. .. سرت في هذا مشواراً طويلاً اسمه موقع إيفرى سكرين، إلى جاء "البحث عن الذات" تلقائياً ودون بحث. أكثر اللحظات تألقاً قاطبة كانت طالب هندسة القوى الحرارية الذى لا يذاكر دقيقة واحدة ويطلع الأساتذة غلط ثم يحصل على ١٢٠ من ١٠٠. الأتروبي يمكن أن تصبح رؤية شاملة جدا. هذا ليس جديداً، لم يولد في ٢٠١٩ إنما مسيرة وصيرورة تواصلت وتضخمت على مدى عقود كاملة تراكم كبللورة ملح أو سكر إلى أن تحول لكتاب كان أحدث محطة حتى اللحظة. .. أصل هذه الدعوة كان هنا: شكراً أحمد رضا، هه هه، يا ريتنى كنت فاهمه زيك كده، أو هه هه جازم مستنى أعمل على روحى كتاب أسميه البحث عن الذات، كتب [بدون تنقيح]: فيه فرق شاسع بين ان الواحد يبقى مجنون، وبين انه يكون محتاج منك وقت كبير فشخ عشان تفهم هو متعمق ومتبحر قد ايه. أنا شخصياً محدتش وقت طويل عشان اعرف منطلقاته الأساسية لأني متفق مع أغلبها من البداية، بس كنت بتفاجئ فشخ من إن أخيبيرا واحد مصري وصلها ويبيني عليها كمان. كنت واخذ فكرة من الناس وبالذات الدوجلية المتناكبين الأغبياء إنه مجرد تنبأ بحاجات صح وخلص، غير كده هذيان، و لكن لأ الموضوع مش سهل كده، وقعدت كم يوم مركز مع المداخل اللي كاتبها، وأنا بجيب قرار الحاجة مهما كانت صعبة ف ساعات، وقلت لازم عنده بناء فكري فريد ورؤية كونية، وقد كان، ومهما كان في اختلاف بينا ف حاجات فهو يترفعه القبة من غير تفكير للحظة. .. أولاً متفصلش بين الرؤية الاقتصادية وبين بقية الحاجات لأن مدحت مش أحادي التخصص بالأساس وإنما هو صاحب رؤية كونية من كل التخصصات اللي طالتها إيديه: علم، فن، تاريخ طبيعى، اقتصاد، إلخ. فهي مش قصة انه رأسمالى كده وخلص، لأ الموضوع عنده ليه عمق طبيعى بيولوجي. وآين راند مجرد doorway اصلاً، مش حد يتوقف عنده، وبعد فترة وجيزة جدا نتعرف انها ناقصة بالعبط وساذجة ومعهدهاش أدنى رؤية لحماية الحرية اللي هي بتتكلم عليها. التفرقة عند مدحت

بين إثنية وإثنية جاية من قدرتهم على توليد الثروة (بالتصنيع والتقنية) واستدامتها. والإثنيات مش بتفشل في ده من فراغ، لأ دي ليها خصائص مهمة وواضحة متسببة في الفشل. ليه بقى هو مفضلنا وهل انخيازه جاي بدليل؟ هو من يومين قالك الفلاح بتاعنا هو المسطرة اللي بنقيس عليها الحضارة وكده؛ وقد صدق. ليه؟ لأن المصري عنده ميزة مهمة فشخ: بتاع شغل ويسمع الكلام ويتحمل، وماهواش طفيلي. أسرع شعب في نقل المعلومة بينه وتحويلها لتريند يخرق كل المدن والأحياء والقرى والغرف والمناور حتى هو المصريين، أسرع شعب يعمل Informational commons ويلتزم بيها (طبعاً مشكلتنا الحالية إن الcommons دي متغيرة من ولاد متناكة كثير لازم هرم الدولة بمحققهم)، وعليه فاحنا أكثر شعب يتمسك بالإثنية، هاتله بس فرعون من خيرة ولاده، وشوف ممكن يعمل بيهم ايه، لا هيتمردوا، ولا هيتشرمطوا بأيدولوجيات يسارية متناكة، وف نفس الوقت هيبعدوا وهيتجوا فائض يعمل سفن فضاء زي ما كان في فائض عمل أهرامات وإعجازات. هو ييموت في الأنجلوسكسون، بس هما متمردين أكثر منّا (عكس الصفة اللي ذكرتها لك عنّا لسه حالاً)، ويقول إن محدش بيكسفننا غير اليابانيين، وأنا مش معاه ف ده، لأن الياباني اه وإن كان أكثر واحد يسمع الكلام، فهو من قدم التاريخ مش بيبخترع جديد بنفس وتيرتنا (هنا انا بقارن بيننا وبينهم لما كنا ف ظروفنا المثالية من عدد السكان وحماية الcommons من الدخلاء)، وطبعاً أكثرنا في التطوير وخلق الجديد هما الأنجلوسكسون.. بالنسبة بقى للفيروس، فهو مجزمش بأن في حد معين صممه، هو قال يا بالطبيعة يا بالتصميم. طب هل كونه بالطبيعة ينفي عنه كونه ماحق لناس مهياش صانعة حضارة؟ انت عندك المصريين اول ما سمعوا عن الفيروس اترعبوا ولرموا البيوت بطريقة أذهلني ومكنتش متوقعها، وقليل فشخ منهم اللي نزل كدس في سلع وعمل مشاكل من رعبه، يعني اترعبوا وقعدوا ف حالهم لحد ما الأزمة تعدي، واديك شايف احنا فين والإنجليز والطلبان المتغيرسين بأفكار بضان وصلوا لفين، قلة سمعهم للكلام ودتهم ف داهية. هو بقى تفاعل الفيروس مع مختلف الشعوب ماشي كده. طبعاً المتناك قد كلبة بس هو اللي يقول ان دي عبودية، لكن لأ ده اعتراف بالهرمية منّا مش أكثر. وفي أخبار هتلاقيه هو ناشرها بالمناسبة وموثوقة عن نسب استهداف المرض لمختلف الناس. وبالنسبة بقى لقصة نسبة العريان هنا، فهو طبعاً صح وده كلام علمي، ونسبتهم فعلاً قليلة بالنسبنا. وهما مش بيتصرفوا زينا إطلاقاً، هتلاقيهم مسميين نفسهم أشراف وبضان، وهتلاقيهم قبلين ١٠٠%، بيتجوزوا من بعض، بيتعاملوا على قد ما يقدرنا ف اي حاجة مع بعض ويبكرها البلد والنظام فشخ ومحدش منهم يبروح ف حطة إلا ويقولك أنا من العرب، حتى مهدي ده فخور بأصله القرشي لعلمك. وحتى الإسلامية مش بس الفخوريين بعروبيتهم، بتلاقيهم منغلقيين على بعض، فانت بالنظر كده سهل فشخ تعرف أنهم بركة جينية جوا منفصلة جوا بركة مصر الجينية بأكملها. وكل تقليل وكرب يبصيب الsocial trust بتاعتنا مش جاي غير من تحت راسهم سواء عملياً أو على الفيسبوك والإعلام المتناك بتاعهم. انت فاكّر حصل ايه ف يناير ولما ابن الشرموطة الخروف اتشال؟ بتوع شرق النيل وأقصى غرب النيل نزلوا بالسلاح وحرقوا الكنائس وحرقوا محلات المسيحيين وكسروا واجهات بنوك، واقتحموا السجون وحرروا إخوانهم، أتحداك تجييلي منهم نسبة تذكر من المصريين الغلبة يكونوا عملوا كده. طول عمرهم بس يثيرون على ضعف قمة الهرم وخنوعه.. في كلام كثير ممكن أقوله، المهم يعني إن لأ كلام مدحت ماهواش شطحات كده في اللاشيء، اختلفنا او اتفقنا، ماهواش حد سهل ولا يبهذي. * على ذكر أحمد رضا لليابان والفلاح المسطرة، هذه كانت القصة: هه هه، يا خوفي حكاية فلاح دى بوظلت البوست. الفلاح المصرى "الوسخ المعفن" هو مسطرة الحضارة إلى بنحط أى حد عليها ونقيسه. لو بيلمع ولايس كرافتة وحاطط برفان ويتكلم عسل -بتوع أوروبا مثلاً- ها نمسكه بمنديل وتعامل معاه بارتياح وتشدد أقصى ما يمكن، خشية أحد أو بعض فيروسات التاريخ تكون دخلته. بالبحث لم نجد حد كاسر عين فلاحنا إلا اليابانيين لأنهم أكثر منه نشفان وخشونة وتمسك بما كان عليه فجر السماوات الصافية للحضارة.. المقصود، استمتع بمدحت محفوظ كما نشاء، أما عن نفسى فقد استمتع وقد استفيد أكثر بصحبة أى فلاح. تحياتي.. صديق قال مشكوراً إنه يختارنى لصحبته لو تعطل به المصعد ١٠ ساعات، ومن يختار غيرى هو "فلاح".. [خلال أيام ألهبت المشاركات اللاحقة الحاجة لهذا المدخل وجعلته يتوسع لما تراه الآن أكثر من مجرد نبذة ذاتية، لدرجة أن مثلاً -هه هه- توقع الصديق صوما "شتاء نوويا سيأتى به مجرم الحرب مدحت محفوظ": كشخص اسمه مدحت محفوظ، أو كقضية اسمها الاستدامة المفقودة في أطوار الحضارة، أو بصيغة أخرى قضية الأوروبيين أو الطبقة الوسطى أو أيا ما كان اللامعة إلى موش سيرسجية (بالوصف المذكور هنا هذه أقلية عربية قح، وليسوا بالمرّة من أقصدهم بالشعب المصرى أو الفلاح المصرى)؛ ده ها يكون مدخل كامل قريباً جداً، ها يجمع ويعلق على كل البوستات دى.. أما موضوع بسطاء المصريين الموصوفون زورا بالسيرسجية، فمداخله موجودة وها أجمعها أهه، لأنّها قصة شيعانة أو شبه خلاصانة].

..تفاعلات أخرى على ذات البوست الذى به تعليق أحمد رضا أعلاه [بدون تنقيح]: Ahmed Elmansi: مدحت محفوظ مجنون وأنا مختلف معاه في حاجات كثير لكن مقدرش انكر انه الانسان الوحيد على سطح الارض الى من بداية الالفينات الى اتنبأ بحدوث كساد اقتصادى وكنا كلنا بنضحك عليه. Mohamed Bedair: مرة مهدي مسكه في تعليق واهانه نيك بصراحة لدرجة كنت فاكّر ان الاستاذ مدحت هيرد ويسبله ولا حاجة. لقيته رد ببرود كذا ولا كان في حاجة اضايقت عشانه والله. Ahmed Elmansi: مهدي حشرة بالنسبة لمدحت بجد ميديوكر غي

مش فاهم حاجة. Mohamed Bedair: مش مختلف . بس انا بتكلم عن الموقف تخيل بتناقش حد في حاجة مثلا وهو قلب الموضوع شخصي وبقت كل ردوده شتيمة واهانه فيك وساب الموضوع الاصلى وانت مصمم لسة تكمل كلام في الموضوع ولا كأنه يقول حاجة. فالموقف غريب بس. Ahmed Elmansi: ده يثبت ان مدحت عظيم يترفع عن هذه الاشياء. Mohsen Mohamed: مرة مسك رامي ابادير هزقه قام رامي شتمه قام سيدنا مدحت قاله ها ها ها شكرًا. Aladdin Mahmoud: اكتر تعليق قاتل مرة واحد قال واضح انك مش بتفهم في الاقتصاد فرد عليه استاذ مدحت عندك حق! حسيت ان أرسطو قام من قبره عشان يديني درس يعني ايه irony! Mhamd K. Zakaria: Being right too soon is socially unacceptable --Robert A. Heinlein Ahmed Elmansi عن رؤيته الاقتصادية انا عارف اللي بتتكلم عنه كنت ومازلت منهبر ان مصرى طعمية بيتكلم عن اين راند والاقتصاد الحر انه بييفهم في الاقتصاد مفيش عليه مجال شك. بس شوف بوستاته مثلا عن الكورونا. الراجل مؤمن ان الفيروس بيصيب اعراق محددة ومستهدف للسود والعرب ويسمى اللي ييموتو بالنافقين. اكتر حاجة بكرهها في مدحت محفوظ ان ساعات بيحيد العلم نفسه في سبيل ان يوصل للسنتاج معين او قناعة بيطلب بيها من زمان. بلاش دى ايمانه التام ان المصريين عرق راقى من الفراغة كلهم وفيه بس اقلية اعرابية هكسوسية من دين الصهاك حاجة قمة الاحا. انا مش مختلف معاك في اللي بتقوله وفاهمه كويس انا قارى موقع ايفرى سكرين ييجى تلت مرات بس فعلا هو ساعات بيحيد المنطق نفسه. Ahmed Elmansi: انت فهمت كلامى غلط عن اين راند انا بجها بس مش بقول انها الصبح انا كان قصدى انى اقول ان مدحت بيكتب عنها وعن بينوشيه ومواضيع تانية من التسعينيات وده متفرد الكلام اللي انت كاتبه هو شرح لمدحت وانا مش مختلف مع حاجات كتير السؤال هنا ١- انا قرئت اه البحث اللي كاتبه ان الكورونا بيصيب اكثر السود والصينيين بس هو يقول حرفيا ان الفيرس قبلة اثنية عشان تطهر اعراق معينة طب يعنى نسبة الوفيات للاعراق دى لا تذكر بالنسبة لوفيات البيض _مش بكلم عن السلوكيات والسياسة بتكلم عن العرق _يعنى هو الطبيعة مصممة الفيروس عشان يصيب السود ويجيبهم كحة بس يقتل البيض مجرد انه يقول قبلة اثنية وبتاع ده كلام فارغ وتحييد للعلم وخرافات ٢- مش بتكلم عن وجود قلة اصلهم عربى واخوان سؤلى عن عموم المصريين الدين فعلا مش متمكن منهم تماما حتى التخاع وعمرهم ما امنو بيه ؟ Ahmed Reda: طبعا هي بالنسبالي لا تتخطى الفرضية ومش science per se، ولكن انا بس بقولك ليه هي موجودة بالأساس، مش تفكير بالتمني بالكامل، ومع الايام هنشوف يا دحض يا مزيد من التأكيد. بالنسبة للدين وكده، فالقصد إنه طالما جين توليد الثروة قاعد متغيرش ولا اتحور، فكل اللي محتاجينه هو فرعون قوي يأمر وكله هيطع باللي هو عايزه. بس يجي واحد مسترجل يجد ويكس الخنات اللي شغالين زن في ودان الشعب ليل نهار وباضنين عليه، وبعدها مش هيبقى الوضع زي كده ابدًا. وطبعا مبقولش الشعب هيبقى كله علماء في الشارع، لكن مظاهر البضان الإبراهيمي هتضمحل بالتدريج. Ahmed Elmansi: يعنى متفق. Medhat Mahfouz: بس لو صبر القاتل ع المقتول، ٧٠ بالمية من "نافقى" الغرب من الأعراق الخنالية أسود وبنى وأصفر. موش كده بس، باعتبارهم أقليات احسب أنت نسبة النافقين داخل كل عرق مقارنة بنسبة الضحايا داخل العرق المحترم، وبعدها احسب إذا كانت -لا سمحت الإنسانية- هى إثنية أم لا. كل ده بخلاف إزاي لو اعتبرت حد أكبر من أن يكون اقتصاديا وأكبر من أن يكون نوسترامادوس، هل ها يصعب عليك تعتبره أكبر من العلم، ع الأقل بعد أن صارت الأكاديميا كلمة سباب؟ Ahmed Hassan: اسمحلي اضيف حاجه، مدحت محفوظ اول معرفتي بيه بوست من احمد السنهوري متيألي كان حاطه ك واحد من احسن الناس اقتصاديا و الكلام دا من كام سنه. بدأت اتابعه اخر السنه اللي فاتت و قريلته "سهم كيوييد" و "حضارة ما بعد الإنسان". الراجل دا متبحر بطريقه عجيبيه و قارئ نهم، و الفكره انه عنده ريكورد لكل حاجه!! موقع ايفرى سكرين دا محتاج شهور عشان تخلص مداخله. Mansour M. Muhammad: طب ما ترشحلي حاجة ليه. Ahmed Elmansi: ابتدى بالموقع والمداخل القديمة وهتلاقى عالموقع كل حاجة والكتب. ..الشير الموازى له الذى قمت به وتفاعلاته [أيضا بدون تنقيح]: Medhat Mahfouz: هه هه، وده يعلقوا عليه إزاي، ده كمان بخلاف التعليق على التعليقات. ..بيفتكروني بس وأنا بأتشتم، طبعا لأنى نسمة طول عمرى ما شتمت حد. Mena Aziz: انا كل ما باشوفه بافتكرك [صورة دكتور ستريجنجلاف]. Али Аббаси: من اين احصل على كتبك؟؟ Mo Abdalla: حضرتك عظيم. ليس كمثلك شيع. Ahmed Mahmoud: انا بقرأ حاليا في كتاب استدامة الحضارة مجهود عظيم. Hosamaladle Muhammed: و إنت ما حدش عارف قيمة حضرتك إلا ناس معينة يا أستاذ مدحت يالا معلش. Osama E. Saraya: فاكر حضرتك بردو صاحبنا اياه لما قال نفس التعليق بعد حوار اكثر من ساعتين اختلفوا في الكثير واتفقوا في وصف العبقرية بالجنون [يقصد فيما فهمت أحد الإعلاميين الشهيرين]. Haya AlMousa: طبعا استاذ مدحت محفوظ غني عن الوصف في عمق فكره وملاسته لفطرة او برجة ما داخل الانسان لا يدرك هو نفسه وجودها ؛ اذكر اول ما قرأت كتاب المسيحية هي الهرطقة او شيء من هذا القبيل وكتاب اخر نسيت الان اسمه (اظن ايفرسكرين) ذهلت واكلت الكلام

اكل حرفياً وما نمتش قبل ما اخلصه؛ وتغلغل الكلام وكأنه ترجمة لمشاعر ومعلومات كثيرة متبرجة داخلنا او داخلي دون ان نترجمها ككلمات وأول نقاش مع استاذ مدحت كان لما قلت له ان المطلوب اخذ الاموال من الاغنياء فقال لي ان هذه سرقة فاتصدت ؛ عاجزة تماما عن تبرير منطق الأخذ من الغني وادانته والضغط عليه فقط كونه غني واليوم عندما اقول ذات الفكرة للآخرين اجد منهم ذات العجز عن التبرير ؛ مشكلتي اني بشوف شطحات من الاستاذ احيانا لا أقبلها رغم اني أفهمها وايضا اجد قسوة تعجز نفسي عن قبولها حتى في اطار التنافس والبقاء ؛ تقريبا لا يساوي البقاء او الفوز عندي كل هذه القسوة بمعنى في الآخر في الآخر انا جاية اعيش كم يوم واستمتع وأمضي لا اجد اني لازم احمل عذاب ضمير مبالغ فيه لابقى لان البقاء والتفوق يساوي الكثير لكن Not to this much شعوري واضح انه حقيقي بدليل ان كل إبادة فعلها الرجل الابيض يشعر اليوم انه محتاج يدفع ثمنها ويشعر بعار منها فاجد الإبادة والقسوة الي يقول الاستاذ انه ثبت ان كل الحلول عداها فشلت هي في حد ذاتها حل تم تجربته القرن الماضي وايضا فشل وان كانت الطبيعة تفني الاقل والاضعف فلتفعل ذلك هي لا انا؛ عموما هذا اختلاف لا يمكن حسمه لانه يعتمد على طبيعة شخصية ولا نعلم حتى الان ان كان استاذ مدحت على الصعيد الواقعي كانسان قادر على المشي فيها او تنفيذها؛ اجد حكمة الإنجليز وقلة ميلهم للعنف (بعكس دموية فرنسا في المغرب العربي او عنف اسبانيا في امريكا) أجد انا الاحكم والاقدر على الاستمرار من راديكالية الألمان مثلا في مرحلة النازية؛ عموما اديني بقرأ ويحاول أفهم والله اعلم ان كنت حفيهم يوما ما لكني حتما أشكر الاستاذ لتقبل النقاش دوما بمهوء ملفت Medhat Mahfouz: أشكرك جدا، مفاجأة حلوة وأعدك أني سأعيد النظر في تصنيفك كمعارضة على طول الخط لما يكتب هنا. هه هه. Fouad Saouma: لو خلق يهوديا او في اميركا ..لكان له شأن آخر ! و لكن على الاقل يمكن القول انه ولد في المكان الغلط !! و هذه هي تصاريف الطبيعة التي في احيانا كثيرة لا تفهم! و يمكن على الاقل ايضا و ايضا القول بانه من افضل التصنيفات في شرح الاسلام! Medhat Mahfouz: ولا حد يعمل حاجة، الطبيعة أكبر من كل كلام ومن كل المتكلمين. ..أما أصل البوست فقد كانت تفاعلاته الآتية [بالمثل بدون تنقيح]: Ahmed Elmansi: واحد سيرسجي واقف على ناصية الشارع يبشدة كولة ومبيعرفش يكتب اسمه. مدحت محفوظ: ده شعب الحضارة المصري ده ، الجينات النقية التي لم تتلوث. Jamal Shouman: مدحت بك محفوظ كثير من الناس شايفينه اله. Ahmed Elmansi: استاذ شومان ومدحت محفوظ ف بوست واحد يا ديني عالعظمة. Jamal Shouman: حبيبي. Mahmoud Elsaady: مدحت محفوظ شاهد على التاريخ. Medhat Mahfouz: أعمل شير ولا ها ترجع في كلامك؟ Ahmed Elmansi: اصلا البرافاسي عاملها custom من الاول ههههه Mohsen Mohamed: انا دا من الاختلافات اللي بختلف فيها مع سيدنا دا شعب شمام اسلامجي شكاء بكاء وفي أقلية كويسة الاكثرية لأما هكسوس لأما ستروكس Ahmed Elmansi انا متفق معاك تماما بس انت او انا مين مجرد حشرات جنب مدحت. Mohamed Sengab: انتا هتكفر بسيدنا يا عرق حثالي يا ملحد؟ Hany Victor: قصدك حزب الكبة اللي بيخلفوا طفل واحد او طفلين ع أقصى تقدير وحياتهم هي الشغل وتربية العيال ع عكس السرسجية اللي ليخلفوا زي الأرناب حتي من غير جواز السبب في ده ناصر والسادات ومبارك Medhat Mahfouz: كشخص اسمه مدحت محفوظ، أو كقضية اسمها الاستدامة المفقودة في أطوار الحضارة، أو بصيغة أخرى قضية الأوروبيين أو الطبقة الوسطى أو أيا ما كان اللبيعة إلى موش سيرسجية (بالوصف المذكور هنا هذه أقلية عربية قح، وليسوا بالمرءة من أقصدهم بالشعب المصري أو الفلاح المصري)؛ ده ها يكون مدخل كامل قريبا جدا، ها يجمع ويعلق على كل البوستات دى. ..أما موضوع بسطاء المصريين الموصوفون زورا بالسرسجية، فمداخله موجودة وها أجمعها أهه، لأنها قصة شعبانة أو شبه خلصانة. Ahmed Elmansi: مش قادر افهم نظريتك يا مولانا او فاهمها بس مش قادر ابلعها انت تقصد المصري الطيب المستسلم اللي بيطيع وتدين ظاهري كنوع من التصوف بس دول مش الاغلبية الاغلبية هم فعلا المتدينين اسلاميا بعنف ودول مش مجرد اقلية عربية Medhat Mahfouz: كلامك سليم الأغلبية كده فعلا (على تويت). Ahmed Elmansi: غالبا انت صح لانك اله ومش هعرف اكر منك هه هه هه. Medhat Mahfouz: متشكرين. Ahmed Elmansi: برده متكبر هه هه هه. Medhat Mahfouz: خلاص، موش متشكرين.

https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/2962843647131319?comment_id=2965442233538127

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/2972927466122937>

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/2962843647131319>

<https://www.facebook.com/ahmed.elmansi.710/posts/258454405185353>

<https://www.facebook.com/ahmed.elmansi.710/posts/260240038340123>

<https://www.facebook.com/ahmed.elmansi.710/posts/265578961139564>

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/2983686518380365>

..مدخل تجد نسخة منه على هامش بعض هذه النقاشات:

٣١ مارس ٢٠٢٠:

انا لا اعلم الغيب، انا اعمل الغيب!

أنا لا أعلم الغيب، أنا أعمل الغيب. أنا جناح فراشة خفق في البابان فسبب إعصارا بالكاريبي. ..البشرية ترمغت في المال القذر قرنا كاملا بالشيوعية الكينزية في الغرب إلى الشيوعية الماركسية في الشر، وحان وقت دفع كل الفواتير. ..كورونا ليس السبب، السبب هو إهانة قوانين الطبيعة طيلة هذا القرن البغيض، السبب هو أن عكف الكل على بناء اقتصاد متسارع من أوراق اللعب كمي فقاعى متفاخم لا نوعى تنافسى رصين، ومن ثم هو من الهشاشة بحيث لا يحتاج لأكثر من نفخة كى تسويه بقاع المحيط. ..كورونا ليس السبب، السبب صلف الإنسان الذى تخيل وهما اسمه حرمة النفس البشرية تخترق قانون داروين / سبنسر أن التحيؤ للأليق survival of the fittest ولم يكن للحظة واحدة التحيؤ للجميع، تخيل أن له حكوكا تمنحها له دون الآلهة حاجة اسمها منظمة الرمم المتحدة، فيما الطبيعة التى أوجدتنا تقول إن حقوق الإنسان لا تزيد بشعرة واحدة عن حقوق الكلب، والصياغة للدكتور واتسون بتاع الدى إن إيه. ..الإنسان ما إلا تطفر خطأ فى شجرة التطور، أتى بأشياء غير طبيعية وغير مادية بالمره، الفكر الوعى التيمايوس الأخلاق المختلفة وسائر صنوف خراء المعنويات والأفلاطونيات، وها قد حان له أنه يغور فى داهية لأنه قد آن لكوكب الأرض أن يتخلص من هذه النجاسة الطارئة، الهوموسيينز. ..أنا لا أعلم الغيب، أنا أعمل الغيب. ..اقرأ كتابي حضارة ما بعد الإنسان (١٩٨٩) واستدامة الحضارة (٢٠١٩).

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/2947436062005411>

..أيضا تابع:

٣٠ أبريل ٢٠٢١:

انته موش بتخالف مدحت مدفوظ فى الراى انته بتخالف قوانين الطبيعة ودكمها!

لما سعادتك قادر تحكم أن رفاعة زفت عربى، موش تحاول تحكم برضه على كل "فلاح" بسيط حالة بحالة أنه مصرى ولا عربى، ثم هل ما فيش فرق بين الفلاح إلىى بجد وبين جبلاوية الريف بتوع خطف الأطفال وبتسموهم فلاحين عاطل فى باطل. وبالمنااسبة، فى المدن نفسها كانت أسرنا تخاف علينا من حوادث الخطف بفدية اليومية دى، لكن بقدرة قادر ظهر البترول واختفى الخطف. أستاذنا الفاضل، ما فيش مسلم بمعنى مسلم إلا لو جيبنااته عربية، وما فيش مصرى واحد مسلم على وجه الإطلاق، إذ يا عزيزى كلنا إيزيسيون. أما الكلام عن رعاى سجن الباستيل فولتير وروسو ومونتسكيو وبقية السحن الإجرامية دى إلىى أكاد أجن إزاي بتمدحهم -وكم ان فى ذات نفس البوست إلىى بتقول فيه أنك أرستقراطى - فتلك قصة أخرى. فقط أسأل سؤال واحد ما الذى أتى به الأومباشى التنويرى نابوليون لمصر غير المطبعة، يعنى كلام شيوعى سوف يحل محل الكلام المسلم، يعنى كله × كله سلعة الكلام لا أكثر لا تقنية ولا إنتاج ولا حادثة ولا أى شىء مادية، وعلى عهدتى كلامه هو الأوسخ والأكثر ظلامية ودمارا من الإسلام. أما كهمنى قاطع طريق الحضارة فتلك أيضا قصة ثالثة، وعلى أية حال نال عقابه الرادع عليها فى أبو قير ووترلو وغيرهما. ..وتواصل النقاش وأغلبه كان حول المدخل الذى تجد رابطته للأسفل: هههههههههه، حى، أنا لم أقل أبدا على بدرأوى ولا مبارك ولا سليمان ولا شفشق ولا أى من طقم المختئين دول بما فيهم الدلدول الحالى، أنهم عرب، هم مصريون وربما مصريون جدا فقط مشكلتى أنهم لا يصلحون للقيادة. وطبعا موش معنى أن فى العرب أو عند كل البرابرة من يصلح للقيادة -فلاديمير بوضين ابن صهاك عيمعصور الشنكوتى أيا من كان- أن نعجب بهم، فهم من الأصل فسطاط العدو بل أكثر من فيه شرا. ..يا باشا اقرأ كويس، موش الأنفاق وكده، ده كان من المجموعة إلىى رافضة رش التحرير بغاز الأعصاب وبتشجع مبارك يحط ديله فى سنانه ويجرى على شرم الشيخ ويسيينا لخسارة تريليون دولار لحد دلوقت ولسه الحسابة بتحسب. إلىى لا ينتطح فى شجاعتهم وبطولتهم عزان هم الجبهة المضادة، جمال سوزان عزمى العادلى طنطاوى إلخ. ..هه هه، الصح المطلق، البوصلة، اسمان آخرا ممكن أنافس بيهم ذات ال ١٠ آلاف اسم، شكرا مجددا العزيز جابر. ..شومان كتب [بدون تنقيح]: مدحت بك: دخلت برجليك لأنى كنت متردد أكتب عن معاليك، إمبراج دخلت صفحتك أربع ساعات، طبعا أنا مبدئيا معترف بجهلى بالسياسة، بس فى التاريخ مش شايف ف مصر غيرى، المهم، بعد أربع ساعات شيقة بين موضوعاتكم المثيرة -أربع ساعات وتلت كمان- خرجت مشوش الذهن تماما، إستفدت طبعا معلومات قيمة، بس لقيت حضرتك ماحدش عاجبك، طبعا ناصر وشنودة والنوعيات دى، إمبراج كانت المصيبة لما لقيتك

دخلت ف الدكتور حسام بدرأوى الى انا كنت مرشحه لرئاسة مصر- وهو بالمناسبة من المماليك مش العرب- والأخطر والمذهل والمثير للغضب والإحباط وربما الكراهية- الكراهية منى لمعاليك- لما لقيتك بتطعن فى عمر سليمان، ياخير اسود، انا لو بعرف أقدم بلاغات للفييس وللنيابة كنت قدمنتها ف معاليك وف فؤاد بك صوما الى لابس بدلة جديدة ومؤيد كلامك.....انت بعدت أوى يا أستاذنا للأسف!!!! تحديدًا عمر سليمان يا شيخنا لم ينتطح فيه عنزان، إمبارح لقيتك مشركه تمامًا، خير؟ ..ولا أنا بناطح مدحت بك، بكل بساطة أنا جاهل بسياسة، لكن ان عمر سليمان يحتضن الإخوان.... دى معلومة جديدة، وبالنسبة للهداية ادعى لى، بس مش على ايدين متطرفين زى مدحت بك وفؤاد بك.. وجابر يعلق [أيضا بدون تنقيح]: ..مع احترامي لكلامك يا شومان باشا، انا هشارك بالرأي في موضوعين: الموضوع الاول هو عمر سليمان، وانا كنت من اشد الناس حبا لعمر سليمان ولا زلت، وبكيت على وفاته بحرقه، لكن انا سمعته بنفسى والندم يعتصر قلبه على أنه كان الحظن الدافئ لعصابة الاخوان، وانه نادى على فكرة الاحتواء اللي هو صاحب براءة الاختراع من سنة ٢٠٠٥ واول تطبيق كان مع حماس. انا بقى زى زيك كنت محب عبد الناصر والبابا شنودة وعمر سليمان وكل الناس اللي لها بريق دي لحد ما اهدت ل مدحت محفوظ، البوصلة الفكرية اللي كانت متلخبطة في كل اتجاه اتعدلت. وده الموضوع التاني، كلام مدحت محفوظ في اي موضوع هو الصح المطلق، ايا كان الموضوع، علم، سياسة، تاريخ، فن..... الخ. ده مش تحيز عاطفي، ده له حجة أقوى من ان حد ممكن يكسرها. الحجة انه بيستخدم أصدق واقوي قوانين للحكم على الأمور، قوانين الطبيعة، فمستحيل حد يناطح الطبيعة مهما بلغ علمه او قراءته او فهمه. انت مش بتخالف مدحت محفوظ في الرأي، بتخالف قوانين الطبيعة وحكمها، مع حيي واحترامي طبعًا لحضرتك. اه وعلى فكرة ملحوظة جانبية، احنا موجودين في الخليج من نهاية الخمسينات وده بدأ لسبب سياسي للأسف.

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/4052620114820328>

<https://www.facebook.com/groups/256377546114632/permalink/299580278461025/>

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/4043206432428363>

...

١٩ مارس ٢٠٢١:

مدخل 'مهموري' من توليد فيسبوك بعنوان *Medhat's most liked photo on Facebook of 2011*

Work can only be obtained from cooperation between systems in contact with each other. When work is done, such systems tend to even out; and that loss of heat energy is the entropy of an isolated system not at equilibrium will tend to increase over time, approaching a maximum value. The second law of thermodynamics states that the entropy of a closed system tends to increase and evolve by Rudolf Clausius

مدحت محفوظ سهم كيوييد

(رواية ليست رومانسية بالضرورة !)

Every Roman was surrounded by slaves. The slave and his psychology flooded ancient Italy, and every Roman became a slave. Because living in the atmosphere of slaves, he became infected with their psychology. No one could shield himself from such influence. Carl Gustav Jung, Analytical Psychology (1919)



(هذرت على موقع [BengScreen.com](http://www.BengScreen.com) في ١٠ مارس ٢٠٠٧)
(as in Saturday March 10, 2007 12:17:13 PM)

(Note: Downsized image; for full scale, click [here](#))

... بالكومنتات دار الحوار التالى :

- حكمت الحاج : الرواية الأهم فى أدبنا العربى المعاصر ...

- مدحت محفوظ : شرف ما بعده شرف لما أديب عظيم زى سعادتك يقول كده ، لكن بالنسبة لى أقول أنا فاهم الزاوية إالى بتحكم بيها وهى مجرد المحتوى أو الرأى ، إنما من حيث الحرفة فشخصيا لا أراها تندرج أصلا تحت بند الرواية أو الأدب ، مجرد مقال طويل .

- حكمت الحاج : بالضبط ، ومن هنا يتدعم رأى الذى هو مكر بخصيص روايتك منذ سنوات طويلة . فمن ميزات رواية ما بعد الحداثة أو ما نسميها الرواية الضد أو أنتى نوفل هو الاسترسال فى السرد مثل مقال حيث يقوم البناء الاسترسالى والاستطردى بتوجيه مجرى القراءة نحو بعضى النوع الأدبى وتكونه كأعراف قراءة أو كودات قراءة ما بين النص والقارىء فيكتب القارىء روايتك من جديد ولا بد هنا أن نلاحظ بدقة تلك القصدية التى تقف وراء تسمية الكتاب من لدن مؤلفه بـ رواية فهذا يفترق مثلا لو كان الكتاب بأجزائه الثلاثة قد حمل الوصف الفرعى مقال أو أى شيء آخر لكنه رغم كل ما جرى فجميعنا متفقون أننا امام رواية ضخمة عنوانها سهم كيوييد لم يفتتها الزمن بعد . محبتي ... نسيت أن أقول لك أيضا يا صديقى إن الوقوع فى فخ المحتوى لسهم كيوييد قد تجاوزته شخصيا منذ القراءة الثانية للرواية صحيح المحتوى راديكالى جدا وصادم ولكن الأفكار ملقاة على قارعة الطريق دوما ولا قيمة لها كما يقول الجاحظ وإنما الأهمية كل الأهمية هى فى الشكل والخطاب واللعبة الاتصالية وأنت خير من أتقنها كمؤلف روائى قبل أن تكون مفكرا معاصرا شرسا وانتقاديا .

- مدحت محفوظ : هه هه ، بصراحة موش عارف أقول إيه ، كتير جدا فعلا ، وفعلا شرف ما بعده شرف .

<https://www.facebook.com/MedhatMahfouz/posts/3926406404108367>

<https://www.facebook.com/EveryScreenThemes/posts/3781426808642209>

